بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: البحوث الاكاديمية المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر الامام الحسن المجتبى عليه السلام

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر

الإشراف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري

أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م.ضياء محمد حسن

الإدارة الفنيــة : م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي:علي عبدالحليم - احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣ م

دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN:978-9922-680-36-1

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٩٥٨) لسنة ٢٠٢٣

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤلف.

البحوث الاكاديمية المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر الامام الحسن المجتبى عليه السلام. الجزء الثاني-.الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، ١٤٤٤ هـ. = ٢٠٢٣.

مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠٣٦١

١. الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، ٣-٥٠ هجري -- مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC : BP193.12 .A836 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

فهرسة اثناء النشر

المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الشريفة

-الجزء الثاني -

البحوث الاكاديمية

١١	الإشاعة وآثارها السلبية على جيش الإمام الحسن عليه السلام	م.د. نزار ناجي محمد
٣٧	الإشاعات الأموية وتأثيرها المناوئ لدولة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام	الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناوي
٦٥	الحوادث التّاريخيّة المحيطة بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مرحلة الطفولة	أ.م.د. عباس إسماعيل الغراوي
١٠٩	المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في مرويات الامام الحسن المجتبى عليه السلام (دراسة تاريخية تحليلية)	م. محمد جاسم عمران م. ازر عبد الكاظم إسماعيل
١٢٧	الموجهات الإقناعية في مناظرات الإمام الحسن عليه السلام	م.د. موفق مجيد ليلو
١٥٣	الإشاعات ودورها في تفكيك جيش الإمام الحسن عليه السلام	د. فاطمة مهدي البزّال
١٧٥	الأمن الفكري في فكر الإمام الحسن عليه السلام	أ.م.د.عقيل رشيد عبد الشهيد الأسدي م.م. رشا حسين عبد الكاظم الركابي
٢٠١	تشييد الصورة التاريخية في خطابها الأموي لإقصاء الإمام الحسن عليه السلام في التأصيل التاريخي	أ.م.د. علاء حسن مردان اللامي
٢٣٣	مصادر الروايات المظللة وشخوص رواتها حول سيرة الإمام الحسن عليه السلام	م.د. حيدر سالم محمد المالكي م.د. دينا عبد السادة رسن المالكي

٢٨١	خلافة الامام الحسن عليه السلام بين النص الشرعي والاجتهاد الوضعي ـ دراسة تحليلية على وفق معطيات القرآن الكريم والسنة النبوية	أ.م.د. حسين صالح ظاهر
٣٢١	سياسة الإمام الحسن عليه السلام وأثرها في مواجهة الارهاب الأُموي	ا.م.د. احمد جاسم مطرود ا.م.د. وسام صالح عبد الحسين
٣٤١	الجوانب العلمية والأخلاقية في شخصية الإمام الحسن المُجتبى عليه السلام	أ.م.د. حوراء عباس كرماش
٣٦٥	الشّهيد الحي تأمُّلات في سيرة الإمام الحسن عليه السلام	د. ناجي الحجلاوي
٣٨٥	تَجلِّياتُ خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام فَرادَةُ السِّيْرةِ وردُّ تَضْلِيلِ المُنَاوِئِينَ (قِراءةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)	أ.د. رحيم كريم عليّ الشَّرِيْفيّ
٤١٧	ومضات من أَدب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في أقواله وحكمه	أ.م.د. حيدر عبد الحسين زوين الباحثة رباب عبد الكريم جعفر
٤٣٥	البنية اللغوية في مناظرات الإمام الحسن عليه السلام دراسة تحليلية	أ.د. فضيلة عبوسي محسن العامري
٤٦٥	الماكنة الإعلامية وإنتاج الإشاعة وتسويقها – قراءة في عصر الإمام الحسن عليه السلام في ضوء النقد الثقافي	م.م. هند كامل خضير

٤٨٥	أَهلُ البيت عليهم السلام في خطب الإمام الحسن عليه السلام وأَحاديثه – قراءة تأويلية	أ.د. حاكم حبيب الكريطي
٥١١	الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ثنائية الصلح والإصلاح ، قراءة في الظروف والمبررات والنتائج	الباحث حيدر فرج الساعدي
٥٣٧	الإمام المجتبى عليه السلام مواقف تخفق بروح الحقّ	د. ريما حسين أمهز

كلمة الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ؛ أبي القاسم محمد الصادق الأمين ، وعلى أهل بيته مصابيح الدجى، وأنوار التُّقى الطيبين الطَّاهرين ، وعلى مَنْ والاهم وتبعهم بإحسان الى يوم الدين..

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سليل الدوحة النبوية الباسقة، وسيد شباب أهل الجنة، والإمام إنْ قام وإنْ قعد، والأَحاديث كثيرة في سيرته العطرة التي ما زالت المحاولات جارية لتشويهها والانتقاص منها بطريقة أو بأخرى، وقد رعت الأَمانة العامة للعتبة العباسية المقدسة مؤتمر الإمام الحسن عليه السلام بنسخه الثمان، محفِّزة ومشوِّرة أقلام الباحثين الأكاديميين والحوزويين للدفاع عن تلك السيرة ، ونصرة صاحبها ، ودفع الحيف والظلم الذي لحق به.

وضمن وقائع نشر البحوث المشاركة في **المؤتمر العلمي السنوي التاسع لفكر الامام الحسن المجتبى** عليه السلام الذي عقد تحت عنوان ((**تُرَاْثُ الإِمَاْمِ الحَسَنِ المُجْتَبَى عليه السلام فِي الدِرَاْسَاْتِ الإِنْسَاْنِيَّةِ قِرَاْءَاْتٌ فِي الرَّأْيِ وَ الرَّأْيِ الآخَرِ**)) ، والذي تَبَّنى طباعته قسم النشر في جمعية العميد العلميّة والفكرّية ، نَجِدُ أقلاماً بحثية عربية توشَّحَ بها هذا الجزء من الوقائع، فكانت من مصر ولبنان، وفلسطين، وتونس وتَوشَّحَ أيضا بالأقلام البحثية العراقية ممثلة بالجامعات العريقة كبغداد والكوفة والقادسية وبابل وميسان والعراقية فضلا عن الجامعات الأَهلية كجامعة الإِمام الصادق عليه السلام وجامعة الإِمام الكاظم عليه السلام وجامعة الشيخ الطوسي والجامعة الاسلامية، وكذلك نجد مشاركات من مديريات التربية في محافظات عدّة، البصرة وميسان وبابل والنجف ، ومركزين بحثيين تابعين للعتبة العباسية المقدسة هما مركز التراث التابع لدار المخطوطات، ومركز الدراسات والمراجعة العلمية.

ومثلما تنوّعَ الباحثون تنوَّعت تخصصات البحوث المشاركة وتوجهاتها العلمية، فنجدُ الإِعلامي والأَدبي والتاريخي وغيرها مما حفل بها هذا الجزء الذي اعتنى في إِخراجه ومتابعته قسم النشر في جمعية العميد العلميّة والفكريّة لِيُقدِّمَهُ للقّراءِ الكرام، وليكونَ عملاً مُهّماً مُضافاً في سجل المؤلفات التي خصَّت سليل الدوحة المحمديَّة؛ الامام الحسن عليه السلام.

وختاماً يشكرُ قسمُ النشرِ جميعَ الباحثين المشاركين الذين فازوا في التقرب لأهل البيت عليهم السلام والحبَّ لهم ، وسجّلوا أنفسهم ضمن المشفوعين لهم من لَدُنِ الإمام الحسن عليه السلام، وَجُعِلَ ما قدموه خالصاً لوجه الله تعالى، وفي ميزان حسناتهم.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على رسوله وآله الطّيبين الطّاهرين.

أ.د. شوقي مصطفى الموسوي
عضو جمعية العميد العلمية والفكرية

الإشاعةُ وآثارُها السلبيةِ على

جيشِ الإمامِ الحسن عليه السلام

م.د. نزار ناجي محمد

مديرية تربية محافظة البصرة.

ملخص البحث

تُعُّد الإشـاعةُ سـلاحٌ فعـالٌ وشـديدُ التأثـير في الحـروب ،وتُسـهمُ اسـهاماً كبـيراً في تحقيـق الانتصارات بسرعـة كبيرة وبأقل الخسائر ، لذلـك يطلـق عـلى ذلـك السلاح في كثير من الأحيان بـ (الحـرب النفسـية) وهـي مـن أخطـر أنـواع الحـروب؛ لأنهـا تسـتهدفُ عقليـة المقاتـل وتفكـيره ، فتعمـل عـلى تحطيـمِ الـروحِ المعنوّيـةِ لديـه، وتعمـل عـلى تفريـق الجمـوع وتشـتيت الأهـواء وتدفعـه نحـو الاستسـلام ، فمـن خلالهـا يسـتطيع العـدو تحقيـق مـا لم يسـتطع تحقيقـه بقـوة الجيـش والسـلاح في زمـن الحـرب ، ولا يقتـصر تأثـير الإشـاعة عـلى وقـت الحـرب، بـل يمكـن اسـتخدامها قبـل وقـوع الحـرب، بوصفـهِ نوعـاً مـن أنـواع الإرهـاب النفسـي ، وتَضمَّـنَ الخطـاب القـرآني اشـارات إلى نـماذج عـدة مـن الشـائعات التـي كان يطلقهـا خصـوم الدعـوة الإسـلامية بـين الحـين والآخـر .

ومـا يخـصُّ سـيرة الإمـام الحسـن عليه السلام فقدتـم اسـتخدام الشـائعات بوصفهـا نوعـاً مـن انـواع الحـرب النفسـية تجـاه معسـكر جيـش الإمـام الحسـن عليه السلام ، فقـد كان لهـا دور كبـير في التأثـير عـلى معنويـات المقاتلـين، إذ اسـتخدمتها السـلطة الأمويـة لتحطيـم الـروح المعنويـة لديهـم، وتشـتيت جمعهـم مـن خـلال بـثِّ الشـائعات في صفوفهـم، لـذا يخـصُّ الدراسـة عـلى تأثيراتهـا عـلى جيـش الإمـام الحسـن عليه السلام.

Abstract

Rumor is an effective and highly influential weapon in wars and contributes greatly to achieving victories very quickly and with minimal losses. Therefore, this weapon is often called “psychological warfare “ . It is regarded as one of the most dangerous types of wars because it targets the fighter’s mentality and thinking, thus it destroys the morale and works to disperse the crowds and the passions and stimulates them into surrender . So it gains more than an enemy can achieve by force of the army and weapons in time of war. It included references to several examples of rumors spread by opponents of Islam.

Concerning the chronicle of Imam Al-Hassan (peace be upon him), rumors were used as a kind of psychological warfare against the army camp of Imam Hassan (peace be upon him). Rumors are employed by the Umayyad authority to disperse the army . So the study will focus on its effects on the army of Imam Hassan (peace be upon him).

التمهيد

مُنذُ فجر التاريخ والصراع قائم بين الناس على كل شيء ،وعادة ما يتم استخدام الحرب النفسية بوصفها نوعاً من أنواع السيطرة على تفكير الآخر ليسهل بعدها التحكم بمصيره، من دون أي خسائر مادية أو بشرية ، والإشاعات صورة من صور تلك الحرب النفسية التي يتم استخدامها في العادة وقت الحروب للتأثير على الجيوش ، فيطلق عليها أحيانا بالحرب الإعلاميّة أو النفسّية،أو المعنويّة ، أو حرب الكلمات ، ويطلق عليها كذلك بالحرب الباردة أو الناعمة ،وهذا النوع هو أخطر انواع الحروب أو الوسائل المستخدمة؛ لأنها تستهدف العقل وتفكير الآخر للسيطرة عليه وتحطيمهِ معنوياً قبل الدخول في أي صدام عسكريٍّ ، وكثيراً ما غيرت ذلك النوع من الحروب وجه التاريخ ، فالإشاعة واحدة من الاساليب التي أشار إليها القران الكريم ، ونقلت لنا المصادر الإسلامية عنها صور متعددة سواء في أوقات الحرب أو السلم ، وعلى الرغم من قِصرحياة الإمام الحسن عليه السلام وقّلة سنوات خلافتهِ إلّا أنها شهدت احداثاً تاريخية مهمة وصدام إعلامي وعسكري مع السلطة الاموية تمثل بالمراسلات التي كان يقوم بها الإمام الحسن عليه السلام بالردِّ على معاوية ، أو الصدام المباشر عسكرياً وإعلامياً اثناء الحرب، إذ تمَّ استخدام الإشاعة من أجل إضعاف الروح المعنوية لدى المقاتلين من أنصار الإمام الحسن عليه السلام واتباعهِ وخلق نوع من الفوضى والتشتت فيما بينهم وهوما ستحاول الدراسة بيانه وتفصيله .

أولاً : الشائعات لغة واصطلاحاً

الإشاعة لغة هي من الفعل (شيع) فيقال شاع الخبر يشيع شيعوعة ، أي ذاع ، وأشاع الخبر ، أي أذاعه فهو رجل مشياع [١]، ويقال شاعَ الخَبَرُ في الناس يَشِيعُ شَيْعاً وشيَعاناً ومَشاعاً وشَيْعُوعةً ، فهو شائِعٌ : أي انتشر وافترَقَ وذاعَ وظهَر ، فيقال هذا خبَر شائع وقد شاعَ في الناس ، معناه قد اتَّصَلَ بكل أَحد فاستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض ، والشاعةُ هي الأَخْبار المُنتشرةُ [٢].

اما اصطلاحاً : فهو انتشار الكلام الذي لا أصل له ،وإيصاله إلى سمع كُلِّ الناس أي شيوعه وانتشاره [٣] ، وتطلق الإشاعة على الأخبار التي لا يعلم من أذاعها [٤] .

وهناك تعاريف متعددة للإشاعة منها أنَّ الإشاعة هي : « كل قضية أو عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق تتناقل من شخص إلى شخص عادة بالكلمة المنطوقة وذلك من دون أن تكون هناك معايير أكيدة للصدق»[٥]، وعرفها آخر على أنّها : «افتراض يرتبط بالأحداث القائمة يُراد أن يصبح موضع تصديق العامة، بحيث يتم ترويجه من شخص إلى آخر مشافهة في العادة ، ومن دون أن تتوافر أي ملموسة تسمح باثبات صحته»[٦]، ويراها آخر على أَنّها بثُّ خبرٍ من مصدر ما في ظرف معين ، ولهدف ما يبتغيه ذلك المصدر ومن دون علم الآخرين ، وانتشار هذه الإشاعة بين افراد مجموعة معينه [٧]، وعرفها آخر بأَنَّها « رواية غير حقيقية لحادثة قد تنتشر بين الناس بشكل رئيسي عن طريق الكلام » [٨]، وقيل «هي تصريحٌ يُطلق لتصدقه العامة ويرتبط بأحداث الساعة وينتشر من دون التحقق رسمياً من صحته » [٩]، فمن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي هناك عاملٌ مشتركٌ بينهما وهو الانتشار [١٠]، فلا يمكن ان تحقق الاشاعة غايتها من دون الانتشار أو الشيوع .

وهناك من عرفها على انها أسلوب من اساليب الحرب النفسية، وهي رواية لخبر مختلق أو سرد لخبر يحمل جزءاً من الحقيقة بقصد التأثير النفسي في الرأي العام من خلال الهمس أو بوسائل الإعلام من أجل تحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية [١١]، إذ الحديث عن الإشاعة يعني حديثاً عن نوع من انواع الحروب النفسية التي تشنها جهة

اثناء مدة الصراع والتخاصم بينها وبين طرف آخر يخالفها في المُتبنَّيات الفكرية ،فالإشاعة جزء حيوي ومهم في الحرب النفسية، وهي وسيلة تستخدم أيام الحرب والسلم وهي مفتاح لتغيير القناعات واللعب بالعقول، ثم السيطرة والتحول الفكري ، وهي سلاح بيد المنحرفين وتُستعمل للسيطرة على الاتجاهات الشعبية ولزعزعة الوحدة الفكرية والانتماء والتماسك (١٢).

إذ تُعدُّ الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير في الحروب ويُسهم في تحقيق الانتصارات بأقل الخسائر في الأرواح والمعدات ، وذلك النوع من الحروب هو أخطر أنواع الحروب؛ لأنه يستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه ، لكي يتم تحطيم الروح المعنوية، ومِنْ ثمِّ يقوده بالتالي نحو الهزيمة (١٣)، حتى قال احد قادة الجيش الغربيين عنها : « كثيراً ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ »(١٤) ،وهذا الحديث يؤكد أهميتها عبر التاريخ .

ثانياً : الإشاعة في القرآن الكريم

لم يأت القرآن الكريم بذكر صريح للإشاعة أو مشتاقاتها إلا مرة واحدة وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٥) ، بيد أنَّها وردت بمفهومها الشامل وتطبيقاتها ومداليلها العديدة في الكثير من المواقف المشهودة ، فلم تمر الدعوة الإسلامية بسلام من دون ردود فعل مضادة وعنيفة وشرسة منذ اعلان النبي صلى الله عليه وآله الدعوة إلى الله ونبذ ما ورثوه من آبائهم الأولين من شرك وضلال، فقرر وقتها المشركون إلا يألوا جُهداً في محاربة الاسلام وايذاء انصاره واتباعه ، فاستباحت قوى الشرك دماء المسلمين وأموالهم، وصاحبَ كل ذلك حرب عاتية من الشائعات المغرضة لتخذيل وتحقير المسلمين وتوهين قواهم المعنوية وتحطيم نفسياتهم ، وفي العهد المدني ازدادت فورة تلك الشائعات و لاسيما بعد ازدياد عدد المسلمين وتحقيقهم الانتصارات في حربهم مع مختلف القوى المعادية فخلق نوعاً من الكره والعداء للدين الإسلامي ولرسوله الكريم صلى الله عليه وآله (١٦).

ولو عدنا قليلاً وتتبعنا لكل ما تعرض له الأنبياء والرسل من الإشاعات في القرآن الكريم فسيطول الحديث في هذا الموضوع لكثرتها ،وسنقتصر على مجموعة من الحوادث أو الشواهد التي تعرض فيها النبي صلى الله عليه وآله من صنوف الشائعات .

جاء الخطاب القرآني واضحاً لما أبداهُ المشركون من الاتهامات بعد أنْ اعيتهم مواجهة الحجة بالحجة، انتهجوا منهجاً يستندُ إلى بثِّ الإشاعات ضد النبي صلى الله عليه وآله بوصفهِ المثل الأعلى في محاولةٍ لخلخلة تلك الصورة المثال عنه في نفوس اتباعه ومناصريه ، فاخذوا يشيعون بأَنَّه كاهن [١٧]، وشاعر[١٨]، وساحر[١٩]، ومجنون[٢٠] أو ذو جِنَّة[٢١]، وشاعر ومجنون[٢٢] ، أو ساحر مجنون [٢٣]،أو كاهن مجنون [٢٤]، وتكرار تلك الاتهامات وتنوعها تدلل على عجزهم عن ايجاد تفسير لذلك الوحي واستمراره لسنوات متأخرة من عمر الرسالة ، لذلك خاطبهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [٢٥]؛ لذا نجد الخطاب القرآني يتحداهم في أنْ يأتوا بسورة من مثله أن كانوا صادقين في دعواهم فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٢٦]، وكان رجال قريش يجلسون في الطرقات لبثِّ الإشاعات عن النبي صلى الله عليه وآله وحثِّ الناس أيام المواسم على عدم تصديقه أو قبول دعوته [٢٧]، وكان يقصد من تلك الشائعات هو التأثير على العامة من المجتمع بعدم قبولهم دعوته أو تصديقها وتقديم صورة غير حقيقة عن الرسول والرسالة .

وفي المدينة المنورة حيث كثر عدد المسلمين اتخذت العداوة للإسلام طريق الدس والنفاق والمخاتلة وترويج الشائعات ففي غمرة المواجهة الضارية مع المشركين حرص القرآن الكريم على توعية المسلمين وتكوين الحسّ السياسي والإعلامي لديهم؛ لصيانه الرأي العام الإسلامي وتحصينه من التأثر بالإشاعات والأكاذيب والأراجيف التي يبثها المندسون والمنافقون والخصوم، لِيُكوِّنَ المناعة الفكرية والنفسية ،ويُفوّتَ الفرصة على اولئك المخربين، فَثبَّتَ القرآنُ الكريم الأسسَ والموازين اللازمة للإنسان المسلم ليتمكنَ من فحص وتمييز الإشاعة والدعاية الكاذبة [٢٨]، فتنقلُ لنا المرويات التاريخية عن معركة أحد وما حدث بها من عدم تطبيق الأوامر العسكرية، وهو ما كان سبباً في هزيمة المسلمين في تلك الحرب، وما اشيع من قِبَلِ المشركين في المعركة عن مقتل النبي صلى الله عليه وآله [٢٩]، حتى قيل إنّ قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى

عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣٠)، قد نزلت في هذا الحدث بعدَ فرار بعضٍ من المسلمين من المعركة لمجرد سماعهم تلك الإشاعة باستشهاد النبي ﷺ في المعركة(٣١)، لذل كانت وقعة يوم أحد من أهم الوقائع الإسلامية الحربية التي عاشها المسلمون فيها حالة النصر ثم حولوها لهزيمة بفعل سماعهم للإشاعة والممارسات الخاطئة التي انحرف فيها عدد محدد من المقاتلين عن الهدف الذي يفرض عليهم الانضباط فيما تقتضيه خطة الحرب من مواقع ومواقف ،وكانت فرصة سانحة لكي يعالج القرآن الكريم فيها كثيراً من الجوانب المتعلقة بحركة المعركة وموقع القيادة ومدى تأثير وجودها وغيابها (٣٢).

وقد صور لنا القرآن الكريم ما حدث في معركة الأحزاب وكيف لعبت الإشاعة دوراً كبيراً في أحداث المعركة ففي زمن الحروب تكون شروط قيام الإشاعة أحسن ما يمكن فالأحداث العسكرية بالغة الأهمية إذ جاء قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ،وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (٣٣)، فمثل هذه الأخبار كان القصد منها أضعافَ المعنويات وتفكيكَ بنية القوة المقاتلة وتهديم قواهم النفسية والمعنوية أو ما يعرف بالإرهاب النفسي ، وبثَّ الفرقة والشقاق بين صفوفهم ودفعهم للتخلي عن نصرة مركز القيادة وتشكيكه في سلامة وعدالة الهدف الذي يحارب من اجله وزعزعة ثقة المقاتل بقوته وبقيادته وامكانه احراز النصر واقناعه بعدم الجدوى من خوض الحرب أو الاستمرار بها فهذه هي اهداف الإشاعة في وقت الحرب (٣٤).

ولما كانت الإشاعة في وقت الحرب لها تأثيرها الخطير فهي لا تقل عنها في وقت السلم، فدافع ظهور الإشاعة يأتي في مقدمتها دافع الحقد أو أي أشكال الكره والأنانية ، لذلك علماء النفس يُعرِّفون الشائعة على أنَّها سلوك للجماعة ولا بد من صدوره عن توتر دافع يستهدف هدفاً بعينه ، فبالإشاعة قد نهزم مَنْ لا يستطيع مواجهتهم أو الصمود أمامهم وقت الحرب(٣٥)، ومن الأحداث التاريخية التي ذكرها القرآن الكريم هي حادثة الإفك إذ جاء بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ

مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ،لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ، لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ،وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ، وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾(٣٦)، فقد تعرض بيت النبي صلى الله عليه وآله للطعن في مكانة أحدى زوجاته ، فالمستفاد من الآيات أَنَّ هناك جماعة من داخل المجتمع الإسلامي في المدينة قد رمى زوج النبي بالفحشاء ،وشاع الحديث في المدينة وأخذ المنافقون يُروِّجون لهذا الكذب، ولعل بعضاً من غير المنافقين ساندهم من دون ان يشعر بخطورة نقل الإشاعة ومن دون التبين من مدى صحتها أو خطورتها (٣٧)، فكانت وما تزال مقاصد الإشاعة هي ضرب وحدة الجماعة الإسلامية، ويأتي ذلك بعدّة صورٍ منها بثّ الكراهية بين افراد المجتمع الإسلامي ،فتصديق الإشاعات يوقع المجتمع بحالة من الأخذ والرد والظن والاحتمال ومثل تلك الحالة تنمي الكراهية والبغضاء فيتحول المجتمع من وحدة متماسكة إلى جماعات متفرقة (٣٨)، والإشاعة هي احدى الأمراض الخطيرة التي أصابت جسم الأمة الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية المهمة وقد أصابت عضواً من اعضائها السياسية والعسكرية والاجتماعية فتركت آثارها الواضحة ومسببةً جملةً من المشكلات والاضطرابات التي عانت وستعاني منها الإمة الإسلامية (٣٩)، فمُروِّج الإشاعة له القدرة على صياغة الافكار الكاذبة ، لذا هذه بعض النماذج التي أشار اليها القران الكريم عن الإشاعة وخطرها سواء في اوقات الحرب أو السلم.

ثالثاً : دور الإشاعة في حرب الإمام الحسن عليه السلام .

تعد الإشاعة أحد أساليب الحرب النفسية؛ لذلك تم استخدامها اثناء الحروب أو الصراعات للتأثير على معنويات الجيش أو الرأي العام حتى تصبح تلك الأخبار محل تصديق، فتُسهم بصورة كبيرة بتقليل الخسائر البشرية والمادية في صفوف الجهة التي تقوم بنشرها، والغرض

من الإشاعة هو هدم الروح المعنوية لدى المقاتلين وتفكيك الوحدة المتماسكة لديهم ليسهل السيطرة عليهم وهزيمتهم بعد ذلك .

إِنَّ المتتبعَ للمراحل التطورية للإشاعة يجد أَنَّها قد وصلت إلى ذروة مراحلها التطورية خلال المدة التي شهدت صراع بين جهة العراق وبلاد الشام، فأصبحَ للإشاعة راعٍ رسميٌ مُتمثلٌ بالسلطة الأموية، حينها جنّدت كل امكانياتها المادية والبشرية لترويج الإشاعات المراد نشرها، إذ استخدمت كل رجال السلطة ليكونوا مصدراً للإشاعة مقابل منحهم الأموال والهبات والهدايا(٤٠)، ولعلَّ تاريخ الإشاعة وتأثيره على جيش الإمام الحسن عليه السلام يرجع إلى عهد الإمام علي عليه السلام ، فقد وجّهَ معاوية جيوشه إلى اطراف العراق لمهاجمتها وقتل من يؤيد سلطة الإمام علي عليه السلام ولا يؤيد أو يبايع معاوية ويُدين له بالولاء ، وكما قامت تلك القوة المهاجمة بنهب ما يجدونه أمامهم أو القيام بما يشبه عمليات الكرِّ والفرِّ ، وقد حثَّ الإمام علي عليه السلام جيشه ومقاتليه على التصدي لجيوش معاوية ، لكن تَثاقُل انصاره عن الخروج لقتالهم إلا فئة قليلة منهم ، فما كان من جيش الشام، ومَنْ ناصرهم إلا التمادي بمهاجمة الأراضي التي كانت تحت سلطة الإمام علي عليه السلام فقاموا بالقتل والنهب والسلب والحرق والهروب بعد قيامهم بتلك الأفعال ، مستغلين حالة الضعف والانقسام والتثاقل عن الخروج للقتال التي عاشتها جبهة العراق ، وانشغال قسم منهم بالحروب مع الخوارج ، فكان لهجمات معاوية وجيشه على الأراضي الواقعة تحت سلطة الإمام علي عليه السلام الأثر الكبير في هروب بعض قادة الجيش من تلك الهجمات ، وهذا ما دفع معاوية لنشر المزيد من المقاتلين وقتل كل من يمتنع عن العطاء صدقة لماله ، أو يمتنع عن تأييد سلطته ، فكان إرسال الإمام علي عليه السلام قادة جيشه لصدِّ تلك الهجمات حتى تمكن في بعضها من الحاق الهزيمة بقوات معاوية المهاجمة، والبعض الآخر من تلك القوات استطاع الهرب وفلت من قبضة جند جبهة العراق (٤١).

ولم يكتف معاوية بمهاجمة وترويع سكان العراق بل قام بمهاجمة المدينة المنورة التي هي مدينة رسول الله ولها من المكانة عند المؤمنين، إذ أرسل قوةً عسكريةً قامت بتهديد أهلها بالقتل لكلِّ مَنْ لم يبايع معاوية وسلطته ، حتى انتشرت الإشاعات بتقدم قوات من أهل الشام

نحو اليمن تقوم هذه القوة المهاجمة بقتل كل من يقف في طريقها أو يرفض مبايعة معاوية أو مناصرة سلطته حتى كانت تلك الأخبار سبباً في انكسار الروح المعنوية لدى المقاتلين في اليمن وكانت سبباً رئيساً في هروب عبيد الله بن عباس(٤٢) من اليمن ممثل الإمام علي عليه السلام في اليمن وقتل ولديه بصورة وحشية (٤٣)، ومؤكد سريان مثل هذه الإشاعات في جبهة العراق ستؤدي إلى اضعاف الروح المعنوية لدى المقاتلين واعتقادهم بعدم القدرة على مواجهة أهل الشام أو لا فائدة من عدم مبايعة معاوية .

لذلك يصف العديد من القادة العسكريين وعلماء النفس الإشاعة بأنَّها قوةٌ سابقة لقوة السلاح لما لها من أثر وسرعة في الانتشار (٤٤) ،وهذه الأحداث والإمام الحسن عليه السلام لم يتول الخلافة بعد .

فبعد سريان مثل تلك الافعال والشائعات حول قوة ووحشية الجيش الأموي وما يمكن أَنْ يقوم به في حال دخولهم العراق، وإعلان الحرب ضدّهم قام الإمام الحسن عليه السلام خطيباً في الناس بعد عقد البيعة له، فطفق يشترط عليهم إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط (٤٥)، فارتيابهم عند سماعهم تلك الشروط يكشف عن اضطراب نفوسهم وعدم ثقتهم وايمانهم بخليفتهم وقائدهم، وانتشار الشائعات في صفوفهم، فالإشاعة لا يمكن أنْ تحقق غايتها من دون الشيوع والانتشار ، وأمّا شيعتُهُ وأصحابُهُ وخواصه فان نفوسهم قد ملئت إيماناً وثقة وحُبّاً واخلاصاً له، فلم تُزعزعهم تلك الشائعات ، وهذا النص المروي يحتمل أمرين ، يحتمل امضاء الحرب والتصميم عليها والسلم لمن دخل الطاعة والحرب على من خرج عنها ،وما يُقال إنّ قول الإمام الحسن عليه السلام هذا يدل على الرغبة في السلم في أول الأمر، هو منافٍ لمواقفه العديدة في امضائه للحرب وعدم رغبته في الموادعة أو الصلح (٤٦) ، و ما يؤكده ذلك ما كتبه الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية بعد معرفته بدسِّ معاوية رجال في جبهة العراق لنقل الأخبار وبثِّ الشائعات جاء فيها : « أما بعد ، فإنك دسستَ إليَّ الرجال ، كأنّكَ تُحبُّ اللقاءَ ، وما أشكُّ في ذلك ، فتوقعه إن شاء الله » (٤٧) ،وهذا يدل على استعداد الإمام الحسن عليه السلام لمحاربة معاوية وجيشة من أهل الشام .

والإشاعة هي أشد أنواع الحروب دهاءً، قد يحقق العدو من خلالها مصلحته ببثِّ الفوضى في الحرب والسلم والتَّلاعُبِ بعقول المجتمعات ، وتاريخ الإشاعة مرتبط ارتباط وثيق بالحروب النفسية ، فعندما سمع الإمام الحسن عليه السلام بتِحرُّك معاوية وجيشه إتجاه العراق نادى بصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « اما بعد : فان الله كتب الجهاد على خلقهِ وسماه كُرْهَاً . ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين (واصبروا إن الله مع الصابرين) فلستم أَيُّها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، إنّه بلغني أنَّ معاوية بلغَهُ أنّا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك فأخرجوا – رحمكم الله – إلى معسكركم بالنُخْيَلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا »(٤٨) ، فلما أنهى الإمام الحسن خطابه وَجَمَ الحاضرون وأخرست ألسنتهم واصفرَّتْ ألوانُهم كأنهم سيقوا إلى الموت فلم يُجِبْ الإمامَ أحدٌ منهم كل ذلك بسبب سريان الشائعات بينهم دفعتهم للخوف من المواجهة وحبهم للسلم وإيثارهم للعافية، وكان هذا التخاذل في بداية الدعوة لمحاربة الجيش الأموي (٤٩)، وهذا يدلل على أنَّ الشائعات قد انتشرت في صفوفهم وكشف اضطراب نفوسهم وعدم ثقتهم بقوتهم وضعف الروح المعنوية عندهم ، فمن مقاصد الشائعات هو ضرب وحدة الجماعات ،وتصديق الشائعات يوقع المجتمع بحاله من الأخذ والردِّ والظن والاحتمال فيتحول المجتمع إلى جماعات متفرقة .

وهذه الاضطراب والتردد عند البعض لا يعني أنَّ الجميع كان بالتفكير نفسهِ فهناك عدد من انصار الإمام الحسن عليه السلام ومؤيديه من الذين مُلئتْ نفوسهم إيماناً وثقة وحباً واخلاصاً له دفعهم لتأنيب المتخاذلين والخائفين من مواجهة الجيش الأموي واستطاعوا من رفع الروح المعنوية عندهم لدفعهم إلى مناصرة قائدهم وإمامهم حتى أشادَ الإمام الحسن عليه السلام بموقفهم وصدق نيتهم ووفائهم(٥٠).

اما على الجهة الثانية المعادية (جبهة معاوية واتباعه) فبعد تولي الإمام الحسن عليه السلام الخلافة بعد استشهاد أبيه الإمام علي عليه السلام قام معاوية خطيباً في أهل الشام : « إن الله أتاح له من قتله بقطيعتهِ وظُلمهِ ، وقد وليّ الكوفة بعده ابنه وهو حدثُ غرّ لا علم له بالحرب ، وقد كتب إليّ وجوه من قِبَلهِ يلتمسونَ الأمان »(٥١)، لعلَّ وجود البيئة الملائمة لانتشار الإشاعة يُسهم

اساهماً كبيراً في انتشار الإشاعات فنجد أكثر المناطق استجابة للإشاعات التي أطلقها معاوية والسلطة الأموية هي بلاد الشام وهذا أمر طبيعي، لأنها واقعة تحت نفوذه وتأثيره وأغلب مؤيديه فيها ، إذ من السهل نشر الإشاعة التي توافق توجهات السلطة أو مطلق الإشاعة (٥٢)، ومصدر الإشاعة دائماً ما يكون له القدرة على صياغة الأفكار الكاذبة لأهداف خاصة ومخطط لها في قلب الحقائق ، فالمتتبع لسيرة الإمام الحسن عليه السلام يعلم أنَّ مثل هذا الحديث من معاوية لا وجود له ، فالإمام الحسن عليه السلام كان أحد قادة الجيش في عهد خلافة أبيه الإمام علي عليه السلام وقد شارك بِجُلِّ المعارك (٥٣)، لذا فالفاسقون لا يتوانون في الكذب من أجل الوصول لمصالحهم الشخصية استناد لما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(٥٤)، وقد اراد بتلك الإشاعة ايهام أهل الشام أو مناصريه أنهم سيقاتلون اناساً لا خبرة لهم بالحرب ،وان نتائج المعركة محسومة لصالح الأمويين كون الكثير من اهل العراق كتبوا له يلتمسون الأمان من بطشه ،وهذه الكلمات تدل على محاولته توحيد كلمة الجيش الأموي وهم يواجهون جيش جبهة العراق .

فبعد البيعة للإمام الحسن عليه السلام اتجهت الأمور نحو الصدام بين المناصرين لسلطة الإمام الحسن عليه السلام والمتمثلة بجبهة العراق وبين المؤيدين للسلطة الأموية بقيادة معاوية بن أبي سفيان والمتمثلة ببلاد الشام ، خاصةً وإن معاوية كان استقراره في بلاد الشام منذ مدةٍ طويلة وقوى جيشه فيها ، ولم يعد يخشى أحداً في المواجهات العسكرية وبخاصة بعد وفاة الإمام علي عليه السلام الذي يعده معاوية من ابرز منافسيه ، إذ كانت غاراته من المناطق الخاضعة تحت سيطرته على المناطق الخاضعة لسلطة ونفوذ الإمام علي عليه السلام أعطته دافعاً أكبر في التصدي لأي سلطة تقام بعد سلطة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ،وهو نوع من أنواع الحروب النفسية الغاية منه بثُّ الرُّعبِ في نفوس المجتمع، وفي تلك المجتمعات، وهوما تقوم به الجماعات التكفيرية في الوقت الحاضر .

فقام معاوية بدسِّ بعض الشخصيات التي يمكنها اختراق جيش الإمام الحسن عليه السلام ونقل الأخبار إليهِ، ولكي يسهل بثُّ الإشاعات في المدن التي تحت سيطرة الإمام الحسن عليه السلام فذُكِرَ أَنَّ

معاوية دسَّ رجلاً من حِمْيَرَ إلى الكوفة ، ورجلا من بنى القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار، وكأن معاوية حاول إيجاد الثغرة التي يتمكن من خلالها إعلان سياسته الهادفة إلى بداية تمرده ضد سلطة الإمام الحسن في كلا المصرين ـ الكوفة والبصرة ـ فهما يعدان ثقل الخلافة، ولهما كل التأثير في استمرار كل خلافة وسلطة للمسلمين ، فإذا تمكن منهما فإنه سوف يطلق العنان لنفسه ولحاشيته بتصعيد الأزمة بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام ، و تصاعد أزمة الخلافة ، فمعاوية بدسه لرجاله في الكوفة والبصرة ، كانوا يمثلون رسالته في تحدي السلطة الجديدة، وكأن الإمام الحسن عليه السلام فهم مقصده من ذلك [٥٥]، فكتب إلى معاوية :« أما بعد ، فإنك دسست إلي الرجال ، كأنك تحب اللقاء، وما أشك في ذلك ، فتوقعه إن شاء الله » [٥٦] ، فكتاب الإمام الحسن عليه السلام ،يعطينا صورة عن مدى استعداد جيشه لخوض الحرب ضد جيش الشام وفي أي لحظة ، وهذا ما صرح به الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية في أثناء الكتاب الذي بعثه له ، فجيش الإمام في بداية عهده لم يكن ضعيفاً إمام معاوية وجيش الشام ، بل على العكس من ذلك ، لذلك أخذ معاوية يعمل من أجل انشقاق ذلك الجيش عن سيطرة قائده وخليفتهم بوسائل متعددة لعل ابرزها هو بث الإشاعات ومن ثُمَّ يتمكن بكل سهولةٍ من تحقيق مآربه [٥٧]،وذلك ما أكده خطاب معاوية مع قائد جيش الإمام الحسن عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة[٥٨] حين كتب إليه ما نصه : « ... على طاعةِ مَنْ تُقاتل؟، وقد بايعني الذي أعطيتَهّ طاعتك ، فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله فقال اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك ، قال عمرو لمعاوية لا تعطه هذا وقاتله ، فقال معاوية على رِسلك فانا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشأم فما خير العيش بعد ذلك وإني والله لا أقاتله أبدا حتى لا أجد من قتاله بدّاً » [٥٩]، وهذا يؤكد قوة وصلابة جيش الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة جيش الشام ومعاوية ، خلاف ما تحاول تصويره المصادر بانه قد تفكك أو ضعف أمام الأحداث أو المؤامرات والإشاعات التي كان يقوم بها معاوية وانصاره ، ولعل هذه الرسالة التي حاول فيها معاوية استمالة قيس بن سعد قبل الصلح وليس بعده كما ذكر[٦٠]؛ لأنَّ صلابةَ جيش الإمام الحسن عليه السلام وطاعتَهُ لا يمكن ان تخالف قائدها وخليفتها ولاسيما هم من عقدوا البيعة له وعاهدوه على أنْ ينصروه ولا يخذلوه .

وكانت أول محاولات معاوية نشر الإشاعات في جبهة الكوفة كانت عندما إلتقى جيش الإمام الحسن (عليه السلام) مع جيش الشام حتى تقابل معهم قبل المعركة ونادى قائد الجيش الأموي عبد الله بن عامر(٦١) : « يا أهل العراق ، إني لم أرَ القتال ، وإنّما أنا مقدمة معاوية ، وقد وافى الأنبار في جموع أهل الشام فاقرؤوا أبا محمد – يعني الحسن –مني السلام ، وقولوا له : أنشدك الله في نفسك وأنفس هذه الجماعة التي معك » (٦٢)، فلما سمع الناس ذلك الكلام كرهوا القتال وكره عدد من الجيش القتال (٦٣)، وهذا يدل على دور الإشاعة في اضعاف جيش الإمام الحسن(عليه السلام) وتفتيت وحدته وتماسكه ، فهدف أي شائعة هو ضرب بنيات المجتمع وزرع الشكوك داخله ومنع أي تلاحم بين صفوفه مما ينعكس على الأمن ويُشكلُّ ثقلاً على الدولة زيادة على اعباء الحرب .

تَوجَّهَ بعدها الإمام الحسن (عليه السلام) بالناس حتى نزل المدائن فبعث قائده قيس بن سعد على مقدمة الجيش وأقبل معاوية بجيش الشام ،وعندما كانَ الإمامُ الحسن (عليه السلام) وجيشُه مجتمعاً نادى منادٍ في معسكره أنّ قيس بن سعد قد قُتل فانفروا فتعرضت بعدها سرادق الإمام الحسن(عليه السلام) للسرقة وتعرض للطعن (٦٤)، فإشاعة مثل هذه ممكن ان تربك أكبر الجيوش المتمرسة في الحروب على عَدِّ أن مقتل أكبر قادة الجيش ستضعف من الروح المعنوية لدى المقاتلين ، فالإشاعة وقت الحرب تختلف اختلافاً كبيراً عنها وقت السلم، ففي ظروف الحرب تكون أكثر خطراً ؛ لأنها تستهدف المعنويات وهي الميدان الثاني للحرب ، فيوجه الخصم أسلحته التي تمكنه من بثِّ الإشاعة في معسكر الخصم (٦٥)، والغرض معروف هو بثُّ الفرقة والشقاق في جبهة العراق لدفعهم للتخلي عن نصرة الإمام (عليه السلام) في حربه مع معاوية وأهل الشام ،ولا بد من شروط لانتشار الشائعات لعل في مقدمتها أهمية ذلك الخبر بالنسبة للمتلقي في وقت تكون الأخبار متضاربة وغير واضحة إذ يبرز هنا مطلق الإشاعة ليستغل جهل الناس بالأخبار ويبث ما يحب من الأخبار الكاذبة التي تفرضها طبيعة العصر الذي تنتشر فيه .

وطالما كانت الشائعة تغيب عنها المعايير الأكيدة للصدق فقد عمل معاوية على بث تلك الأكاذيب ونشرها على مسامع عمال الإمام الحسن (عليه السلام) وقادتهُ ؛ لدفعهم إلى مبايعته ومحاولة شراء الذمم بالأموال وهذا ما حدث لعبيد الله بن عباس إذ « أرسل معاوية إلى عبيد الله بن

عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح ، وهو مُسلِّم الأمر إليَّ ، فإن دخلت في طاعتي الان كنت متبوعا ، وإلا دخلت وأنت تابع ، ولك إن أجبتني الان أن أعطيك ألف ألف درهم ، أعجل لك في هذا الوقت نصفها ، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر ، فانْسل عبيد الله إليه ليلاً ، فدخل عسكر معاوية ، فوفى له بها وعده ، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلي بهم ، فلم يخرج حتى أصبحوا ، فطلبوه فلم يجدوه »(٦٦).

فلم يكتف معاوية ببث الإشاعة بل كانت هناك مغريات مالية تقدم للمنهزمين من معسكر الإمام عليه السلام بقصد تفتيت وحدتهم وزعزعة ثقتهم بقوتهم وتشجيعهم على الاستسلام عن طريق بث اليأس في نفوسهم حتى يشعر انه أمام قوة كبيرة وأي جُهدٍ يمكن أن يقدم سيكون بلا فائدة تذكر ، فخيانة عبيد الله بن عباس زعزعت الجيش وفككت وحدته ، ولولا موقف قيس بن سعد بن عبادة في توضيح الأمور لانهزم الجيش بكامل عدته ومقاتليه، حتى اضطر معسكر معاوية مخاطبة معسكر الإمام الحسن عليه السلام بقولهم : «هذا أميركم قد بايع وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم»(٦٧) ، فكانت هذه المحاولة لتكملةِ بثِّ الإشاعة التي اطلقها معاوية بمصالحة الإمام الحسن عليه السلام ولم يبق سواهم وهذا ما دفع قيس بن سعد لرفض وتفنيد تلك الأقوال كرد أو وسيلة في التصدي لتلك الإشاعات التي كان مقصدها اضعاف وحدة الجيش، وهو ما دفع معاوية لبعث رسله لقيس بن سعد قائد جيش الإمام الحسن عليه السلام إذ كتب له « فإنما أنت يهودي ابن يهودي تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك فان ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وعزلك ، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الحزَّ واخطأ المفصل فخذله قومه ، وادركه يومه فمات بحوران طريدا غريبا ، والسلام» (٦٨)، وهو ما يؤكد الدور الذي يريده معاوية من تفتيت معسكر الإمام الحسن عليه السلام بمحاولة استمالة قادة الجيش بالمال وتوهين قواهم بمثل هكذا اشاعات، الغرض منها بيان ان مشاركتكم في هذه الحرب لا فائدة منها فمتى ما استقر الأمر لأحد الطرفين سينتهي أما بعزلك أو قتلك .

ولم يكتف معاوية بنشر الإشاعات عن الإمام الحسن عليه السلام في وقت الحرب بل استمر ذلك المنهج حتى بعد عقد الصلح وتَعهُّدُ معاوية بتنفيذ كل ما تم فيها من بنود ، إذ دس معاوية لأهل البصرة وطردوا وكيل الإمام الحسن عليه السلام بحجة انه اراد حمل أموال الفيئ (٦٩)، فكانت سياسة معاوية تهدف إلى إيقاع الإمام الحسن عليه السلام وأهل البصرة في اختلاف حول مسألة الأموال، بوصفها حقاً من حقوقهم ، يحاول الغير سلبها ، والإحالة بينهم وبينها، ومن ثُمَّ سوف تثار مسألة النزعة التطرفية لدى أهل البصرة ضد الإمام الحسن عليه السلام ، فأهل البصرة تجاهلوا حق الإمام الحسن عليه السلام بحسب اتفاقية الصلح ، ثم تجرؤوا عليه في تلك المسألة ، وهذا ناتجٌ عن ضغوطات معاوية عليهم ، فهو لم يكن ليتركهم من دون أن يبتدع فكرةً جديدةً تؤدي بهم نحوا التشدد في مسألة ما ضد إمام آخر من بني هاشم ، فكانت حسابات معاوية في هذه المسألة حساسة ودقيقة جداً ، للتلاعب بأهل البصرة ، وكسبهم لمصلحته (٧٠)، لذلك حتى تمنع الإشاعات من تحقيق اهدافها وقت الحروب على الأمة ان تؤمن بقيادتها إيماناً مطلقاً ، وتثق بالحكومة التي تعمل قصارى جهدها لمواجهة المشكلات التي تولدها الأزمات والحروب ، فكلما كان المجتمع محكم البنيان كان هناك ثمة اطمئنان إلى ان الإشاعة لن تنخر في ذلك المجتمع، وعلى العكس من ذلك فيما لوكان المجتمع متفكك وغير مترابط لهذا يدعونا الباري عز وجل في محكم كتابه إلى الوحدة وهوما جاء في قوله تعالى في (سورة آل عمران الآية : ١٠٣): ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ، إنَّ الوحدة وعدم التفرقة خير وسيلة لمواجهة الشائعات التي ممكن أنْ تعصف بأيِّ مجتمع .

الخاتمة

في زمن الحروب والصراعات تكون شروط قيام الشائعات في أحسن ما يمكن ، فالأحداث العسكرية وما يرافقها من أحداث عادة ما تكون وسيلة لنشر الشائعات وترهيب الناس وخلق نوع من الفوضى داخل الرأي العام ليسهل اضعاف القوة العسكرية لأي سلطة في العالم ، فقد حرص القرآن الكريم على توعية المسلمين بخطر الاستماع لمروجي الإشاعات بخاصة أيام الحرب وأهمية التصدي لخطر ذلك النوع من الاسلحة التي ممكن استخدامها أوقات الحرب والسلم ، وتكوين مناعة فكرية ضد هذا النوع من الحرب النفسية ، فثبت لنا القرآن الكريم الأسس اللازمة لتمييز الإشاعة أو الخبر الكاذب وكيفية التعامل مع مروجيها ، وبين لنا أهمية الالتفاف حول القيادة والتمسك بتعليماتها وطاعتها سواء بالحرب أو السلم .

وبين البحث خطر الإشاعات ودورها في تفكيك الشعوب، لذا فهي عمل غير اخلاقي لأنها مبنية على الأخبار الكاذبة والغرض منها تحقيق مكاسب فردية أو فئوية لذا غالباً ما كان استخدامها في أوقات الحروب والصراعات لخلق نوع من الفوضى بين ابناء الأمة الواحدة ليسهل عملية الاحتلال العسكري ، وما حدث في حرب الإمام الحسن عليه السلام مع السلطة الأموية والمتمثلة في معاوية ومناصريه، فقد كان للإشاعة دور في اضعاف الروح المعنوية للمقاتلين وتفكيك وحدتهم وهو ما سهل للجيش الأموي الضغط على جيش الإمام الحسن عليه السلام لدفعهم نحو الاستسلام أو الهزيمة المعنوية قبل الهزيمة العسكرية وقبول الصلح مع معاوية ، لذا عد البعض الإشاعة كنوع من أنواع الحروب النفسية أو ما يسمى بالترهيب النفسي .

الهوامش

١- إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، لبنان، دار العلم، ١٩٨٧م)، ج٣/ ١٢٤٠ . (مادة شيع)

٢- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، (د. ط. ، قم ،ادب الحوزة ، ١٩٨٥م)، ج٨/ ص١٩١ ؛ محب الدين ابو الفيض السيد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس في جواهر القاموس، تح : علي شيري(د. ط، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٤)، ج١١/ ص ٢٥٦ . (مادة شيع)

٣-محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ،(ط٢، بيروت، دار النفائس ، ١٩٨٨م)، ص ٦٨ .

٤-محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، (د.ط. ، القاهرة ، دار الفضيلة. د.ت.) ،ج١/ ص ١٨٤ .

٥-محمد بن دغش سعيد القحطاني ، الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع ، (ط١ ، الرياض ، دار طويق ، ١٩٩٧م)، ص ١٢ .

٦-جان نويل كابفيربر ، الشائعات الوسيلة الاعلامية الأقدم في العالم ، ترجمة: تانيا ناجيا ، (ط١، بيروت، دار الساقي ، ٢٠٠٧م)، ص ١٤- ١٥ .

٧- أحمد نوفل ، الإشاعة ،(ط٣، عمان، دار الفرقان ، ١٩٨٧م)، ص ١٦ .

٨- القحطاني ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

٩- كابفيربر ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

١٠- نوفل ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

١١- القحطاني ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

١٢- نوفل ،المصدر السابق، ص ٨

١٣- المصدر نفسه ، ص ٦ .

١٤- المصدر نفسه، ص ٧ .

١٥-سورة النور ، الآية : ١٩ .

١٦- حسن السعيد ، سيكولوجية الإشاعة رؤية قرآنية واشارات موحية في الحرب النفسية وأجندة المواجهة، (ط١ ، عمان ، دار دجلة، ٢٠١١م)، ص ٣٣ .

١٧-ينظر :سورة الطور ، الآية: ٢٩ ؛ سورة الحاقة ، الآية : ٤٢ .

١٨- ينظر : سورة الأنبياء ، الآية: ٥ ؛ سورة الصافات ، الآية: ٣٦ ؛ سورة الطور ، الآية : ٣٠ ؛ سورة الحاقة ، الآية: ٤١ .

١٩- ينظر: سورة ص ، الآية : ٤ ؛ سورة الذاريات ، الآية : ٥٢ .

٢٠- ينظر: سورة الحجر ، الآية :٦ ؛ سورة الصافات ، الآية : ٣٦ ؛ سورة الدخان ، الآية : ١٤ ؛ سورة الذاريات، الآية : ٥٢ ؛ سورة الطور ، الآية: ٢٩ ؛ سورة القلم ، الآية : ٢ ، ٥١ ؛ سورة التكوير ، الآية: ٢٢ .

٢١- ينظر : سورة الأعراف ، الآية: ١٨٤ ؛ سورة المؤمنون ، الآية: ٧٠ ؛ سورة سبأ ، الآية : ٨ ، ٤٦ .

٢٢-سورة الصافات ، الآية : ٣٦ .
٢٣-سورة الذاريات ، الآية : ٥٢ .
٢٤-سورة الطور ، الآية : ٢٩ .
٢٥- سورة النساء ، الآية : ٨٢ .
٢٦- سورة البقرة ، الآية : ٢٣ .
٢٧-أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ) ، السيرة النبوية ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد،(ط١، القاهرة ، مطبعة المدني، ١٩٦٣ م)، ج١/ ١٧٥ ؛ أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي(٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ، تح: عبد المعطي قلعجي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م) ، ج٢/ ص ٢٠٠ .
٢٨- السعيد ، المصدر السابق ، ص ٣٣- ٣٤ .
٢٩- اين هشام ، المصدر السابق ،ج٣/ ص ٥٩٦-٥٩٨ ؛ البيهقي ، المصدر السابق ، ج٣/ ٢٢٧-٢٣٠ ؛ أبو الفداء اسماعيل الدمشقي ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تح: علي شيري، (ط١ ،بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨ م)، ج٤/ ص ٢٥-٣٠ .
٣٠-سورة آل عمران ، الآية: ١٤٤ .
٣١- ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، (د. ط. ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥م)، ج٤/ ص ١٤٧-١٥٢ ؛ عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ) ، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم) ،تح : أسعد محمد الطيب ،(د.ط.، بيروت، دار الفكر ، د.ت.)، ج٣/ ص ٧٧٧-٧٧٨ ؛ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، اسباب النزول ، (د.ط. ، القاهرة ، دار الحلبي ، ١٩٦٨م) ، ص ٨٣ ؛ السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المرزي السمعاني (ت ٤٨٩ هـ) ، تفسير القرآن (تفسير السمعاني) ، تح : ياسر إبراهيم و غنيم بن عباس ،(ط١ ، الرياض ، دار الوطن ، ١٩٩٧م) ، ج ١/ ص ٣٦٣ ؛ محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (تفسير الفخر الرازي) ، (ط١، بيروت ، دار الفكر ،١٩٨١ م) ، ج٩/ ص ٢٠- ٢٥؛ ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تح : أحمد عبد العليم البردوني (د.ط. ،بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، ١٩٨٥ م).، ج٤/ ص ٢٢١ - ٢٢٦ .
٣٢-السعيد ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .
٣٣-سورة الأحزاب ، الآيتان : ١٢-١٣ .
٣٤- نوفل ، المصدر السابق، ص ٩٧-١٠٠ ؛ القحطاني ، المصدر السابق ، ص ٣١ .
٣٥- نوفل ، المصدر السابق ، ص ٦٣- ٦٤ ؛ القحطاني ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
٣٦-سورة النور ، الآيات : ١١- ١٧ .
٣٧-للمزيد من التفاصيل حول تلك الحادثة ينظر : ابن هشام، المصدر السابق ، ج٣/ ص ٧٦٤ - ٧٧٣ ؛ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك) (تاريخ الطبري)،

تح : نخبة من العلماء ، (ط٤، بيروت ، مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣م) ، ج٢/ ص٢٦٤- ٢٧٠ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٤/ ص ١٧٩ - ١٨٧ .
٣٨-شكري ناصر عبد الحسن، الإشاعة في عصر الرسالة الفترة المدنية بحث في ضوء القرآن الكريم ، بحث منشور ،مجلة آداب البصرة ، العدد ٥٣ ، ٢٠١٠م ، ص ٢٠٥ .
٣٩- المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .
٤٠-سندس صبيح محمد الحسن ، الإشاعة وأثرها على الحياة العامة في المشرق الإسلامي حتى نهاية الدولة العباسية٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، د.ت . ، ص ٦٧- ٦٨.
٤١- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤/ ص ١٠٢-١٠٥ .
٤٢- عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، أمه لبابه بنت الحارث بن حزن الهلالية ، رأى النبي صلى الله عليه وآله وسمع وحفظ منه ،وكان أصغر سناً من أخيه عبد الله ، استعمله الإمام علي (عليه السلام على اليمن وأمره على الحج سنة ست وثلاثين وسبع وثلاثين ، توفي سنة ثمان وخمسين في المدينة في أيام يزيد بن معاوية . للمزيد من التفاصيل ينظر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح : علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م)؛ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ابن الأثير (ت٦٣٠ هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (د. ط. ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت.)، ج٣/ ص ٣٤٠-٣٤١ .
٤٣- المصدر نفسه ،ج٤/ ص ١٠٦- ١٠٨ .
٤٤-القحطاني ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .
٤٥-الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤/ ص ١٢٣ ؛ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق ، تح : علي شيري، (د. ط. ، بيروت، دار الفكر ، ١٩٩٦ م)، ج١٣/ ص ٢٦٣ .
٤٦- باقر شريف القرشي ، حياة الإمام الحسن عليه السلام دراسة وتحليل ، (ط١ ، بيروت ، دار البلاغة ، ١٩٩٣م) ،ج٢/ ص ٣٥ .
٤٧- أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)،مقاتل الطالبيين ، (ط٢، النجف ،منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٥م)، ص ٣٣ ؛ عز الدين عبد الحميد هبة الله ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ط١ ، د. م. ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٩م)، ج١٦/ ص ٣١ .
٤٨-أبو الفرج الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٤٩- القرشي ، المصدر السابق ، ج٢/ ص ٧٠ .
٥٠-أبو الفرج الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ .
٥١-البلاذري ، أنساب الأشراف ،ج٣/ ص ٣٠ .

٥٢- الحسن ، المصدر السابق، ص ٦٩ .
٥٣-للمزيد من التفاصيل ينظر: الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٣/ ص ٥١٢ - ٥٧١ ، وينظر : ج٤/ ص ٢ - ١٣٠ .
٥٤-سورة الحجرات ، الآية : ٦
٥٥-علاء حسن مردان السبتي ، الحياة السياسية في البصرة من ١٤- ١٣٢هـ / ٦٣٤- ٧٤٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٩م ، ص ٢١٤ .
٥٦- أبو الفرج الأصفهاني ،المصدر السابق ، ص ٣٣ ؛ ابن أبي الحديد ، المصدر السابق ، ج١٦/ ص ٣١ .
٥٧-السبتي ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .
٥٨-قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي ،أمه فكيهة بن عبد بن دليم بن حارثة ، وهو أحد أصحاب رسول الله ﷺ ،وقيل عنه انه أحد دهاة العرب وأهل الرأي والمكيدة في الحروب والنجدة والبسالة والكرم ، صحب النبي ﷺ في بعض حروبه ، ثم صحب الإمام علي عليه السلام وشهد معه الجمل وصفين والنهروان ، وصحب الإمام الحسن عليه السلام ، توفي في المدينة المنورة بعد الصلح مع معاوية سنة تسع وخمسون وقيل سنة ستون من الهجرة في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان . للمزيد من التفاصيل ينظر : ابن عبد البر ، المصدر السابق ،ج٣/ ص ١٢٨٩- ١٢٩٣ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٤/ ص ٢١٥- ٢١٦ .
٥٩-الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤/ ص ١٢٥ .
٦٠-إذ يذكرها الطبري بعد قيام الصلح مع معاوية .
٦١-عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وهو ابن خال الصحابي عثمان بن عفان ،وأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت ،ولد على عهد رسول الله ،وشارك في فتح خراسان ،ولاه عثمان بن عفان البصرة وفارس وهو ابن أربع وعشرين وقيل خمس وعشرين سنة ، وعقد له معاوية بن أبي سفيان ولاية البصرة ثم عزله عنها ، وتوفي سنة سبع وخمسين وقيل ثمان وخمسين . للمزيد من التفاصيل ينظر : ابن عبد البر ، المصدر السابق ، ج٣/ ص ٩٣١-٩٣٣ .
٦٢-ابو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ)، الأخبار الطوال ، تح : عبد المنعم عامر ، (ط١ ، القاهرة، دار أحياء الكتب العربي ، ١٩٦٠م)، ص ٢١٧ .
٦٣-المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .
٦٤- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤/ ص ١٢١- ١٢٢ ؛ابن عساكر ، المصدر السابق ، ج١٣ / ٢٦٢ -٢٦٤ ؛ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تح: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد ، (ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ج٣/ ٢٦٤ .
٦٥-نوفل ، المصدر السابق ، ص ٦٣-٦٤ .
٦٦-أبو الفرج الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٤٢ ؛ ابن أبي الحديد ، المصدر السابق ، ج ١٦ / ص ٤٢ .
٦٧-أبو الفرج الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

٦٨-المصدر نفسه ، ص ٤٣ .
٦٩- ابن عساكر ، المصدر السابق ،ج ١٣ / ص ٢٦٦ ؛ أبو الحجاج جمال الدين يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تح : بشار عواد معروف ،(ط١، بيروت ،مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م) ،ج٦/ ص ٢٤٧ .
٧٠-السبتي ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*أولاً : المصادر الأولية

*ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) .

* أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (د. ط. ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت.).

*البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر(٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

*أنساب الأشراف ، تح : محمد حميد الله ، (د. ط. ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٩م).

*البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسن (٤٥٨هـ / ١٠٦٥ م) .

* دلائل النبوة ، تحقيق وتعليق: عبد المعطي قلعجي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).

*الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).

*الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، لبنان، دار العلم، ١٩٨٧م).

*ابن أبي حاتم الرازي ،عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩ م) .

* تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم) ،تح: أسعد محمد الطيب ،(د.ط.، بيروت، دار الفكر،د.ت.).

*ابن أبي الحديد ، عز الدين عبد الحميد هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م) .

* شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١ ، د. م. ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٩م) .

*أبو حنيفة الدينوري ، أحمد بن داوود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٦ م)

*الأخبار الطوال ، تح : عبد المنعم عامر ، (ط١ ، القاهرة، دار أحياء الكتب العربي ، ١٩٦٠م).

*الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م) .

*سير أعلام النبلاء ، تح: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد ، (ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).

*السمعاني ، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المرزي (ت ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦م) .

*تفسير القرآن (تفسير السمعاني) ، تح : ياسر إبراهيم و غنيم بن عباس ،(ط١ ، الرياض ، دار الوطن ، ١٩٩٧م) .

* الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢ م) .

*تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك) (تاريخ الطبري)، تح : نخبة من العلماء ، (ط٤، بيروت ، مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣م).

*جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، قدم له: خليل الميس، ضبط: صدقي جميل العطار (د. ط. ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥م).

*ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠ م) .

*الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح : علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م).

*ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥ م) .

* تاريخ مدينة دمشق، تح : علي شيري، (د. ط. ، بيروت، دار الفكر ، ١٩٩٦ م).

*الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م) .

*التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (تفسير الفخر الرازي) ، (ط١، بيروت ، دار الفكر ،١٩٨١ م).

*أبو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٦م)

* مقاتل الطالبين ، (ط٢ ، النجف ،منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٥م) .

*ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م).
* البداية والنهاية ، تح: علي شيري، (ط١ ،بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨ م).
*المزي ، أبو الحجاج جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١ م) .
* تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تح : بشار عواد معروف ،(ط١، بيروت ،مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م) .
*ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١ م) .
* لسان العرب ، (د. ط. ، قم ،ادب الحوزة ، ١٩٨٥م).
*ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م) .
*السيرة النبوية ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد،(ط١، القاهرة ، مطبعة المدني، ١٩٦٣ م).
*الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ / ١٠٧٦ م).
* أسباب النزول ، (د.ط. ، القاهرة ، دار الحلبي ، ١٩٦٨م) .

***ثانياً : المراجع الثانوية**

*الزبيدي، محب الدين ابو الفيض السيد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠م) .
*تاج العروس في جواهر القاموس، تح : علي شيري(د. ط، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٤).
*السعيد، حسن
*سيكولوجية الإشاعة رؤية قرآنية واشارات موحية في الحرب النفسية وأجندة المواجهة، (ط١ ، عمان ، دار دجلة، ٢٠١١م) .
*القحطاني ، محمد بن دغش سعيد
* الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع ، (ط١ ، الرياض، دار طويق ، ١٩٩٧م) .
*القرشي ، باقر شريف
* حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام دراسة وتحليل ، (ط١، بيروت ، دار البلاغة ، ١٩٩٣م) .
*كابفيرير ، جان نويل
*الشائعات الوسيلة الاعلامية الاقدم في العالم ، ترجمة: تانيا ناجيا ، (ط١، بيروت، دار الساقي ، ٢٠٠٧م) .
*نوفل ، أحمد
* الإشاعة ، (ط٣، عمان، دار الفرقان ، ١٩٨٧م) .

***ثالثاً : الموسوعات والمعاجم**

*عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن
* معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، (د.ط. ، القاهرة ، دار الفضيلة. د.ت.) .
*قلعجي ، محمد
* معجم لغة الفقهاء ،(ط٢، بيروت، دار النفائس ، ١٩٨٨م) .

***رابعاً : الرسائل العلمية**

*الحسن ، سندس صبيح محمد
*الإشاعة وأثرها على الحياة العامة في المشرق الإسلامي حتى نهاية الدولة العباسية٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة البصرة ، د.ت . .
*السبتي ، علاء حسن مردان
* الحياة السياسية في البصرة من ١٤- ١٣٢هـ / ٦٣٤- ٧٤٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٩م .

***خامساً : البحوث والمجلات**

*عبد الحسن ، شكري ناصر
*الإشاعة في عصر الرسالة الفترة المدنية بحث في ضوء القرآن الكريم ، بحث منشور ،مجلة آداب البصرة ، العدد ٥٣ ، ٢٠١٠م .

الإشاعات الأموية وتأثيرها المناوئ لدولة

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناوي.

ملخص البحث

ان من أخطر الأمراض النفسية والوبائية التي تنقل العدوى للأخرين هو مرض الإشاعة، وهذا المرض لا يستهدف جسد الإنسان وبدنَهُ بل يستهدف فكره وعقله ، و المصدر الذي تنشأ منه الإشاعة هي النفوس الخبيثة الدنيئة والقلوب الصدئة السوداء .

نتائج الإشاعة السريعة كالسرطان الخبيث الذي ينتشر سريعاً في أجساد الناس الأبرياء ولا يعلمون به إلا بعد فوات الأوان و الإشاعة حرب تهدد الفرد والأسرة والمجتمع ، فكم قتلت الإشاعة من الأبرياء ، وكم أحرقت قلوب الأمهات ، وكم فرقت بين الأسرة الواحدة وزرعت بينهم الشحناء والبغضاء ، وكم أضعفت قوة الشعوب والأمم والجيوش .

ونظراً لخطر الإشاعة المتقدم كان لزاماً علينا البحث عن دوافع الإشاعة وأهدافها وتأثيرها السلبي على الفرد والمجتمع مع إيضاح بعض مصاديقها وأوجهها .

Abstract

taht sesaesid lacigoloimedipe dna lacigolohcysp suoregnad tsom eht fo enO
ton seod esaesid siht dna ,romur fo esaesid eht si srehto ot noitcefni stimsnart
romur kciuq a fo stluser ehT. dnim sih stegrat rehtar tub , ydob namuh eht tegrat
,elpoep tneconni fo seidob eht ni ylkciuq sdaerps taht recnac tnangilam a ekil era
eht snetaerht taht raw a si romur ehT .etal oot tub ti tuoba wonk ton od yeht dna
.seimra dna snoitan , seiteicos , ylimaf ,laudividni

rof hcraes ot su rof yrassecen saw ti ,romur fo regnad decnavda eht fo weiv nI
laudividni eht no tcapmi evitagen sti dna romur eht fo sevitcejbo dna sevitom eht
.stcepsa sti fo emos fo noitacifiralc eht htiw ,yteicos dna

eht , abatjuM–lA ilA nib nassaH–lA mamI fo elcinorhc dna efil eht otni gnivleD
eslaf eht fo smitciv eht fo eno saw eh taht raelc si ti ,(mih nopu eb ecaep) , nesohc
ot aidem dayyamU eht si tI . mrah mih od taht sromur dayyamU suoicilam dna
.mih nopu eb ecaep , erup eht nassaH mamI , tyablalahA fo tneloveneb eht thgif
lacirotsih no tnedneped snoitarran eht dna tnetnoc hcraeser eht morf nwohs si tI
,nassaH mamI fo etats eht detceffa sromur dayyamU eht : stnemucod dna stxet
eht ot semoc elcitra tneserp eht , cipot a hcus fo ecnatropmi eht rof , nesohc eht
erof

المقدمة

لاشك في أنَّ من وسائل إرتقاء الأمم وتقدم الشعوب وقوتها هو بثقافة مجتمعه وبوعي قادته السياسيين وبحكمة قادته العسكريين وبعدالة وتقوى قادته الربانيين من الأولياء والعلماء وزعماء الدين .

ومن الصعوبة للجهات المعادية السيطرة على مثل هذه الأمم والشعوب بوجود مثل هؤلاء القادة في المجتمع الواحد إلا باستهداف هؤلاء القادة وعزلهم عن المجتمع والناس .

ولاستهداف هذه القيادات طرق وسبل مختلفة ، منها استعمال قوة السلاح بقتل واغتيال هؤلاء القادة وتصفيتهم جسدياً ، ومنها اعتقال هذه القيادات وزجهم في السجون ، ومنها مواجهة هؤلاء القادة مواجهة عسكرية ، ومنها الاغتيال المعنوي بسلب عنوان القيادة عن هؤلاء القادة عن طريق افتعال الإشاعات ضدهم وتزيينها بصبغة الحّق؛ لتمرير الباطل والفتنة والكذب والشبهات من خلالها ، مما يؤدي إلى تمزيق جسد الأمم والشعوب بحيث يسهل السيطرة عليها .

وقد تعرض سادة وقادة وأمناء الدين أعني الأئمة المعصومين (صلوات ربي عليهم أجمعين) إلى جميع الأساليب الإجرامية المتقدمة من قبل الأمويين والعباسيين فقتلوا بعض أهل البيت عليهم السلام بالغدر والغيلة كاغتيال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وواجهوا البعض الآخر منهم بالجيوش المؤلفة كمحاربتهم وقتلهم للإمام الحسين عليه السلام وأنصاره في واقعة كربلاء، وسجنوا بعضهم الآخر في ظلم المطامير كسجنهم للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، واغتالوا بعضهم الآخر اغتيالاً معنوياً عن طريق اشاعة الشبهات المنفرة والمُبعدة للناس عن الالتفاف حول الإمام المعصوم كالشبهات الكثيرة التي حِيْكَتْ لأضعاف قيادة وزعامة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام .

ولأجل التركيز وفهم كيفية تأثير الإشاعات والشبهات في عصر خلافة وقيادة دولة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام شرعت بتنظيم ورقات هذا البحث الموسوم بـ ((الإشاعات الأموية وتأثيرها المناوئ لدولة الإمام الحسن المجتبى)) .

ولا أدعي بأنني أول من كتب في هذا البحث ، ولكنني أعتقد بأن لي إسلوبي الخاص بكتابته وتنظيم مباحثه بهذا الشكل والمضمون .

والهدف من كتابة هذا البحث هو بيان جزء من مظلومية كريم أهل البيت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بسبب جرائم النظام الأموي التي منها ترويج الإشاعات لتشويه الصورة المباركة للإمام الحسن المجتبى عليه السلام في أعين الناس .

وتظهر أهمية هذا البحث من خلال بيان التأثيرات السلبية للإشاعة على الفرد والمجتمع وبيان أهم والوجوه والمصاديق الأخرى للإشاعة .

وقد استعنت بالمنهج التأريخي (الروايات) والتحليلي في عرض ومناقشة ونقد بعض الإشاعات (الشبهات) التي أثيرت ضد شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ودور الإمام في رَدِّها وتأثيرها السلبي في إضعاف وحدة الكلمة في دولته المباركة .

علماً أن هيكلية البحث تتكون من ثلاثة مباحث وهي على النحو الآتي :

المبحث الأول : الكلمات الإفتتاحية أو التعاريف اللغوية والإجرائية الواردة في عنوان البحث. والمبحث الثاني : دوافع الإشاعة ، وأهدافها ، وتأثيرها على الفرد والمجتمع ، وبيان بعض مصاديقها . والمبحث الثالث : الإشاعات (الشبهات) الأموية المثارة ضد شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ودور الإمام في ردِّها ، و التأثير السلبي للإشاعات في إضعاف وحدة الكلمة في دولته المباركة .

المبحث الأول

التعريف بالكلمات الإفتتاحية أو التعاريف اللغوية والإجرائية الواردة في عنوان البحث .

١ - تعريف الإشاعة لغةً وإصطلاحاً. ٢ - التعريف ببني أمية .

٣ - تعريف التأثير لغةً وإصطلاحاً . ٤ - تعريف المناوئة لغةً وإصطلاحاً . ٥ - التعريف بالإمام الحسن المجتبى ﵇ .

١ - تعريف الإشاعة لغةً واصطلاحاً :

الإشاعة لغةً : هي اشتقاق من الفعل (أشاع) ، أما الشائعة لغة فهي اشتقاق من الفعل (شاع) الشيء يشيع شيوعاً وشياعاً ومشاعاً ظهر وانتشر ، ويقال : شاع بالشيء : أذاعه .[1]

وقال ابن منظور في لسان العرب : شاع الخبر في الناس يشيع شيعاً وشيعاناً اتصل بكل أحد ، فاستوى علم الناس به ، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض ، والشاعة : الأخبار المنتشرة ... انتهى .[2]

أما الإشاعة إصطلاحاً فتعددت وكَثُرت تعريفاتها . فعرفها البعض بأنها المعلومات أو الأفكار ، التي يتناقلها الناس ، من دون أن تكون مستندة إلى مصدر موثوق به يشهد بصحتها ، أو هي الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع ، أو يحتوي جزءاً ضئيلاً من الحقيقة .

وقيل بأنها كل قضية أو عبارة ، يجري تداولها شفهياً ، وتكون قابلة للتصديق ، وذلك دون أن تكون هناك معايير أكيدة لصدقها .

وقيل بأنها كلام مهم أو أفكار عامة ، انتشرت بسرعة ، واعتقد فيها ، وليس لها أي وجود أصلي .

وعرفوها أيضاً بأنها ضغط اجتماعي مجهول المصدر ، يحيطه الغموض والإبهام ، وتحظى من قطاعات عريضة بالاهتمام ، ويتداولها الناس لا بهدف نقل المعلومات ، وإنما بهدف التحريض والإثارة وبلبلة الأفكار .

وقيل بأنها معلومة لا يتم التحقق من صحتها ولا من مصدرها ، وتنشر عن طريق النقل الشفهي .

وقيل بأنها خبر أو مجموعة أخبار زائفة تنتشر في المجتمع بشكل سريع و تُتداول بين العامة

ظناً منهم على صحتها ؛ ودائماً ما تكون هذه الأخبار شيقة و مثيرة لفضول المجتمع والباحثين و تفتقر هذه الإشاعات عادةً إلى المصدر الموثوق الذي يحمل أدلة على صحة الأخبار ، وقيل بأنها تضخيم للأخبار الصغيرة، وإظهارها بصورة تختلف عن صورتها الحقيقية. فهي أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلقها البعض لأغراض خبيثة ، ويتناقلها الناس بحسن نية ، من دون التثبت في صحتها ، ودون التحقق من صدقها .[٣]

٢ – التعريف ببني أمية :

هم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .[٤]

و أمية هو أحد أبناء عبد شمس بن عبد مناف ، وعليه فبنو أمية يلتقون مع بني هاشم في عبد مناف ، ويقال له أمية الأكبر في قبال أخيه أمية الأصغر .[٥]

ومن جهة أخرى ذكرت بعض المصادر بأن أمية لم يكن من صلب عبد شمس وإنما هو عبد من الروم فاستلحقه عبد شمس ونسبه إلى نفسه ، ولهذا وصفه الإمام علي عليه السلام باللصيق .[٦]

٣- تعريف التأثير لغةً وإصطلاحاً :

التأثير لغةً : وهو الفعل الصادر من المؤثر ، قال ابن منظور: (أثر : بقية الشيء ، والجمع آثار وأُثور . وخرجت في إثْره وفي أَثَره أي بعده ... والتأثير: إبقاءُ الأثر في الشيء . وأثَّر في الشيء : ترك فيه أثراً) .[٧]

وفي المعجم الوسيط : (الأَثَرُ : العلامة ، ... ، وأَثَرُ الشيء : بقيته) .[٨]

وأما التأثير اصطلاحاً فهو بمعنى التأثير هو نتيجة تفاعل اجتماعي بين عاملين وهما المؤثر و المتأثر بحيث يخلق لدى المؤثر عليه رد فعل معين . وقيل بأنه تثبيت وتعزيز الآراء والمواقف، والمشاعر ، عند المتلقين عن طريق التعرض للرسالة نفسها. وعرفه بعضهم أنّه مهارة منظمة بغية الوصول إلى تغيير سلباً أم إيجاباً .[٩]

٤-تعريف المناوئة لغةً واصطلاحاً :

المناوئة لغةً : من مصدر نَاوَأَ ، ومُنَاوَأَةُ الخُصُومِ والأَعْدَاءِ : مُنَاوَشَتُهُمْ ، مُعَادَاتُهُمْ ، ومُنَاوَأَةُ سِيَاسَةِ الحُكُومَةِ : مُعَارَضَتُهَا ، مُعَاكَسَتُهَا . ومُنَاوِئٌ خُصُومَهُ : مُنَاوِشٌ ، مُعَادٍ ، مُضَادٌّ ، مُنَاهِضٌ ، مُعَارِضٌ لَهُمْ . (أَنَاءَت) السّماءُ : كساها الغَيْم . وأناء فلان : أَنْهَضَه . وأناء الحِمْلُ حامِلَه : أثقله وأماله .[١٠]

ولا يختلف تعريف المناوئة اصطلاحاً عن التعريف اللغوي كثيراً فهو أيضاً بمعنى الخصوم والأعداء .

٥-التعريف بدولة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام :

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وإن كان غنيٌّ عن التعريف ، إلا أنه لا بأس بالمرور على جزء يسير من سيرته العطرة من باب طلب البركة .

عاش الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ٤٧ عاماً من (٣ - ٥٠ هـ) وهو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأول أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام وهو السبط الأكبر للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ، وهو ثاني الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وكانت مدة إمامته ١٠ سنين (٤٠ - ٥٠ هـ) ، تولى الإمامة في ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وبايعه في اليوم نفسه أكثر من أربعين ألف شخص ، وتولى الخلافة لمدة طالت ٧ أشهر تقريباً. وقد التفَّ حوله ، و اقتدى به كثير من المؤمنين من مشارق الأرض ومغاربها حتى صار رجل في دولة بل دولة في رجل .[١١]

المبحث الثاني

دوافع الإشاعة ، وأهدافها ، وتأثيرها على الفرد والمجتمع ، وبيان بعض مصاديقها .

تمهيد :

الإشاعات هي حرب نفسية مدمرة للفرد وللأسرة وللمجتمعات ، هي حرب باردة أسلحتها الكلمات الكاذبة الخادعة ، هي كالرصاصة الطائشة التي تستهدف وتهلك من يلاقيها، وهي كالوباء المميت في سرعة إنتشارها وفي خطرها على المجتمع والشعوب ، وهي كالريح العاصفة تدمر وتغير معالم المكان الذي تحل فيه ، وهي كالنار المستعرة التي تحرق الأخضر واليابس وتحول الأشياء الجميلة إلى رماد ، فالإشاعات لا تعرف إلا الدمار والقتل .

وللتعرف أكثر على خطر الإشاعة السلبية على الفرد والمجتمع لابد من بيان دوافع الإشاعة وأهدافها وتأثيرها السلبي على الفرد والمجتمع وبيان بعض مصاديقها .

أولاً - دوافع الإشاعة :

هناك دوافع سلبية كثيرة لنشر الإشاعة ، ويمكن ذكر أبرز هذه الدوافع بما يأتي :

١-تفريغ الحقد والعدوانية من باطن وداخل النفس إلى الخارج : فان النفس الحاقدة والخبيثة قد تمتلأ حقداً على الآخرين بحيث لا تستطيع كتم هذا الحقد إلا بإظهاره عن طريق اللسان والإشاعة هي أحد طرق إظهار هذا الحقد الدفين من داخل النفوس المريضة إلى الخارج .

٢-الشعور بالنقص في شخصية مطلق الإشاعة : هو أحد الدوافع التي تدفع بالأشخاص لإختلاق الشائعات الكاذبة على الأشخاص الآخرين والسبب في ذلك يعود إلى ضعف الشخصية المُروجة للإشاعات وشعورها بالنقص .

٣-السذاجة والبساطة والثّقة المفرطة عند المتلقي والسامع للإشاعة : ويُعدُّ هذا الأمر الأرضية الخصبة لنمو الإشاعة وخصوصاً مع عدم التثبت في سماع ونقل الأخبار .

٤-المصالح الشخصية : وهذه النقطة هي من دوافع نقل الإشاعة وخصوصاً عند الأشخاص النفعيين والماديين ومحبي السلطة من أبناء الدنيا .[١٢]

ثانياً : أهداف الإشاعة :

ويمكن بيان أهم أهداف الإشاعة السلبية كما ذكرها علماء الإجتماع بالتالي :

١-هدف الإشاعة هو إشعال الحرب النفسية لتدمير القوى المعنوية للفرد والمجتمع بحيث تشكل الإشاعة هالة وحجاباً على عقول الناس فيكون ذلك كغسل الأدمغة بالأفكار المضللة والسلبية وهو ما يعبر عنه بالعقل الجمعي - عقلية القطيع -المُضلل للناس وبعض الجيوش المنظمة لعمل الإشاعات يسمى بالطابور الخامس .

٢ - تشتيت الإنتباه من ناحية وتوجيهه إلى ناحية أخرى : إذ يهدف المروج للشائعات إلى إلهاء الناس بالشائعة لأجل إخفاء مؤامرات ومعلومات أخرى مهمة وخطيرة عنهم بحيث لا يلتفت إليها إلا القليل من الناس من ذوي البصائر .

٣-إسقاط شخص أو جماعة بنسبة العيوب إليهم أو ذمهم لتنفير الناس منهم ، أو تلميع ومدح شخص أو جماعة ، لا يستحقون المدح - لخلق المحبة لهم في قلوب الناس وتقريب الناس إليهم لإظهارهم بصورة حسنة إمام الناس ، وهو اسلوب هجومي يستخدمه مروج الإشاعة حذراً من الوصول لإسلوب الدفاع وهذا الإسلوب هو عين المقصود من المثل المشهور القائل: (رمتني بدائها وانسلت) .

٤-من أهداف الشائعات هو التهيئة والتمهيد الفكري والعقلي للناس على تقبل فكرةٍ أو حدث أو عملٍ ما يراد فعلها واقعاً بالمستقبل القريب أو البعيد عنوة عنهم بحيث تمتص الشائعات الحالية الصدمات وردود الأفعال المتوقعة في المستقبل ، فتخلق الشائعات الجو الملائم على تطبع وتقبل الناس بكل ما يملى عليها من دون اعتراض شديد أو رفض قوي . (١٣)

ثالثاً - تأثيرها السلبي بالفرد والمجتمع :

ذكر علماء الاجتماع بأن أهم النتائج السلبية والمؤثرة على الفرد والمجتمع هي :

١ - التفكك الأسري فالإشاعات وسيلةً لخرق وحدة البيت الواحد وحل الروابط الوجدانية بين الأهل ، وكثيرة هي البيوت التي هُدمت والأسر التي تفككت بسبب الإشاعات .

٢ - زعزعة الثقة بالنفس وخلق حالة من الشكِّ في المجتمع ، وتشكيل حالة من البلبلة

والفوضى ، و نشر الروح الانهزامية والاستسلام ، و إحداث الفرقة بحيث تستغل الأوضاع للتشكيك بكل ما هو معلوم .

٣ - التأثير على أفراد المجتمع بإحداث فجوة بين الناس والحكومات من خلال تشكيكهم في عدالة الحكم والنظام ، وخلق الفتن والخلافات وإثارة المشاكل و الخصومات بين طوائف المجتمع وفئات اجتماعية معينة .

٤ - استهداف القادة والشخصيات المهمّة في المجتمع كالشك وفقدان الثقة بين قادة الرأي كرجال الدين والقادة الاجتماعيين وبين قواعدهم الجماهيرية وذلك لإزالة المكانة التي يحضون بها في المجتمع او لتقليل تأثيرهم فيه أو لأجل ان ينفض الناس من حولهم من أجل خلق نوع من الثرثرة حولهم ، و التشكيك في المواقف والخطط السياسية التي يقومون بها كالتشكيك بقيادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وبشخصيته المباركة كما سيأتي .

٥-زعزعة الأمن بتوجيه الشائعات على المحاربين في ساحة القتال من أجل خفض الروح المعنوية للجنود وهبوط الروح المعنوية بين صفوفهم مما يؤثر سلباً على قوة وصمود وثبات الجيش و خلق حالة من الخوف والرعب والذعر في نفوسهم وتمارس التنظيمات الارهابية المعادية لهذا النوع أكثر من غيرها ويطلق على هذا النوع من الإشاعة بـ (الدعاية السوداء) .

٦ - التشكيك بالعقيدة الدينية فلا يقتصر ضرر الإشاعات على النواحي السياسية او الاجتماعية بل تصل النوبة للناحية الدينية أيضاً ، فيُحاول بعض من ينشرون الشبهات ويلقون بالتأويلات المغلوطة المساس بالدين وأصوله ، وإفقاده مكانته في نفوس الناس .[١٤]

رابعاً : بيان بعض مصاديق ووجوه الإشاعة :

ليس للإشاعة وجه واحد ومصداق فريد، بل لها وجوه كثيرة و مصاديق متعددة تتحد معها وتنطبق وتصدق عليها وتندرج في ضمنها ومن وجوه و مصاديق الإشاعة هي:

١ - **الكذب على الناس** : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب)[١٥]. يقول أدلاي ستيفنسون : (تقدمت لخصومي بصفقة : إذا توقفوا عن قول أكاذيب عنا ، سأتوقف عن قول الحقيقة عنهم) .

٢-الفتنة : وهي أشد وأكبر من القتل كما صرح القرآن الكريم بذلك ، وهي من مصاديق الإشاعة أي نقل الكلام الكاذب بين طرفين بقصد أذيتهما ولوقوع العداوة والبغضاء بينهما ، روي عن رسول الله محمد صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنه قال : (فتنة اللسان أشد من ضرب السيف)[١٦]. وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : (إنّ الرجلَ ليأتي يومَ القيامةِ ومعه قدر محجمة من دم ، فيقول: والله ما قتلتُ ولا شركتُ في دم ، فيقال : بلى ، ذكرتَ عبدي فلاناً فترقى ذلك حتى قتُل فأصابك من دمه) .[١٧]

٣-تصديق أو نقل الأخبار من دون إثبات صدقها : روي عن النبي محمد صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في وصيته لأبي ذر ، أنه قال : (يا أبا ذر ... كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع ...) و يعبر عن إشاعة الأخبار بهذا النحو بـ (القيل والقال) .[١٨]

٣-البهتان و الغيبة : قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ .[١٩] الغيبة التي هي ذكر المرء أخاه بما يكرهه لو بلغه ، قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ .[٢٠]

٥-الشبهات : وهي الوجه الثاني للإشاعة ومصداق من مصاديقها البارزة . جاء في المعجم الوسيط : الشُّبْهَةُ : الالتباس ، واشتبه الأمر عليه : اختلط ، واشتبه في المسألة : شكَّ في صحتها.[٢١]

والشبهة اصطلاحاً كما عرفها البعض هي كل ما يثير الشكَّ والارتياب في صدق الداعي وحقيقة ما يدعو إليه ، فتمنع المدعو من رؤية الحق والاستجابة له ، أو تؤخِّر هذه الاستجابة، كما أنه غالبًا ما ترتبط إثارةُ الشبهة بعادةٍ موروثة ، أومصلحة قائمة ، أو شهوة دنيوية ، أو حميةٍ جاهلية ، أو سوء ظن ، أو غبشٍ في الرؤية ، فتتأثر النفوس الضعيفة المتصلة بهذه الأشياء، وتجعلها حجة وبرهانًا تدفع به الحق . وهذه الأثار المتولدة من الشبهة هي بعينها الأثار المقصودة من نشر الإشاعة ، فالإشاعة والشبهة وجهان لعملة واحدة .

ومن أخطر الشبهات التي تهدد أمن الدولة واستقرارها هي الشبهات التي تستهدف القادة والدعاة وزعماء الدين من العلماء والمصلحين ورجال الدولة ورؤسائها ممن لديهم المقبولية

الكبيرة بين جميع الناس أو أغلبهم فتثار الشبهات للطعن في شخصياتهم وسيرتهم وسلوكهم، وإلصاق التهم بعقولهم وأخلاقهم وأعراضهم ، كرميهم بالسفه والجهالة والضلالة والجنون وارتكاب القبائح وغيرها من الامور ، إلى غير ذلك مما يكون المقصود منه تنفير الناس منهم وعدم الثقة بهم وقد أشرنا إلى ذلك في مقدمة البحث .

ونظير ذلك ما روجه بني أمية (لعنهم الله) من الشبهات ضد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام محاولة لتحجيم دور الإمام وتأثيره في نفوس المسلمين ، فأثيرت حوله الشبهات لتنفير الناس منه والإبتعاد عنه . وهذا ما سنتكلم عنه تفصيلاً في المبحث الثالث تحت عنوان : الإشاعات (الشبهات) الأموية المثارة ضد شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ودور الإمام في ردها .

المبحث الثالث

الإشاعات (الشبهات) الأموية المثارة ضد شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ودور الإمام في ردها .

ذكرنا في نهاية المبحث الثاني بأن الشبهات هي أحد أوجه و مصاديق الإشاعة فكلاهما يعتمد على الكذب والفتنة والحقد ، وقد استخدمها الأمويون محاولةً منهم للنيل من شخصية الإمام الحسن الزكي عليه السلام ، والحط من قيمته المعنوية الموجودة في قلوب الناس ، وتنفير الناس من الميل نحوه والالتفاف حوله ، فاختلقوا كذباً وزوراً وبهتاناً العديد من الشبهات الكاذبة وألصقوها بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام ظلماً وعدواناً ، ومن هذه الشبهات [٢٢] الزائفة :

الشبهة الأولى : كثرة زواج وطلاق الإمام الحسن عليه السلام إذ ادعى أصحاب الأقلام المأجورة ووعاظ السلاطين من الكتاب والمؤرخين الذين عشقوا الدنيا واتبعوا الشهوات وعميت بصائرهم بالأموال وماتت ضمائرهم بملذات الدنيا بأن الإمام الحسن عليه السلام تزوج بـ (٣٠٠) امرأة .[٢٣]

وادعى البعض الآخر منهم بأن الإمام الحسن عليه السلام كثير الطلاق لزوجاته ، وبثوا ذلك بإفتعال روايات كثيرة بين الناس البسطاء للتصوير لهم بأن الإمام كان مشغولاً بالنساء فقط ولذلك كان كثير الزواج والطلاق .

ويمكن الرد الإجمالي على هذه الشبهة والإشاعة بالنقاط الآتية :

١-أن الرواية المنسوبة للإمام علي عليه السلام : (لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق) رواية ضعيفة من ناحية السند وسبب ضعفها أما لرجالها كحميد بن زياد ومحمد بن سماعة لكونهما من الواقفة، وكيحيى بن أبي العلا لكونه مجهول الحال ، أوأنّ رواتها من النواصب الأموي الهوى والنزعة كالمدائني .[٢٤]

٢-عصمة الإمام الحسن عليه السلام تأبى قبول هذا العدد الكبير من الزوجات.

٣-معاوية عدو الإمام الحسن عليه السلام لم يذكر هذه القضية ، وهذا يدل على أنها مكذوبة ، وإلا لو كانت صادقة لاستخدمها معاوية إحدى وسائله لمواجهة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام .

٤-كتب التأريخ والأنساب لم تذكر مثل هذا العدد من الزوجات و الطلاقات . ولم تذكر أسماء نسائه اللاتي طلقهن .

٥-عدد أولاد الإمام الحسن عليه السلام الواقعي لا يتناسب مع هذا العدد من الزوجات و الطلاقات.

٦-إنَّ عدد زوجاته بالأسماء بحسب المصادر التأريخية المختلفة لا يتجاوز ١٥ زوجة وهُنَّ: (خولة الفزارية ، وعائشة الخثعمية ، وجعدة بنت الأشعث ، وأم إسحاق بنت طلحة بنت عبد الله التميمي (وقيل التيمي) ، وأم بشير بنت أبي مسعود الانصاري ، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر (وقيل اسمها هند) ، وأم عبد الله وهي بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجلي، وهند بنت سهيل بن عمرو ، وعائشة الشيبانية من آل همام بن مرة ، وأم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، امرأة من بني عمرو بن أهيم (أهتم) المنقري ، وامرأة من بنات علقمة بن زرارة ، وامرأة من ثقيف ، وأم القاسم وهي أم ولد وقيل اسمها نفيلة أو رملة) .[٢٥]

٧-واقع المرحلة التي يعيشها الإمام الحسن عليه السلام تأبى قبول هذا العدد المبالغ فيه من الزوجات و الطلاقات .[٢٦]

٨ - أن جُلَّ ما ذكرته الروايات الصحيحة من أسباب موضوعية لطلاق الإمام لزوجاته كانت لثلاث نساء فقط وهن : (أم كلثوم بنت الفضل بنت العباس بن عبد المطلب : إذ خان عمها الصلح وكانت تميل إلى عمها فطلقها ، عائشة الشيبانية : إذ ظهرت عليها إمارات الخوارج الذين يكفرون الإمام علي عليه السلام فطلقها ، عائشة الخثعمية : وقد تزوجها في حياة أمير المؤمنين ولما قتل عليه السلام أظهرت الشماتة بقتل أبيه فطلقها)[٢٧]. فأين زعمهم بأنه (سلام الله عليه) كان مطلاقا ؟!

الشبهة الثانية : شبهة إقرار الإمام الحسن صلى الله عليه وآله بشرعية خلافة معاوية وأهليته لها . استغل حزب معاوية الاموي فرصة صلح الامام الحسن عليه السلام لتبييض صورة معاوية المشوهة ، فقالوا بأن صلح الحسن ما هو إلا إعطاء الاهلية والشرعية لمعاوية بالخلافة .

ويمكن الرد على هذه الشبهة والإشاعة بالنقاط الآتية :

١-ان الإمام الحسن الزكي عليه السلام قد رد بنفسه هذه الشبهة والإشاعة الأموية وبين عدم أهلية معاوية للتصدي لأي نوع من أنواع الخلافة حتى الخلافة الدنيوية محرمة عليه شرعاً والدليل على ذلك الكتاب الذي كتبه الإمام الحسن الزكي عليه السلام جواباً لمعاوية الذي قال فيه : (إن هذا الأمر لي

والخلافة لي ولأهل بيتي ، وإنها لمحرمةٌ عليك وعلى أهل بيتك ، سمعتُه من رسول الله ﷺ ، لو وجدتُ صابرين عارفين بحقي غير منكرين ، ما سلّمتُ لك ولا أعطيتُك ما تريد) .[٢٨]

٢-إن صلح الإمام الحسن عليه السلام لا يُثبت لمعاوية أكثر من القيادة الدنيويّة على الناس ، ولا علاقة لهذا الصلح بالخلافة الدينية المتعينة من الله سبحانه وتعالى . ولا يشترط الجمع بين الخلافة الدينية والدنيوية عند الإمام المعصوم فيجوز أن تفترقا في بعض الحالات بحيث توجد الخلافة الدينية دون الدنيوية كما حصل ذلك لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وكثيرٍ من الأئمة المعصومين عند غصب الخلافة منهم . والنتيجة أنه لا توجد أيّة ملازمةٍ بين الصلح وبين الإقرار بالخلافة لمعاوية .

٣-ان معاوية ليس أهلاً للخلافة الدنيوية والدليل على ذلك اعتراض بعض الناس على خلافته ومنهم سعد بن أبي وقّاص ، ومنهم عائشة بنت أبي بكر ، الذي قال معاوية عندما سمع باعتراضها على خلافته : (عجباً لعائشة تزعم أني في غير ما أنا أهله ، وأن الذي أصبحتُ فيه ليس لي بحقٍّ ، ما لها ولهذا ، يغفرُ الله لها) .[٢٩]

٣ – صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع معاوية كصلح النبيّ الأكرم محمد ﷺ مع كفّار قريش ، فسُئِل الحسن عليه السلام عن سبب الصلح فجاء جوابه شافياً ووافياً عندما سأله أبو سعيد ، قال : قلت للحسن عليه السلام : يا ابن رسول الله ، لِمَ داهنتَ معاوية وصالحتَه وقد علمتَ أنّ الحقّ لك دونه وأنّ معاوية ضالٌّ باغٍ ؟ قال عليه السلام : (يا أبا سعيد ، علّة مصالحتي لمعاوية هي علّة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية ، أولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل ، **يا أبا سعيد ، إذا كنتُ إماماً من قِبَل الله تعالى ذكره، لم يجبْ أن يُسفَّه رأيي فيما أتيتُه من مهادنة**) .[٣٠]

٤-روي عن رسول الله ﷺ بسندٍ صحيح أنّه قال : (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه).[٣١] وهذا يدل على عدم أهلية معاوية للخلافة الدنيوية أيضاً .

الشبهة الثالثة : شبهة إذلال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام للمؤمنين بسبب الصلح .

من الشبهات التي حاولت تسقيط شخصية كريم أهل البيت الإمام الحسن الزكي عليه السلام في أعين ونظر الناس هي شبهة إذلال الإمام لشيعته وأتباعه من المؤمنين بسبب الصلح .

ويمكن الرد على هذه الشبهة والإشاعة بالنقاط الآتية :-

١-إنَّ قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو العمدة في ردِّ هذه الشبهة، إذ قال على ما ذكره الدينوري (وهو من علماء أبناء العامة) ، الذي روى في الأخبار الطوال ، الصفحة ٢١٦، في جواب الحسن بن علي عليه السلام للقائل بذلة المؤمنين ، قال : (**لست بمذل المؤمنين ولكني معزهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال**) . [٣٢]

٢ - قال الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في بيان فضل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام : (أمّا الحسن فان له،وفي رواية (فنحلته) ، هيبتي وسؤددي) .[٣٣] فكيف يذل المؤمنين من كانت له هيبة وسؤدد كهيبة وسؤدد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ؟؟؟

٣-ان الرواية التي استدل بها صاحب هذه الشبهة هي الرواية التي قال فيها سفيان بن أبي ليلى للإمام : (السلام عليك يا مذل المؤمنين) وهذه الرواية ضعيفة ، قال السيد الخوئي (قدس سره) : (وذكرنا أن الرواية ضعيفة) . [٣٤]

٤-قال بعض المحققين بان (سفيان بن أبي ليلى) ليس هو من خواص الإمام الحسن الزكي عليه السلام وليس هو من شيعته ، بل هو أحد الخوارج والدليل على ذلك ما ذكره سبط ابن الجوزي (وهو من علماء أبناء العامة) ، في تذكرة الخواص ، الصفحة ٢٠٧ جواب الحسن بن علي عليه السلام لذلك الخارجي فقال : (ويحك أيها الخارجي لا تعنفني ، فإن الذي أحوجني إلى ما فعلت

قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي ، وأنكم لما سرتم إلى صفين كان دينكم امام دنياكم وقد أصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم ...) .

الشبهة الرابعة : عصيان الإمام الحسن لأبيه أمير المؤمنين علي عليهما السلام .

تصور هذه الشبهة الأموية الخبيثة بالمخالفة والعصيان العملي من قِبَلِ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لأبيه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام . لأن الإمام علي عليه السلام حارب معاوية في معركة صفين ، بينما ترك الإمام الحسن المجتبى عليه السلام محاربة معاوية ولجأ للصلح ، وهذا الفعل يعد عصياناً ومخالفة عملية واضحةً من الإمام الحسن الزكي للإمام علي عليه السلام ؟

ويمكن الرد على هذه الشبهة والإشاعة بالنقاط الآتية :

١-ان لكل امام معصوم ظروفه الخاصة به ومن الخطأ مقارنة وقياس ظروف إمام معصوم بظروف إمام معصوم آخر مع إختلاف الظروف والأحوال والمواقف المحيطة بكل واحد منهم.

٢-ان ظروف وأحوال ومواقف الإمام المعصوم الواحد تختلف من مدة إلى أخرى ومن زمان لأخر ، فالإمام علي عليه السلام وان اختار الحرب في بعض المواقف والظروف إلا أنه لجأ إلى السلم أيضاً - من أجل الحفاظ على أرواح ودماء الناس - في وقت أخر ، ولذلك قال في كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان : (لقد علمتم أنى أحق بها من غيري ، و **والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة** ...) [٣٥]. إذ اختار الإمام علي عليه السلام المواقف السلمية في بعض سني حياته ؛ فأين هو العصيان والمخالفة العملية من الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لأبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام إذا اختار المواقف السلمية أيضاً كلجوئه إلى صلح معاوية وتركه للحرب؟ فيكون صلح الإمام الحسن الزكي عليه السلام هو الطاعة والمطابقة العملية لأبيه علي عليه السلام.

٣-إنَّ الإمام علي عليه السلام أوصى بالإمامة لولده الحسن عليه السلام وأمر أخاه الإمام الحسين عليه السلام بإطاعته، روى الأصبغ بن نباتة وقال : (دعا أمير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام لّما ضربه الكافر اللعين ابن ملجم لعنه الله ، **فقال لهما : إنّي مقبوض في ليلتي هذه ولاحق برسول الله** صلى الله عليه وآله **فاسمعا قولي وعياه ؛ أنت يا حسن وصيّي والقائم بالأمر بعدي ، وأنت يا حسين شريكه في الوصية فأنصت ما نطق ، وكن لأمره تابعاً ما بقي ، فإذا خرج من الدنيا فأنت الناطق بعده والقائم بالأمر**)[٣٦]. ولو فرضنا ان الإمام علي عليه السلام يعلم أو يحتمل بمخالفته له في المستقبل لما أوصى بالإمامة إليه ، ولو رأى الإمام الحسين عليه السلام بمخالفته الواقعية والفعلية للإمام علي عليه السلام لما أطاعه واتبعه ، والوصية بإمامته والأمر بطاعته وبقاء الطاعة واستمرارها له يدل بكل وضوح على عدم وقوع المخالفة منه عليه السلام ولو على نحو الاحتمال.

٣-أنه لا تناقض في أفعال الأئمة المعصومين عليهم السلام لتعدد أدوارهم ووحدة أهدافهم[٣٧] .

والدليل على ذلك ما قاله الإمام علي عليه السلام وهو يوصي المسلمين : (انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم واتّبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدىً ، ولن يعيدوكم في ردىً ، **فإن لبدوا فألبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلّوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا**) .[٣٨]

الشبهة الخامسة : من الشبهات (الإشاعات) التي أطلقها الأمويون هي تعلق الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بالدنيا وحبه للمال حباً جماً .

ويمكن الرد على هذه الشبهة والإشاعة بالنقاط الآتية :

١-إنَّ قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام التالي الذي نفى فيه تعلقه بالدنيا الفانية كفيل لوحده برد هذه الشبهة الهزيلة ، فحينما سأله المسيب بن نجبة وقال له : بايعت معاوية ، ومعك أربعون ألفاً ، ولم تأخذ لنفسك وثيقة ، وعهداً ظاهراً ؟

فقال عليه السلام : (**إنّي لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية باصبر منّي عند اللقاء ، ولا اثبت عند الحرب منّي ، ولكنّي أردت صلاحكم ...**) .(٣٩)

٢-إنَّ فعل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كفيل برد هذه الشبهة الكاذبة ، فروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : (**إن الحسن بن علي عليهما السلام حج خمسة وعشرين حجة ماشيا وقاسم الله تعالى ماله مرتين ، وفي خبر: قاسم ربه ثلاث مرات وحج عشرين حجة على قدميه**) وفي بعض الروايات أنه : كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً ويمسك خفاً) .(٤٠)

٣-أقوال الإمام وحكمه ومواعظه العامة دليل على دحض هذه الفرية عنه ، روي عن جنادة بن أبي أمية قال : دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه إلى أن قال : فقلت له : عظني يا ابن رسول الله ، قال عليه السلام : (نعم ، استعد لسفرك ، وحصّل زادك قبل حلول أجلك ، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك ، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه ، **واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك ، واعلم أن في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك ، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر فأخذت كما أخذت من الميتة ، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير ، وأعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، ...**) .(٤١)

٤-ان لقب كريم أهل البيت الذي اشتهر به الإمام الحسن عليه السلام في زمانه كافٍ في رد كذب وافتراء هذه الشبهة ، فكان كريماً حتى على بعض مخالفيه ومبغضيه ، فكيف يجتمع الكرم و بذل المال لله سبحانه وتعالى ولجميع الناس مع حب الدنيا ؟؟؟

الشبهة السادسة : الضعف الإداري للإمام الحسن المجتبى عليه السلام ، بمعنى عدم قدرته على إدارة أمور الدولة الإسلامية .

ويمكن الرد على هذه الشبهة والإشاعة بالنقاط الآتية :

١-ان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يجيب عن هذه الشبهة حينما سأله أبو سعيد عقيصا قال: قلت للحسن بن علي ابن أبي طالب عليهما السلام : يا ابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته ، وقد علمت الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ ؟ فقال عليه السلام : يا أبا سعيد ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماما عليهم بعد أبي عليه السلام ؟ قلت : بلى ، قال : ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي : (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)؟ قلت : بلى ، قال : فأنا إذن إمام لو قمت ، وأنا إمام إذا قعدت ، ... إلى أن قال له الإمام : يا أبا سعيد إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة ، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسا .

ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله ، لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي ، هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل .[٤٢]

٢ - بتعريف معنى الإمامة تندفع هذه الشبهة أيضاً ، قال العلّامة الحلّي رحمه الله في تعريفها : (الإمامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخصٍ من الأشخاص نيابةً عن النبي صلى الله عليه وآله) [٤٣]. ومن ينصب لهذه الرئاسة العامة لابد أن يكون مؤهلاً لها من الناحية الإدارية وقد نص النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله على أهلية الإمام الحسن عليه السلام بالحديث المتقدم : (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) .

٣-اعتراف معاوية بأهلية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لإدارة الدولة حينما قال لزياد بن أبيه : **(واما تسلطه عليك بالأمر فحق لمثل الحسن ان يتسلط ، واما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك ...)** .[٤٤]

وقال معاوية ذات يوم وعنده اشراف الناس من قريش وغيرهم : (اخبروني بخير الناس اباً واماً وعماً وعمة خالاً وخالة وجداً وجدة) ، فقام مالك بن العجلان ، فأومأ الى الحسن عليه السلام فقال : (ها هو ذا ابوه علي بن ابي طالب ، وامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعمه جعفر الطيار

في الجنان وعمته ام هانئ بنت ابي طالب ، وخاله القاسم ابن رسول اللهّ وخالته بنت رسول اللهّ زينب ، وجده رسول اللهّ ، وجدته خديجة بنت خويلد) . فسكت القوم . ونهض الحسن . فاقبل عمرو بن العاص على مالك فقال : (أحب بني هاشم حملك على ان تكلمت بالباطل ؟ . فقال ابن العجلان : (ما قلت الا حقاً ، وما احد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق، الا لم يعط امنيته في دنياه ، وختم له بالشقاء في آخرته . **بنو هاشم انضرهم عوداً ، وأوراهم زنداً، كذلك يا معاوية ؟ قال : اللهم نعم)** . (٤٥)

نكتفي بهذا القدر من الشبهات التي أثيرت ضد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام . وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإشاعات والشبهات وان ردها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وأصحابه وأتباعه وأولياؤه وشيعته من الخواص والعوام إلى نحور أصحابها وبينوا زيفها وكذبها وبطلانها ، إلا أنها انطلت على البعض الآخر من العوام وكان لها التأثير السلبي المعروف في إضعاف دولة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ونلمس تأثير الإشاعات واضحاً وجلياً بتفرق جيش الإمام وضعفه ومحاولة اغتيال الإمام من قبل بعض أفراد جيشه ، وإنتقال كثيرٍ من أفراد جيش الإمام إلى جيش معاوية .

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث المتواضع أرجوا أن أكون قد وفقت في إيصال وبيان فكرة واضحة عن خطر الإشاعة وتأثيرها السلبي على جميع مكونات المجتمع بصورة عامة ، وعلى تأثيرها في الشخصية القيادية للإمام الحسن المجتبى عليه السلام بصورة خاصة .

كان هذا البحث هو خلاصة لقراءتي العديد من المقالات والكتب الإجتماعية والنفسية العامة عن الإشاعة أو الخاصة عنها المرتبطة بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام فمررت ببعض الجهد وخصصت بعض الوقت للربط والتأليف والجمع بين المعلومات المتناثرة .

وأوصي وأقترح على الباحثين والكُتّاب الأمور الآتية :

١-تقييم هذا البحث والزيادة عليه ان كان ناقصاً ، فجميعنا يداً واحدة نتكاتف لنقدم الأفضل والأحسن للناس .

٢-الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قد تعرض للظلم الإعلامي قديماً وحديثاً ، فعلينا تفعيل الإعلام المعاكس لنشر فضائله وسيرته العطرة وكل من موقعه .

٣-تهديم قبور أئمة البقيع عليهم السلام أساسها نوع من الإشاعة الوهابية الحاقدة التي أشاعت بحرمة البناء على القبور ووجوب هدمها ، فعلينا أن نواجه هذه الإشاعة بالأدلة والبحوث والكتب العلمية ، وأن نطالب ببناء قبور أئمة البقيع عليهم السلام . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الصادق الأمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين اللهم صل على محمد وآل محمد .

الهوامش

١- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، الجزء ٢ ، صححه من بحار القول المأنوس للعلامة القرافي ، دار العلم للجميع بيروت - لبنان ، الصفحة ٩٩ -١٠٠ .
٢- أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، لسان العرب، الجزء ٨ ، الناشر : دار صادر-بيروت-لبنان ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : ١٤١٤ هـ ، الصفحة ١٩١ .
٣- تم تجميع هذه التعاريف الإصطلاحية من مقالات متعددة لمواقع وأبحاث مختلفة في شبكة الإنترنيت . منها موقع (أريد) ، مقالة للكاتب د. جاسم محمد شبيب العيسى تحت عنوان : (الشائعات واثارها في هدم المجتمعات ، الجزء ١) . ومنها بحث للطالب بشار سامي الهميسات تحت عنوان : (المسؤولية الجزائية للموقع الإلكتروني عن نشر الشائعة) ، الصفحة ١٢ . ومنها موقع (المنهل) ، بحث للـ أ. د عيسى مبارك عجرة تحت عنوان : (الإشاعة وكيف عالجها القرآن الكريم) .
٤- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورِي (١٩٩٢ م) ، المعارف ، الطبعة : الثانية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، صفحة ٦٧ - ٧٣ . بتصرّف .
٥- البلاذري النسابة والمؤرخ الشهيد أحمد بن يحيى بن جابر ، أنساب الأشراف ، الجزء ٥ ، حققه وعلق عليه الشيخ محمد باقر المحمودي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، الصفحة ٧ .
٦- العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، الجزء ٣٣ ، الصفحة ١٠٧ . على ما نقله موقع ويكي شيعة .
٧- أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، لسان العرب ، الجزء ١ ، الناشر : دار صادر-بيروت-لبنان ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : ١٤١٤ هـ ، الصفحة ٤٢ .
٨- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، الصفحة ٥ ، الناشر : دار الدعوة - إستانبول ، سنة الطبع : ١٩٨٩م .
٩- الطالبة ديمة الشاعر ، بحث بعنوان : (التأثير بالآخرين والعلاقات العامة) ، بحث مقدم لنيل درجة الدبلوم في العلاقات العامة في الأكاديمية السورية الدولية ، عام ٢٠٠٩ م .
١٠- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، الجزء ٢، صححه من بحار القول المأنوس للعلامة القرافي ، دار العلم للجميع بيروت - لبنان ، كلمة ناء .
١١- انظر : كلام الشيخ المفيد محمد بن محمد ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تحقيق و تصحيح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، الجزء ٢ ، الناشر : مطبعة شيخ مفيد ، مكان الطبع : قم ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع: ١٤١٣ ق - ١٩٩٢ م ، الصفحة ١٥ . وكلام الشيخ الكليني أبو جعفر محمّد بن يعقوب الرازي ، الكافي ، تحقيق ونشر مركز بحوث دار الحديث للطباعة والنشر - قم ، الجزء ١ ، تاريخ النشر : ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٨ م .، الصفحة ٢٢٣ .
١٢- انظر : كلام الشيخ عبد الهادي الطهمازي ، الشائعات وآثارها النفسية والإجتماعية المدمرة ، الصفحة ٥١ وما بعدها . مع التصرف .
١٣- انظر : كلام محمد بن دغش سعيد القحطاني ، الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٨ ه-١٩٩٧ م ، الصفحة ٣١ وما بعدها . مع التصرف .

١٤-هذه النقاط الدالة على تأثير الإشاعة سلبياً على الفرد والمجتمع مقتبسة - مع التصرف الكبير بالصياغة اللفظية والتعبيرية في العبارة - من عدة مقالات وكتب وأبحاث إجتماعية وعلمية موجودة على مواقع وشبكات الإنترنيت . منها موقع (معرفة) ، بحث للإستاذ صفاء عباس عبد العزيز إبراهيم ، تحت عنوان : (الإشاعة و أثرها على الفرد و المجتمع) ، مجلة البحث العلمي في الآداب ، العدد ٢٠ ، ج . ٨ (٣١ أغسطس / آب ٢٠١٩)، الصفحة ١-٢٤ ، جامعة عين شمس كلية البنات للآداب و العلوم و التربية . ومنها موقع (بنيان) ، مقالة لرونجيه حسين ، تحت عنوان : (ما هي آثار الشائعات على الفرد والمجتمع ؟) ، تأريخ النشر في ٦ يوليو ٢٠٢١ م . ومنها موقع (شبكة المعارف الاسلامية) مقالة تحت عنوان : (الشائعات وآثارها السلبية) ، تأريخ النشر : ١٣-تموز - ٢٠٢٢ م الموافق لـ ١٣ - ذو الحجة - ١٤٤٣ هـ .

١٥-النراقي محمد مهدي ، جامع السعادات ، الجزء ٢ ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الطبعة : الرابعة ، سنة الطبع : ٢٠٠٧ م ، الصفحة ٢٤٨.

١٦-المحدّث النوري الشيخ حسين النوري الطبرسي ، مستدرك الوسائل ، المحقق والناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، الجزء ٩ ، المطبعة : سعيد بن جبير ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م ، الصفحة ٣١ .

١٧-الحر العاملي المحقق الشيخ محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، عنى بتصحيحه وتحقيقه وتذييله الفاضل المحقق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، الجزء ٢٩ ، المطبعة : دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : ١٤١١ هـ-١٩٩١ م ، الصفحة ١٧.

١٨-العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، المجلد ٢ ، طبعة مؤسسة الوفاء ، الطبعة الثانية ، تاريخ الطبع : ١٤٠٣ هـ-١٩٨٢ م ، الصفحة ١٥٩ .

١٩-سورة الأحزاب ، الآية ٥٨ .

٢٠-سورة الحجرات ، الآية ١٢ .

٢١-مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، الناشر : دار الدعوة - القاهرة ، سنة الطبع : ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، الصفحة ٤٧١ .

٢٢-انظر : المفكر الشيخ نجاح الطائي ، الشائعات المشهورة ضد الإمام الحسن عليه السلام ، المطبعة : دار الهدى لإحياء التراث ، بيروت-لبنان ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م . الصفحة ٢٩ وما بعدها. مع التصرف .

٢٣- الشيخ عبد الهادي الطهمازي ، الشائعات وآثارها النفسية والإجتماعية المدمرة ، الصفحة ٨٠ .

٢٤- انظر : موقع مركز الأبحاث العقائدية ، تحت عنوان : (روايات شيعية تصفه بكثرة الطلاق) وجوابها .

٢٥- الكاتبة عبير منظور ، مقالة بعنوان : المظلوميات الإعلامية للإمام الحسن عليه السلام ، من موقع كتابات في الميزان ، التاريخ : ٢٥-٤-٢٠٢١ م .

٢٦- أنظر : يحيى عبد الحسن الدوخي ، صلح الإمام الحسن عليه السلام بين الواقع وظلم التأريخ ، ص ١٠١ .

٢٧- باقر شريف القرشي ، حياة الامام الحسن دراسة وتحليل ، الجزء ٢ ، الصفحة ٤٦٤-٤٦٥ .
٢٨- قطب الدين الراوندي ، الخرائج والجرائح ، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي ، الجزء ٢ ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ذي الحجة ١٤٠٩ ، الصفحة ٥٧٦ ... العاملي الشيخ زين الدين أبي محمد علي بن يونس ، الصراط المستقيم ، تصحيح وتحقيق وتعليق : محمد الباقر البهبودي ، الجزء ٢ ، مطبعة : الحيدري ، الناشر : المكتبة المرتضوية ، الصفحة ١٧٨ .
٢٩- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، الناشر : مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (رهـ) ، الجزء ٣ ، مكان الطبع : قم ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٥ ق-١٩٩٤ م ، الصفحة ٢٤٢ .
٣٠- ابن طاووس علي بن موسى ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، تحقيق وتصحيح : علي عاشور ، الناشر : مكتبة خيام ، مكان الطبع : ايران ؛ قم ، ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤٠٠ ق - ١٩٧٩ م ، الصفحة ١٩٦.
٣١- البلاذري النسابة والمؤرخ الشهيد أحمد بن يحيى بن جابر ، أنساب الأشراف ، الجزء ٥ ، حققه وعلق عليه الشيخ محمد باقر المحمودي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، الصفحة ١٢٨ ... الطبري ابن جرير ، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ، الجزء ٨ ، المطبعة : دار المعارف-مصر ، الطبعة الثالثة ، سنة الطبع : ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، الصفحة ١٨٦ ... الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، تاريخ الاسلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، الجزء ٤ ، المطبعة : دار المغني للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية . الناشر : دار الكتاب العربي ، سنة النشر : ١٤١٠ هـ-١٩٩٠ م ، الصفحة ٣١٢ ... ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، البداية والنهاية ، الجزء ٨ ، الناشر: دار الفكر ، سنة النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ، الصفحة ١٣٢ ... تقي الدين المقريزي ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال و الأموال و الحفدة و المتاع ، الجزء ١٤ ، الناشر : دار الكتب العلمية ، مكان الطبع : بيروت-لبنان، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع ١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٢ م ، الصفحة ٣٦٩ ... المنقري نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، تحقيق وتصحيح : هارون ، عبد السلام محمد ، الناشر : مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، مكان الطبع : قم ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤٠٤ ق - ١٩٨٣ م ، الصفحة ٢١٦.
٣٢- وللمزيد راجع كتاب الشيخ باقر شريف القرشي ، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام دراسة وتحليل ، الجزء ٢ ، طباعة ونشر : دار البلاغة-بيروت لبنان ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : ١٤٣٥ هـ-٢٠١٣ م ، الصفحة ٢٧٢-٢٧٣ .
٣٣- الشيخ الصدوق ، الخصال ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، الناشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة ، تأريخ الطبع : ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣-١٩٨٢ م ، الصفحة ٧٧ .
٣٤- السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، معجم رجال الحديث ، الجزء ٩ ، الطبعة : الخامسة ، سنة الطبع : ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، الصفحة ١٥٦ .
٣٥- ابن أبي الحديد ، شرح النهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الجزء ٦ ، الناشر : دار الحياء للكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الصفحة ١٦٦ .
٣٦- إبن حاتم العاملي ، الدر النظيم ، الناشر : مؤسسة النشر الاسلامي-قم ، الصفحة ٣٧٧ .

٣٧- انظر كتاب أهل البيت ﷺ تنوع أدوار ووحدة هدف ، لآية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ... وانظر أيضاً كتاب سيرة الأئمة ﷺ دروس في الحياة الأخلاقيّة والتربويّة والسياسيّة ، الكاتب والناشر: مركز المعارف للتأليف والتحقيق ، تاريخ الإصدار : ١٠-٢٠٢٠ م .
٣٨- محمد محمديان ، حياة أمير المؤمنين ﷺ عن لسانه ، الجزء ٢ ، الناشر : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ، الصفحة ٣٥٥ .
٣٩- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (ره) ، الجزء ٨ ، مكان الطبع : قم ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٥ ق-١٩٩٤ م ، الصفحة ٩ .
٤٠- العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، المجلد ٤٤ ، طبعة مؤسسة الوفاء ، الطبعة الثانية ، تاريخ الطبع : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م ، الصفحة ١٣٩ .
٤١-الامام الحافظ شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، صححه وشرحه ودققه لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، الجزء ٣ ، المطبعة : الحيدرية في النجف ، سنة الطبع : ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، الصفحة١٨٠.
٤٢- الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ره ، علل الشرائع ، الجزء ١ ، منشورات المكتبة الحيدرية-النجف ، سنة الطبع : ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م ، الصفحة ٢١١ .
٤٣- العلامة الحلي ، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ، الطبعة الثانية ، المطبعة : دار الأضواء للطباعة ، بيروت-لبنان ، سنة الطبع : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، الصفحة ٩٣ . -
٤٤- السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، حققه وأخرجه حسن الأمين ، الجزء ٧ ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات ، بيروت-لبنان ، الصفحة ٢٣٨ .
٤٥- الشهيد الثالث القاضي السيد التستري ، إحقاق الحق و إزهاق الباطل ، الجزء ١١ ، الناشر : مكتبة آية الله المرعشي النجفي-قم ، الصفحة ٢٥٢ .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم .

*الكليني أبو جعفر محمّد بن يعقوب الرازي، الكافي، تحقيق ونشر مركز بحوث دار الحديث للطباعة والنشر - قم ، تاريخ النشر: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٨ م .

*الحر العاملي المحقق الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، عنى بتصحيحه وتحقيقه وتذييله الفاضل المحقق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، المطبعة : دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : ١٤١١هـ-١٩٩١ م .

*المحدّث النوري الشيخ حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ، المحقق والناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، المطبعة : سعيد بن جبير ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م .

*العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، طبعة : دار الاحياء التراث ، بيروت-لبنان ، الطبعة الثالثة المصححة ، سنة الطبع : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

*المفيد ، الشيخ محمد بن محمد ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تحقيق و تصحيح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، الناشر : مطبعة شيخ مفيد ، مكان الطبع : قم ، الطبعة: الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م.

*ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (رهـ)، مكان الطبع : قم ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

*ابن طاووس ، على بن موسى ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، تحقيق وتصحيح: علي عاشور ، الناشر : مكتبة خيام ، مكان الطبع : ايران ؛ قم ، ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م .

*المنقري ، نصر بن مزاحم ، وقعة صفين، تحقيق وتصحيح : هارون ، عبد السلام محمد، الناشر : مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، مكان الطبع : قم، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

*باقر شريف القرشي ، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام دراسة وتحليل ، طباعة ونشر : دار البلاغة-بيروت لبنان ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : ١٤٣٥ هـ-٢٠١٣ م .

*العاملي ، الشيخ زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفى ٨٧٧ هـ، الصراط المستقيم ، تصحيح وتحقيق وتعليق : محمد الباقر البهبودي ، مطبعة الحيدري ، الناشر : المكتبة المرتضوية .

*النراقي محمد مهدي ، جامع السعادات، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، مكان الطبع : بيروت ، الطبعة : الرابعة سنة الطبع : ٢٠٠٧ م .

*أبو القاسم الطالقاني إسماعيل بن عباد بن العباس المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ) ، المحيط في اللغة .

*أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، الناشر : دار صادر-بيروت-لبنان ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : ١٤١٤ هـ ، عدد الأجزاء: ١٥ .

*١٥-الشيخ عبد الهادي الطهمازي ، الشائعات وآثارها النفسية والإجتماعية المدمرة ،

*١٦-محمد بن دغش سعيد القحطاني ، الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع ، المطبعة : دار طويق للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

*المفكر الشيخ نجاح الطائي ، الشائعات المشهورة

ضد الإمام الحسن عليه السلام، المطبعة : دار الهدى لإحياء التراث، مكان الطبع : بيروت-لبنان، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
*الدوخي يحيى عبد الحسن، صلح الإمام الحسن عليه السلام بين الواقع وظلم التاريخ، طباعة ونشر : دار مشعر، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .
*أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الكتاب : أنساب الأشراف، تحقيق : سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر : دار الفكر-بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع : ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
*الطبري، ابن جرير، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، المطبعة : دار المعارف-مصر، الطبعة الثالثة، سنة الطبع : ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
*الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الاسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المطبعة : دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية . الناشر : دار الكتاب العربي، سنة النشر : ١٤١٠ هـ-١٩٩٠ م .
*أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء : ١٥ .
*تقي الدين المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال و الأموال و الحفدة و المتاع، الناشر : دار الكتب العلمية، مكان الطبع : بيروت-لبنان، الطبعة : الثالثة، سنة الطبع ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٢ م .
*قطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله، الخرائج و الجرائح، تحقيق وتصحيح ونشر : مؤسسة الإمام المهدى عليه السلام، مكان الطبع : قم، سنة الطبع : ١٤٠٩ هـ، الطبعة: الأولى .
*السيد محسن الامين، أعيان الشيعة، تحقيق : السيد حسن الامين، الناشر : دار التعارف للمطبوعات- بيروت - لبنان، سنة الطبع : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
*أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، الناشر : دار الكتب العلمية، مكان الطبع : بيروت-لبنان، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

الحوادثُ التّاريخيّةِ المحيطةُ

بالإمامِ الحسنِ المجتبى عليه السلام في مرحلةِ الطّفولةِ

أ.م.د. عباس إسماعيل الغراوي

كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

لقد تدخل الأُمويون ومن بعدهم العباسيون بمحاربة التراث الذي يثبت الفضل لأهل البيت عليهم السلام وقد عانى الامام الحسن من ذلك ، وانطلاقا من كتابات السيد محمد باقر السيستاني، وكيف يجب على الباحث أنْ يستنطق الرّوايات التّاريخيّة وينظر الى الظروف المحيطة بها ليكون الحكم صائبًا ، انطلاقا من هذا عمد الباحث لأنْ يقدم دراسةً عن الامام الحسن ، فكان العمل (الحوادث التاريخية المحيطة بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مرحلة الطفولة ــ بين الاستحضار والاستنطاق) الذي كشف به الباحث فيه كثيرا من الحقائق التي يراها مهمة مثلما كشف اختلاقات كثيرة على طائفة من الروايات المناوئة . وقد قسم البحث على قسمين مراعيا الايجاز

Abstract

The Umayyads, and after them the Abbasids, work in tandem to fight the heritage that proves the favor of the Ahalalbayt (peace be upon them), and Imam Al-Hassan suffered from that, and based on the writings of Sayyid Muhammad Baqir Al-Sistani, and How should a researcher make historical narratives speak ? He looks at the surrounding circumstances so that the judgment is correct, as it is based on such a procedure. From this, the researcher tackles a study about Imam Hassan, so the work was, "The Historical Incidents surrounding Imam Hassan, the chosen, in childhood". Here the researcher reveals many facts he deems important, though many fabrications there are in controversial Islamic narratives. The research was divided into two parts with a conclusion.

المقدمة

يمرّ التّاريخ على البشريّة ليحمل معه من الحوادث التاريخية ، فيوصلها إلى من بعدهم ، كي تشاهدها الأجيال اللاحقة بما فيها من جمال أو قبح ، وتتعاطى معها بحسب ما تمليه عليه أفكارها وتوجهاتها ، غير أنّه قد تتدخل الأنامل البشريّة ـ المتزامنة مع الحدث أو التالية له ـ في تغيير ملامح بعض تلك الصّور فيصبح التّاريخ سائرًا في غير مساره الصّحيح إلّا إذا تعاضدتِ العقول السّليمة لتعود به إلى مقصده الأساس ، ومن الذين طالتهم أنامل الجريمة نحوهم ، الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ... إذ عانى من العداء الأمويّ ، ذلك العداء الأكبر الذي طُبِعَ بالمكر والسّلطة والإغراء بالأموال لشراء الذّمم فضلًا عن ولعهم في استئصال الموالين لأهل البيت عليهم السلام ، وهذا جعل الأمّة تتجنب الحديث عن كثير من السِّيَر الذّهبية لهم عليهم السلام ولمن والاهم خوفًا من البطش الأمويّ ، فيذكر ابنُ الأثير (ت ٦٣٠ هـ) بعد أنْ ذكَرَ حديثًا في فضل أهل البيت مَرويًا عن الأوزاعيّ أنّ : ((**الأوزاعي لم يروِ في الفضائل حديثًا غير هذا، ... وكذلك الزُّهْريّ لم يروِ فيها إلا حديثًا واحدًا، كانا يخافان بني أميّة**))(١).

وما كان هذا الخوف من بني أمية إلّا بعد أنْ جرت منهم إجراءات تعسفيّة إتجاه المتنعّمين بذكر فضائل العترة الطاهرة ، وأبرز مَن أسّس لهذا السُّنَّة الظالمة هو معاوية بن أبي سفيان ؛ فعن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال : ((**دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَكَانَ أَبِي يَأْتِيهِ فَيَتَحَدَّثُ مَعَهُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَيَّ فَيَذْكُرُ مُعَاوِيَةَ وَعَقْلَهُ، وَيُعْجَبُ بِمَا يَرَى مِنْهُ، إِذْ جَاءَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَمْسَكَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَرَأَيْتُهُ مُغْتَمًّا، فَانْتَظَرْتُهُ سَاعَةً، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ لأَمْرٍ حَدَثَ فِينَا، فَقُلْتُ: مَا لِي أَرَاكَ مُغْتَمًّا مُنْذُ اللَّيْلَةِ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ جِئْتُ مِنْ أَكْفَرِ النَّاسِ وَأَخْبَثِهِمْ، قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ وَقَدْ خَلَوْتُ بِهِ: إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ سِنًّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَوْ أَظْهَرْتَ عَدْلًا، وَبَسَطْتَ خَيْرًا فَإِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ، وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى إِخْوَتِكَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَوَصَلْتَ أَرْحَامَهُمْ، فَوَاللهِ مَا عِنْدَهُمُ الْيَوْمَ شَيْءٌ تَخَافُهُ، وَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَبْقَى لَكَ ذِكْرُهُ، وَثَوَابُهُ؟ فَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! أَيُّ ذِكْرٍ أَرْجُو بَقَاءَهُ! مَلَكَ أَخُو تَيْمٍ فَعَدَلَ وَفَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا عَدَا أَنْ هَلَكَ، حَتَّى هَلَكَ ذِكْرُهُ إِلا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ مَلَكَ أَخُو عَدِيٍّ، فَاجْتَهَدَ وَشَمَّرَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا عَدَا أَنْ هَلَكَ حَتَّى هَلَكَ ذِكْرُهُ، إِلا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: عُمَرُ. وَإِنَّ ابْنَ**

أَبِي كَبْشَةَ لَيُصَاحُ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَأَيُّ عَمَلٍ يَبْقَى؟ وَأَيُّ ذِكْرٍ يَدُومُ بَعْدَ هَذَا لا أَبَا لَكَ؟ لا وَاللهِ إِلا دَفْنًا دَفْنًا))(٢) ، فهذا القسم الموثّق البليغ بأنّه سيعمد إلى استئصال ذكرهم (دفنًا دفنًا) جَعَلَهُ الأمويُّون هدفًا لهم؛ فلهم بمعاوية أسوةٌ سيئةٌ .

وكان العناء في ذلك يقع بصورة مباشرة على الإمام الحسن عليه السلام الذي عاصر هذه المرحلة بكل آلامها وآمالها ، وقد أخذ العناء يتّسع حتى بعد رحيله عليه السلام ، فأصبحت الكتابات المناهضة لعنات وويلات ، إذ عمل أعداء العترة النّبويّة على إطفاء نور العترة ويأبى الله إلا إتمام أنوارهم.

وقد ورث العباسيون من الأمويين ميراث العداء لآل الرسول ، فعندما روى راوٍ اسمه نصر بن علي عن الإمام الحسين عن جدِّهِ ((**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صلى الله عليه وآله « **أَخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ، فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » **قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَن عبد الله: لّما حدث بهذا الحديث نصر بن عليّ، أمرَ المتوكل بضربه ألف سوط، فكلّمه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنّة، ولم يزل به حتى تركه))**(٣) . إذا كان العقاب بهذا الحجم جرّاء رواية حديث نبويّ واحد في فضل الحسنين فما جزاء راوٍ في فضائل الحسنين ؟ من هذا نعلم عظم الفاجعة وندرك أن الرواية في فضل أهل البيت مرت بعناء وبلاء ، لقد كان ذاك جزاء من ينقل سنة النّبيّ في بيان فضل آل النّبيّ . ومن هنا فليس بعيدًا أنْ يقوم هذا التيار المعاكس بدسّ ما يقلّل من قدرهم أو يشجّع عليه . وهذا أدى بالمجتمع لأن يخلّف أجيالًا متباينة الرؤى ، وهذا أدّى الى التراجع في المجتمع الإسلاميّ أو لنقل في المجتمعات الإسلاميّة، والسّبب يعود الى أنّ كثيرًا من النّاس وقُرّاء التراث ، يأخذون الرّواية ، ويقطعون ما حولها من حوادث ، وهذا يقود إلى أحكام ناقصة؛ يقول السيد محمد باقر السيستاني : ((**لا يكفي ما نجده من بعض الباحثين من مراجعة التأريخ واستخدامه من خلال نصوص وحوادث متفرقة من غير قدرة على استحضار حيٍّ للبيئة العامة والالتفات إلى مقتضياتها**))(٤)، ومن هنا فلا بدّ ((**أنْ يتمكن المرء من ... استنطاق الحوادث ـ نفيا أو اثباتا ـ استنطاقا مناسبًا ، ولا سيما إذا كان الحدث يتعلّق بالمساحة الغامضة من التاريخ ... حيث لا بدّ من أنْ يملك الباحث مزيدًا من القدرة على استنطاق الحوادث وفهم العلاقة بين الأمور واستشفاف ما بين السطور**))(٥)،

وهذا دفع بالباحث لأنْ يعيد بعض القراءات التاريخية في الإمام الحسن عليه السلام؛ ليكون العنوان (**الحوادث التاريخية المحيطة بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مرحلة الطفولة**) رغبة في تقديم عمل ينفع في خدمة الحقيقة . على أنّ البحث يسلط الضوء على مرحلة الطفولة ، فهذه لم تأخذ أثرها مثلما هو الأمر في مرحلة كبره عليه السلام ، ولا سيما في مرحلة خلافته ؛ إذ دار الحديث كثيرًا في مناقبه ومسألة كثرة تزويجه وقضية صلحه وحياته السياسية ، وهذه المسائل وجدت صداها بدراسات رائعة ومتميزة ، ومن هنا صرف الباحث النظر عنها وركز فيما جاء بالمراحل الأولى من حياة الإمام الحسن عليه السلام.

وقد قسم البحث على مبحثين ، كان الأول مختصًّا بالحوادث السليمة المحيطة بالولادة والنشأة ، والثاني بالحوادث المختلقة المحيطة بالولادة والنشأة ...

ثم ختم البحث بخاتمة بينت ابرز نتائج البحث ، وقد راعى البحث الإيجاز بسبب ضيق المقام ، وختاماً نسأله تعالى أنْ يجعلنا ممن ينال شفاعة سيد شباب أهل الجنة يوم الحشر ، إنه على كل شيء قدير ، آمين رب العالمين ..

ا لمبحث الأول : استنطاق الحوادث السليمة المحيطة بالولادة والنشأة

كثيرة تلك الحوادث التي نقلها لنا التاريخ عن البداية الأولى للسبط الأول ، بل إنّه ممن عُرِف قبل أنْ يولد ، بل حتى قبل أنْ يولد أبوه آدم عليه السلام ، فقد جاد علينا النبي صلى الله عليه وآله ببيان السّرّ المكنون في أهل الكساء الخمسة ، وكيف أنهم هم الكلمات التّامّات الّتي أنجتْ أبانا آدم في محنتهِ ، فـ ((**عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال : سئل النّبيّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّى آدم من ربّه فتابَ عليه، قال: «سأله بحقِّ محمّد وعليّ وفاطمةَ والحسن والحسين إلّا تبتَ عليّ فتاب عليه»**))[٦]، فكانَ حفيد النّبيّ ووليده السّامي أحد أركان التّوبة الآدميّة ، أي قبلَ مجيئهِ إلى عالم الدُّنيا بآلافِ السّنين ، لقد عُرِفَ الإمام الحسن وأهله قبل أوان قدومهم بما يُمكن أنْ يكون ذلك محلّ دراسة . وكان بمجيئة عليه السلام الى الحياة الدنيا إيذان بعظيم فضل قادم نحو قمة المجد والكرامة، ودراسة هذه المرحلة مهمة جدًّا ؛ لأنّها ستبين الصورة التي سيكون عليها ذلك الوليد بعد أنْ يكبر ، ويمكن إيجاز ذلك بالآتي :

الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة وهيبة النّبي وسؤدده

صرح النّبي بكثير من المسائل المستقبلية لغرض إرشاد أصحابَهُ الى أمر خطير ويجب الاهتمام به ، وهذه الاستراتيجية الاستباقية عمل عليها الرسول كثيرًا بما يستحق أن تكون مجالًا رحبًا لكثير من الأبحاث والدراسات ، وقد صرّحت بالفضل الذي سيكون عليه هذا الوليد العظيم ، إذ نال (عليه السلام) وكذا اخوه الحسين منزلة عظيمة ، بسبب نبوغهما المثاليّ وفضلهما العظيم حتى قال فيهما سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) : **((الْحَسَنُ وَالْحُسَين سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ))**(٧) . وهذا لا يعني أنّهما ضمنا الجنّة ، فحسب بل انهما سيداها ! وما أجمل دخول الجنة! وما اجمل ذلك الدخول إذا كان لصاحبه الفضل كل الفضل على سائر أهل الجنّة !

إنّ السّيادة تعني التّفوق الواضح على أهل الجنان وتعني أنّ معاداتهما ممّا لا يمكن أنْ يجد قبولًا وأيّا كان ذلك المخاصم ، وحينما صرّح النبي بذلك صرح به ولم يكن الإمام الحسن قد تجاوز السّابعة بعد ، وهذه رسالة عظيمة من نبي عظيم ، تدلّل على الفضل الباذخ الذي سيتمتع به هذان الفتيان المباركان ، إنّها تريد ان تبين للناس أن يتمسكا بهما ولا يزيغوا على الرغم من كل الظروف ، ويبدو أنّ النبي لم يكن يريد أنْ يخبر بقدر ما كان يريد أنْ يوجه، ولم يكن ثناؤه على حفيديه إلا اعتزازا منه بأمته ، إذ أراد أنْ يرشدها للخيرات، ولا خيرات كالتي تكون بالتّمسك بالعترة المباركة .

ورويَ عن النبي المصطفى قبيل رحيله : **((أَمَّا الْحَسَنُ فَإِنّ لَهُ هَيْبَتِي وَسُؤْدَدِي))**(٨) . إنّ الذي يرث الهيبة والسؤدد من خير الأنبياء ليس كبيرًا عليه أنْ يكون سيّد الهيبة والسؤدد . وفعلا لقد كان هذا له (عليه السلام) إذ بقي ملازما له مع كبره (٩).

هذه الهيبة وهذا السؤدد المتوارثان من النبي جعلت الإمام المجتبى يكون إماما على الرغم من كل المعرقلات ، وقديما قال به جده : **((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا))**(١٠) ، والحقيقة أنّ كثيرًا من الفضائل هي رسائل ، فهذه رسالة مشفرة تقول : إنّ طاعة الإمام الحسن وأخيه تكون لازمة في جميع الأحوال في القيام والقعود ، فيجب التسليم المطلق لهما ، وبهذا الحديث يستدل على أنّ الامام الحسن وإنْ صالح فانّما صالح لغاية وأمر لا بدّ منه ، ففعله هو العصمة بعينه .

الامام الحسن عليه السلام محلّ الحب النبويّ

كان الامام الحسن هو الوليد الأول لفاطمة الزهراء عليها السلام والحفيد الاول للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وقد شغف به النبي وبأخيه كثيرًا ، فراح صلى الله عليه وآله يغمرهما بحبِّه ، و((**عن أسامة بن زيد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ بيد الحسن والحُسَين ويقول: اللهمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما**))(١١) .

هكذا كان الحبّ يصول في رحاب بيئتهم ويجول ، ويذكر أنّ الأقرع بن حابس شاهد النَّبيّ يُقبل الحسن أو الحُسَين ، فـ((**قَالَ الْأَقْرَع إِن لي عشرَة من الْوَلَد مَا قبلت مِنْهُم أحدا قطّ فَنظر إِلَيْهِ رَسُول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ قَالَ من لَا يَرْحَم لَا يُرحَم**))(١٢) .

لقد أدلى النَّبيّ بخُلُقه النَّبيّل بتربية حضاريّة قوامها الرّحمة ، وأفصحَ عن أنّ مَن يتجنّب حبّ أبنائه أو تقبيلهم إنّما هو لم يرحمهم أي ظلمهم ، فالأطفال بحاجة إلى ذلك التّقبيل والتّودّد ؛ لأنّهم قادمون على عالم الدُّنْيا ولم يكونوا يعهدوه يوم كانوا في عالم الأرحام ؛ لذا لا بد من تهيئتهم للعالم الجديد بما يجعلهم يحسّون بالأمان وإلّا كانت العاقبة سوءًا ، إذ ستؤول القضية إلى قلق من مستقبل وافد ، ولا يبعد أنْ تتبلور الكراهية ؛ لـ((**أن الطِّفْل إذا أحس بفقد العطف والحنان والرعاية ترجم ذلك في تصرفات يريد بها إثارة الانتباه واستدرار عطف والديه ثم تنعكس هذه الآثار في مستقبل الطِّفْل فيصبح قاسيًا في سلوكه ساخطًا على المجتمع**))(١٣)، وقد ثبتَ أنّه ((**إذا عاش الطِّفْل في أسرة تفيض بالحبّ والرّحمة، وفي مجتمع يلفّه بالشّفقة والعطف والحنان، ينشأ متأدّبًا بآداب الرّحمة متذوّقًا لأساليب الحبّ والجمال والخير والحقّ، فيشبّ الطِّفْل عاشقًا للرّحمة والمحبّة متّخذًا صورها الجميلة في قوله ومنهجه وسلوكه؛ لأنّ أدب الإسلام في جميع صوره حثّ عليها منذ الصّغر على أنّها عبادة وطاعة، ومنهجًا وسلوكًا**(١٤)**، فقد صوّر القرآن الكريم الرّحمة بما يعجز عنه البشر، فلم تخْلُ سورة من تصوير قرآنيّ لها تهتزّ لها العاطفة، وتبعث فيها الحرارة والصّدق والدّفء، وتغمر الوجدان فتحييه بالإيمان والإخلاص، والحبّ والمودّة ، فأصبح مفتاح كل سورة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**))(١٥). وهكذا كانت الأسرة المحمديّة ، تنعم بالحبّ والمودّة مما يجعلها الأسرة المثاليّة على مرّ الخليقة .

الامام الحسن والحسين ريحانتا رسول الله

ان العلاقة الوطيدة بين النبي وابنيه الحسنين ، لا يمكن ان تقرأ على أنها علاقة اعتيادية شأنها شأن أي علاقة بين اب وابنه أو جد وحفيده ، بل انها تفسر أنّ النبي أراد التركيز على فضلهما المهمّ للمجتمع ، وأنّهما مما يجب التّمسك به . ولو لم يكن الإمام الحسن للحُسن معدنَهُ لَمَا نالَ رضا جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله حتّى عبّر عنه وعن أخيه سيد الشهداء عليهما السلام : ((**إنّ ابنيّ هذينِ ريحانتاي من الدُّنْيا**))[١٦]، ولا يبعد أنّ اختيار الرّيحان لا يخلو من علّة ، فبهذه النّبتة طيب رائحة وفائدة رُبّما ما نزال نجهلها، يكفي أنّ القرآن ذكَرَ الرّيحان في النّعم التي مَنَّ بها على ذوي الجنّة (العباد المقرّبين) ، فقال : ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾ (الواقعة : ٨٩) ، وقد قال الشّيخ الطّوسيّ (ت٤٦٠هـ) : ((**ريحان : وهو الهوى الذي يلذّ النّفْس ويزيل عنها الهمّ**))[١٧]، وكم كانت تلذّ نفسُ المصطفى لحفيديه ويستأنس بهما ؟

ويذكر الرّازيّ (ت ٦٠٦هـ) في تفسير الآية السّالفة : ((**الرّيحان يُطلَقُ على كلّ نعمةٍ ورزقٍ كريمٍ. وبناءً على هذا فإنّ الرّوحَ والرّيحانَ الإلهيّينِ يشملانِ كلّ وسائلِ الرّاحةِ والطّمأنينةِ للإنسان، وكلّ نعمةٍ وبركة إلهيّة. وبتعبير آخر: يمكن القول : إنّ الرّوح إشارة إلى كلّ الأمور الّتي تخلّص الإنسان من الصّعوبات ليتنفّس براحة، وأمّا الرّيحان فإنّهُ إشارةٌ إلى الهِبَات والنّعم التي تعودُ إلى الإنسان بعد إزالةِ العوائق**))[١٨]، وأيًّا كان فانّ الإمامينِ الحسنينِ كانا ريحانتي الرَّسُول الكريم كانا جنّة الرَّسُول الكريم في أرضِهِ لِمَا فيهما من منافع عظيمة على الأمّة ، منافع لا تصدر إلّا من إمام ، فالإمامان الحسنان و عرِفا بذكرهما الحسن الّذي كان طيبًا على طيب و بفضائلهما الجمّة ومناقبهما الجليلة حتى أشاد بها القاصي والدّاني، فكانت الأمّة تنعم بفضلِهما[١٩] .

الامام الحسن في حادثة المباهلة

عندما يكون الوليد عظيما يمكنه أنْ يأتي بما لا يستطيع الكبار على الاتيان به ، وقد أثبت القرآن ما جرى مع الإمام الحسن عليه السلام وأسرته في المباهلة يوم كان هو أحد أركان المباهلة التي حملت همَّ الأمّة ، يقف المسلمون وهم ينظرون التّحدّي بين النبي ووفد النصارى ، يترقبون ما الذي سيحدث ومن هو الذي سيحسم القضية بمعيّة النبيّ صلى الله عليه وآله، فكان التّوجيه القرآنيّ : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ (سورة آل عمران : ٦١) .

حينها جاء النَّبيّ صلى الله عليه وآله :((**بالحسن والحُسين وفاطمة تمشي خلفه وَعَلِيٌّ خَلْفَهَا وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: (إِنْ أَنَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا)**))[٢٠]، كانت هذه الصُّورة الجميلة مُنبئة بفضل العترة بصرف النّظر عن أعمارهم . يكفي أنّهم تحدَّوا الجاحدين فأرغموهم على الاستسلام . ويُذكر أنّ أوّل شيء عرَضه النَّبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله في مباهلته (الأبناء) ، ويقول الإِيجي الشافعيّ (ت ٩٠٥هـ) : ((**وقدم الأبناء والنّساء على النّفس؛ لأنّ الرجل يقدمهم على نفسه ويفدى بنفسه هم**))[٢١] ، وأيّا كان فالنَّبيّ لم يقدمْ بهم إلا وهم أهلٌ لأنْ يخوضوا هكذا اختبار ، فلم يوجد هناك من كان ليردد (آمين) بعد النَّبيّ كما كانوا هم عليهم السلام .

يقول محمد عزت دروزة مؤيدًا ومؤكّدًا أنّ أهل البيت بمن فيهم الامام الحسن كانوا الأفضل في ذلك الوقت بلا منازع : ((**إنّ موضوع المباهلة هو تمييز الحقّ من الباطل ، وذلك لا يصحُّ أن يكون إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعًا على صحّة عقيدته**))[٢٢] .

ويُستكنه من الرِّوَايَة أنّ الحسنين عليهما السلام كانا مُدركينِ ؛ فليس من الصّحيح خوضهما في نزال لا يعرفان تفصيله ، يقول بعضُهم : ((**إنّه لما كانت المباهلة لا تصلح إلّا بين مكلفين فيكون صغر سنهما وعدم بلوغهما الحلم لا ينافيان كمال العقل والتكليف فضلًا عن جواز خرق الله العادة للأئمة واختصاصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم**))[٢٣]، إنّ النقطة الأخيرة وهي أنّهما لا يشركهما في الاختصاص هذا غيرهما من النَّاس ، مهمّ لأنْ نحلل كثيرًا من قضايا الإمام الحسن التي فُسِّرت تفسيرًا خاطئًا بسبب قصر النّظر على التّفكير السّاذج الذي لا يفاضل بين سبطي النَّبيّ وسائر النَّاس .

إن هـذه الحـرب العقائديّـة التـي انتـصر فيهـا الإسـلام ، وكان الإمـام الحسـن أحـد أبطالهـا دَلّـتْ عـلى أنّ الحـقّ يعلـو بأهلـه الحقيقيّين ، وكان مـن المتوقّـع أنْ يحـدثَ الجـدال بـين أصحـاب الدّيانـات الأخـرى والدّيـن الجديـد (الإسـلام) ، وهـذا الجـدال يجبُ أنْ يتقدّمـه العظـماء مـن كلّ ديـن ؛ ليحسـم الـصّراع بنتيجـة غالبـة لأحـد الطرفـين ، فخـرج النصـارى وهـم عـلى أمـل الغلبـة لكنّهـم اصطدمـوا بالنَّبيّ ومعـه أهـل بيتـه : ابنتـه وحبيبـه أمـير المؤمنين وأمامهـم صبيـانِ صغـيران همـا الحسـن والحُسَـين ، فـرأوا كل هـذه الثقـة مـن النَّبـيّ وأهلـه ، وأدركـوا أنهـم لا يهابونهـم ، وأنّ هـؤلاء القادمـين هـم خصمهـم المتسلح بنـور العقيـدة الصّادقـة ، ولا شـكّ أنهـم تأمّلوهـم ، فـرأوا في مُحيّاهـمُ المُسحةَ الإيمانيّـة المُنبعثـة مـن قـوّة مبـدأ وصلابـة موقـفٍ ... وجـاءَ في صفـاتِ الإمـام المعصـوم منـذ يـوم ولادتـه أنّـه : ((**إذا خـرجَ إلى الأرضِ أوتيَ الحكمـةَ وزيّـنَ بالعلـمِ والوَقـارِ وألبسَ الهيبـةَ ، وجُعِـلَ لـهُ مصبـاحٌ مـن نـورٍ**))(٢٤) .

فـما كانَ مـن الوفـد النَّصرانيّ إلّا أنْ يتراجعـوا مُستسـلمينَ ، وهـذا التّراجـع كان مُنبئًـا بأحقيّـة الإسـلام وأنّـه خـير الأديـان مثلـما هـو مُنبـئ بـأنّ آل النَّبـيّ هـم الأولى بـأنْ يقـودوه .

يـتراءى لي أن النبـيّ صلى الله عليه وآله لم يرشـح الإمـام عـلي عليه السلام ليكـون خليفتـه في غديـر خـم مـن دون بـادئ بـدء، ولم يقـرّر الإمامـة في وقـتٍ متأخّـرٍ ، بـل أسّـسَ وقعّـدَ منـذ أنْ عرّضهـم للدّفـاع عـن الاسـلام، أليـس في واقعـة المباهلـة التـي ذكرتهـا العامّـة والخاصّـة كفايـة وافيـة عـلى كفـاءة العـترة الطّاهـرة للذّود عـن الإسـلام ؟

الامام الحسن في حديث الكساء

يلقانـا مـا يبـين عظمـة الرّفعـة الحسـنيَّة مـا ورد في حديـث الكسـاء ، وهـذه الحادثـة تبـدأ منـذ دخـولِ النَّبـيّ عـلى فاطمـة المباركـة ، و طلبـه منهـا الكسـاء اليـمانيّ ، ومـا أنْ تجلـب الكسـاء ويسـتتر بـه النَّبـيّ حتـى اخـذ وجهـه يضـيء كالبـدر وفاطمـة تنظـر إليـه ، ثـم يـأتي سـائر أفـراد الأسرة واحـدًا تلـو الآخـر ويتتابعـون في الدخـول تحـت الكسـاء : فيـأتي الحسـن ثـم الحُسَـين ثـم الإمـام عـلي ثـم الزّهـراء، ويقـوم النَّبـيّ بالدُّعـاء لهـم ويبـارك لهـم .

وهـذا النـصّ يظهـر في النـصّ الـوارد عـن الزّهـراء عليها السلام وسـنورده جميعـه تـبركًا؛ ولنعـرف المنزلـة الكـبرى التـي انـماز بهـا الإمـام الحسـن مـن غـيره ، ولمعرفتهـا يجـدر معرفـة بيئتـه وعائلتـه وحديـث

الكساء يوضحها بتمام ، والحديث يبدأ من قول الزهراء عليها السلام : ((دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله فِي بَعضِ الأَيّامِ فَقَالَ: السَّلام عَلَيكِ يا فاطِمَةُ، فَقُلتُ عَلَيكَ السَّلام، قالَ: إنّي أَجِدُ في بَدَني ضَعفاً، فَقُلتُ لَهُ: أُعِيذُكَ بالله يا أَبَتاهُ مِنَ الضُّعفِ فَقالَ: يا فاطِمَةُ إِيتيني بِالكِساءِ اليَمانِيِّ فَغَطِّيني بِهِ فَأَتَيتُهُ بِالكِساءِ اليَمانِيِّ فَغَطّيتُهُ بِهِ وَصِرتُ أَنظُرُ إِلَيهِ وَإِذا وَجهُهُ يَتَلألأ كَأَنَّهُ البَدرُ فِي لَيلَةِ تَمامِهِ وَكَمالِهِ، فَما كانَت إلاّ ساعَةً وإذا بوَلَدِيَ الحَسَنِ قَد أَقبَلَ وَقالَ: السَّلام عَلَيكِ يا أُمّاهُ، فَقُلتُ: وَعَلَيكَ السَّلام يا قُرَّةَ عَيني وَثَمَرَةَ فُؤادي، فَقالَ: يا أُمّاهُ إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ جَدِي رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَقُلتُ: نَعَم إنَّ جَدَّكَ تَحتَ الكِساء، فَأَقبَلَ الحَسَنُ نَحوَ الكِساء وَقالَ: السَّلام عَلَيكَ يا جَدّاهُ يا رَسُولَ الله أَتَأذَنُ لِي أَن أَدخُلَ مَعَكَ تَحتَ الكِساءِ؟ فَقالَ: وَعَلَيكَ السَّلام يا وَلَدِي وَيا صاحِبَ حَوضِي قَد أَذِنتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهُ تَحتَ الكِساءِ. فَما كانَت إلاّ ساعَةً وَإِذا بِوَلَدِيَ الحُسَين عليه السلام قَدْ أَقبَلَ وَقال: السَّلام عَلَيكِ يا أُمّاهُ، فَقُلتُ: وَعَلَيكَ السَّلام يا قُرَّةَ عَيني وَثَمَرَةَ فُؤادي، فَقالَ لِي: يا أُمّاهُ إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ جَدِي رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَقُلتُ: نَعَم إنَّ جَدَّكَ وَأَخاكَ تَحتَ الكِساءِ، فَدَنَا الحُسَين عليه السلام نحوَ الكِساءِ وَقالَ: السَّلام عَلَيكَ يا جَدّاهُ السَّلام عَلَيكَ يا مَنِ اختارَهُ اللهُ أَتَأذَنُ لِي أَن أَكونَ مَعَكُما تَحتَ الكِساءِ؟ فَقالَ: وَعَلَيكَ السَّلام يا وَلَدِي وَيا شافِعَ أُمَّتِي قَد أَذِنتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهُما تَحتَ الكِساء. فَأَقبَلَ عِندَ ذلِكَ أَبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ وَقال: السَّلام عَلَيكِ يا بِنتَ رَسُولِ الله، فَقُلتُ: وَعَلَيكَ السَّلام يا أَبا الحَسَن وَيا أَمِيرَ المُؤمِنينَ. فَقالَ: يا فاطِمَةُ إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ أَخي وَابنِ عَمّي رَسُولِ الله، فَقُلتُ: نَعَم ها هُوَ مَعَ وَلَدَيكَ تَحتَ الكِساءِ، فَأَقبَلَ عَلِيٌّ نَحوَ الكِساءِ وَقالَ: السَّلام عَلَيكَ يا رَسُولَ الله أَتَأذَنُ لِي أَن أَكُونَ مَعَكُم تَحتَ الكِساءِ؟ قالَ لَهُ وَعَلَيكَ السَّلام يا أَخِي وَيا وَصِيّي وَخَلِيفَتِي وَصاحِبَ لِوائِي قَد أَذِنتُ لَكَ، فَدَخَلَ عَلِيٌّ تَحتَ الكِساءِ. ثُمَّ أَتَيتُ نَحوَ الكِساءِ وَقُلتُ: السَّلام عَلَيكَ يا أَبَتاهُ يا رَسُولَ الله أَتَأذَنُ لِي أَن أَكونَ مَعَكُم تَحتَ الكِساءِ؟ قالَ: وَعَلَيكِ السَّلام يا بِنتِي وَيا بَضعَتِي قَد أَذِنتُ لَكِ، فَدَخَلتُ تَحتَ الكِساءِ، فَلَمّا اكتَمَلنا جَمِيعًا تَحتَ الكِساءِ أَخَذَ أَبي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله بِطَرَفَي الكِساءِ وَأَومَأَ بِيَدِهِ اليُمنى إِلَى السَّماءِ وقالَ: اللّهُمَّ إِنَّ هؤُلاءِ أَهلُ بَيتِي وَخاصَّتِي وَحامَّتِي لَحمُهُم لَحمِي وَدَمُهُم دَمِي، يُؤلِمُني ما يُؤلِمُهُم وَيَحزُنُني ما يَحزُنُهُم، أَنا حَربٌ لِمَن حارَبَهُم وَسِلمٌ

لِمَن سالَمَهُم وَعَدوٌّ لِمَن عاداهُم وَمُحِبٌّ لِمَن أَحَبَّهُم، إنَّهُم مِنّي وَأنا مِنهُم فاجعَل صَلَواتِكَ وَبَرَكاتِكَ وَرَحمَتَكَ وغُفرانَكَ وَرِضوانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيهِم وَأذهِب عَنهُمْ الرِّجسَ وَطَهِّرهُم تَطهيرًا. فَقالَ اللهُ عزّ وجلّ: يا مَلائِكَتي وَيا سُكّانَ سَماواتي إنّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنيَّةً وَلا أرضًا مَدحيَّةً وَلا قَمَرًا مُنيرًا وَلا شَمسًا مُضيئَةً وَلا فَلَكًا يَدُورُ وَلا بَحرًا يَجري وَلا فُلكًا يَسري إلاّ في مَحَبَّةِ هؤُلاءِ الخَمسَةِ الَّذينَ هُم تَحتَ الكِساءِ، فَقالَ الأَمينُ جِبرائيلُ: يا رَبِّ وَمَنْ تَحتَ الكِساءِ؟ فَقالَ عزّ وجلّ: هُم أَهلُ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَعدِنُ الرِّسالَةِ هُم فاطِمَةُ وَأَبُوها، وَبَعلُها وَبَنوها، فَقالَ جِبرائيلُ: يا رَبِّ أَتَأذَنُ لي أَن أَهبِطَ إلَى الأَرضِ لأَكُونَ مَعَهُم سادِسًا؟ فَقالَ اللهُ: نَعَم قَد أَذِنتُ لَكَ. فَهَبَطَ الأَمينُ جِبرائيلُ وَقالَ: السَّلام عَلَيكَ يا رَسُولَ الله، العَلِيُّ الأَعلَى يُقرِئُكَ السَّلام، وَيَخُصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالإِكرامِ وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتي وَجَلالي إنّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنيَّةً وَلا أَرضًا مَدحِيَّةً وَلا قَمَرًا مُنيرًا وَلا شَمسًا مُضيئَةً وَلا فَلَكًا يَدُورُ وَلا بَحرًا يَجري وَلا فُلكًا يَسري إلاّ لأَجلِكُم وَمَحَبَّتِكُم، وَقَد أَذِنَ لي أَن أَدخُلَ مَعَكُم، فَهَل تَأذَنُ لي يا رَسُولَ الله؟ فَقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: وَعَلَيكَ السَّلام يا أَمينَ وَحيِ الله، إنَّهُ نَعَم قَد أَذِنتُ لَكَ، فَدَخَلَ جِبرائيلُ مَعَنا تَحتَ الكِساءِ، فَقالَ لأَبي: إنَّ اللهَ قَد أَوحى إِلَيكُم يَقُولُ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيرا. فَقالَ: عَلِيٌّ عليه السلام لأَبي: يا رَسُولَ الله أَخبِرني ما لِجُلُوسِنا هَذا تَحتَ الكِساءِ مِنَ الفَضلِ عِندَ الله؟ فَقالَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله: وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ نَبِيًّا وَاصطَفاني بِالرِّسالَةِ نَجِيًّا، ما ذُكِرَ خَبَرُنا هذا في مَحفَلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الأَرضِ وَفيهِ جَمعٌ مِن شيعَتِنا وَمُحِبّينا إلاّ وَنَزَلَت عَلَيهِمُ الرَّحمَةُ، وَحَفَّت بِهِمُ المَلائِكَةُ وَاستَغفَرَت لَهُم إلَى أَن يَتَفَرَّقُوا. فَقالَ عَلِيٌّ عليه السلام: إذًا وَالله فُزنا وَفازَ شيعَتُنا وَرَبِّ الكَعبَةِ. فَقالَ أَبي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: يا عَلِيُّ وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ نَبِيًّا وَاصطَفاني بِالرِّسالَةِ نَجِيًّا ما ذُكِرَ خَبَرُنا هذا في مَحفَلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الأَرضِ وَفيهِ جَمعٌ مِن شيعَتِنا وَمُحِبّينا وَفيهِم مَهمُومٌ إلاّ وَفَرَّجَ اللهُ هَمَّهُ وَلا مَغمُومٌ إلاّ وَكَشَفَ اللهُ غَمَّهُ وَلا طالِبُ حاجَةٍ إلاّ وَقَضَى اللهُ حاجَتَهُ، فَقالَ عَلِيٌّ عليه السلام: إذًا وَالله فُزنا وَسُعِدنا، وَكَذلِكَ شيعَتُنا فازوا وَسُعِدوا في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَرَبِّ الكَعبَةِ)).(٢٥)

ذكرنا حديث الكساء جميعه بسبب ما فيه من التلازم فلا يمكن الاقتصار على بعضه، فبه جميعًا تظهر طائفة من النكت التي تكفي لأنْ نؤمن بالعترة ايمانًا مطلقًا ، ونقتصر منه على ما يخص عنوان البحث .

في الحديث نجد الأدب الحسنيّ من أداء التحية للأم الطاهرة بأنقى صور التحية ثم الإيذان من النَّبيّ بأجمل ما يكون ((**وإذا بولَدِيَ الحَسَنِ قد أَقبلَ وَقالَ: السَّلام عَلَيكِ يا أُمّاهُ، فَقُلتُ: وَعَلَيكَ السَّلام يا قُرَّةَ عَيني وَثَمَرَةَ فُؤادي، فَقالَ: يا أُمّاهُ إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ جَدِي رَسُولِ الله** ﷺ **فَقُلتُ: نَعَم إنَّ جَدَّكَ تَحتَ الكِساء، فَأَقبَلَ الحَسَنُ نَحوَ الكِساء وَقالَ: السَّلام عَلَيكَ يا جَدّاهُ يا رَسُولَ الله أَتَأذَنُ لي أَن أَدخُلَ مَعَكَ تَحتَ الكِساءِ؟**))[٢٦] .

ونجد الجواب الفاطمي المملوء حنانًا ومودةً (**قُرَّةَ عَيني وَثَمَرَةَ فُؤادي**) أقول يجب أنْ يكون هكذا الخطاب الأسريّ شعار الأسر التي تسعى إلى التآلف والمودّة فيما بينها ، ولم أجد إشارة في المصادر التراثيّة تنقل لنا لوحة جميلة مكتظة بالحوار المفعم بروح الإيمان كهذه اللوحة ، ونحن اليوم بحاجة إلى أن نضع هذا السطر أمام نسائنا ، بل أمام الجميع لينتهلوا من رحيق الأدب المحمديّ .

ولنتأمل بالجواب النّبويّ للإمام الحسن عليه السلام حين حيّاه بـ (**السَّلام عَلَيكَ يا جَدّاهُ يا رَسُولَ الله أَتَأذَنُ لي أَن أَدخُلَ مَعَكَ تَحتَ الكِساءِ؟**) هذا السَّلام المُعرب عن العقيدة الحسنيّة النّاضجة ، وهو ما يزال صغيرًا ، وهذا وحده كافٍ لأنْ يرد على كثير من الرِّوَايَات التي تصور الإمام الحسن وكذلك الإمام الحسين في طفولتهما وهما يتصرفان تصرفات طفوليّة لا تنم عن وعي ونضج .

إنّ الطُّفُولة الحسنيّة والحُسينيَّة من النَّصّ السّابق لم تكن طفولة عاديّة ، بل كانت ناضجةً واعيةً ، وإذا ضممْنا إليها الكرامة الرّبانيّة ندرك أنّ الذي استحقّ هذه المنزلة انّما استحقها ؛ لأنّه أرضيّة صالحة لتلك المنزلة .

وفي الحديث يظهر التعاضد الأسريّ والتكاتف والتّوادّ ، وتظهر الصّلة المحمديّة بأسرته المباركة التي اكتملت حلقتها بأن استأذن جبرئيل ربّ العالمين ؛ كي يكون مردفًا لهم عليهم السلام بالكساء ، ويحتل المرتبة السّادسة في الوفود على ذلك الشّرف .

هذا الاستئذان أبان انّه لم يكن جبرئيل على عظمته بأفضل من النَّبيّ وعترته .

لقد تمازجت اللحمة حتى بينت أنّ مصير النَّبيّ وأهله كالشيء الواحد ، فالدم واحد واللحم واحد ، والإيذاء لأحدهم يعني الإيذاء للآخر ؛ لتبلور العبارة (إِنَّهُم مِنّي وَأَنا مِنهُم)، وهذا المقطع النصي الأخير يذكرنا بالنص (حسين مني وأنا من حسين) ، وحرف الجر (من) في (إِنَّهُم مِنّي وَأَنا مِنهُم) لا يخلو من احد المعاني :

١ـ البعضية : فهم بعض النَّبيّ والنَّبيّ بعضهم ؛ وذلك أنّهم عليهم السلام جميعًا خلقوا من نورٍ واحد.

٢ ـ السببية : فبقاؤهم سبب بقائه، وبقاؤه سبب بقائهم ، فهم من حمل راية الإسلام من بعده عليه السلام .

٣ ـ التبيينية : فهو من جنسهم وهم من جنسه .

و رُبّما لا نستطيع أنْ نحدد المعنى الأوحد ، فتلاحمهم هو الذي جعل القواعد النّحوية تركع في ساحتهم ويغدو حرف الجر (من) متشظي الدلالات مع أنّ الجميع يحتمل المعنى .

و في الحديث يلحظ أفعال: (يُؤلِمُهُم ... يُحزِنُهُم ... حارَبَهُم ... عاداهُم) تبين تصاعد إيذاء العترة، فألم ثم يتبعه (حزنهم) على ذلك الألم ، ثم يتعرضون لحرب ثم إلى عداء ظاهر. كان النَّبيّ يعلم بما سيؤول له شأن العترة، وكان هذا مدعاة لأنْ يزوِّد الأمّة بموروث نبويّ منه صلى الله عليه وآله يبيِّن فيه فضل أسرته ، ولم يكن هذا التَّهديد إلا لمصلحة الأمّة ، فحرص النَّبيّ على أمّته جعله يوجههم ويحذرهم من الوقوع في الخطأ ، ولا شك أنّ المحبّ لقوم إذا علم بسوء مرتقب حذّرَ ونبّهَ وعلّمَ ووجّهَ . فكان إرشاده الخالد : ﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي القربى ﴾ (**سورة الشورى : ٢٣**) كان توجيه النَّبيّ للحفاظ على عترته لأمور كثيرة ، وواحد منها هو الحرص على الأمة ، تلك الأمة التي ستفقد الطريق عندما تذهب الى الطليق معاوية وتترك سيد شباب اهل الجنة الأول .

ومع أنّ الإمام الحسن وكذا الامام الحسين كانا صغيرين إلا أنّهما استحقا أنْ يسمعا وسامًا عظيمًا ، وهو أنهّما سببٌ أكيدٌ لخلق الأرض والسّماء ، فهم عليهم السلام قد بلغوا التكامل في تحقيق الرسالة الإسلاميّة في الأرض ، فالله أراد للإنسان أنْ يحيى بحرّيّة إيمانيّة ، وقال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (**سورة الذاريات : ٥٦**) ، ولم يوجد من حقّق هذا المقصد الرّبانيّ كما حقّقوه هم ، ومن هنا كانوا هم السّبب

لوجودنا ، إذ بعبادتهم الحقيقية كانت هذه الدّنيا : ((**إِنّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنيَّةً ولا أَرضًا مَدحِيَّةً وَلا قَمَرًا مُنِيرًا وَلا شَمسًا مُضِيئَةً ولا فَلَكًا يَدُورُ ولا بَحرًا يَجري وَلا فُلكًا يَسري إلاّ لأجلِكُم وَمَحَبَّتِكُم**)) .

ويظهر في الحديث أن كل داخلٍ بمن في ذلك الإمام الحسن كان يستشعر وجود النّبيّ ، وما ذلك إلا للصّلة الحميمة والوثيقة بين النَّبيّ وأهل بيته .

لقد كشف لنا حديث الكساء عن القيم التّربويّة الحسنيّة العُظمى من فطنة وأدب وحسن تعامل ومودّة للأسرة وطيب أصل ورفعة وعلو مكانة .... .

ـ الحنكة والذّكاء عند الامام الحسن عليه السلام في مرحلة الطفولة

ظهرت بوادر الحنكة والذّكاء على الإمام الحسن عليه السلام، وهو في الصّغر وذلك بسبب ما امتاز به من مقومات وراثيّة واستعدادات خلقيّة ، كان من بينها تنامي العلم لديه عليه السلام، ولا شك أنّ من جعل العلم الصّحيح مطيّته نال مراده ، وقد وردَ في الحديث الوارد عن ابن عمر ما يبيِّنُ شموخ الإمام الحسن مع أخيه الحسين عليهما السلام في كسب العلم ، فقد روي عن ((**جَدُّهُمَا رَسُولُ اللهَّ** صلى الله عليه وآله، **إِنَّمَا كَانَا يَغُرَّانِ الْعِلْمَ غَرًّا**))[٢٧] . فمع امتيازاتهما جاء امتيازهما في كسب المناقب العُليا فتلاقفا العلم وتعاهداه وكان يغرّانه غرّا ، والغرّ : ((**يُقَالُ: غَرَّ الطَّائر فَرْخَه إذَا زَقَّه**))[٢٨]، فابن عمر يبيّن للسّائل أنّ الحسنينِ يفوقان غيرهما بالعلم ، وقد أهّلهم هذا لأنْ يأتوا بما يفوق الآخرين .

يذكر بعض الرواة : ((**أنّ الحسن ابن علي عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه ، فلما دخل عليّ عليه السلام وجد عندها علما فيسألها عن ذلك فقالت ، من ولدك الحسن، فتخفّى يومًا في الدار وقد دخل الحسن ، وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه اليها فارتجّ عليه ، فعجبت أمه من ذلك فقال : لا تعجبين يا أماه فانّ كبيرًا يسمعني واستماعه قد أوقفني ، فخرج عليّ فقبله**))(٢٩) .

وواضح ما لهذه الرواية من بيان شرف الفكر الناصح لهذا السبط العظيم .

ومن هذا الباب الدال على عَظَمةِ الحكمة الحسنية ما روي أنّ ((**الحسن والحُسَين عليهما السلام مرّا على شيخٍ يتوضّأ ولا يُحسِنُ ، فأخَذا في التّنازع ، يقول كلّ واحدٍ منهما : أنتَ لا تُحسنُ الوضوء ، فقالا: أيّها الشيخ كنْ حكمًا بينَنا ، يتوضّأ كلُّ واحدٍ منّا ، فتوضآ ثم قالا أيّنا أحسن ؟**

قال كلاكما تحسنان الوضوء ، ولكن هذا الشّيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن ، وقد تعلّمَ الآن منكما ، وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمّة جدكما))(٣٠) .

وهذا هو التعليم غير المباشر ، وكان استغلاله بمقطع تمثيليّ احترامًا إلى ذلك الشّيخ الذي كان كبيرًا ، فنصحه من قبل الصّغير رُبّما يجرح كرامته وتركه من دون نصح يعني جعله يمكثُ في وحلِ الجهلِ ، لكن ما قام به الإمامان كان قمة في النصح الجميل الذي يُقنِع ولا يشين بالمنصوح.

انّنا بمثل هذا المنهج نحقّقُ التّنمية البشريّة فعلًا ، بلا شحناء . انّه الحرص على خدمة الأمّة من دون تركها على عاهنها .

وما أحلى عبارة الشّيخ : ((**وتابَ على يديكما ببركتِكُما وشفَقَتكما على أمّةِ جدِّكما**)) ، فلم يقل ذلك إلّا بعد أنِ التمس بهما البركة والشَّفقة على خدمة الأمّة الإسلاميّة، أقول: اذا كان الامام الحسن بمعية أخيه الحسين بهذا الشعور الرائع من اللطف بالآخر ، فهل يمكن أن نصدق أنه كان مطلاقًا للنساء عندما كبر الى درجة انه طلق ما يقارب ثلاث مئة امرأة(٣١) ، ومعلوم ما للطلاق من مساوئ نفسية تشيع في المجتمع . وإذا كان الامام بهذه الدقة من الذكاء التي جسدت ضبطه للوضوء مع اخيه منذ الصغر فكيف عندها نصدق أنّ أمير المؤمنين مرّ به ، وهو يتوضّأ ليطلب منه أنْ يحسن في اسباغ الوضوء؟ وجرى بينهما جدال يكشف عن ضغينة!(٣٢).

وقد كان امير المؤمنين عليه السلام يوجه الأنظار الى ابنه في حياته ، **فقد ((سأل اعرابي أبا بكر فقال : إنّي أصبت بيضَ نعامٍ فشويتهُ وأكلتُهُ وأنا محرمٌ فما يجبُ عليّ ؟ فقال له : يا أعرابيُّ أشكلتَ عليَّ في قضيتِك ، فدلّه على عمر ، ودلّه عمر على عبدالرحمن ، فلما عجزوا قالوا : عليك بالأصلع ، فقال أمير المؤمنين : سل أي الغلامين شئت ، فقال الحسن : يا أعرابي ألك إبل ؟ قال : نعم ، قال :فاعمدْ إلى عدد ما أكلت من البيض نوقًا فاضربهنَّ بالفحول فما فضل منها فاهدهِ إلى بيت الله العتيق الذي حججت اليه ، فقال أمير المؤمنين : إنّ من النّوق السّلوب ومنها ما يزلق ، فقال : إنْ يكن من النّوق السّلوب وما يزلق فانّ من البيضِ ما يمرقُ ، قال فسمعَ صوتٌ : معاشرَ الناسِ إنّ الذي فهّم هذا الغلام هو الذي فهّمها سليمانَ بن داود))**[٣٣] .

الذي يقرأ هذه الرواية يجد أنّ الإمام الحسن عليه السلام ممن أوتي الحكم صبيًّا ، وعلى الرغم من صغره فقد شابه نبي الله سليمان[٣٤] في فهم المسائل فضلًا عن ان هذه الرواية تدلّ على أنّ اهل البيت وإنْ لم يتسنّموا مناصب الحكم وتأخّروا عنها إلا أنّهم لم يتجنبوا التّوجيه والإرشاد وتعليم النّاس لأمور دينهم السّليمة .

المبحث الثّاني : الحوادث المختلقة المحيطة بالولادة والنّشأة

وُلِد الامام الحسن في شهر رمضان في منتصفه فكان له كواسطة العقد ، التي تزين هذا الشهر الفضيل ، وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة[٣٥] ، وقد سعى اعداؤه لأنْ يغيروا بالحوادث التاريخية بدءًا من ولادته ، لينالوا منه ويحققوا أهواءهم ، وهو ما سنراه في الآتي :

اختلاق روايات في التّسمية

لقد سعى المغرضون بشتّى الوسائل للانتقاص من أهل البيت ، ومن ذلك اصطناع روايات في التسمية الإمامية ، فعمدوا إلى أنْ يثبتوا أنّ الإمام عليّ أراد أنْ يسمّي ابنه الامام الحسن المجتبى بـ (حرب) ، يذكر الطبرانيّ : **((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيُّ، ثنا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، ثنا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هَانِي بْنِ هَانِي، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام جَاءَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله ، فَقَالَ: «أَرُونِي ابْنِي مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟» قُلْتُ: سَمَّيْتُهُ حَرْبًا. قَالَ: «بَلْ هُوَ حَسَنٌ» . فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَين بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام جَاءَ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ،**

فَقُلْتُ: سَمَّيْتُهُ حَرْبًا. فَقَالَ: «بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ» . فَلَمَّا وَلَدَتِ الثَّالِثَ جَاءَ، فقالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَقُلْتُ: سَمَّيْتُهُ حَرْبًا. فَقَالَ: «بَلْ هُوَ مُحسنٌ» . ثُمَّ قَالَ: «سَمَّيْتُهُمْ بِوَلَدِ هَارُونَ شَبَرَ وَشُبَيْرَ وَمُشَبِّرَ»))[٣٦] .

وهذه الرِّوَايَة واهية جدًّا بدءًا من راويها الذي هو هانئ بن هانئ ، فهو غير معروف حتى قال عنه الشافعي: لا يعرف[٣٧] وأهل العلم لا ينسبون حديثه لجهالة حاله[٣٨] ، وإذا سلمنا بأنّه يحتمل أن يكون موثوقًا ، فالرِّوَايَة مردودة أيضا للأسباب :

١ ــ لم نسمع أنّ الإمام عليًّا يفعل شيئًا يخالف ما أراده الرَّسُول ، وهل يعقل أنّ النَّبيّ ينهى الوَصِيّ من التّسمية بـ(حرب) فينتهي ، ثم يعود الوَصِيّ لتسمية ابنه الثاني بـ (حرب) مرّة ثانية فينتهي ، ثمَّ ينهاه النَّبيّ ، فيعود إلى التّسمية مرة ثالثة . هل يعقل ذلك ؟ هل يفعلها إنسان اعتياديّ ؟

إذا كان المؤمن لا يُنصَح في قضيّةٍ مرّتين ، فكيف سوّغت للرّاوي نفسه أنْ يجعلَ أمير المؤمنين بلا منازع ينصح في قضية ثلاث مرّات ؟ كيف جاز ذلك ؟

كيف تُصوِّرُ هذهِ الرِّوَايَة الإمام عليّ عليه السلام وهو قابعٌ في لوحةٍ حربية حاشاه منها جعلته متشبثا بلفظة (حرب) ، فالإمام علي تلميذ النَّبيّ الأروع الذي لا يخسر في الاختبار أبدًا ، فكيف تجعله الرِّوَايَة يقع حتى في الاختبارات الثّلاثة . فلو كان أيّ شخص واعٍ ، وقد منعه إنسان عظيم من تسمية معيّنة فإنّه سيعرض عنها اهتداءً بذلك الشَّخص ، فكيف يكونُ الأمرُ لو كان ذلك الإنسانُ العظيم وهو النَّبيّ المصطفى ، وكان ذلك الشّخص هو أمير المؤمنين ؟!

لم يكن أمير المؤمنين ليسبق النَّبيّ المصطفى في فعل طرفةَ عين ، ويذكر أن النبيّ سأله **((أي شيء سميت ابني ؟ قال : ما كنت لأسبقك بذلك ، فقال : ولا أنا أسابق ربي))**[٣٩] .

٢ ــ لم يولد المُحسن إلا بعد وفاة النَّبيّ ؟! فكيف صوّرته الرِّوَايَة بأنّه كان مولودًا في حياة النَّبيّ ؟

٣ ــ عرف عن الإمام عليّ بملازمته للنبيّ وامتثاله لأوامره ، فهل يعقل انّه لم يسمع منه قوله: **((عَنْ أَبِي وَهْبٍ الْجُشَمِيِّ، وَكَانَتْ صُحْبَةٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ، أَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ**[٤٠] .

أيسمعه أبو وهب الجشميّ ولم يسمعه ابن عم الرَّسُول؟! بل أخوه وزوج ابنته ! أما كان يقول له الرَّسُول الحديث المذكور بمجرد أنْ سمِعه يسمّي أحد أبنائه بـ (حرب) ألم يكن مبثّ أسرار النَّبيّ حتى رويَ عن ((**عبيد الله بن عائشة قال: حدثني أبي قال : كان عليّ بن أبي طالب مبثّة رسولِ الله ﷺ وموضع أسراره))**[٤١] .

٤ ـ أنّ تسمية الحَسَن والحُسَين كانتْ معهودةً للأسرة المحمّديّة قبل مجيء الحسنين للدّنيا ، فـ((**عن سليمان بن مهران قال حدثنا جابر عن مجاهد قال حدثنا عبد الله بن عباس قال حدثنا رسولُ الله قالَ لما عرج بي إلى السّماء رأيتُ على باب الجنّة مكتوبًا لا إلهَ إلا الله محمد رسول الله عليّ ولي الله والحسن والحُسَين سبطا رسول الله وفاطمة الزهراء صفوة الله، وعلى ناكرهم وباغضهم لعنة الله تعالى**))[٤٢]، ولم يكن الحسنان قد ولدا بعد ، فالمعراج كان قبل الهجرة بسنة تقريبًا[٤٣] .

يخيّل لي أنّ بني أمية تدخّلوا في صنع الرّواية السّالفة بدليل اختيار مسمّى (حرب) وهو اسم جدّهم ، وكأنّهم يريدون أنْ يعطوا لذلك المسمّى شيئًا من الثقل ؛ فقد جعلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب متشبثا به كثيرًا .

وهناك رواية تذكر أنّه سمى أمير المؤمنين الحسنين بحمزة وجعفر ، فمنعه من ذلك الرَّسُول، وسمّاهما بالحسن والحُسَين ؛ ينقلُ أنه ((**سَمَّى ابْنَهُ الْأَكْبَرَ حَمْزَةَ، وَسَمَّى حُسَيْنًا جَعْفَرًا بِاسْمِ عَمِّهِ، فَسَمَّاهُمَا رَسُولُ الله ﷺ حَسَنًا وَحُسَيْنًا**))[٤٤] ، وهذه الرِّوَايَة غريبة وغير مقبولة ، فلم يُعهد عن الوَصِيّ أنّه خالَفَ النَّبيّ مرّة واحدة أو سبقه إلى شيء . إذ كان يستنير به ، ويسترشد بهديه ، ثمَّ انّ المعهود أنّ تسمية الحسنين باسميهما كانتْ تقعُ حينَ ولادتهما وإنْ كانت معهودة من قبل مثلما ذكر في رواية العرش السالفة ، أي إنّ التّسمية لم تتأخر مثلما تذكر الرِّوَايَة الثانية، وكأن الحسن بقيَ مدّةً من الزّمن بمسمى غير (الحسن) ، وغُيِّر هذا الاسم الى حين ولادة الحُسَين، فعندما ولد الحسين تم التغيير . ألا يكفي رد مثل هذا بأنّه قد ثبت فيما سبق تعهّد مسمّى الحسنين قبل مجيئهما بقدرة الله .

تعليق على مسمى الحسن عليه السلام

هذا الاسم مباركاً انما كان لأنّ صاحبه مما سيترجم عنه الحسن بكل ملكاته وتفاصيله ، وإذا قسناه الى اسم اخيه (الحُسَين) فـ(الحسن) هو تكبير له ، وكأنّ المقصد أنّ الحُسَين نسخة لأخيه الأكبر ، وتصغيره من باب احترام الأخ الأكبر ، ولو كان العكس (حسين ثم حسن) لكان أمرًا غير مقبول وفي غير مَحَلِّه .

على أنّ تسمية أبناء الزّهراء كانت تدور في نطاق الحُسْنِ جميعًا على النّحو من تسمية الابن الثالث بمُحسن بل حتى العقيلة زينب ، إذ شاركت أخوتها في أنْ تكون مسمّاةً بأمر من الله على النّحو ممّا قرّره المحقق الشيخ جعفر النقدي[٤٥] ، و(زينب) في اللغة هي شجر حسن المنظر طيب الرائحة[٤٦] ، وهذا ينبئ بالحُسن الذي سيصدر منهم جميعًا في حياتهم ، ذلك الحسن المطلق الذي أسهمَ بشكلٍ رئيسٍ في حفظ بيضة الإسلام ، فلا ريبَ أنْ يكونوا جميعًا حَسنينَ اسمًا ومسمّى ؛ لأن اللهَ يسمي الشيء بما يستحقّه .

اختلاق روايات في مراسيم الولادة

انّ القيام بمراسيم للمولود أمرٌ قديم العهد، ولكن المراسيم النبويّة للوليد المبارك الحسن اتسمت بطابع الرُّوحيَّة التي جمعت فرحة أهل السماء قبل فرح أهل الأرض .

لكن العجيب أنّ الانتحال الأمويّ لم يصرف نظره عنها ـ فراح يبثّ فيها ما يضعضع منها، فيرسم القضية وكأنّ أهل البيت محلّ خطأ وتخاذل ، يفعلون فعلًا فيرفضه النّبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله ، فممّا يذكر ((**عَنْ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ أَرَادَتْ أَنْ تَعُقَّ عَنْهُ بِكَبْشٍ عَظِيمٍ، فَأَتَتْ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله ، فَقَالَ: «لَا تَعُقِّي عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَلَكِنِ احْلِقِي شَعْرَ رَأْسِهِ، ثُمَّ تَصَدَّقِي بِوَزْنِهِ مِنَ الْوَرِقِ فِي سَبِيلِ الله جل جلاله عَلَى الْأَوْفَاضِ» ثُمَّ وَلَدَتِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَصَنَعَتْ بِهِ كَذَلِكَ**))[٤٧] .

فهنا نجد النَّبيّ ينهى الزّهراء التي ـ على فرض الرِّوَايَة ـ كونها اجتهدت وهنا تصنُّعٌ يعقبه اضطراب ، فالرِّوَايَة تذكر منع النَّبيّ لذبح كبش من دون ذكر مسوغ مقبول ، ولو كان ثمّة سبب لأبانه النَّبيّ ، فهل إقامة الولائم مرفوضة ، ونحن نقرأ في التّاريخ

إقامة الولائم عند ولادة مولود ؟! ألم يعق النبي عن ابنه ابراهيم[٤٨] الم ينقل عن النَّبيّ : ((**مَعَ الغُلَامِ عَقِيقَةٌ، فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا، وَأَمِيطُوا عَنْهُ الأَذَى**))[٤٩] ، بل ذكر لنا التاريخ أن الرَّسُول ﷺ : ((**عق عن الحسن والحُسَين**))[٥٠] ، وروي : ((**عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ عقّ عن الحسن كبشًا وعن الحُسَين كبشًا**))[٥١] .

أينهى الرَّسُول عن شيء ويقوم بفعله هو ؟! أينهى الرَّسُول عن شيء فيه مصلحة للناس خصوصًا أنّه في ذلك الوقت كان كثير من النَّاس بهم حاجة الى لقمة الطعام بسبب الفقر والعازة ؟ وهم الذين جاء التعبير عنهم في النص السابق بالأوفاض ، ((**ثُمَّ تَصَدَّقِي بِوَزْنِهِ مِنَ الْوَرِقِ فِي سَبِيلِ الله** جل جلاله **عَلَى الْأَوْفَاضِ**)) ، والأوفاض تعني : الفقراء من النّاس المعدمين جدا[٥٢] ، ولا شكّ أنّ مثل هؤلاء يحتاجون إلى ملء بطونهم لسدِّ الجوع ، وعليه تكون حاجتهم إلى الطعام ملحة ، حتى لو أعطيتهم أموالًا فهم سيصرفونها في هذا المجال بلا شكّ .

ومرة أخرى نجده ﷺ ينهى الزهراء عليها السلام كونها قد بادرت إلى قطع سرة وليدها عليه السلام، ويبين أنّه خطأ ، وهذه الرِّوَايَة كان قد رواها أبو هريرة ؛ فعن بعضهم ((**قال كُنْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَرَأَى الحُسَين بْنَ عَلِيٍّ** عليهما السلام ، **فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، لَقَدْ رَأَيْتُكَ عَلَى يَدَيْ رَسُولِ الله** ﷺ **قَدْ خَضَّبْتَهَا دَمًا حِينَ أَتَى بِكَ حِينَ وُلِدْتَ، فَسَرَّرَكَ وَلَفَّكَ فِي خِرْقَةٍ، وَلَقَدْ تَفَلَ فِي فِيكَ، وَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَقَدْ كَانَتْ فَاطِمَةُ** عليها السلام **سَبَقَتْهُ بِقَطْعِ سُرَّةِ الحُسَنِ** عليه السلام**، فَقَالَ: «لَا تَسْبِقِينِي بِهَا»**))[٥٣]، ومع أنّه لا يوجد انسجام بين بداية الحديث وآخره ؛ إنّ في أوله الحديث موجه إلى الإمام الحسين وآخره يتحول إلى الإمام الحسن ، حتى إذا صرفنا النظر عن انعدام الانسجام هذا فان النص مردود أيضًا ، فلم يدخل أبو هريرة إلى المدينة ولم ير الرَّسُول إلا بعد خيبر أي بعد السنة السابعة للهجرة[٥٤] ، اي لم يحضر ولادة الحسن ولا الحُسَين عليهما السلام .

اختلاق روايات تمس بالعترة بصورة عامّة

لو عدنا إلى الموضوعين السابقين خيّل إلينا أن الرواة قسموا الأخطاء ، فجعلوا أخطاء التّسمية الحسينيّة خاصة بأمير المؤمنين وأخطاء مراسيم الولادة خاصة بالزهراء (روحي لهم الفداء) .

وهذه الرّوايات بالحقيقة لم تقلل من شأن الزّهراء أو زوج الزّهراء ، بل قللت حتى من الإمام الحسن وأخيه الحسين عليهما السلام فجعلتهما مولودين تقع الخلافات من أجلهما بسبب أخطاء أجريت في ولادتهما ، وكأنّهما ليسا من تلك العائلة المنسجمة القادرة على منحهما المنزلة العظيمة، وقللت أيضًا من شأن النبي صلى الله عليه وآله ، فجعلته غير مسموع الكلام من قبل أهل بيته أو أنّ رأيه فيهم غير مهمّ .

ومن الأخطاء التي أرادوا إلصاقها بالعترة بصورة عامة ما نجده في الرواية ، وهي ((**أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ أَتَى أَبَا هُرَيْرَةَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: مَا وَجَدْتُ عَلَيْكَ فِي شَيْءٍ مُنْذُ اصْطَحَبْنَا إِلَّا فِي حُبِّكَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ. قَالَ: فَتَحَفَّزَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ لَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله صَوْتَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَهُمَا يَبْكِيَانِ وَهُمَا مَعَ أُمِّهِمَا، فَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَتَاهُمَا، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهَا: «مَا شَأْنُ ابْنَيَّ؟» فَقَالَتِ: الْعَطَشُ. قَالَ: فَأَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلَى شَنَّةٍ يَبْتَغِي فِيهَا مَاءً، وَكَانَ الْمَاءُ يَوْمَئِذٍ أَغْدَارًا، وَالنَّاسُ يُرِيدُونَ الْمَاءَ، فَنَادَى:: «هَلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَهُ مَاءٌ؟» فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا أَخْلَفَ بِيَدِهِ إِلَى كُلَّابِهِ يَبْتَغِي الْمَاءَ فِي شَنَّةٍ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطْرَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «نَاوِلِينِي أَحَدَهُمَا» فَنَاوَلَتْهُ إِيَّاهُ مِنْ تَحْتِ الْخِدْرِ، فَرَأَيْتُ بَيَاضَ ذِرَاعَيْهَا حِينَ نَاوَلَتْهُ، فَأَخَذَهُ فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَطْغُو مَا يَسْكُتُ، فَأَدْلَعَ لَهُ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يَمُصُّهُ حَتَّى هَدَأَ أَوْ سَكَنَ، فَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ بُكَاءً، وَالْآخَرُ يَبْكِي كَمَا هُوَ مَا يَسْكُتُ، فَقَالَ: «نَاوِلِينِي الْآخَرَ» ، فَنَاوَلَتْهُ إِيَّاهُ فَفَعَلَ بِهِ كَذَلِكَ، فَسَكَتَا فَمَا أَسْمَعُ لَهُمَا صَوْتًا**))(٥٥) .

كم يحار القلم ؟ ماذا يكتب ؟ وماذا يعلل ؟ أيصدق مصدقٌ أنّ الزّهراء سيدة نساء العالمين المحتشمة العفيفة تفقد حياءها بهذه الصّورة التي قالها أبو هريرة : ((**فَرَأَيْتُ بَيَاضَ ذِرَاعَيْهَا حِينَ نَاوَلَتْهُ**)) ؟

ونجد أيضا رواية تصوّر الزّجر النّبوي لحفيده ؛ لأنه لم يحسن التّصرف ، فعن ((**الْحُسَين ثنا الْحَسَنُ الزَّعْفَرَانِيُّ، ثنا عَفَّانُ، ثنا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: ثنا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْمِقْدَامِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيِّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَنَا نَائِمٌ فِي الْمَنَامَةِ، «فَاسْتَسْقَى الْحَسَنَ أَوِ الْحُسَين قَالَ: فَقَامَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله إِلَى حَلُوبَةٍ لَنَا، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَحَفَلَ، فَحَلَبَهَا، فَوَثَبَ الْآخَرُ، فَجَعَلَ**

النَّبيّ ﷺ يَكْفُهُ »،**فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهُ أَحَبُّهُمَا إِلَيْكَ قَالَ:** «**لَا وَلَكِنَّهُ اسْتَسْقَى قَبْلَهُ**»،**ثُمَّ قَالَ:** «**إِنِّي وَإِيَّاكِ وَهَذَيْنِ وَهَذَا الرَّاقِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ**»)[٥٦].وهذه الرواية مما يذكره أيضًا صاحب مجمع الزّوائد، ويبيّنُ أن في سلسلة رواته: ((**كَثِيرُ بْنُ يَحْيَى، وَهُوَ ضَعِيفٌ**)).[٥٧]

العجيب أنّ الرِّوَايَة تجعل النَّبيّ يقوم بالحلب للوَليدينِ ! فأين أبواهما ؟ أيستخدمان النَّبيّ وهما اللذان عُرفا بخدمة الرَّسُول وإطاعته . ثم انّ الطريف بالرِّوَايَة ان الراوي هو الإمام علي، لكن الرِّوَايَة تذكر انه كان نائما ؟! ومنذ متى يتكفل الرواية من كان نائمًا ؟! قد يقول بعض انّه كان راقدًا أو متناومًا، وهذا لا يعني انّه نائم .

والجواب أمن الأدب أنْ يرقد أو يتناوم في ظل حضور النَّبيّ ؟

لو تركنا هذا فسنصطدم بـ : هل من الصحيح أن يختصم الحسنان على شربة لبن وهما اللذان عرفنا فضلهما في سابق البحث ؟

هل يعقل أن يقوم النَّبيّ بتوبيخ أحدهما ويمنعه من السقي لأجل تربيته ؟! وهو الذي كان يحبهما حبا جما ؟ أما كان عليه أن يسامح ويلاين ؟

ولعل هذه الرواية دخلها فيما بعد شيء من التطوير، إذ تروى بصورة أخرى مُغايرة لما ذكر، فتجعل الحسنين هما النائمينِ مستبدلة الحلوبة بقربة والرواية عن بعضهم : ((**حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي فَاخِتَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ** عليه السلام : **زَارَنَا رَسُولُ اللهِ** ﷺ **فَبَاتَ عِنْدَنَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ نَائِمَانِ فَاسْتَسْقَى الْحَسَنُ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **إِلَى قِرْبَةٍ لَنَا فَجَعَلَ يَعْصِرُهَا فِي الْقَدَحِ ثُمَّ يَسْقِيهِ فَتَنَاوَلَهُ الْحُسَيْنُ لِيَشْرَبَ فَمَنَعَهُ وَبَدَأَ بِالْحَسَنِ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهُ أَحَبُّهُمَا إِلَيْكَ فَقَالَ:** «**لَا وَلَكِنَّهُ اسْتَسْقَى أَوَّلَ مَرَّةٍ**» ، **ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**إِنِّي وَإِيَّاكِ وَهَذَيْنِ - وَأَحْسَبُهُ قَالَ - وَهَذَا الرَّاقِدُ - يَعْنِي عَلِيًّا - يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ**»))[٥٨] .

أقول: كم تفنن ذلك المنتحل من أجل الانتقاص من أهل الرسالة ؟ فهل من الصّحيح التصديق بهكذا أقوال تخالف ما ورد منهم عليهم السلام من فضائل ؟ بل ان هذه الرِّوَايَة ليست انتقاصًا للحسين فقط بل للجميع (حاشاهم من ذلك) ، ففيها أمير المؤمنين وسيدة النساء يكتفيان بملاحظة خدمة النَّبيّ لابنيهما وهما جالسان لا يحركان ساكنا ، ولا أجد علاقة بين أوّل النص وآخره ؟! فهو منقطع

الانسجام تمامًا ، فبدايته زجر للإمام الحسين ونهايته تثبت انهم عليهم السلام كلهم في الجنة ، اقول ما الذي جعل الجزء الثاني من النص او نهاية النّصّ مبتنيًا على الجزء الأول منه أو بدايته ؟

اختلاق روايات تمس بنشأة الإمام الحسن وأخيه الإمام الحسين عليهما السلام

استمر الوضع الروائي على أهل البيت ومن الرِّوَايَات التي تنتقص الإمام الحسن وأخاه الحسين عليهما السلام تلك التي تعزو السبب إليهما في تأخر نزول الوحي وتعطل تواصله مع النَّبيّ برهة من الزمن ، ففي سورة الضحى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (آية: ٣) ، فسّر صاحب البحر المحيط أنّ سبب إبطاء الوحي ؛ أنّ جروًا للحسن والحُسَين عليهما السلام كان في بيت النَّبيّ عليه الصلاة والسَّلام ، فقال جبريل : ((**أمَا علمتَ أنّا لا ندخلُ بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةٌ**))[٥٩]، وقد أجادت بنت الشاطئ حين ردت على هذه الرواية : ((**ولا أدري كيف فاتهم أنّ الحسن والحُسَين عليهما السلام وُلدا بعد الهجرة بثلاث سنوات أو أربع وسورة الضّحى من أوائل الوحي نزلت بمكة قبل الهجرة بسنين والذي يعطيه ظاهر النَّصّ أن فتور الوحي ظاهرة طبيعية شأنها شأن سجو الليل بعد إشراق الضحى وهذا يغنينا عن تقديم أسباب والتماس علل للإبطاء في الوحي لم يتعلق القرآن بذكرها**))[٦٠]، إنّ هذا التناقض الذي ردت عليه بنت الشاطئ وتسربه في كتب تخدم القرآن لدليل على أنّ الأقلام المأجورة وجدت سبيلها آنذاك لتمزق بشأن الأمة الإسلاميّة ، وهذا يدفعنا لأنْ نقرأَ التاريخ لا على أنّه مقدس ، بل نضعه في عدسة التحقيق مثلما فعلت تلك الأستاذة الجليلة ، التي لم يوقفها المذهب فنطقت بالحق ، وعسى أن يحتذي ممن هم على الطرف الآخر ، فالحقّ فوق الانتماء .

اعتراض على روايات تثبت كرم الامام الحسن وأخيه الحسين عليهما السلام

ان البداية العظيمة هي إشارةٌ كافيةٌ إلى أنّ الامام المجتبى وأخاه الحسين هما بذرة إسلاميّة قادمة في خدمةِ ذوي الحاجة ، والتراث يؤيد ذلك على النحو من الرواية التي تذكر أنه قد ((**مرض الحسن والحُسَين فعادَهما جدّهما محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أبو بكر وعمر ... ، وعادَهما عامّة العرب فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرْتَ على ولديك نذرًا ، وكلُّ نذرٍ لا يكون له وفاء فليسَ بشيءٍ .**

فقال عليّ عليه السلام : إنْ برأ ولداي ممّا بهما صمْتُ ثلاثةَ أيّام شُكرًا، وقالتْ فاطمة عليها السلام : إنْ

برأَ ولداي ممّا بهما صِمْتُ لله ثلاثة أيّام شُكرًا ما لبسَ الغلامان العافية، وليس عند آل محمّد قليل ولا كثير، فانطلقَ عليّ عليه السلام إلى شمعون بن جابا الخيبريّ، وكان يهوديًّا فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير، وفي حديث المُزنيّ عن ابن مهران الباهليّ، فانطلقَ إلى جارٍ له من اليهود يعالج الصّوف يُقال له: شمعون بن جابا، فقال: هل لك أنْ تعطيني جزّة من الصّوف تغزلها لك بنت محمد صلى الله عليه وآله بثلاثة أصوع من الشّعير قال: نعم، فأعطاهُ فجاءَ بالسّوق والشّعير، فأخبرَ فاطمة بذلك فقبلت وأطاعت قالوا: فقامت فاطمة عليها السلام إلى صاع فطحنته واختبزت منه خمسةَ أقراص لكل واحد منهم قرصًا، وصلى عليّ مع النّبيّ صلى الله عليه وآله المغرب، ثم أتى المنزل فوضعَ الطّعام بين يديه ؛ إذ أتاهم مسكين فوقفَ بالباب فقال: السّلام عليكم أهلَ بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم من موائد الجنّة، فسمعه عليّ عليه السلام))[٦١] .

وهنا ما ظنّك بأهل الرّسالة فاعلين ؟ أيحجمون وهم الكرم نفسه والجود والسّخاء ؟ لقد نهض أمير المؤمنين وأعطى حصّته ، وتتابع الآخرون عليهم السلام حتّى الصّبيّانِ الحَسنان بادرا من دون إحجام ولم يمنعهما أبوهما أو أمّهما ، فهما كانا مُخيرينِ ومميزينِ يعرفان ما يفعلان وكانَ أبواهما حاثّين لهما على الخير إلى أقصى ما يمكن أنْ يكون . ويظهر ذلك في تتمّة الرِّوَايَة مع كرم آخر من نوع مثاليّ يستحيل نظيره : ((**فأعطوه الطّعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئًا إلّا الماء القراح فلمّا كان اليوم الثّاني قامت فاطمة إلى صاع فطحنته فاختبزته وصلّى عليّ مع النّبيّ صلى الله عليه وآله، ثم أتى المنزل فوضع الطّعام بين يديه ، فأتاهم يتيم فوقف بالباب ، فقال : السّلام عليكم أهل بيت محمد، يتيم من أولاد المهاجرين، ... أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنّة ... ، فأعطوه الطّعام ومكثوا يومينِ وليلتين لم يذوقوا شيئًا إلّا الماء القراح، فلمّا كان في اليوم الثّالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الصّاع الباقي فطحنته واختبزته وصلّى عليّ مع النّبيّ صلى الله عليه وآله، ثم أتى المنزل فوضع الطّعام بين يديه ؛ إذ أتاهم أسير ، فوقف بالباب ، فقال : السّلام عليكم أهل بيت محمّد، تأسرونا [وتشدوننا] ولا تطعمونا، أطعموني فإنّي أسيرُ محمد أطعمكم الله على موائد الجنّة، ... فأعطوهُ الطّعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئًا إلّا الماء القراح فلمّا أنْ كان في اليوم الرّابع ، وقد قضوا نذرهم أخذ عليّ عليه السلام بيده اليمنى الحسن وبيده اليُسرى الحُسَين،**

وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع ، فلمّا نظر به النَّبيّ صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها النَّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «وا غوثاه بالله، أهل بيت محمد يموتون جوعًا» فهبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد خُذها، هنّأك الله في أهل بيتك قال: «وما أخذنا يا جبرائيل» ، فأقرأه ﴿ هَلْ أَتى عَلَى الإنسان إلى قوله ... وَلا شُكُورًا ﴾ إلى آخر السورة ... فوثب النَّبيّ عليه السلام حتى دخل على فاطمة، فلما رأى ما بهم انكبَّ عليهم يبكي، ثم قال: أنتم من منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم، فهبط جبرائيل عليه السلام بهذه الآيات ﴿ إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرًا ﴾ قال: هي عين في دار النَّبيّ صلى الله عليه وآله تفجّر إلى دور الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين. ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ يعني عليًّا وفاطمة والحسن والحُسَين وجاريتهم فضّة ، ﴿ وَيَخافُونَ يَوْمًا كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ ﴾ يقول على شهوتهم للطعام، وإيثارهم مسكينًا من مساكين المسلمين ويتيمًا من يتامى المسلمين، وأسيرًا من أسارى المشركين))(٦٢) .

إنّ وصف أهل البيت بحقيقتهم يفوق العُقول ، فالحقيقة أغربُ من الخيال ووصفهم بما هم فيه يربو على المبالغة ؛ ومن هنا نجدُ المُشكّكين يُنكرون الرِّوَايَات التي تدلّ على فضلهم عليهم السلام، بل ترمي راويها بالغلو والرّفض . يقول الترمذي ردًّا على الرِّوَايَة السّالفة معتمدًا الاجتهاد في مقابل نصّ تكررَ ذكره في أمّهات الكتب ، ورأى أن ما نسب للإمام الحسن من اشتراكه بذلك الكرم ومعه أخوه الحسين لم يكن ، ولا يمكنه أنْ يكون ، فيقول : ((**هَذَا حَدِيث مُزوق وَقد تطرّف فِيهِ صَاحبه حَتَّى يشبِّه على المُستمعين ، وَالْجَاهِل يعَضّ على شَفَتَيْه تلهُّفا أَلا يكون بِهَذِهِ الصّفة وَلَا يدْرِي أَن صَاحب هَذَا الْفِعْل مَذْمُوم قَالَ الله تَعَالَى فِي تَنْزِيله الْكَرِيم :** ﴿ ويسألونك مَاذَا يُنْفقُونَ قل الْعَفو ﴾ **، وَهُوَ الْفضل الَّذِي يفضل عَن نَفسك وَعِيَالك ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله «خير الصَّدَقَة مَا كَانَ عَن ظهر غنى وابدأ بِنَفْسِك ثمَّ بِمن تعول « ، وافترض الله تَعَالَى على الْأَزْوَاج النَّفَقَة لأهاليهم وَأَوْلَادهمْ ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله «كفى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَن يضيع من يقوت» ، أ فيحسب عَاقل أَن عليًا عليه السلام جهل هَذَا الْأَمر حَتَّى أجهد صبيانًا صغَارًا من أَبنَاء خمس أَو سِتّ على جوع ثَلَاثَة أَيَّام ولياليها حَتَّى**

تضرروا من الجُوع وَغَارَتْ الْعُيُون فيهم لخلاء أَجْوَافهم حَتَّى أبكى رَسُول الله ﷺ مَا بهم من الْجهد هَب أَنه آثر على نَفسه هَذَا السَّائِل فَهَل كَانَ يجوز لَهُ أَن يحمل على أطفاله جوع ثَلَاثَة أَيَّام بلياليهن مَا يروج هَذَا إِلَّا على حمقى جهال أَبى الله لقلوب منتبهة أَن تظن بعلي عليه السلام مثل هَذَا))[٦٣] .

أقول ليس ببعيد أنْ يُنكر ذلك ، فقد عوّدونا على ردّ ما جاء في فضل أهل البيت ، ويتطاول بردّه : ((**فَهَل كَانَ يجوز لَهُ أَنْ يحملَ على أطفاله جوعَ ثَلَاثَة أَيَّام بلياليهن مَا يروِّجُ هَذَا إِلَّا على حمقى جهّال أَبى الله لقُلوبٍ مُنتبهة أَنْ تظن بعليّ عليه السلام مثل هَذَا**))، والعجيب أنّ كل الذين استشكلوا على هذه الرواية تبجحوا برد الترمذيّ وكأنّه قرآنهم الذي لا يأتيه الباطل .

لكن ما الضّير في أنْ تتمثّل الإنسانيّة المُثلى الفائقة عند طائفة من خلق الله ؟! هل الجوع في سبيل الله كبير عليهم؟ وهل صغارُ بيت النّبوة محرومون من الاختبار الإلهيّ ؟ ألم يقرأ قصّة نبيّ الله إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام ، فقد تركه وهو رضيعٌ بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ مع أمّ وحيدة مدّة من الزّمن ؟ هل هذا عملٌ مُنكرٌ ؟ ما رأي التّرمذيّ بنبيّ الله إبراهيم يومَ عرَّضَ ابنه إسماعيل إلى الذّبح ؟! وعليه أنْ لا ينسى أنّ هذا كانَ بأمر من الله تعالى .

ثم انّه لنا حقّ أنْ نتساءل إذا لم تكنْ سورة الإنسان في أهل البيت على سبيل الافتراض ، فبمن نزلت وتحديدًا الآيات المذكورة ؟!

سيقولون : إنّها نزلت بفلان كي يُضيِّعوا على السّامع ، فذكر الثّعلبيّ أنها نزلت برجل من الأنصار وزوجته ولم يصرِّحْ باسمه ، والمعروف ذكر المسمّى صراحة ؛ فلنسمعه يقول ((**ان مسكينًا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أطعمني فقال: «والذي نفسي بيده ما عندي ما أطعمك ولكن اطلب» ، فأتى رجلًا من الأنصار ، وهو يتعشّى وامرأته فقال له: إني أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت له: أطعمني فقال: ما عندي ما أطعمك ولكن اطلب، فقال:الأنصاري لامرأته: ما ترينَ؟ فقالت: أطعمْهُ واسْقِهِ ، ثم أتى رسول الله ﷺ يتيمٌ ، فقال : يا رسول الله أطعمني ، فقال: «ما عندي ما أطعمك ولكن اطْلب» فأتى اليتيم الأنصاريّ الّذي أتاه المسكين، فقال له: أطعمْني فقال لامرأته: ما ترين؟ قالت: أطعمْهُ، فأطعمه، ثم أتى رسول الله ﷺ أسيرٌ فقال: يا رسولَ الله أطعمْني، فقال: «واللهِ ما معي ما أُطعمُكَ ولكن اطلبْ» ، فأتى الأسير**

الأنصاريّ فقال له: أطعمني، فقال: لامرأته ما ترين ؟ فقالتْ: أطعمْهُ، وكان هذا كلّه في ساعة واحدة، فأنْزلَ الله سبحانه فيما صنع الأنصاريّ من إطعامه المسكين واليتيم والأسير **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا))**(٦٤)، وإذا سلمْنا بذلك وصرفْنا النّظر عن فعل النّبيّ؛ إذ لا يعقل أنّه يترك السّائل من دون أنْ يقضي حاجته أو في الأقلّ يقوم هو بتهيئة من يُسهّل أمره ولا يقول له اذهبْ واطلبْ، مقولة من لا يهمّه الأمر؟! أو كأنّه ليس نبيّ زمانهِ ؟!

إذا سلمنا بما رووا نصطدم أنّنا في القصّة نجد أنصاريًّا وامرأته فقط ، فهما مثنى وفي قصّة أهل البيت نجد جماعة مؤلّفة من خمسة أشخاص (أمير المؤمنين والزّهراء والحَسنين «عليهم السلام» جميعًا) وفضة ، والقرآن يحكي عن جماعة بدليل الضّمير العائد . وهذا يرجّح أنّها في أهل البيت ، قد يقول لي بعض يمكن التّعبير عن المثنى بجمع . نقول نعم يمكن ذلك ، ولكن الأولى والأكثر والأشهر والمستعمل التعبير عن الجمع بجمع .

وإذا عدْنا إلى النَّصّ القُرآنيّ وعرضناه على القصّتين وجدناه أقرب إلى الأسرة العلويّة ؛ ففيها كما في النَّصّ القرآني (إيفاء بالنذر) ، وقصّة الأنصاريّ تخلو من ذلك . وفي قصة الانصاريّ نجد الإنفاق كان بساعة واحدة أمّا في قصّة أهل البيت فقد استمرّ الأمر ثلاثة أيّام بلياليها، فيكون الاختبار مع الأسرة العلويّة أقوى واشدّ ويناسبه ذلك المديح القرآنيّ ونزول نصّ مبارك ، أما مع الأنصاريّ فهو وإنْ كان جيدًا إلّا أنّه اعتياديّ ليس فيه ما يميّزه .

أمّا القرطبي فيذكر : ((**أن يَتِيمًا كَانَ يَحْضُرُ طَعَامَ ابْنَ عُمَرَ، فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ بِطَعَامِهِ، وَطَلَبَ الْيَتِيمَ فَلَمْ يَجِدْهُ، وجاءه بعد ما فَرَغَ ابْنُ عُمَرَ مِنْ طَعَامِهِ فَلَمْ يَجِدِ الطَّعَامَ، فَدَعَا لَهُ بِسَوِيقٍ وَعَسَلٍ، فَقَالَ: دُونَكَ هَذَا، فَوَاللهِ مَا غُبِنْتَ**))(٦٥)، ومن كلامه يُفهم أنّ ابن عمر كان صاحب خوان ومأدبة كبرى يحضرها النّاس ويستطيبون اليها ، ولكن لا أدري كيف نسِيَ ذلك الرّاوي المنتحِل أنّه ولد قبل الهجرة بعشر سنين(٦٦) ، فيكون في حين نزول هذه السورة شابًّا صغيرًا على أكبر تقدير ، ورُبّما لم يبلغ الحلم أو شارف عليه ، زد على ذلك أنّه لا يتّفق مع مراد السّورة، فلا تتفق معه من جهة القيام بالإطعام فهو واحد والسُّورة تتحدّث عن جماعة ، ولا من جهة المطعوم ، فالمطعوم عنده يتيم فقط ، وفي السورة يتيم ومسكين وأسير .

ثم غيَّر القرطبيّ وجهة نظره وجعلها عامّة شاملة كل من قام بالإنفاق ، متجاهلًا أنّ النَّصّ يُوحي بجماعة فعلت هذا الفعل الحسن فاستحقت الثناء ؛ فيتجاهل ويقول : ((**وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي جَمِيعِ الْأَبْرَارِ، وَمَنْ فَعَلَ فِعْلًا حَسَنًا، فَهِي عَامَّةٌ. وَقَدْ ذَكَرَ النَّقَّاشُ وَالثَّعْلَبِيُّ وَالْقُشَيْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي قِصَّةِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَجَارِيَتِهِمَا حَدِيثًا لَا يَصِحُّ وَلَا يَثْبُتُ**))[٦٧] ، أقولُ لماذا لا يصحّ ؟ فلنسلم أنّهم من ضمن (جميع الأبرار) الذين ذكرهم ، ولكنه بعد أنْ ذكر القصّة بتمامها عاد فاستشهد بما قاله الترمذيّ : ((**هَذَا حَدِيث مُزَوق وَقد تطرّفَ فِيهِ صَاحبه حَتَّى يشبّه على المستمعين وَالْجَاهِل يعَض على شَفَتَيْه تلهفًا أَلا يكون بِهَذِهِ الصّفة وَلَا يدْرِي أَن صَاحب هَذَا الْفِعْل مَذْمُوم ...**)) إلى آخر النَّصّ ... ، حتى غدا الترمذي قدوتهم في نقض سخاء الحسنين في مرحلة الطُّفُولة .

وللجواب على هذا يجب أنْ نعرف أنّ الحسن والحُسَين مع صغرهما إلا أنّهما انمازا عن غيرهما بالعبودية المطلقة لله حتى صدق اجتباؤهما ، ومن كان بهذا القدر من المنزلة أمكنه أنْ يفعل فعل الكِبار وأكثر من ذلك ، أمّا ما ذكروه من أحاديث تقلل من كرم الإنسان الفقير أو تمنعه من التصدق ، فهذا ليس دائمًا .

إنّ النّظرة التّرمذيّة لأمير المؤمنين عليه السلام بمنظار البشر الاعتياديّين هي الّتي جعلتْهُ يستنكر القصّة ويهجّنها ، ولو أنّه سمِعَ من أمير المؤمنين : ((**أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِه بِقُرْصَيْهِ أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُوني بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد**))[٦٨] ، لو تبصر ذلك ولا سيّما (**لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ،**) لأدرك أنّ عليّا على النّاس عليٌّ ، وأسرته كذلك .

وهناك أمر يلحظه القارئ في كتب التّاريخ أنّه يجد الرِّوَايَات المادحة لعترة الرَّسُول في أغلب الأحيان تغدو محلّ خلاف وتشكيك وتغدو سندانًا لمطرقة النّقد ، وليت شعري هل كان التّرمذيّ يجرؤ على تفنيد الرِّوَايَة السّالفة لو كانت في غير الأسرة العلويّة ؟

الخاتمة (النتائج والمقترحات)

النتائج

١ـ إنَّ الإمام الحسن في مرحلة الطُّفُولة كان رجلًا متكاملًا ، وكان واعدًا في كل خير ، فكان جوادًا وعالمًا وحكيمًا وراويًا ومجاهدًا ومهذبًا وكان قرة عين الرَّسُول وصاحب منزلة رفيعة وكرامة باذخة . هذه الصفات لا يمكنها ان تظهر على وليد وتتكامل فيه إلا إذا كان ممن اصطفاهم الله تعالى ، فكانت هذه المرحلة تعزز من أنه إمام برٌّ قادمٌ لإصلاح أمة جده ؛ لذا علينا قراءة تلك المرحلة بوعي وثبات مستلهمين دروسها في تصحيح العثرات التي يمر بها البلد والأمة والعالم أجمع .

٢ –انّ من يقرأ الطُّفُولة الحَسنيَّة يجدها معجزة البشرية ، يكفي أنه تخلل إلى الثناء القرآني وهو ما يزال صبيا . يذكرنا هو وأخوه الحسين في ذلك بنبيي الله عيسى ويحيى عليهما السلام جميعًا . حتى كان أحد المُبتهل بهم أمام أسقف نجران ، وكان أحد أركان نزول سورة الإنسان في حادثة جسدتها كتب المخالف والمؤالف .

٣ ــ كشف البحث عن ضرورة قراءة التاريخ بلحاظ الظروف المحيطة وعدم التصديق بكل ما جاء فيه الا بعد التأكد ولا سيما في الروايات المغرضة التي تمس أهل البيت بعد أن أوضح البحث تدخل بني أمية في تغيير مسار عجلة التاريخ وملاحقة اصحاب الحق الذين يكنون الولاء لأهل البيت عليهم السلام .

٤ ــ أبانَ البحث أنّ احاديث النبي في ابنيه الامامين : الحسن والحسين عليهما السلام ، لم تكن أحاديث لإثبات الفضائل فحسب بل كانت عبارة عن رسائل للأمة لكي يتمسكوا بهما من بعده وينتهجوا نهجهما ولا يحيدوا عنهما أبدًا .

٥ –لقد تتوجت المرحلة الاولى للامام الحسن وأخيه الحسين بأكاليل المحبة النبوية والثناء المحمدي ، الى درجة اعجبت الجميع ، وكان هذا قد جاء في عصر يمتاز بالصلابة والقسوة حتى أنّ بعضهم أنكر على النبي كل هذا الحب محتجًّا بأنه يمتلك عشرة ابناء ما قبّل في يوم ما أحدًا منهم ، فكان الردّ النبويّ بأنّ هذا ليس من الرّحمة التي جاء بها النبيّ للعالمين،

لقد كان النبي بوساطة حفيديه المباركين يريد أنْ ينشر الرحمة والمودة والمحبّة ويعلم النّاس أنّ هذين الحبيبين هما موطن حبه وهما ريحانتاه لما في هذا النّبات من طيب رائحة عند الخلائق ، وهذان الصّبيان كذلك سيكونان طيبي الفعل وجميلي الخليقة .

٦-لم يكتف الأمويون بسمِّ الإمام الحسن ، بل أرادوا قتله في قلوب المسلمين فشجعوا خلسة على بثِّ السُّمِّ في المؤلفات التي ستصل الأجيال وتابعهم العباسيون في ذلك، ولقد اتفق الأمويون مع العباسيين بالهدف وهو محاربة أهل البيت ورأينا كيف أنّ المتوكل رام جلد احد الرواة بألف سوط بسبب روايته حديثًا واحدًا في فضل الحسنين ؟!

لكن مرض الحق بسبب الأوضاع لا يعني موته ، فالحق خالدٌ مهما كانت الأحوال ومهما تكالبت قوى الباطل ، فالروايات الكاذبة التي بثوها تسقط عند النقد ولا سيما إذا احتكمنا إلى العقل أو النقل، فهما يرفضانها ويرفضها الزمن وترفضها سلسلة السند ويرفضها كل شيء فيها. فالاضطراب والازدواج سمة هذه الروايات الكاذبة ، وهذا يجعلها هزيلة أمام النقد .

٧ ـ أعرب البحث عن الحرب العقائدية التي قامت بها أسرة النبي بمن فيهم الامام الحسن عليه السلام كانت ايذانا بأن هذه الاسرة عليها المدار فهي قطب رحى الاسلام ، فكانوا هم أهل التصدي ، وقد اتضح ذلك للقسيسين النصارى الذين جاؤوا للمباهلة فهابوا الأسرة المحمدية وانسحبوا مقابل دفع الجزية ، ليكون هذا المجد مجدًا لا يمكن أنْ ينسى ، وأحد أبطاله إمامنا السبط الأكبر . بل إن اشراكه بهكذا ملحمة مصيرية ليؤكد انه هو واخوه كانا مكلفين وان لم يبلغا ؛ لأنّ المباهلة لا تكون إلا على المكلفين ، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ الطفولة لهما لم تكن صفة لهما وانما كانت مرحلة .

٨ -كشف البحث عن الخلق النبيل للحسنين عليهما السلام منذ الصغر في ارشاد الناس من دون الخدش بمشاعرهم، من نحو حادثة التوضؤ أمام الشيخ الذي لم يكن يحسن الوضوء، وقد أفاد البحث من هذا أنّه من المستحيل أنْ يكون الامام الحسن من جرّاء ذلك ممن سيسرف في الطلاق او انه سيكون ممن لا يحسنون الوضوء في حادثة جرى فيها بينه وبين ابيه نوع من الضغينة في الجدال .

٩-ظهرت الحكمة على يد الامام الحسن في كثير من افعاله فكان يجيب عن الاسئلة عندما تحين له الفرصة في وقت يعجز عن الاجابة الصحابة الاوائل ، وكان امير المؤمنين يوجه الانظار الى ابنه الاكبر لتستنير الناس بهديه بعد رحيل أمير المؤمنين(عليه وعلى أبنائه أفضل التحية والسلام) .

١٠-ابان البحث عن وضع طائفة من الروايات التي لا تتناسب مع مقام اهل البيت فمرة نجد رواية تبين تعجل امير المؤمنين الى تسمية ابنه الامام الحسن بـ (حرب) لكنه يجد الرفض من قبل النبي ، ويتكرر هذا المسمى برغبة امير المؤمنين بتسمية ابنه الحسين بهذا الاسم ويجيء الرد من النبي بالرفض ثم هكذا مع المحسن ، وكأن اسم (حرب) أفضل الاسماء لدى خاتم الاوصياء أو أنه اسمه الاوحد ... ، وقد ابان البحث ضعف هذه الرواية وانتحالها مثلما ابان ضعف غيرها ، وهذا يترجم أنّ الاقلام الاموية لم تكل من وضع الروايات التي تحاول النيل من المقام الطاهر لأهل البيت عليهم السلام .

١١-كشف البحث عن ان العامل المشترك بين ابناء الزهراء (الحسن الحسين المحسن) هو الحسن بل انه حتى العقيلة (زينب) كذلك ، فزينب هي شجر حسن المنظر طيب الرائحة ، وهذا حسن ايضا .

١٢-كشف البحث عن أن اختلاق الروايات على الاسرة المباركة لم يتوقف ، فمرة نجد ابا هريرة يأتينا برواية موضوعة يتحدث فيها عن الحسنين في بدايتها لكن يلجأ ليمس بالزهراء عليها السلام وكأنه يمزج الخل بالعسل او السم بالعسل ليحصل على الجائزة التي تأتيه طرية بمثل هكذا انتحالات على أنّ ابا هريرة لم يكن موجودا في حقبة ولادة الحسنين اذ لم يكن دخل الإسلام بعد . على ان هذه الاختلاقات على الرغم من كثرتها الا انها واهية ، والجميل ان تجدها مردودة في كتابات ابناء العامة على النحو من رد بنت الشاطئ على المفسرين الذين نسبوا تأخر الوحي عن النبي إلى أنه كان بسبب وجود جرو للحسنين لتقرر بنت الشاطئ ان سورة الضحى هي بالأصل كانت قبل الهجرة والحسنان ولدا سنة ثلاثة واربعة للهجرة، وهذا يكشف عن وجود خطأ المفسرين القدامى ، وهذا يعني ان

الحقيقة العلمية فوق الانتماء .على العكس مما نجده من تدخل بعض العلماء المغرضين لانقاص ما يمكن انقاصه من الفضل الاماميّ مثلما نجده في حاثة اطعام اليتيم والمسكين والاسير، وقد بين البحث وهن رأي الترمذي الذي ادعى امرا اكبر منه دون ان يفيد من الحقائق القرانية او القضايا التاريخية .

المقترحات

١-نقترح وبشدة تضمين المناهج الأكاديمية لما جاء من مرحلة الطّفولة للإمام الحسن ، فهذا العالم كان مفعمًا بالفائدة المُثمرة ، ولا شكّ أنّ فيه ما يُسعِف المجتمع لتصحيح المسار ، وفيه ما يمكنه أنْ يكون مادة مُغذية للمناهج الدراسيّة ، وقد ((**سُئِل أحد السّياسيّين رأيه في مستقبل الأمّة ، فقال : ضعوا أمامي مناهجها أُنبِّئكم بمُستقبلها**))(٦٩)، وقد قلّبتُ مناهج المدارس الابتدائيّة والمتوسّطة في بلد عشاق الامام الحسن عليه السلام؛ فوجدتها تكاد تنعدم انعداما تامًّا ، وإذا ذكِرت فإنما تذكر على خجل واستحياء . فمن باب الشّكر لمن يستحقّ الشُّكر يتحتّم علينا بثّ السّجايا الحسنيَّة وتوسيع دائرة البثّ ، فقد تعاظَمَ أعداء الإسلام وتكالبوا عليه ؛ لذا عاد نشر تعاليمه الحُقّة أنّما هو خير تيّار لصدِّ أعدائهِ(٧٠) ، فالنّهار لا يدعُ للخفافيش طبلًا يُقرَع .

٢-اقترح توسيع مجال الإفادة من هذه المرحلة (الطفولة) بنشر بوسترات عنها وإقامة معارض للرسوم تخصها ، وعرضها على الصغار والكبار ، ويمكن توسيع مجال الإفادة بإقامة دورات للصغار عن هذه المرحلة ، فهي بمنزلة لقاح من أمراض المجتمع المتكالبة على هذا العصر . وهذه الدورات هي دورات تأهيلية تستطيع انتشال طبقة الصبيان من الرذائل وتمنحهم القدرة على خدمة المجتمع .

٣ـ اقترح إقامة مؤتمرات وندوات لتهذيب الموروث ، فبقاؤه يعني بقاء التراث مضطربًا قلقًا، وربما يوقع كثيرًا من الأجيال القادمة ، وقد يعكس صورة سوداء للإسلام للوافدين عليه من خارج الإسلام ، وقد سمعْنا بالفلم المسيء إلى النّبيّ وانتقدنا ذلك ، لكن هذا لم يأتِ من فراغ ، ففي الموروث من الروايات الكاذبة ما كان قاعدة لذلك الفلم المسيء وأمثاله من تصريحات وتداعيات .

٤ ـ اقترح الكتابة في طائفة من الموضوعات التي أراها مهمّة على النّحو من :

ــ القيم الأخلاقيّة في حديث الكساء .

ــ النبي محمد والتأسيس للمستقبل .

ــ الروايات التاريخية الضعيفة وأثرها في الفكر المعاصر .

ــ لغة القرآن والسنة النبوية في التعبير عن الإمامين الحسنين (عليهما السلام)

ـ اهتمام النبي بأمته من طريق التوصية بعترته

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبي وآله الطاهرين .

الهوامش

١-ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) ، أسد الغابة : ٤٩٨ ، **وهذا الأمر من تضييق بني أميّة كثيرًا على الرّواة الشيعة التفت** إليه المعتزلة أيضًا فقد أعرب ابن أبي حديد عن ذلك في كتابه : شرح نهج البلاغة : ٤ / ٧٣.

٢-الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات : ٢١٩.

٣-أبو بكر أحمد بن علي البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٥ / ٣٨٩ .

٤- محمد باقر السيستاني ، منهج البحث والتحري في شأن الامام المهدي : ٥٥ ..

٥-المصدر نفسه : ٥٥ .

٦-محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني ، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : ١١٥، وينظر: السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١/ ١٤٧ .

٧- الآجري ، الشريعة: ٥ / ٢١٣٨ .

٨- المصدر نفسه : ٥ / ٢١٤٥ .

٩- جاء في (محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني ، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ١٠ ـ ١١) ((ما بلغ أحد من الشّرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن كان يبسط له على باب داره ، فإذا خرج وجلس انقطع الطّريق ، فما مر أحد من خلق الله إجلالا له ، فاذا علم قام ودخل بيته فمر الناس ، ولقد رأيته في طريق مكة ماشيًا فما من خلق الله أحدٌ رآه إلا نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي)) .

١٠- الشيخ الصدوق، علل الشرائع : ١/٢٠٨ .

١١- عبد الملك بن محمد النيسابوري الخركوشي ، شرف المصطفى : ٥/ ٢٩٤ .

١٢-زكي الدين المنذري ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : ٣/ ١٤٢ .

١٣-عباس محجوب ، بيئات التربية الإسلامية : ١٠٥ .

١٤-كذا والصواب : منهج وسلوكٌ .

١٥-علي علي صبح ، أدب الطُّفُولة بين القرآن الكريم والسنة الشريفة : ٥ .

١٦- الشيخ المفيد ، الإرشاد : ٢٨٩ ، وابن شهر آشوب المازندراني ، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣١ .

١٧- الشيخ الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن : ٩ / ٥٠١ .

١٨- الرازي ، مفاتيح الغيب : ١٧ / ٥٠٨ .

١٩-ينقل الامام ((الصادق عليه السلام ان الحسن بن علي عليه السلام حجّ خمسة وعشرين حجة ماشيا وقاسم الله تعالى ماله مرتين . وفي خبر : قاسَمَ ربه ثلاث مرات وحجّ عشرين حجة على قدميه . ابونعيم في حلية الاولياء ... قال الحسن : اني لأستحيي من ربى ان القاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه . وفي كتابه بالإسناد عن شهاب بن عامر : ان الحسن بن علي قاسم الله تعالى ماله مرتين ... ، وروى عبدالله بن عمر عن ابن عباس ، قال : لما اصيب معاوية قال : ما آسي على شيء إلا على أن احج ماشيا ، ولقد حج الحسن بن علي خمسًا وعشرين حجة ماشيا وإنّ النجايب لتقاد معه وقد قاسم الله ماله مرتين حتى ان كان ليعطي النعل ويمسك النعل ويعطى الخف ويمسك الخف)) ، ابن شهر آشوب المازندراني ، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ١٧ ـ ١٨ .

٢٠- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ١٠٤ .

٢١-الايجي، جامع البيان في تفسير القرآن : ١ / ٢٥٥ .

٢٢- دروزة محمد عزت ، التفسير الحديث : ١ / ٢٣٨ .

٢٣-دروزة محمد عزت ، التفسير الحديث : ٧ / ١٦٠ .

٢٤-أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار ، بصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٥٢ .

٢٥-الشيخ عبدالله البحراني الاصفهانّي ، عوالم العلوم ومستدركاته : ١١ / ٩٣٠ ــ ٩٣٤ .

٢٦-الشيخ عبدالله البحراني الاصفهانّي ، عوالم العلوم ومستدركاته : ١١ / ٩٣٤ .

٢٧-ابن أبي الدنيا ، القناعة والتعفف : ٢٧ ، وينظر : ابن ابي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد : ٣ / ١٠٠ .

٢٨-ابن الأثير الجزري (ت٦٠٦ هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣ / ٣٥٧ .

٢٩-ابن شهر آشوب المازندراني ، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ١١ .

٣٠-المجلسي ، بحار الأنوار : ٣٤ / ٣١٩ .

٣١-**حتى قيل انه** ((تزوج مائتين وخمسين امرأة ، وقيل ثلاثمائة ، وكان علي يضجر من ذلك فكان يقول في خطبته : ان الحسن مطلاق فلا تنكحوه)) **(ابن شهر آشوب المازندراني ، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٣٤) هب انه تزوج هذا القدر من النساء وقام بتطليقهن ، فأين أبناؤه ؟ أما كان يقتضي ان يكون العدد بالمئات علماً انه بالصفحة نفسها من المصدر نفسه (ابن شهر آشوب المازندراني ، مناقب آل أبي طالب) ذكر المؤلف أن** ((أولاده ثلاثة عشر ذكرا وابنة واحدة)) **، والعجيب بالرواية انها تجعل أمير المؤمنين يستنجد بالناس بأن لا يزوجوه بدلا من أن يتوجه بنفسه لابنه وينصحه وكأن ابنه خارج عن السيطرة .**

٣٢- والرواية : ((**عَنْ أَبِي جَزِيٍّ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: رَأَى عَلِّي الْحَسَنَ عليهما السلام يَتَوَضَّأُ فَقَالَ لَهُ: أَسْبِغ الْوُضُوءَ، فَقَالَ الْحَسَنُ: لَقَدْ قَتَلْتُمْ رَجُلا كَانَ يُسْبِغُ الْوُضُوءَ لِكُلِّ صَلاةٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَقَدْ طَالَ حُزْنُكَ عَلَى عُثْمَانَ**)) **، البلاذريّ ، جمل من أنساب الأشراف : ٥/ ٥٧٣.**

٣٣-ابن شهر آشوب المازندراني ، مناقب آل ابي طالب : ٤ / ١٣ ـ ١٤.

٣٤- يمكن أنْ تكون هناك دراسة بعنوان (أوجه الشبه بين الامام الحسن والانبياء) ، ففي مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ، نجده مرة يقترن شبهه بالنبي عيسى بإتيانه الحكم صبيا ، ومرة يقترن بالنبي يوسف بعفته وطهارته عندما تعرض عليه تلك المرأة نفسها ، ومرة نجده يقترن شبهه بجده المصطفى في اكثر من موضع من هذا الكتاب .

٣٥- ينظر : ابن شهر آشوب المازندراني، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٣٣ .

٣٦- الطبراني ، المعجم الكبير: ٣ / ٩٦ .

٣٧-ابن حجر العسقلانّي ، تهذيب التهذيب : ١١ / ٢٣ .

٣٨-المصدر نفسه : ١١ / ٢٣ .

٣٩-محب الدين الطبري، ذخائر العقبى : ١٢٠ .

٤٠- احمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل: ٣١ / ٣٧٧ ، وينظر: عباس محجوب، التربية الإسلامية ومراحل النمو: ١١٦ .

٤١-ابن شهر آشوب المازندراني ، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : ١٠٨ .
٤٢- أبو الفضل شاذان ، الفضائل : ٨٣ .
٤٣- ينظر ، الشعراويّ، الاسراء والمعراج : ٨ .
٤٤- الطبراني ، المعجم الكبير : ٣ / ٩٨ .
٤٥- ينظر : جعفر النقدي ، حياة السيدة زينب عليها السلام : ٢١ .
٤٦- ينظر : ابن منظور ، لسان العرب : ١ / ٤٥٣ .
٤٧-الطبراني ، المعجم الكبير : ١/ ٣١١ .
٤٨- ينظر : محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى : ١٥٣ .
٤٩-محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري : ٧ / ٨٤ .
٥٠-النسائي ، السنن الكبرى : ٤ / ٣٧٠ .
٥١- الطبراني ، المعجم الكبير : ١ / ٣١١ .
٥٢- ينظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٧ / ٢٥١ .
٥٣- الطبراني ، المعجم الكبير : ٣ / ٩٥ .
٥٤- ينظر : . محمد عجاج خطيب ، أبو هريرة راوية الإسلام : ٧٠ ، ١٠٥.
٥٥- الطبراني ، المعجم الكبير : ٣/ ٥٠ ، وتكرر الأمر مثله في : أبو بكر الهيثميّ ، مجمع الزوائد : ٩ / ١٨٠ .
٥٦-المحاملي ، أمالي المحاملي : ٢٠٥ ، وينظر : أحمد بن حنبل ، مسند أحمد : ٢ / ١٧٧ .
٥٧- ابو بكر الهيثميّ ، مجمع الزوائد : ٩ / ١٧١ .
٥٨- ابو داود الطيالسي ، مسند ابي داود : ١ / ١٥٦ . .
٥٩-أبو حيان الاندلسي ، البحر المحيط : ٣ / ١٧٨ .
٦٠-بنت الشاطئ ، التفسير البياني : ١ / ٣٦ .
٦١- الثعلبيّ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١٠ / ٩٩ .
٦٢-المصدر نفسه: ١٠ / ١٠١ .
٦٣-الترمذي ، نوادر الأصول في أحاديث الرَّسُول صلى الله عليه وآله : ١ / ٢٤٥.
٦٤-الثعلبي ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١٠ / ٩٨ .
٦٥-القرطبيّ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ١٢٨ .
٦٦- ينظر : الشعراوي ، الإسراء والمعراج : ٨ .-
٦٧-القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ١٣٠ .
٦٨- الشريف الرضي [الجامع] ، نهج البلاغة : ٤١٧ .
٦٩-عبد العليم إبراهيم ، الموجه الفني : ٣٥ ، ولكننا الآن إذا راجعنا مناهجنا وجدنا عجب العجاب ، ففي الخامس الابتدائي الآن تدرّس الإسرائيليات على النحو من قصة العملاق (عنق) والنّبيّ نوح عليه السلام .
٧٠- فقد ((كتبوا مئات الكتب ضد الإسلام ... ولا زالوا يظهرون الأمر كذلك على أن الإسلام قد انتهى

وأفكاره أصبحت قديمة)) [علي القائمي ، الإسلام لماذا : ٣٩٢] ، وينظر : عبد الكريم صار ، الأمة الإسلامية آلام وآمال (بحث منشور): ٥٧٠ ، ويمكن التأمل في النشيد الطلياني في التحريض على قتال المسلمين ومحو القرآن ، وقد ذكره الأمير شكيب أرسلان في كتابه ـ لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم ـ : ٥٧ ـ ٥٨ ، ومنه ((يا أماه ... ألا تعلمين أن إيطالية تدعوني ، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحًا مسرورًا لأبذل دمي في سحقِ هذه الأمة الملعونة ، ولأحارب الديانة الإسلاميّة التي تجبر البنات الأبكار للسلطان ، سأقاتلُ بكلِّ قوةٍ لمحوِ القرآنِ ... وإن لم أرجع فلا تبكي على ولدكِ ... ، وإن سألكِ أحدٌ عن عدمِ حدادكِ عليّ فأجيبيهِ إنّهُ مات في محاربةِ الإسلام)) ، **فإذا كانت هذه نظرتهم إلينا ، فينبغي نشر علومنا الحقّة** تأليفًا وترجمة فضلًا عن إشاعة النّهج السّماوي في طبائعنا كي ندحض ادعاءاتهم ونبرهن على الحقّ .

المصادر والمراجع

*الكتب المطبوعة

***الآجري** ، أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي (ت٣٦٠هـ) ، **الشريعة** ، تح : د.عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض ـ السعودية، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

*إبراهيم ، عبد العليم ، **الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية**، دار المعارف، القاهرة ـ مصر ، ط٧، (د . ت).

***ابن أبي الدنيا** ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي المعروف (ت ٢٨١هـ) **القناعة والتعفف** ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

*ابن الأثير الجزري ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ) ، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، ، تح : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

*ابن المغازلي، علي بن محمد الواسطي المالكي(ت ٤٨٣هـ) ، **مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** عليه السلام ، تح : أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي ، دار الآثار - صنعاء ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

*ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تح : شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

*ابن شهر آشوب المازندراني ، أبو جعفر محمد بن علي ، **مناقب آل أبي طالب**، دار الاضواء ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ،١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

*ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، **لسان العرب** ، دار صادر ـ بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ .

*أرسلان ، شكيب ، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم** ، (د.ط) ، (د.ت).

*الأسدي ، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي المكي (ت ٢٥٦هـ) ، **الأخبار الموفقيات** ، تح: سامي مكي العاني ، عالم الكتب - بيروت ، ط٢ ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

*الاصفهانيّ ، الشيخ عبدالله البحراني ، **عوالم العلوم و المعارف و الأحوال من الآيات و الأخبار و الأقوال**، تحقيق ونشر : مؤسسة الامام المهديّ ، قم المقدسة ، ط٣ ، ١٤١٥هـ .

*الأندلسيّ ن أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت٧٤٥هـ) ، **البحر المحيط في التفسير** ، تح : صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

*الإِيجي ، محمد بن عبد الرحمن الشافعيّ (ت ٩٠٥هـ) ، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

*البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله** صلى الله عليه وآله **وسننه وأيامه المعروف بـ(صحيح البخاري)**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة،ط١، ١٤٢٢هـ.

*البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، **تاريخ بغداد** ، تح: د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

*البَلَاذُري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ) ، **جمل من أنساب الأشراف**، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر - بيروت ، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

*بنت الشاطئ ، عائشة بنت عبدالرحمن ، **التفسير البياني للقرآن الكريم** ، طبعة دار المعارف، ط٥ ، ١٩٧٧م.

*الترمذي ، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم (المتوفى نحو ٣٢٠هـ) **نوادر الأصول في أحاديث الرَّسُول** ﷺ ، تح : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت ، (د.ت) .

* الثعلبي ، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** ، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير السّاعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .

*الجزري ، عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ) ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تح : علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م .

*الشريف الرضيّ (ت٤٠٦هـ) [الجامع]، **نهج البلاغة**، تح : صبحي الصالح ، مركز البحوث الإسلامية ، قم، ١٣٩٥هـ .

*الخركوشي ، عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٧هـ) ، **شرف المصطفى** ، دار البشائر الإسلامية – مكة ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ .

*خطيب ، د. محمد عجاج ، **أبو هريرة راوية الإسلام**، مكتبة وهبة ، ط٣ ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ .

*الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر الرّازي الملقب بفخر الدين (ت ٦٠٦هـ) ، **مفاتيح الغيب المعروف بـ (التّفسير الكبير)** ، دار إحياء التّراث العربيّ ـــ بيروت، ط٣ ، ١٤٢٠هـ

*السيستانيّ ، السيد محمد باقر ، **منهج البحث والتحري في شأن الامام المهدي** ، ط١ ، ١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م .

*السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) ، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، دار الفكر – بيروت .

*شاذان القمي ، أبو الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل (ت ٦٦٠ هـ) **الفضائل** ، المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٨١هـ .

*الشعراويّ ، الشيخ محمد متولي ، **الإسراء والمعراج**، دار الجيل ـــ بيروت ، مكتبة التراث الإسلاميّ – القاهرة ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م .

*صبح ، علي علي ، **أدب الطُّفُولة بين القرآن الكريم والسنة الشريفة** ، (د.ط) ، (د. ت) .

*الصفار ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٢٩٠هـ)، **بصائر الدرجات** ، تح : الحاج ميزا حسن كوجه باغي ، منشورات الاعلمي ، طهران ، ١٤٠٤هـ .

*الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الشامي (ت ٣٦٠هـ) ،**المعجم الكبير** ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط٢ ، (د.ت) .

*الطبري ، محب الدين أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ) **ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى**، مكتبة القدسي، القاهرة ، عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية ، ١٣٥٦ هـ .

*الطوسي ، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) ، **التبيان في تفسير القرآن** ، تح : أحمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث .

*الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصرى (ت ٢٠٤هـ) ، **مسند أبي داود الطيالسي** ، تح: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر – مصر ، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

*عزت ، دروزة محمد، **التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]** ، دار إحياء الكتب العربية –

القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
*العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي ، **تهذيب التهذيب** ، دار الفكر-بيروت ، ط١، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ .
*القائميّ ، عليّ ، **الإسلام لماذا** ، تر : د. سلمان الأنصاريّ ، دار النبلاء ، بيروت ــ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م .
*القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ (تفسير القرطبي)**، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .
*القمي ، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه (ت ٣٨١ هـ) ، **علل الشرايع** ، دار المرتضى بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
*المَجْلسيّ ، الشّيخ محَمَّد باقر (ت ١١١٠ هـ) ، بحار الأنْوارِ الجامعةِ لدررِ أخْبار الأئمَّةِ الأطْهار ، دار إحياء التّراث العَرَبِيّ ، تح : السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي ، بيروت ـ لبْنان، ط٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
*المحاملي ، أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الضبي (ت ٣٣٠هـ)، **أمالي المحاملي - رواية ابن يحيى البيع**، تح : د. إبراهيم القيسي المكتبة الإسلامية،دار ابن القيم - عمان - الأردن،الدمام ، ط١ ، ١٤١٢ .
*محجوب ، عباس ، **التربية الإسلامية ومراحل النمو**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ٥٢ - ١٤٠١ هـ .
*المعتزلّي ، ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) ، **شرح نهج البلاغة** ، تح : محمد إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، الأميرة للطباعة والنشر ، بيروت ــ لبنان ، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
*المفيد ، الإمام محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (٤١٣هـ)**الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد** ، مكتبة الصفا ، قم المقدسة ـ إيران ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ .
*المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (ت ٦٥٦هـ)، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** ، تح : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٧ هـ .
*النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، **السنن الكبرى** ، تح: حسن عبد المنعم شلبي ، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
*النقدي ، الشيخ جعفر ، حياة السيدة زينب - ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ــ لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م.
*الهيثميّ ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) ، **مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد** ، تح : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة ، ١٤١٤ هـ ــ ١٩٩٤ م .
*البحوث المنشورة
*صار ، عبد الكريم (باحث من السنغال) ، **الأمة الإسلامية آلام وآمال** ، بحث منشور في ضمن كتاب : آلام الأمة الإسلاميّة وآمالها (مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات للمؤتمر الدولي الثالث عشر للوحدة الإسلاميّة) ، إعداد سيد جلال الدين ميرافائيّ ، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ، ط١ ، ١٤٢١هـ .
*محجوب ، عباس ، **بيئات التربية الإسلامية** ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، العدد السادس والأربعون - ربيع الآخر- جمادى الأولى - جمادى الثانية ، ١٤٠٠هـ .

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في مرويات الامام الحسن المجتبى عليه السلام

(دراسة تاريخية تحليلية)

م. محمد جاسم عمران – م. ازر عبد الكاظم إسماعيل

مديرية تربية بابل

ملخص البحث

إنّ الدراسات التاريخية الأكاديمية الحديثة والمعاصرة في حقل التدوين التاريخي العربي والإسلامي للمرويات حول المهدي عجل الله فرجه تقتصر على بعض أئمة اهل البيت عليهم السلام ممن لا يختلف إثنان على سبقهم وريادتهم في عرض الروايات المهدوية، في حين أَحجم كثيرٌ من الباحثين عن ذكر مرويات الامام الحسن المجتبى عليه السلام حول المهدي عجل الله فرجه ولم تسلط الأضواء على نتاج الامام الحسن المجتبى عليه السلام في مرويات عن المهدي عجل الله فرجه ولعله يرجع سبب ذلك الى قلة ذكر الامام المهدي عجل الله فرجه في مرويات الامام الحسن المجتبى عليه السلام إذ لم تذكر المصادر التاريخية سوى روايتين اوردها الامام الحسن المجتبى عليه السلام حول المهدي عجل الله فرجه.

الا اننا كباحثين ممكن ان نخضع هذه الروايات الى دراسات معمقة وامكانية الخروج بانطباع جديد قد يُغير الأفكار والآراء المتداولة فيما يخص كثير من القضايا المتعلقة بقضية الامام المهدي عجل الله فرجه من خلال القرائن وتحليل الروايات وربط بعضها ببعض.

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة لتسلط فيها الأضواء على مرويات الامام الحسن المجتبى عليه السلام حول المهدي عجل الله فرجه، وقد لا نبتعد عن الموضوعية اذا ما قلنا: إنَّ هذه الدراسة إذ ما زالت سعتها تتحمل المزيد من الدراسات والاضافات الأخرى.

مما أضطر الباحث إلى اعادة تصنيف هذه المرويات التاريخية ولملمتها المتفرقة في بطون الكتب وتبويبها على وفق موضوعاتها التاريخية بشكل مستقل.

وقسمت الدراسة على مبحثين، تناولنا في المبحث الاول : مجموع الروايات المهدوية التي ذكرها الإمام الحسن عليه السلام ،و المبحث الثاني : مضامين الرواية المهدوية عند الامام الحسن المجتبى عليه السلام.

وقد توصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات من اهمها ان الروايتين للأمام الحسن المجتبى عليه السلام رغم قلتها فأنها استوعبت مواضيع كثيرة منها متعلقة بشخصية الامام المهدي عجل الله فرجه ومنها مرتبط بصفات قيادته واخرى بولادته ، وعرض الأسباب التي

تقف خلف غيبتهِ ، وكذلك الحديث عن بيعته ، فضلاً عن انه اورد اشارات مقارنة بين صُلحِهِ مع معاوية وبين بيعة المهدي عجل الله فرجه الشريف ، كذلك اورد اشارة الى القوة العسكرية لدولته وبسط سيطرته على العالم ، فضلاً عن الحديث عن قوته وعنفوانه وشبابه عجل الله فرجه الشريف.

Abstract

The modern and contemporary academic historical studies , in the field of Arab and Islamic historical recording of the narratives about Imam Al-Mahdi , may Allah expedite his reappearance , are limited to some imams of Ahalalbayt (peace be upon him), whom no two persons differ on their precedence and leadership in presenting the narratives of imam Al-Mahdi . While many researchers refrained from mentioning the narratives of Imam Hassan, the chosen , about Al-Mahdi . His narratives , peace be upon him, do not exceed three narratives . However, as researchers, we can subject these three narratives in depth .

Hence the importance of this study is to shed light on the narratives of Imam Al-Hassan about Al-Mahdi .Such guides the researcher to reclassify these historical narratives and to gather them from different books and to categorize them according to their historical topics independently. The study was divided into two sections. In the first topic, the efforts of the Ahalalbayt in writing the Mahdist narratives are exposed , and the second topic: the Mahdist narratives of Imam Hassan the chosen, is discussed. The researcher reached a set of conclusions, the most important one is that the three narratives of Imam Al-Hassan , the chosen, cover many topics, some of them are related to the personality of Imam Al-Mahdi , and some to the qualities of his leadership and others to his birth, as well as to the characteristics of lady Narjis, the mother of Imam Al-Mahdi.

المبحث الاول : مجموع الروايات المهدوية التي ذكرها الامام الحسن عليه السلام.

لقد حذا الأئمة من بعد الامام علي عليه السلام : حذوه في حثِّ أتباعهم على التدوين، فقد نقلت لنا المصادر أن الامام الحسن بن علي عليه السلام: « جمع ذات يوم بنيه وبني أخيه وقال لهم: إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته» (١).

لقد إنتقلت كتب الامام علي عليه السلام لأولاده الأئمة من بعده، فقد دفع بها إلى إبنه الامام الحسن عليه السلام في وصية له حين حضره الموت، وقال فيها ما نصه: « يابُني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إليّ كُتبه وسلاحه، وأمرني أن آمُركَ إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام ... » (٢).وتنقل المصادر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للامام علي عليه السلام : « أكتب ما أملي عليك، فقال الامام علي عليه السلام: أتخاف عليّ النسيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لستُ أخاف عليك النسيان ولكن اكتب لشركائك وهم الأئمة من ولدك، وأومأ إلى الحسن عليه السلام وقال: هذا أولهم، ثم أومأ إلى الحسين عليه السلام ثم قال: الأئمة من ولده »(٣).

ومن المؤلفات التي نُسبت إلى الامام علي عليه السلام ، كتاب الجفر، وهو كتاب يشتمل على الأخبار الغيبية التي أملاها رسول الله صلى الله عليه وآله على الامام علي عليه السلام وكتبها الأخير بخط يده، وقد وردت روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت : تؤكد ذلك. فمن هذه الروايات، قول الامام محمد الباقر عليه السلام: « وعندنا الجفر وهو أديم عكاظي قد كُتِبَ فيه حتى مُلئت أكارعه ، فيه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة»(٤).

لقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام : وإن عندنا ــ الائمة المعصومين ــ الجفر وما يدريهم ما الجفر ؟ قال : قلت : وما الجفر ؟ قال : وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين (٥).

عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل جاء فيه قوله عليه السلام: «... سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجايع الأبد ...» وحين سألوه عليه السلام عن سرّ توجعه، قال عليه السلام: «نظرت في كتاب الجَفْر صبيحة هذا اليوم ...

وتأولت فيه مولد قائمنا، وغيبته، وإبطاءه، وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته ...»[٦]

وعندما سُئلَ الامام الصادق عليه السلام: عن مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: إنكم لتحثون (اي تفتشون عما تريدون وعما لا تريدون) عما تريدون، وعما لا تريدون، إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه صلى الله عليه وآله ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام [٧].

وهذا ما ذكر في مصادر التاريخ وعندهم عليهم السلام الجفر والجامعة والصحيفة ومصحف فاطمة صلوات الله عليها[٨]. ويتبين من ذلك ان كتاب الجفر والجامعة والصحيفة ومصحف فاطمة هو عند الائمة المعصومين جميعاً، بما فيهم الامام الحسن عليه السلام ومما يؤكد ذلك بداية كلام الامام الصادق عليه السلام عندما يتحدث عن هذه الكتب «يقول: عندنا»[٩].

ويتبين أنّهم قد توارثوا الكتب عليهم السلام التي تضمنت مجموعة كبيرة من المعلومات والاخبار ومنها اخبار المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالترتيب التنازلي ابتداءً من الامام علي عليه السلام الى اخر الائمة المعصومين عليهم السلام.

الا انه بسبب تشدد السلطة على اهل البيت عليهم السلام ومحاولة طمس علومهم ومحو اخبارهم ورواياتهم فقد وصلت إلينا روايتان فقط اوردها الأمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهذا لا يعني ان الامام الحسن عليه السلام لم يولي عنايةً بهذه الروايات المهدوية، انما يعطي دليلا على الحملة الاعلامية المعادية للأمام الحسن عليه السلام في محو تراثه وموروثه من التاريخ الاسلامي وخاصة ما يتعلق بالأمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إذ ذكرت المصادر ثلاث روايات عن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف اوردها الامام الحسن المجتبى عليه السلام.

ولابد من الاشارة الى ان افضل مصدرين للتعرّف على أهل بيت الوحي والرسالة، النبيّ وآله صلواتُ الله عليهم، هما: القرآن الكريم فيما ورد من آيات حول فضائل رسول الله وأهل بيته وخصائصهم سلام الله عليهم. والمصدر الثاني هو الأحاديث الشريفة التي وردت عنهم وفيهم، ففيها البيان الحقّ والقول الصِّدق، كما ورد في خطابنا لهم من خلال الزيارة الجامعة

الكبيرة للإمام عليّ الهادي عليه السلام : « كلامُكم نور، وأمرُكم رُشد، ووصيّتُكمُ التقوى، وفِعلُكمُ الخير، وعادَتُكمُ الإحسان، وسجيّتكمُ الكرم، وشأنُكمُ الحق والصِّدقُ والرِّفق، وقولُكم حُكمٌ وحَتْم، ورأيُكم عِلمٌ وحِلمٌ وحَزم.. »[١٠] .

وقد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام أخبار وروايات كثيرة حول الإمام المهدي عليه السلام ، تضمّنت شؤونه الشخصيّة الشريفة، ونهضته المباركة بعد ظهوره المأمول الموعود عجّل الله تعالى فيه، جمَعَت هذه الروايات في كتبٌ كثيرة ، وبخاصة في الكتب التي ورثها الأئمة عليهم السلام من الامام علي عليه السلام إذ ورد عن سدير الصيرفي، والمفضل بن عمر، وأبي بصير، وأبان بن تغلب، كلهم عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل جاء فيه قوله عليه السلام: «... سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجايع الأبد ...» وحين سألوه عليه السلام عن سرّ توجعه، قال عليه السلام: «نظرت في كتاب الجَفْر صبيحة هذا اليوم ... وتأولت فيه مولد قائمنا، وغيبته، وإبطاءه، وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته ...»[١١]

ويتبين من رواية الامام الصادق عليه السلام ان كتاب الجَفْر الذي فيه اخبار القائم المهدي ﷻ كان عند الامام الحسن المجتبى عليه السلام ورثه من أبيه الامام علي عليه السلام وانتقل إلى الأئمة المعصومين حتى وصل الامام الصادق عليه السلام .

أمّا هنا فأحببنا أن نُورد ما رُويَ في ذلك عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حول المهدي ﷻ والتي لا تتجاوز روايتين فقط ولم يكن هدفنا في هذه الدراسة البحث عن اسباب قلة المرويات عن الامام الحسن عليه السلام انما محل الدراسة هو الاطلاع على مضامين تلك الروايتين .

الرواية الاولى:

إذ ورد عن الامام الحسن المجتبى عليه السلام في مروياته عن المهدي ﷻ انه قال عليه السلام بعد أن صالح معاوية ودخل عليه الناس ولامه بعضهم على بيعته: «... أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلّي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه ، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ، ويغيب شخصه ـ أي الامام المهدي ـ لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة

إذا خرج ، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء ، يطيل الله عمره في غيبته ، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، ذلك ليعلم ان الله على كل شيء قدير » [١٢].

الرواية الثانية :

لقد روى الامام الحسن عليه السلام حديثاً عن أبيه عليٍّ عليه السلام أخبره فيه عن ولاية بني أميّة وبِدَعِهِم وفتكهم بأعدائهم حتّى قال : « ... حتّى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكَلَب من الدهر وجَهل من الناس ، يؤيّده الله بملائكته ، ويَعصِم أنصاره وينصُرُه بآياته ، ويُظهره على أهل الأرض حتّى يَدينوا طوعاً وكرهاً ، يملؤها قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً ، يدين له عَرض البلاد وطولها ، لا يبقى كافرٌ إلّا آمن به ، ولا طالح إلّا صلح ، وتصطلح في ملكه السباع ، وتُخرِج الأرض نبتها ، وتُنزل السماءُ بركتها ، وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً ، فطوبى لمن أدرك أيّامه وسمع كلامه » [١٣].

المبحث الثاني : مضامين الروايات المهدوية التي ذكرها الامام الحسن عليه السلام.

بعد ان عرضنا الروايتين ممكن ان نستخلص اهم المضامين التي تناولتها الروايتان المتعلقة بالقائم المهدي عجل الله فرجه ،وهي كما يأتي :

المضمون الاول : البيعة

لقد ورد من الحكم المشار إليها في الروايات والأحاديث الإسلاميّة أن لا تكون لأحد في عنقه بيعة : لأنّ الإمام المهدي - كما أشارت الروايات بذلك - تختلف ظروفه تماماً مع سائر المعصومين عليهم السلام ، فهو لا يخضع لأي سلطة ، فلو ظهر قبل تحقّق شروط ظهوره كاملة ، فإمّا أن يكون تابعاً لحكومة معيّنة وخاضعاً لها ، وهذا الأمر مخالف لما روي ، فعليه أن يكون غائباً حتّى لا تكون في عنقه بيعة لأحد من الخلق وهذا ما اشار اليه الامام الحسن عليه السلام بقوله : «ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج»(١٤).

ومن هنا فقد بين الامام الحسن عليه السلام ان احد اسباب غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه هو تجنب البيعة للحاكم الظالم ، وقد اشار الامام الحسن عليه السلام الى المناسبة التي حصل فيها هذا المعنى عندما حصل الاضطرار في عقد الصلح بينه وبين معاوية وما ترتَّب عليها من بيعة المسلمين لمعاوية وذلك بقوله : « ... أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم»(١٥).وقد اشار الامام الحسن عليه السلام الى الاستثاء الوارد في روايته بجواز لبقية الائمة عليهم السلام البيعة او الصلح او العهد في حالة الاضطرار نتيجة الظروف الموضوعية التي تحيط بهم كما حصل للامام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية باستثاء الامام المهدي عجل الله فرجه خلو عنقه من بيعة أي ظالم .

وقد تناول الامام الحسن المجتبى عليه السلام سبب طول غيبته عجل الله فرجه و فراقه لشيعته هو ان تكون رقبته خالية من أي عهد أو بيعه كما عبر عن ذلك الامام الصادق عليه السلام :« يقوم القائم عجل الله فرجه وليس لأحدٍ في عنقه عقد ولا عهد ولا بيعة ».(١٦)

المضمون الثاني : قيادته العالمية

لقد تضمنت رواية الامام الحسن (عليه السلام) قيادة المهدي (عجل الله فرجه) العالمية حيث ا ن العالم على الاعم الاغلب يتكون من الديانة المسيحية والاسلمية وقد اشار الامام الحسن(عليه السلام) الى انضمام المسيحين تحت قيادة المهدي(عجل الله فرجه) من خلال الاشارات البليغة التي يبعثها السيد المسيح عيسى بن مريم للعالم الغربي عندما يقف في الصف الاول خلف المهدي(عجل الله فرجه) وهو يقتدي به ، حيث اشار الامام الحسن (عليه السلام) الى هذا المعنى بقوله: « القائم الذي يصلّي روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام) خلفه»[١٧].

المضمون الثالث : عمر المهدي(عجل الله فرجه) عند ظهوره

لقد اورد الامام الحسن (عليه السلام) احدى صفات المهدي(عجل الله فرجه) الشخصية عند قيامه إذ حدد عمره اربعين سنة وهي المرحلة العمرية التي اختار فيها الله عز وجل محمد نبياً ورسولاً ، وذلك من خلال قوله (عليه السلام) : ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة[١٨].

فقد ذكر الامام الحسن(عليه السلام) وصف للمهدي(عجل الله فرجه) بان يظهر في صورة شاب وممكن ان نستنتج من هذا الوصف ان الامام الحسن(عليه السلام) يشير الى قدرة والله عز وجل والتي تكون هنا محل اختبار وامتحان وتمحيص للائمة إذ نجد في الروايات ممن يفشل في هذا التمحيص عندما يرى الامام المهدي(عجل الله فرجه) بصورة شاب وهو مضى على ولادته دهرا طويلا إذ يتوقعه شيخاً كبيراً وهذا الاختبار الذي اشار اليه الامام الحسن (عليه السلام) قد اكدته الروايات ، إذ ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : « لو قد قام القائم لأنكره الناس ، لأنه يرجع إليهم شابا موفقا[١٩]. ولذا نجد ان معظم الناس تنكر المهدي(عجل الله فرجه) بسب رجوعه اليم بصفته شاب ».

في رواية اخرى أنه قال (عليه السلام) : « وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شابا وهم يحسبونه شيخا كبيرا »[٢٠].

وعلى الرغم من ذلك، سمعنا الروايات تُشير إلى أنَّ هذا الفارق بين سنِّه الواقعي وشكله الظاهري، سيكون تمحيصاً ومحنة يمرُّ بها الناس عند ظهوره (عليه السلام)، وسيكثر الفاشلون في هذا التمحيص على أثر شكِّهم في مهدوية المهدي، من حيث إنَّه يظهر عليهم شابّاً وهم يتوقَّعونه شيخاً كبيراً، وسوف لن يثبت على الإيمان به إلاَّ كل مؤمن أخذ الله ميثاقه[٢١].إنَّ هذا التمحيص ثابت

بالنسبة إلى عدد من الناس، يؤمنون أساساً بطول عمر المهدي، ولكنَّ مستواهم الثقافي الديني، قاصرة عن إدراك إمكان الفارق بين عمره الحقيقي وشكله الظاهري؛ ومن ثَمَّ فسيتوقَّعون ظهوره بصورة شيخ كبير بقدر ما يؤمنون له من العمر، فإذا رأوه شابّاً، كان ذلك غير ممكن في نظرهم(٢٢).

ومن هنا نستنتج بأن الامام الحسن عليه السلام قد اوضح وبين اعظم اختبار يمر به بعض الشيعة هو اعتقادهم وتصورهم بان الامام المهدي عجل الله فرجه يظهر اليهم شيخا كبيراً، وقد اوعز الامام الحسن عليه السلام ان سبب هذا الفشل في الاختبار والتمحيص هو جهل الناس في عقائدهم وبخاصة جهلهم بأمام زمانهم إذ عبر عن ذلك بقوله عليه السلام: «حتّى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكَلَب من الدهر وجَهل من الناس».(٢٣)

كما ان الامام الحسن عليه السلام قد حدد عمر المهدي عجل الله فرجه عند ظهوره بانه دون الاربعين سنة بقوله عليه السلام: «ثم يظهره بقدرته ... دون أربعين سنة».(٢٤)

المضمون الرابع: خفاء شخص الامام المهدي عجل الله فرجه

إنّ الإمام الحسن عليه السلام تطرَّقَ في روايته الى امكانية خفاء ولادته وخفاء شخصه إذ قال عليه السلام: «فإن الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه».(٢٥)

من خلال هذه الرواية ممكن ان نستشف المضامين الواردة في الرواية ولا سيما خفاء ولادته، فان ولادته لم تخفَ عن جميع الناس انما هناك عدة اشخاص مخلصين وثقات اطلعوا على ولادة المهدي عجل الله فرجه وتأتي هذه الضرورة الملحة من اجل اثبات وجود المهدي عجل الله فرجه لمواليه وانصاره من الشيعة فلابد من وجود شهود على ذلك لأثبات وجوده، وكانت اولى مسؤوليات الامام الحسن العسكري عليه السلام هي حماية المهدي عليه السلام من خلال عدم الافصاح عن ولادته واخفائها بشكل لا يستطيع احد اخبار السلطات عن ولادته وأن والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام حرص على كتمان وسرية الولادة، وبالوقت نفسهِ الوقت هناك مسؤولية تقع على عاتق الامام العسكري عليه السلام تتمثل في تقديم الدليل على اثبات وجوده للموالين من شيعته، ويُستفاد من نصوص الروايات أنه لم تحضر الولادة سوى حكيمة التي لم تكن تعرف بتوقيتها بشكل دقيق أيضاً(٢٦).

كما تطرق الامام الحسن عليه السلام الى موضوع غياب شخصه عن الانظار بقوله عليه السلام: «ويغيب شخصه»(٢٧).

لقد تناول الامام الحسن المجتبى عليه السلام مسالة غياب شخصه عليه السلام وترك تفاصيل واجزاء الموضوع الى القارئ في تَتبُّعِ تفاصيله في روايات اهل البيت عليهم السلام ، إذ أشار الامام الحسن عليه السلام في مضمون روايته الى غيبة المهدي عجل الله فرجه الشريف عن الانظار ، وهناك اسلوبان للغيبة اسلوب الاعجاز ، واسلوب طبيعي إذ يتّخذُ عنواناً واسماً مستعاراً يتحرك به دون ان يلتفت اليه احد ، واسلوب اعجازي أي أن الامام يرى الناس من دون أن يتمكنوا من رؤيته، فحتى لو كان موجوداً في مكان فان الناس يرون المكان خالياً الاسلوب الطبيعي يكون بخفاء العنوان أي أن الامام المهدي يعيش في الدنيا كانسان طبيعي فيرى الناس شخصه الشريف من غير أن يعرفوا أنه الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف [٢٨].

وقد استدل على نظرية الاسلوب الطبيعي ببعض الأخبار منها؛ قال: عبد الله عليه السلام: إن في صاحب هذا الامر سنن من الأنبياء عليهم السلام ، سنة من موسى بن عمران ، وسنة من عيسى ، وسنة من يوسف ، وسنة من محمد (صلوات الله عليهم) : فأما سنة من موسى بن عمران فخائف يترقب، وأما سنة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى ، وأما سنة من يوسف فالستر يجعل الله بينه وبين الخلق حجابا ، يرونه ولا يعرفونه [٢٩].

ما أخرجه الشيخ الطوسي في الغيبة عن السفير الثاني الشيخ محمّد عن عثمان العمري أنّه قال: «والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة، يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه »[٣٠]. والمراد بصاحب الامر هو الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف والمراد من الموسم هو موسم الحج، وقد اكدت الرواية بما فيها من قسم على عدم اختفاء الشخص وإنما اختفاء العنوان، واستدل ايضاً بما ورد حول السؤال عن اسم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف الذي جاء فيه : «وإذا وقع الاسم وقع الطلب فالله الله ، اتقوا الله وأمسكوا عن ذلك» [٣١]. فلو كان الخوف من طلب الحاكم هو السبب في عدم ذكر الاسم فأن ذلك يدل على أن اختفاءه كان ضمن الشروط الطبيعية للاختفاء وليس اختفاءاً اعجازيّاً يتم معه اختفاء الشخص عن الرؤية البصرية.

وبذلك يتبين من خلال ما ورد ان الامام الحسن عليه السلام قد اشار الى اسلوب خفاء شخص الامام إلا انه لم يوضح طريقة الخفاء بالأسلوب الطبيعي ام بالاعجاز.

المضمون الخامس : سيطرته على العالم

لقد اشار الامام الحسن المجتبى عليه السلام الى حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه وكيفية بسط سيطرتها على العالم حتى يدين له جميع سكان الارض بالطاعة طوعاً أو كرهاً ، ويظهر ذلك جلياً في مضمون قول الامام الحسن عليه السلام : «ويُظهره على أهل الأرض حتّى يَدينوا طوعاً وكرها ...يًدين له عَرض البلاد وطولها»(٣٢).

المضمون السادس : ضمانات النصر

لقد اشار الامام الحسن المجتبى عليه السلام في مروياته الى ضمانات الامام المهدي عجل الله فرجه في النصر وذلك من خلال ما يأتي:

آ) التأييد الالهي:وهذا المضمون اشار اليه الامام الحسن عليه السلام بقوله :«يؤيّده الله بملائكته»(٣٣)، وقد وردت روايات عن اهل البيت عليهم السلام ان عدد الملائكة التي تُسهم في نصرة الامام المهدي عجل الله فرجه عن الامام الباقر عليه السلام :«كأني بالقائم على نجف الكوفة، و قد سار إليها من مكة، في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن شماله، و المؤمنون بين يديه، و هو يفرق الجنود في الأمصار» (٣٤).

الخاتمة

ولقد تَوصَّلَ الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات، مِن أهمها ان الروايتين للأمام الحسن المجتبى عليه السلام على الرغم من قلتها فأنها استوعبت مواضيع ومضامين كثيرة منها متعلقة بشخصية الامام المهدي عجل الله فرجه ومنها مُرتبطة بصفات قيادته واخرى بولادته ، وعرض الاسباب التي تقف خلف غيبة ، إذ علل تلك الغيبة حتى لا تكون بيعة او عهد في رقبته ، وكذلك الحديث عن بيعته من قبل جبرائيل وميكائيل فضلا عن التأييد الالهي ، فضلاً عن ذلك أنّه اورد اشارات مقارنة بين صلحه مع معاوية وبين بيعة المهدي عجل الله فرجه ، كذلك اورد اشارة الى القوة العسكرية لدولته وبسط سيطرته على العالم ، فضلا عن الحديث عن قوته وعنفوانه وشبابه عجل الله فرجه. وفتحه لنا الامام الحسن عليه السلام من خلال رواية عليه السلام باب واسعاً للتأمل والتفكير في أسلوب احتجاب شخصه عن الانظار عن طريق الاعجاز الالهي او بالأسباب الطبيعية .

الهوامش

١-الخطيب البغدادي ، ابو بكر ، أبو بكر بن علي ثابت ، تقييد العلم، تحقيق : سعيد عبد الغفار،دار الاستقامة، مصر٢٠٠٨م ، ص ١١٣ .
٢- الصدوق ، محمد بن علي ، من لايحضره الفقيه، تحقيق: حسن الاعلمي، مؤسسة الاعلمي، لبنان، ١٩٨٦م، ج٤، ص١٤٣-١٤٤ .
٣-ابن بابويه القمي، ابو الحسن علي بن الحسين ، التذكرة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: محمد رضا الجلالي ، مؤسسة اهل البيت لاحياء التراث، لبنان، ١٩٨٧م، ص ١٨٣ .
٤-الصفار ، محمد بن الحسن بن فروخ ، بصائر الدرجات، مؤسسة الاعلمي، لبنان، ٢٠١٠م ، ص ١٩٥ .
٥-المجلسي ، محمد باقر، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، تحقيق : حسين الموسوي الكرماني، المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٩٩هـ، ج٢، ص٢١٢.
٦-الصدوق ، محمد بن علي، إكمال الدين ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٥هـ ، ص٣١٦
٧-في شرح من لا يحضره الفقيه ، تحقيق : حسين الموسوي الكرماني ، المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٩٩هـ ، ج٢، ص٢١٢
٨-المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٤.
٩-المصدر نفسه.
١٠-الصدوق ، محمد بن علي ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ، تحقيق: حسين الأعلمي ، مطابع مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٨٤، ج ٢، ص٢٧٧.
١١-الصدوق ، محمد بن علي، إكمال الدين ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٥هـ ، ص٣١٦
١٢-الصدوق ، محمد بن علي ، إكمال الدين، المصدر السابق ، ص٣١٦
١٣-الكوراني ، الشيخ علي ، معجم أحاديث الإمام المهدي ، ط١ ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ١٤١١هـ، ج ٣ ، ١٦٧ .
١٤-الصدوق ، محمد بن علي ، إكمال الدين، المصدر السابق ، ص٣١٦
١٥-المصدر نفسه.
١٦-النعماني ، محمد بن ابن إبراهيم ، الغيبة ، تحقيق : فارس حسون كريم ، ط١، مطبعة مهر ، قم ، ١٤٢٢هـ، ص١٧٦.
١٧-الصدوق ، محمد بن علي ، إكمال الدين، المصدر السابق ، ص٣١٦
١٨-المصدر نفسه
١٩-النعماني ، محمد بن ابن إبراهيم ، الغيبة ، المصدر السابق، ص١٩٤.
٢٠-الطوسي ، محمد بن الحسن ، الغيبة ، تحقيق : الشيخ عباد الله الطهراني ، ط١ ، مطبعة بهمن ، قم ،

١٤٠١١هـ ، ص٤٢٠.

٢١-الصدر ، محمد صادق ، الموسوعة المهدوية ، ج٣ ، ص٣٧٠.

٢٢-المصدر نفسه.

٢٣-الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين ، كمال الدين وتمام النعمة ، المصدر السابق ، ص١١٦.

٢٤-الصدوق ، محمد بن علي، كمال الدين ، المصدر السابق ، ص١١٦.

٢٥-المصدر نفسه.

٢٦-النوري ، ميرزا حسين النوري الطبرسي، النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب ، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، د.ت، ج ٢ ، ص ١٥٣.

٢٧-الصدوق ، محمد بن علي ، كمال الدين ، المصدر السابق ، ص١١٦.

٢٨-لمزيد عن خفاء الشخص والشخصية ينظر : الصدر ، محمد صادق، الموسوعة المهدوية ، المصدر السابق، ج٣، ص٣٦ ـ ٤٢.

٢٩-الصدوق ، كمال الدين ، المصدر السابق ، ص٣٥١.

٣٠-الطوسي ، محمد بن الحسن ، الغيبة ، تحقيق : عباد الله الطهراني ، علي أحمد ناصح، ط١ ، مطبعة بهمن ، قم ، ١٤١٤هـ ، ص٣٦٤.

٣١-المصدر نفسه، ص٢٤٤.

٣٢- المجلسي ، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق : محمد الباقر البهبودي ، ط٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٩٨٣، ج٤٤، ص٢٠.

٣٣-المصدر نفسه.

٣٤-الطبرسي ، الفضل بن الحسن، علام الورى بأعلام الهدى ، ط١ ، مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٧هـ ، ص ٤٣٠

المصادر والمراجع

*ابن بابويه القمي، ابو الحسن علي بن الحسين ، التذكرة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: محمد رضا الجلالي ، مؤسسة اهل البيت لاحياء التراث، لبنان، ١٩٨٧م.

*الجلالي، محمد رضا ، تدوين السنة الشريفة، دار الهادي للنشر، لبنان، ١٤١٣هـ.

*الخطيب البغدادي ، أبو بكر بن علي ثابت ، تقييد العلم، تحقيق : سعيد عبد الغفار،دار الاستقامة، مصر٢٠٠٨م .

*الخطيب البغدادي، ابو بكر محمد ، تاريخ بغداد، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠١ م .

*الصفار ، محمد بن الحسن بن فروخ ، بصائر الدرجات، مؤسسة الاعلمي ، لبنان، ٢٠١٠م.

* الصدوق ، محمد بن علي ، من لايحضره الفقيه، تحقيق: حسن الاعلمي، مؤسسة الاعلمي، لبنان، ١٩٨٦م.

*الصدوق ، محمد بن علي ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: حسين الأعلمي ، مطابع مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٨٤.

* ـ الصدوق ، محمد بن علي، إكمال الدين ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٥هـ .

*الطوسي ، محمد بن الحسن ، الغيبة ، تحقيق : الشيخ عباد الله الطهراني ، ط١ ، مطبعة بهمن ، قم، ١٤٠١هـ .

*ـ الطبرسي ، الفضل بن الحسن، علام الورى بأعلام الهدى ، ط١ ، مطبعة ستارة ، قم ،١٤١٧هـ .

*القاضي الآمدي، ناصح الدين ابي الفتح بن عبد الواحد التميمي ، غرر الحكم ودرر الكلم ، تحقيق: عبد الحسين دهيني، دار الهادي، لبنان، ١٩٩٢م، .

* الكوراني ، الشيخ علي ، معجم أحاديث الإمام المهدي ، ط١ ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ١٤١١هـ .

*المجلسي ، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق : محمد الباقر البهبودي ، ط٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت، ١٩٨٣.

* ـ النعماني ، محمد بن ابن إبراهيم ، الغيبة ، تحقيق: فارس حسون كريم ، ط١، مطبعة مهر ، قم ، ١٤٢٢هـ .

* ـ النوري ، ميرزا حسين النوري الطبرسي، النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب ، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، د.ت.

المُوجِّهات الإقناعية في مناظرات

الإمام الحسن عليه السلام

م.د. موفق مجيد ليلو

المديرية العامة لتربية ميسان.

ملخص البحث

يُمثِّلُ فَنُّ المناظرة شكلاً أدبياً إقناعياً يرتكز على الدليل والبرهان والحجة الساطعة بالدرجة الأساس، وهو الميدان الأوسع للجدل والإقناع من خلال عرض الأدلة ومناقشتها لتوجيه رأي المخاطب واستمالته أو إفحامه. تحاول هذه القراءة الوقوف على ملامح أدب المناظرات عند الإمام الحسن ﵇، بوصفها مرتكزاً مهماً في ذلك العصر وأداة لإظهار الحق ودفع الشبهات التي لحقت بالإمام الحسن ﵇ التي لفقتها له السلطة الحاكمة آنذاك؛ من أجل زعزعة منزلة القيادة المعصومة في قلوب أتباعها.

قدمت هذه القراءة لمعنى المناظرة في اللغة والاصطلاح، ثم آداب المناظرة وقواعدها كما سنَّها المتأخرون، وبعد ذلك دراسة لمناظرات الإمام الحسن ﵇ وأهم الوسائل والاستراتيجيات والموجهات الحجاجية لإقناع الخصم وردعه واحقاق الحق من خلال استنطاق النصوص ودراسة الاستراتيجيات الحجاجية التي وظفت للرد على الدعاوى والشبهات، كأساليب المناشدة والاستفهام التقريري والانكاري وحجة السلطة وحجة التمثيل، وبما يتسع له المقام.

Abstract

The art of debate represents a persuasive literary form based on evidence, proof, and bright argumentation in the main, and it is the broadest field of controversy and persuasion through the presentation and discussion of evidence to direct the opinion of the addressee to entice or expose .

This reading attempts to identify the features of the debate literature of Imam Al-Hassan (peace be upon him), as it is an important foundation in that era and a tool for showing the truth and repelling the suspicions that encompass Imam Hassan ,peace be upon him. As these acts were fabricated by the ruling authority at the time to shake the position of the infallible leadership in the hearts of its adherents .

The study presented a reading of the meaning of debate in language and terminology: its rules , the debates of Imam Hassan, the most important means, strategies and argumentations for persuading and deterring the opponent and achieving the truth by examining the texts . The argumentative strategies that were employed to respond to claims and suspicions are appeal and declarative and denial interrogation .

المقدمة

لم يكن التاريخُ منصفًا مع الأئمةِ (عليهم السلام)، ولعلَّ أشدَّ هجمة كانت على الإمامِ الحسنِ (عليه السلام)، وما مرَّ بهِ من ظروفٍ عصيبةٍ تُخرسُ الفَطِنَ، غيرَ أنَّه (عليه السلام) كان يسعى إلى الحفاظِ على الثلة المؤمنة التي بقيت على عهدها في الإيمان، حتى لو ضحّى بكل سمعته التاريخية، وما جرى عليه من خذلان القوم وانحرافهم، وربما خوف بعضهم من الوقوف الى جانب الحق.

ولذا كَثُرتِ المجالسُ والمناظراتُ التي أرادت أن تنالَ من بيت النبوة ومن شخص الحسن (عليه السلام)، فكان القوم يجتمعون في قصر معاوية ويرسلون في طلبه (عليه السلام)، ويكيلون التهم والشتائم للنيل منه ومن أبيه (عليهما السلام).

ومع أنَّ الرياحَ لم تكن مع الحسن (عليه السلام) والزمان لأعدائه، غيرَ أنَّ ذلك لم يمنعه من الرد على تخرّصاتهم بشجاعته وأدبه العلوي، بالأدلة النقلية والعقلية والحجج المنطقية واللغوية.

وتأتي أهمية البحث في المناظرة الحسنية بوصفها وثيقةً تاريخيةً منقولةً في أكثر من مصدر كالبيان والتبيين للجاحظ والاحتجاج للطبرسي ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني وغيرها. وهي بعد ذلك واردة بلسان العصمة لتثبت بطلان القداسة التي أسبغها بعضهم على (الصحابة) وتزعزع تلك الهالة المبتدعة حولهم.

تحاول هذه القراءة الموجزة أن تحدّد ملامح الحجاج في أدب المناظرات للإمام الحسن (عليه السلام)، والوقوف على استراتيجيات الخطاب الإقناعي فيها، من خلال استنطاق النصوص وسبر أغوارها، واستقراء الحجج التي جادت بها تلك المناظرات وتحليلها وتأثيرها في المخاطب. واقتضت طبيعة البحث أن يمهد له بمفاهيم مؤسسة للبحث كالخطاب والمناظرة والحجاج، ثم تناول نصوص المناظرات الحسنية بالتحليل للوقوف على الحجج الإقناعية. وأما النص موضع الدراسة فهو (احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) على جماعة من المنكرين لفضله وفضل أبيه من قبل بحضرة معاوية)[1]. وربما بعض النصوص الأخرى. وسنضطر أحيانا الى نقل المقاطع الطويلة من المناظرة للوقوف على السياق الكامل للنص ولتتضح الفكرة أكثر.

المبحث الأول

سنحاول في المبحث الأول أن نفكك مفردات العنوان، التي تتجلى في ثلاثة مطالب (الموجهات، الاقناع، المناظرة)

الموجِّهات

المُوجِّه اسم فاعل من وجَّه يوجِّه، تقول: وجَّهت الشيء «أرسلته في جهة واحدة فتوجَّه... وأحمق ما يتوجَّه به: كناية عن الجهل بالتفرُّط... أي لا يستقيم في أمر من الأمور لحمقه»[٢].

ونعني بالموجهات هنا كل الآليات أو الاستراتيجيات التي من شأنها أن توجِّه المتلقي وتستميله وتغير وجهة نظره بفكرة ما في ضوء الأدلة والحجج، وهذا يشمل الحجج والوسائل اللغوية والبلاغية والسياق وغيرها مما يتم توظيفه لخدمة الغرض الرئيس للخطاب الإقناعي وهو التأثير الإقناعي.

ويلجأ المخاطِب الى التوجيه أو استعمال هذه الاستراتيجية لأسباب كثيرة منها: عدم التشابه في عدد من السمات بين المتناظرين، وعدم وجود تكرار في اللقاءات، والشعور بالتفاوت بين المتناظرين، وإعادة الامور الى نصابها وتصحيح العلاقة، ورغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع بمنزلته الذاتية أو دفع مظلمة أو ردِّ شبهة، أو حصول تحدٍ واضحٍ للمرسل أو لتعليماته وأخلاقياته كالإساءة أو النيل منه، أو مناسبة السياق التفاعلي لهذا التوجيه، وغير ذلك مما يرتبط بأحوال المرسل أو المستمَع[٣].

الإقناع

مصدر أقنع، وأما القَناعَةُ فهي «الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها. يقال: قَنِعَ يَقْنَعُ قَناعَةً وقَنَعَاناً: إذا رضي، وقَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً: إذا سأل... قال تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[٤]،... الْقَانِعُ هو السّائل الذي لا يلحّ في السّؤال، ويرضى بما يأتيه عفوا،... وأَقْنَعَ رأسه: رفعه»[٥].

فالإقناع يتولد عن طريق الأدلة والبراهين التي تجعل المخاطَب يذعن الى الخطاب، وصيغة أفعل للفعل ربما تشير الى معنيين، إذ توحي بالاجتزاء وتحقق القناعة، او تكون الهمزة للسلب بمعنى كشف القناع وإزالته من خلال البراهين الناصعة التي تسقط الاقنعة وتظهر الحقائق.

في المناظرة

المناظرة لغة واصطلاحا

ينبغي أولا أن نشير الى مفهوم المناظرة في المعجم والاصطلاح لتتضح المفاهيم، فالمناظرة لغة: كما قال ابن منظور(ت٧١١هـ): «والتناظر: التراوض في الامر، ونظيرك: الذي يراوضك... والنظير المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك؛ لأنَّه اذا نظر اليهما الناظر رآهما سواء... والنظير بمعنى مثل الند... ويقال: نظرت فلانا أي صرت له نظيرا في المخاطبة»[٦].

وجاء في المفردات: «والنَّظِيرُ: المَثِيلُ، وأصلُه المُنَاظِرُ، وكأنه يَنْظُرُ كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبِهِ فيُبَارِيهِ،... والمُنَاظَرَةُ: المُبَاحَثَةُ والمُبَارَاةُ فِي النَّظَرِ، واسْتِحْضَارُ كلِّ ما يَرَاهُ بِبَصِيرَتِهِ، والنَّظَرُ: البَحْثُ، وهو أَعَمُّ مِنَ القِيَاسِ؛ لأنَّ كلَّ قياسٍ نَظَرٌ، ولَيْسَ كُلُّ نَظَرٍ قِيَاساً»[٧]، وفي الكليات: «المناظرة هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين شيئين إظهارا للصواب، وقد يكون مع نفسه[٨].

وربما ارتبطت بالجدل كما يرى ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): «واما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة... فانه لما كان باب المنافي الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأً، فاحتاج الأئمة الى أن يضعوا آدابا واحكاماً بقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب...»[٩].

ويفرق أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) بين المثل والنظير: «ان المثلين ما تكافآ في الذات على ما ذكرنا، والنظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله وهو متمكن منها، كالنحوي نظير النحوي، وان لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه، ولا يقال النحوي مثل النحوي؛ لأنَّ التماثل يكون حقيقة في أخص الاوصاف وهو الذات»[١٠].

ومما تقدم يمكن ان نستفيد ان المناظرة حوار استدلالي للوصول الى الحق في ضوء ضوابط الحوار وآدابه. ويحددها الجرجاني(ت ٨١٦هـ) في تعريفاته: «هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب»[١١]. ولذا يحدد طه عبد الرحمن المناظرة بأنها: «كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجهة يسمى مناظرة[١٢].

آداب المناظرة وقواعدها

عندما ازدهرت المناظرة الى جنب الجدل فإنها كانت تخضع لقواعد عرفية ولم تضبط بقواعد مكتوبة أو محددة، ثم ظهرت بعض الرسائل والمؤلفات عند المتأخرين كطاش كبرى زاده (٩٦٨هـ) والكلنبوي (ت ١٢٠٥هـ)، وغيرهما ممن تحدث عنها ضمن الجدل. وذكر كبرى زاده في آداب المناظرة شروطا تسعة لابدَّ أن يراعيها المناظر بحيث يتجنب:

١-الايجاز المخل بالفهم.

٢-الاطناب المؤدي الى السأم والملل.

٣-استعمال الغريب من الالفاظ؛ لأنه يؤدي الى عسر الفهم .

٤-استعمال المجمل الذي يؤدي الى التباس المقاصد.

٥-الدخل في كلام الخصم قبل تمامه لأنه يجر الى الخبط والضلال.

٦-التعرض لما لا مدخلية له في موضوع المناظرة.

٧-الضحك ورفع الصوت أو حركات البطش والسفاهة.

٨-مواجهة جليل القدر وبعيد المرتبة؛ لأن كثرة التهيب قد تشغل المناظر عن هدفه.

٩-استصغار الخصم واحتقاره؛ لأنَّ ذلك يقود الى عدم الحزم في المواجهة[١٣].وسنرى أن المناظرين لم يلتزموا بأدب المناظرة وقواعدها التي تأصلت في الأدب العربي والعالمي.

المبحث الثاني

أدب المناظرة عند الإمام الحسن عليه السلام

ليست المناظرة عند الإمام الحسن عليه السلام هدفا في ذاتها كما هي عند مناظريه، مع تفاوت المقامات والمقادير التي أنزلته عليه السلام ليناظر معاوية وحزبه، بل هي أمر فُرض عليه من أعدائه بحيث كان معاوية يرسل في طلبه بعد حادثة المهادنة التي ألجئ اليها بسبب قلة العدد وخذلان الناصر وكثرة الخونة في معسكره، ويحاول معاوية وحزبه بذلك النيل من علي والحسن عليهما السلام، فيكون الحسن عليه السلام في موضع الراد والناقض لمدعياتهم وافتراءاتهم.

وهنا يمكننا أن نحدد أهم ملامح السياقات التي تحفُّ بالمناظرات التي خاضها الحسن عليه السلام وهي:

١-أنّها كانت واقعا مفروضا وليست أمرا مطلوبا في ذاته.

٢-أنها كانت مخالفة لشروط المناظرة وضوابطها من حيث ان المناظرة تقتضي نِدّاً بند وليس جمعا مقابل واحد كما في حالته عليه السلام.

٣-استدعاء حجة السلطة والمقدس بشكل واضح ومهيمن على سياق المناظرة.

٤-قوة الحجة والبرهان الذي يخرس المناظرين ويفضح أكاذيبهم.

٥-الفعل الكلامي له أهمية كبيرة ودور بارز في افحام الخصوم عن مدعياتهم مثل قوله: (أنشدكم بالله).

٦- الاستفهام الانكاري ملمح مهم من ملامح المناظرة .

٧-كانت المناظرة في أكثرها تحسم بصورة دور ثنائي، قدم فيها المناظرون مدعياتهم واحد تلو الآخر ثم يبدأ دور الإمام الحسن عليه السلام ليرد عليهم واحدا بعد الآخر.

٨-أكثر المناظرات كانت دعاوى واتهامات واهية وشتائم مقذعة يتلذذ الساديون بها ويتشفى بها الطلقاء.

٩- صمت المناظرين أو اعترافهم قولا أو فعلا أو تقريرا، ويتجلى بأشكال متنوعة كالسكوت وطأطأة الرؤوس أو أن يستحلفه معاوية أو غيره بالسكوت والتوقف عن الاستدراج بالكلام .

الموجهات الإقناعية

التركيب القَسَمي الاستفهامي

(أنشدكم بالله+ استفهام بهل أو الهمزة+ تعلمون)

من الأساليب التي تفردت بها بعض مناظراته عليه السلام أنه يكرر قضية القسم والمناشدة في التذكير بحقائق التاريخ وفضائله وأبيه عليه السلام. فقد كرر أنشدكم بالله خمس عشرة مرة في مجلس واحد ، فضلا عن القسم وباقي التوكيدات.

فقد أشار صاحب الاحتجاج في كتابه في باب احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب على جماعة من المنكرين لفضله وفضل أبيه من قبل بحضرة معاوية: فقال عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«**أنشدكم بالله! هل تعلمون**: انّ الرجل الذي شتمتموه صلّى إلى القبلتين كلتيهما، وأنت تراهما جميعاً ضلالةً، تعبد اللات والعزّى؟ وبايع البيعتين كلتيهما: بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث؟

أنشدكم بالله! هل تعلمون: انما أقول حقاً، أنه لقيكم مع رسول الله يوم بدرٍ، ومعه راية النبي، ومعك يا معاوية راية المشركين، تعبد اللات والعزّى، وترى حرب رسول الله والمؤمنين فرضا واجباً، ولقيكم يوم أحد، ومعه راية النبي، ومعك يا معاوية راية المشركين، ولقيكم يوم الاحزاب ومعه راية النبي، ومعك يا معاوية راية المشركين، كلّ ذلك يفلج الله حجته، ويحقّق دعوته، ويصدق احدوثته، وينصر رايته، وكلّ ذلك رسول الله يرى عنه راضياً في المواطن كلّها؟

ثم أنشدكم بالله هل تعلمون: أنّ رسول الله حاصر بني قريظة وبني النضير، ثمّ بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الانصار، فأمّا سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحاً، وأما عمر فرجع وهو يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه، فقال رسول الله (لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّار، غير فرّار، ثمّ لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فتعرّض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والانصار، وعليّ يومئذٍ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله، فتفل في عينيه، فبرأ من الرمد، فأعطاه الراية فمضى ولم يثن حتى فتح الله (عليه) بمنّه وطوله، وأنت يومئذٍ بمكة عدوّ لله ورسوله، فهل يسوى بين رجلٍ نصح لله ولرسوله، ورجلٍ عادى الله ورسوله!؟ ثم اقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكنّ اللسان خائف، فهو يتكلّم بما ليس في القلب.

ثم **أنشدكم بالله! أتعلمون**: أن رسول الله استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ولا سخطه ذلك ولا كرهه، وتكلّم فيه المنافقون، فقال: (لا تخلفني يا رسول الله. فاني لم اتخلّف عنك في غزوةٍ قط (فقال رسول الله (انت وصيّي وخليفتي في أهلي، بمنزلة هارون

من موسى) ثم أخذ بيد عليّ: ثم قال: (ايّها الناس! من تولاني فقد تولّى الله، ومن تولّى علياً فقد تولاّني، ومن أطاعني فقد اطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن أحبنّي فقد أحبّ الله، ومن أحبّ علياً فقد أحبني)؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: أن رسول الله قال في حجة الوداع: (ايّها الناس! إني قد تركت فيكم مالم تضلّوا بعده، كتاب الله فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنّا بما انزل الله من الكتاب، وأحبّوا اهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم، وانهما لم يزالا فيكم، حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة).

ثم دعا- وهو على المنبر - عليّاً، فاجتذبه بيده فقال: (اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، اللهمّ من عادى عليّاً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً، واجعله في اسفل دركٍ من النار).

أنشدكم بالله! اتعلمون: أنّ رسول الله قال له: (انت الذائد عن حوضي يوم القيامة! تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله)؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: انه دخل على رسول الله في مرضه الذي توفّي فيه، فبكى رسول الله، فقال عليّ: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: (يبكيني أني أعلم: أنّ لك في قلوب الرجال من أمتي ضغائن، لا يبدونها حتى أتولّى عنك)؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: انّ رسول الله حين حضرته الوفاة، واجتمع أهل بيته قال: (الهمّ هؤلاء أهلي وعترتي، اللهمّ وال من والاهم، وانصرهم على من عاداهم) وقال: (انما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوحٍ، من دخل فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق)؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: أن اصحاب رسول الله قد سلّموا عليه بالولاية في عهد رسول الله وحياته؟

أنشدكم بالله: أتعلمون أن علياً أول من حرّم الشهوات كلّها على نفسه، من أصحاب رسول الله فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم، ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً واتّقوا الله الّذي أنتم به مؤمنون﴾(١٤).

وكان عنده علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الخطاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن، وكان في رهطٍ لا نعلمهم، يتمّون عشرةً، نبّأهم الله أنهم به مؤمنون، وأنتم في رهطٍ قريبٍ من عدة اولئك لعنوا على لسان رسول الله، فأشهد لكم وأشهد عليكم أنّكم لعناء الله على لسان نبيّه، كلكم أهل البيت.

وأنشدكم بالله! هل تعلمون: انّ رسول الله بعث اليك، لتكتب لبني خزيمة، حين أصابهم خالد بن الوليد، فانصرف اليه الرسول فقال: هو يأكل، فأعاد الرسول اليك ثلاث مرات، كل ذلك ينصرف الرسول ويقول هو يأكل، فقال رسول الله، (اللهمّ لا تشبع بطنه) فهي والله في نهمتك وأكلك إلى يوم القيامة؟

أنشدكم بالله! هل تعلمون: إنما أقول حقاً إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جملٍ أحمر، ويقوده أخوك هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله، الراكب والقائد والسائق فكان أبوك الراكب وأنت يا أزرق السائق. واخوك هذا القاعد القائد؟

ثم أنشدكم بالله! هل تعلمون، أنّ رسول الله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن: ...

ثم أنشدكم بالله! هل تعلمون: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله فقال: يابن أخي هل علينا من عين؟ فقال: لا، فقال ابو سفيان: تداولوا الخلافة، فتيان بني أُمّية، فوالذي نفس أبي سفيان، بيده ما من جنةٍ ولا نار.

وأنشدكم بالله! أتعلمون أنّ أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يابن أخي أخرج معي إلى بقيع الغرقد فخرج، حتى اذا توسّط القبور اجترّه فصاح بأعلى صوته: يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلونا عليه، صار بأيدينا وأنتم رميم، فقال الحسين بن علي: قبّح الله شيبتك، وقبّح وجهك، ثم نترَ يده وتركه، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده وردّه إلى المدينة، لهلك»[١٥].

(أنشدكم بالله+ استفهام بهل أو الهمزة + تعلمون أنَّ)

تضمن هذا التركيب الذي شغل المساحة الأوسع في النص موجهات إقناعية كثيرة، تتزاحم لتنتصر للمناظِر وتتكفل بالرد على الخصوم، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

١- تركيب (أنشدكم بالله): وفيه المناشدة والقسم وهو أسلوب توكيدي مهم، وجاء هنا بأسلوب المناشدة لاستدراج الخصوم واستنطاق اعترافهم بما يذكره المناظر.

٢- كون القسم بالله تعالى دون غيره، وهو القسم الشرعي الذي يوجب اعتراف الخصم واذعانه لكيلا يقع في مخالفة القسم.

٣- الاستفهام التقريري الذي تضمنته الهمزة أو هل؛ لأنَّ المناظرين كانوا معاصرين أو شهودا على ما يذكره المناظر، بل إن بعضهم كان هو صاحب الحادثة أو الواقعة التي يشير اليها ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ.

٤- الفعل (تعلمون): والفعل علم يشير الى يقينة الفكرة وأحقيتها مما يشير اليه ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ، وجاء الفعل متلوًا ب(أنَّ) التوكيدية التي تؤول مع ما بعدها بمصدر.

إنَّ تضافر كل هذه الموجهات الحجاجية في التركيب تدفع المخاطَب إلى الاعتراف بفضل المناظر وتقدُّمه، وهو ما يتبين من ختام المناظرة وعلامات الهزيمة التي تبدو على وجوه الخصوم، كالصمت والاطراق أو طلب السكوت وعدم الاستمرار في الكلام من الامام الحسن ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ، كما في قولهم: «فوضع يده على فم الحسن ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ وقال: يا أبا محمّد ما كنت فحّاشاً، فنفض الحسن ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ ثوبه، وقام وخرج، فتفرّق القوم عن المجلس بغيظ وحزنٍ وسواد الوجوه»[١٦] أو: «فنكس مروان رأسه ، وبقي مبهوتا»[١٧].

أو: «فقال ابن العاص مستهزئاً بمروان:... ذُق وبال أمرك يا مروان. وصاح معاوية بمروان: قد كنت نهيتك عن هذا الرجل، وأنت تأبي إلاّ انهماكاً فيما لا يعنيك، اربع على نفسك فليس أبوك كأبيه، ولا أنت مثله، أنت ابن الطريد الشريد، وهو ابن رسول الله الكريم، ولكن ربّ باحثٍ عن حتفه وحافرٍ عن مديته. وانتفخت أوداج مروان غضباً وغيظاً، فاندفع نحو معاوية قائلاً: ارم من دون بيضتك، وقم بحجّة عشيرتك. ثم التفت إلى ابن العاص: وطعنك أبوه، فوقيت نفسك بخصيتيك، فلذلك تحذره. ثم قام وخرج حنقاً، فقال معاوية: لا تجار البحور فتغمرك، ولا الجبال فتبهرك»[١٨].

أو: «فقال معاوية: ارجع يا مغيرة! هؤلاء بنو عبد مناف، لا تقاومهم الصّناديد، ولا تفاخرهم المذاويد. ثم أقسم على الحسن ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ بالسكوت، فسكت»[١٩].

فهذه صور لنتائج المناظرة وهزيمة الخصم، الذي هو أدنى من أن يكون مناظرا للحسن عليه السلام، وهو صور تشهد بضعف الشبهات والتهم الموجهة، والا ما الذي يمنع الحاكم والمتسلط من النطق بما لديه، وهو الذي يمتلك السلطة والقوة.

وأما الاستفهام فيأتي في سياق المناظرة تقريريا انكاريا وهو يتمم الدور الذي جاء في المناشدة بالأسلوب المشار اليه، والاستفهام يتضمن استدراج الخصوم لانتزاع الاعتراف الصريح، أو الضمني الذي يتجلى بصور مختلفة كالصمت أو الاعتراف اللفظي أو الحركي بإظهار الانسحاب أو الهروب من المناظرة أو التذمر أو رفع الصوت أو طلب السكوت من المناظر وهكذا. وقد أشرنا فيما مضى الى النصوص التي تضمنت استفهاما تقريريا أو انكاريا في سياق المناشدة والرد.

حجة السلطة

من أهم الحجج التي يتكئ عليها المناظر حجة السلطة التي تمتلك بعدًا مقدسًا لدى المتناظرين، وهي «حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها»[٢٠]، فهي مما تسالم عليها الناس في مجتمع على وفق رؤيته ومنظومته الفكرية. وتوزعت بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وأمثلة ذلك: قوله في توظيف الآية في سياق الحديث: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات[٢١]، هم والله- يا معاوية- أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك، ﴿والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾[٢٢]، هم علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعته»[٢٣].

ومن ذلك أيضا قوله: «وأمّا أنت يا وليد بن عقبة، فوالله ما ألومك أن تبغض عليّاً، وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبرا بيده يوم بدر، أم كيف تسبه وقد سمّاه الله مؤمنا في عشرة آيات من القرآن، وسمّاك فاسقا، وهو قول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[٢٤]، وقوله: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[٢٥]»[٢٦].

وقوله أيضا في الرد على عتبة بن أبي سفيان: «وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان، فوالله ما أنت بحصيف فأجاوبك ولا عاقل فأعاتبك، وما عندك خير يرجى ولا شرّ يخشى، وما كنت

لو سببت عليّاً لأعير به عليك لأنك عندي لست بكفؤ لعبد عبد علي بن أبي طالب ﷺ، فأردّ عليك وأعاتبك، ولكنّ الله عزّ وجلّ، لك ولأبيك وأمّك وأخيك لبالمرصاد، فأنت ذرّيّة آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فقال: ﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تُسقى مِن عَينٍ آنيةٍ- إلى قوله- من جوعٍ﴾(٢٧)(٢٨).

وفي حجة المقدس أيضًا نجد الحديث النبوي الشريف حاضرا بقوة في مناظرات الحسن ﷺ، وهو مما لا يستطيع الخصم دفعه وردّه الاستشهاد بقوله ﷺ: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّار، غير فرّار، ثمّ لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فتعرّض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والانصار، وعليّ يومئذٍ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله، فتفل في عينيه، فبرأ من الرمد، فأعطاه الراية فمضى ولم يثن حتى فتح الله (عليه) بمنّه وطوله، وأنت يومئذٍ بمكة عدوّ لله ورسوله، فهل يسوى بين رجلٍ نصح لله ولرسوله، ورجلٍ عادى الله ورسوله!؟ ثم اقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكنّ اللسان خائف، فهو يتكلّم بما ليس في القلب.

وبقوله ﷺ: «انت وصيّي وخليفتي في أهلي، بمنزلة هارون من موسى» ثم أخذ بيد عليّ: ثم قال: «ايّها الناس! من تولاني فقد تولّى الله، ومن تولّى عليّاً فقد تولاّني، ومن أطاعني فقد اطاع الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني ومن أحنّي فقد أحبّ الله، ومن أحبّ عليّاً فقد أحبني»؟

وبقوله ﷺ: «ايّها الناس! إني قد تركت فيكم مالم تضلّوا بعده، كتاب الله فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنّا بما انزل الله من الكتاب، وأحبّوا اهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم، وانهما لم يزالا فيكم، حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة».

ثم دعا- وهو على المنبر- عليّاً، فاجتذبه بيده فقال: «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، اللهمّ من عادى عليّاً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً، واجعله في اسفل دركٍ من النار».

وقوله ﷺ: «انت الذائد عن حوضي يوم القيامة! تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله»؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: انه دخل على رسول الله في مرضه الذي توفّي فيه، فبكى رسول الله، فقال عليّ: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «يبكيني أني أعلم: أنّ لك في قلوب الرجال من أمتي ضغائن، لا يبدونها حتى أتولّى عنك»؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: انّ رسول الله حين حضرته الوفاة، واجتمع أهل بيته قال: «اللهمّ هؤلاء أهلي وعترتي، اللهمّ وال من والاهم، وانصرهم على من عاداهم»، وقال: «انما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوحٍ، من دخل فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق؟»[٢٩].

هذه الأحاديث وغيرها وظفت في سياق المناظرة للتذكير بفضل علي وأهل بيته عليهم السلام، وكلها أحاديث صحيحة متواترة عايشها المخاطبون وعاصروها، ولم تكن بعيدة العهد، والفضائل فيها تنسف كل ادعاءاتهم الواهية وشتائمهم التي أرادوا بها النيل من بيت النبوة، وعلى الرغم من نفاق القوم الا أن ذلك لا يجعلهم ينكرون ما روي على مسامعهم وهو قريبون العهد بها، والاسلام لازال غضا بعد، وفي توثيق هذه الروايات والأحاديث تؤسس لأحقية أهل بيت النبوة في قيادة الأمة استحقاقا إلهياً، فما تحويه هذه المنظرة من حجة المقدس لا تستهدف (المستَمَع) الخاص فقط، بل تستهدف المستمع الكوني[٣٠]، أو من يريد التأثير فيهم وكشف الزيف والشبهات. يقول بيرلمان: «إنَّ الخطاب الموجَّة الى مستمَع خاص يهدف إلى الإقناع في حين يرمي الخطاب الموجَّه الى المستمَع الكوني الى التيقين»[٣١].

التشبيه والتمثيل:

يتحول التمثيل الى موجهٍ اقناعيٍّ للخصوم والمتلقين، وهو ما يتضح جليا في محاورة الامام عليه السلام مع عمر بن عثمان، فالأخير أحط وأقل قدرا من أن يتجاسر أو ينال منه عليه السلام، والمثال الذي ذكره الامام عليه السلام يشي بذلك، فالبعوضة بالنسبة الى النخلة ليست شيئا يذكر، فضلا عما تحمله النخلة من صفات الشموخ والكرم والعطاء، ومحمولات تاريخية، والتاريخ الحافل لها عبر حياة البشرية ومنذ خلق آدم عليه السلام، يشهد بذلك، فيما تأتي المحمولات السلبية والصفات المذمومة للبعوضة بما تحمله من بلاء ومساوئ لا تخفى على كل إنسان، فضلا عن انعدام القيمة والوزن المادي والمعنوي لها إذا ما قورنت بالنخلة.

يقول عليه السلام: «وأما أنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن للجواب حقيقا بحمقك، أن تتبع هذه الأمور فإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي فإني أريد أن أنزل عنك، فقالت لها النخلة: ما شعرت بوقوعك، فكيف يشق علي نزولك. فإني والله ما شعرت أنك تجسر أن تعادي لي فيشق علي ذلك»(٣٢).

ومثال آخر هو توظيف المثل الوارد في الحديث النبوي والاستشهاد به وهو قوله: «انما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوحٍ، من دخل فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق؟»(٣٣).

ومثال آخر يتعلق بواقعة الصلح لمن لامه على ذلك من الناس من أصحابه : فقال: «أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة، وأقام الجدار، وقتل الغلام، كان ذلك سخطا لموسى بن عمران عليه السلام، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصوابا؟»(٣٤).

يستحضر هذا المثال الحكمة من وراء حادثة الصلح مع معاوية، والتي أجبر الامام عليه السلام عليها حفاظاً على الثلة المؤمنة وابقاءً على البقية الباقية من أتباع علي عليه السلام، الا أن بعض أصحابه لامه على ذلك، فمثل للأمر بقصة الخضر عليه السلام العبد الصالح ورحلته مع نبي الله موسى عليه السلام، فكان العلم الذي حمله الخضر عليه السلام غائبا عن موسى عليه السلام ولذا لم يستطع صبرا على رفقته فطلب منه أن يفسر له حكمة ما فعل. فالإمام أعرف بمصلحة الأمة ولا ينبغي للأمة أن تشكك في القيادة الإلهية مهما رأت من أفعال ربما تكون الحكمة غائبة عن الأمة فيها.

حجة الاستشهاد بالتاريخ والوقائع التاريخية

يحقق الاستشهاد بالوقائع التاريخية بوصفها مؤيدات وموجهات للمستمع تعود به الى وقائع عاصرها أو عرفها، فيستذكر الماضي ويربط بينه وبين زمن المناظرة الراهن، وهذه الحجة تتضمن نوعا من التشبيه أحيانا بين واقعتين متشابهتين في زمنين مختلفين، وأحيانا أخرى الاستشهاد بها لبيان التناقض والتعارض بين المدعى في المناظرة والواقع التاريخي، ولا سيما أن أكثر المدعيات في مناظرات الإمام الحسن عليه السلام تتعلق بالنيل من أبيه علي عليه السلام ومكانته و كيلِ التهم والافتراءات، فالتاريخ الذي كتبه الآخر المخالف، فضلا عن المؤالف يشهد

ببطلان تلك المدعيات. وهذا ما يتضح جليا في مقدمة النص الذي ذكرناه[٣٥]، فالمناظرون كانوا قد اجتمعوا للنيل منه ومن أبيه عليه السلام، وهو ما نقله الراوي على لسانهم، فليس الغرض الا الانتقاص والتقليل من شأنهم، فجاءت الشواهد التاريخية المتتالية لتدفع هذه المدعيات كلها وتناقض أقوالهم، ومعروف أن تلك الشخصيات المناظرة لم تكن بعيدة تاريخيا عن ذلك بل كان بعضهم ممن كان على الكفر حينها وأسلم متأخرا، وفي الحالين سواء أكان في معسكر الايمان أو الكفر فإنه لا شك سيرضخ أمام تلك الحجة ويستذكرها لقرب العهد بها.

ويمكن ادراج هذ الحجة في مسلك آخر هو مسلك المقارنة؛ لأنّ المناظرين كانوا يحاولون أن يرفعوا شأنهم بتقليل شأن الحسن وأبيه عليه السلام، فيقارنون بين بطولاتهم الافتراضية، وحقائق التاريخ لأمجاد علي والحسن عليه السلام، وهو ما لا يصمد أمام التأريخ مهما كان ظالما، ففي النصوص السابقة شهادات بلسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بحق الطرفين، وللمستمَع (الكوني) عبر التاريخ أن يقرر لمن النَصَفة والحق.

الاستعارة الحجاجية:

تشتمل الاستعارة على قوةٌ حجاجيّةٌ، إذ ترتبط بمفهوم السُّلَّم الحجاجي، و قسمها الدارسون على أقسام متعددة، ويرى د. أبو بكر العزاوي أنها تقسَّم على: استعارة حجاجية وبديعية، فهي حجاجية؛ لأنّها «ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الاكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية»[٣٦]. وتكون الاستعارة بديعية إذا لم تكن كذلك، أي أنّها «تكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية، وإنّما نجد هذا النوع الاستعارة عند بعض الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائه الى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا إذن هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب»[٣٧]. فهي تسهم وتؤثر في توجيه المخاطب من خلال قدرتها على الإيجاز والاختزال للصورة، فضلًا عن المبالغة والإبطال، ولأهمية الاستعارة فقد أفردت لها دراسات خاصة بحيث جعلها بعضهم تختزل البلاغة بأكملها. وهي تقوم على فكرة الادّعاء التي تستبطن التشبيه والتمثيل.

وفي مناظرات الإمام الحسن عليه السلام تؤدي الاستعارة دورًا مهمًا في الإقناع وتوجيه الخطاب، ومن أمثلتها قوله:

«ألهبت عليه نارا ثم هربت إلى فلسطين تتربص به الدوائر، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك»[٣٨]

ففي النظر الى سياق المناظرة يتبين أن الخطاب كان موجها الى عمرو بن العاص الذي اتهم أمير المؤمنين بقوله: «أي ابن أبي تراب بعثنا اليك لنقررك أن أباك سم أبا بكر الصديق، واشترك في قتل عمر الفاروق وعثمان ذي النورين مظلوما،...»[٣٩].

تؤدي الاستعارات المتتالية دوراً مهماً في توجيه المستمع بشكل عام، والردِّ على دعوى المخاطب بشكل خاص، إذ ثمة أكاذيب روّجت لها السلطة الأموية تتعلق بفتنة عثمان التي أشعلها عمرو ومعاوية ومروان ومن تبعهم، وهو ما عبر عنه الأمام الحسن عليه السلام بقوله: ألهبت عليه نارا، ثم تأتي الاستعارة الأخرى (تتربص به الدوائر) التي تكمل الاستعارة السابقة في تدرج سلمي، إذ لم يكتفِ ابن العاص بتأليب الناس على عثمان، بل كان ينتظر ويتربص نهاية مؤامرته، فخرج الى فلسطين ثم أصبح مستشارا لمعاوية مقصورا عليه وهو قول الحسن عليه السلام: حبست نفسك، وتأتي الاستعارة الرابعة لتشير الى النتيجة النهائية والمآل لعمرو، وهي (بيع دينه بدنيا غيره)، وهي شر صفقة، فهذا التدرج الاستعاري في وصف تحولات ابن العاص تلخص وتختزل كثيرا من الأحداث والوقائع التاريخية، وتشي بمدى ضعف التهم الموجهة الى الحسن وأبيه عليهما السلام.

ومن الاستعارات الأخرى، وهي استعارة مستوحاة من القرآن الكريم، استعارة الضلالة للكفر وعبادة الأصنام، قال عليه السلام: «وأنت في ضلالة تعبد اللات والعزى»[٤٠]، يقول تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[٤١].

ومن الاستعارات الأخرى قوله عليه السلام: «أسلم قلبك ولكن اللسان خائف فهو يتكلم بما ليس في القلب»[٤٢]

فنسبة الاسلام الى القلب والخوف الى اللسان من المجازات والاستعارات التي جاءت على سياقات القرآن الكريم الذي ينسب الفقه والعلم الى القلب، والمراد منه هنا العقل والنفس، وكذلك خوف اللسان، وهي استعارة لطيفة تشعر بأن الاعتراف بالإسلام كان لقلقة لسان لم يبلغ القلب أو الاقتناع، بل خوفا ونفاقا .

ومن جميل الاستعارة المستوحاة من القرآن الكريم وبمحمولات دلالية تزيد من ثراء التأويل للخطاب قوله عليه السلام: «والله إن عاد لأوقرن مسامعه ما يبقى عليه عاره وشناره الى يوم القيامة»(٤٣) .

فلفظة أوقر تأتي بمعنى الثقل، أي لأثقلنَّ، وهي تستدعي الصورة القرآنية(٤٤) في وصف المشركين والكفار. فقد وردت لفظة الوقر وهو الثقل في السمع في وصف الكفار والمشركين والمستكبرين، وربما اقترنت في بعض المواضع مع لفظة (أكنّة)، وهي الأغطية على القلوب التي تحول دون هدايتهم؛ لأنَّ الرين غلب على قلوبهم فلا تنفع فيهم الموعظة أو الدعوة.

وهي استعارة لطيفة تكشف عن ماهية المخاطب في المناظرة وتفضح ما كان مستورا على القارئ والمتلقي؛ لأنها تحدد هوية المخاطَب وصورته النفاقية التي يدعي خلافها. وهي مع ما تستدعيه من مفهوم الثقل بشكل عام، ومع تعاضد القسم والتوكيد في الفعل اللذين يدلان على كثرة الحجج والبراهين التي تبطل مدعيات المخاطَبين، فهي تحيل بتلميح ذكي الى ما ذكرنا من مفهوم الوقر في الاستعمال القرآني.

الخاتمة

١- ونعني بالموجهات عنا كل الآليات أو الاستراتيجيات التي من شأنها أن توجّه المتلقي وتستميله وتُغيرِّ وجهة نظره بفكرة ما في ضوء الأدلة والحجج، وهذا يشمل الحجج والوسائل اللغوية والبلاغية والسياق وغيرها مما يتم توظيفه لخدمة الغرض الرئيس للخطاب الإقناعي وهو التأثير الإقناعي.

٢-كانت المناظرة أمرًا مفروضًا وواقعًا لابد منه بالنسبة لمناظرات الإمام الحسن عليه السلام فقد كانت السلطة الحاكمة ترسل في طلب الإمام عليه السلام لإحراجه وزعزعة ثقة محبيه ومواليه.

٣- تتزاحم الموجهات الإقناعية اللغوية وغير اللغوية في المناظرات فتجد المناشدة والقسم والاستفهام والحجج المختلفة كحجة السلطة والتمثيل والمقارنة وغيرها.

٤- مع أن المناظرات كانت غير متكافئة من حيث العدد والسياق التاريخي، والتسلط الذي مارسته الحكومة آنذاك، غير أنّ هذا لم يكن مانعا من إظهار الحقائق ورد الشبهات وكشف الزيف الذي أرادت السلطة تسويقه للعامة، فكان عليه السلام يتصدى بكل شجاعة وبلاغة وبرهان لذلك.

٥-غالبا ما تنتهي المناظرة بهزيمة المناظرين مع كثرتهم والتهرب أو الانسحاب أو الصمت الذي يشي بهزيمة المناظرين أمام الامام عليه السلام.

٦-كانت المناظرة عند الحسن عليه السلام تقوم على رد الشبهات بحجة المقدس كالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فضلا عن الوقائع التاريخية التي عاصرها القوم منذ عهد قريب.

٧- للاستعارة بعد اقناعي مهمٌ، وهي تسهم في توجيه المتلقي عبر استبطانها لفكرة الادعاء والتشبيه فضلا عن السلمية الحجاجية المفترضة التي تخلقها .

الهوامش

١- الطبرسي (ت ق٦هـ)، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج: ١/ ٣١٨-٣٣٠، ط١، دار الأميرة- بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

وينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري المشهور بتاريخ الرسل والملوك: ٤/ ١٥٨- ٣٢٤، ط٢، دار التراث - بيروت، ١٣٨٧هـ.

الأصفهاني(٣٥٦هـ)، أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ٢٩- ٥٠، ط١، منشورات الفجر، بيروت، (د.ت).

المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٤٤/ ٧٠- ٨٦، ط٣، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٨٢م.

القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي دراسة وتحليل: ٢٩٣- ٣٢٦، ط١، دار البلاغة-بيروت، ١٩٩٣م.

٢- الاصفهاني(ت٥٠٢هـ)، الراغب، المفردات:٥١٤، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت. (د.ط) (د.ت).

٣- ينظر: الشهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية:٢/ ٨٩-٩٠، ط١، دار الكتاب الجديد، بنغازي- ليبيا، ٢٠٠٤م.

٤- سورة الحج: ٣٦

٥- الاصفهاني، المفردات: ٤١٣

٦- الافريقي(ت٧١١هـ)، ابن منظور، لسان العرب: ٥/ ٢١٩، ط٣، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٧- الاصفهاني ، المفردات: ٤٩٨.

٨- الكفوي (١٠٩٤هـ)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات: ٧١٦، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، منشورات ذوي القربى، مطبعة سليمانزادة- ايران، ١٤٣٣هـ

٩- ابن خلدون(ت٨٠٨هـ)، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون: ٣٦٢ ، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٣م.

١٠- العسكري (ت نحو٤٠٠هـ)، أبو هلال، الفروق اللغوية: ١٧٥، تحقيق وضبط: محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠م.

١١- الجرجاني (ت٨١٦هـ)، السيد الشريف علي بن محمد، التعريفات: ١٨٧، ط١، مؤسسة التاريخ الاسلامي ودار إحياء التراث العربي- بيروت، ٢٠٠٣م.

١٢- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام:٨١، ط٢، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٠م.

١٣- ينظر: زاده، طاش كبرى، شرح آداب الحديث والمناظرة: ، مجلة المناظرة: ٢١- ٢٢،ع٢، ١٩٩٠.

وعادل، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة: ١٧٢- ١٧٣، ط١، منشورات ضفاف- بيروت، منشورات

الاختلاف- الجزائر، ٢٠١٣م.
١٤- سورة المائدة:٨٧-٨٨.
١٥- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٢١- ٣٢٥.
وينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري المشهور بتاريخ الرسل والملوك: ٤/ ١٥٨- ٣٢٤، ط٢، دار التراث - بيروت، ١٣٨٧هـ.
الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)، أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ٢٩- ٥٠، ط١، منشورات الفجر، بيروت، (د.ت).
المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٤٤/ ٧٠- ٨٦، ط٣، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٨٢م.
القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي دراسة وتحليل: ٢٩٣- ٣٢٦، ط١، دار البلاغة-بيروت، ١٩٩٣م.
١٦- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٣٠.
١٧- المصدر نفسه: ١/ ٣٣١.
١٨- المصدر نفسه: ١/ ٣٢٩.
١٩- المصدر نفسه: ١/ ٣٣٢.
٢٠- العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي- مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة في القرن الأول نموذجا: ٦٥، ط٢، أفريقيا الشرق- بيروت، ٢٠٠٢م.
٢١- سورة النور: ٢٦.
٢٢- المصدر نفسه: ٢٦.
٢٣- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٢٩.
٢٤- سورة السجدة: ١٨.
٢٥- سورة الحجرات: ٦.
٢٦- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٢٧.
٢٧- سورة الغاشية:٣-٧.
٢٨- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٢٧.
٢٩- المصدر نفسه: ١/ ٣٢٣.
٣٠- ينظر: بنو هاشم، الحسين، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان: ٣٦، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٤م.
٣١- بنو هاشم، الحسين، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان: ٣٦.
٣٢- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٢٥.
٣٣- المصدر نفسه: ١/ ٣٢٣.

٣٤-المصدر نفسه: ١/ ٣٤٢.
٣٥- روى عن الشعبي وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفلٍ، اكثر ضجيجاً، ولا أعلى كلاماً، ولا اشدّ مبالغةً في قولٍ، من يومٍ اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان، عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة بن أبي معيط، والمغيرة بن شعبة، وقد تواطؤوا على أمرٍ واحدٍ. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ألا تبعث إلى الحسن بن عليٍّ فتحضره فقد أحيا سيرة أبيه، وخفقت النّعال خلفه إن أمر فأطيع، وإن قال فصدق وهذان يرفعان به إلى ما هو اعظم منهما، فلو بعثت اليه فقصرنا به وبأبيه وسببناه وسببنا أباه، وصغّرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتى صدق لك فيه. فقال لهم معاوية: إني أخاف ان يقلّدكم قلائد، يبقى عليكم عارها حتى تدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قطّ إلا كرهت جنابه، وهبت عتابه وإني إن بعثت إليه لأنصفته منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف ان يتسامى باطله على حقّنا، ومرضه على صحّتنا؟ قال: لا. قال: فابعث اذاً اليه. فقال عتبة: هذا رأي لا أعرفه، والله ما تستطيعون ان تلقوه بأكثر ولا أعظم مما في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم إلا بأعظم مما في نفسه عليكم، وانه لمن أهل بيتٍ خصمٍ وجدلٍ. فبعثوا إلى الحسن عليه السلام، فلما أتاه الرسول، قال له: يدعوك معاوية. قال: ومن عنده؟. قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمّى كلاً منهم باسمه.

فقال الحسن عليه السلام: مالهم، خرّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثم قال: يا جارية أبلغني ثيابي. ثم قال: اللهم إني أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت وأنّى شئت، من حولك وقوّتك يا ارحم الراحمين. وقال للرسول: هذا كلام الفرج.

فلما أتى معاوية رحّب به وحيّاه وصافحه. فقال الحسن عليه السلام: إن الذي حييت به سلامة، والمصافحة أمنة. فقال معاوية: أجل، إن هؤلاء بعثوا اليك وعصوني، ليقروك ان عثمان قتل مظلوماً، وان أباك قتله، فاسمع منهم، ثم أجبهم بمثل ما يكلمونك ولا يمنعك مكاني من جوابهم. فقال الحسن عليه السلام: سبحان الله، البيت بيتك، والاذن فيه اليك، والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا، إني لاستحيي لك من الفحش، ولئن كانوا غلبوك إني لاستحيي لك من الضعف، فبأيهما تقرّ؟ ومن أيّهما تعتذر؟ أما أني لو علمت بمكانهم واجتماعهم، لجئت بعدتهم من بني هاشمٍ، ومع وحدتي هم أوحش مني مع جمعهم، فإنّ الله عزّ وجلّ لوليّي اليوم وفيما بعد اليوم، فليقولوا فأسمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. فقال معاوية:، إني كرهت أن أدعوك، ولكنّ هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإنّ لك منهم النصّف، ومني، وانما دعوناك لنقرّر ان عثمان قتل مظلوماً، وأن اباك قتله، فاستمع منهم، ثم أجبهم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم، أن تتكلّم بكلّ لسان. فتكلّم عمرو بن عثمان بن عفان فقال: ما سمعت كاليوم، أن بقي من بني عبد المطلب، على وجه الأرض من أحدٍ، بعد قتل الخليفة، عثمان بن عفان وكان [من] ابن اختهم، والفاضل في الإسلام منزلةً، والخاصّ برسول الله صلى الله عليه وآله أثرةً، فبئس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداءً وطلباً لفتنة، وحسداً ونفاسةً، وطلب ما ليسوا بأهل لذلك، مع سوابقه ومنزلته من الله، ومن رسوله، ومن الإسلام، فياذلاه أن يكون (حسن) وسائر بني عبد المطلب: قتلة عثمان، أحياء يمشون على مناكب الأرض، وعثمان مضرج بدمه مع انّ لنافيكم تسعة عشر دماً بقتلى بني امية ببدرٍ! ثم تكلّم عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إي يا ابن أبي تراب! بعثنا اليك لنقرّرك أنّ اباك

سمّ أبابكرٍ الصديق، واشترك في قتل عمر الفاروق، وقتل عثمان ذا النّورين مظلوماً، فادّعى ما ليس له بحق، ووقع فيه – وذكر الفتنة وعيّره بشأنها – ثم أضاف: إنكم يا بني عبد المطلب! لم يكن الله يعطيكم الملك فترتكبون فيه مالا يحلّ لكم، ثم أنت يا (حسن) تحدّث نفسك بأنك كائن امير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك، ولا رأيه، فكيف وقد سلبته، وتركت أحمق في قريش، وذلك لسوء عمل أبيك، وانما دعوناك لنسبك وأبيك، ثمّ انت لا تستطيع أن تعتب علينا ولا أن تكذّبنا في شيءٍ به، فان كنت ترى أنا كذبناك في شيءٍ وتقوّلنا عليك بالباطل، وادّعينا خلاف الحقّ فتكلم، والا فاعلم أنّك وأباك من شرّ خلق الله. أمّا أبوك فقد كفانا الله قتله وتفردّ به، وأما انت فإنّك في أيدينا نتخير فيك، والله أن لو قتلناك، ما كان في قتلك إثم عند الله، ولا عيب عند الناس. ثم تكلّم عتبة بن ابي سفيان، فكان أوّل ما ابتدأ به أن قال: يا حسن، إن اباك كان شرّ قريشٍ لقريش، أقطعه، أرحامها، واسفكه لدمائها، وإنّك لمن قتلة عثمان، وان في الحقّ أن نقتلك به، وانّ عليك القود في كتاب الله عزّ وجلّ، وإنّا قاتلوك به، فأمّا ابوك فقد تفرّد الله بقتله فكفاناه وأما رجاؤك للخلافة فلست منها لا في قدحة زندك، ولا في رجحة ميزانك.

ثم تكلّم الوليد بن عقبة بن ابي معيط بنحوٍ من كلام أصحابه، وقال: يا معاشر بني هاشم، كنتم أول من دبّ بعيب عثمان، وجمع الناس عليه، حتى قتلتموه حرصاً على الملك، وقطيعةً للرحم، واستهلاك الامة، وسفك دمائها حرصاً على الملك، وطلباً للدنيا الخسيسة وحمّاً لها، وكان عثمان خالكم فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أول من حسده، وطعن عليه، ثم وليتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم.

ثم تكلّم المغيرة، بن شعبة، وكان كلامه، وقوله كلّه وقوعاً في عليٍّ عليه السلام ثمّ قال: يا حسن إن عثمان قتل مظلوماً، فلم يكن لأبيك في ذلك عذر بريءٍ، ولا اعتذار مذنبٍ، غير أنّا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمّه قتلته، وايوائه لهم وذبّه عنهم، أنّه بقتله راضٍ، وكان والله طويل السيف واللّسان: يقتل الحيّ، ويعيب الميت، وبنو امية خير لبني هاشمٍ من بني هاشمٍ لبني أمية، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية. وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، وأجلب عليه قبل موته، واراد قتله، فعلم ذلك من امره رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ كره ان يبايع أبابكر حتى أُتي به قوداً، ثم دسّ إليه فسقاه سمّاً فقتله، ثم نازع عمر حتى همّ أن يضرب رقبته، فعمل في قتله، ثم طعن على عثمان حتّى قتله، كلّ هؤلاء قد شرك في دمهم، فأيّ منزلةٍ له من الله يا حسن، وقد جعل الله السلطان لوليّ المقتول في كتابه المنزل، فمعاوية وليّ المقتول بغير حقّ، فكان من الحقّ لو قتلناك وأخاك والله ما دم عليٍّ بخطرٍ من دم عثمان، وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوّة ثم سكت.

الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣١٨- ٣٢١.

٣٦- العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج: ١٠٨، ط١، مطبعة العمدة، الدار البيضاء،١٤٢٦ه-٢٠٠٦م.

٣٧- العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج: ١٠٩.

٣٨- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٢٦.

٣٩- المصدر نفسه: ١/ ٣٢٦.

٤٠- المصدر نفسه: ١/ ٣٢٢.

٤١- سورة البقرة: ١٦.
٤٢- المصدر نفسه: ١/ ٣٢٢.
٤٣- المصدر نفسه: ١/ ٣٢٩.
٤٤- وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في ستة مواضع، خمسة منها للدلالة على الثقل الذي يصيب الكفار ويمنعهم عن سماع آيات الذكر الحكيم للهداية، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾(الأنعام:٢٥)، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾(الإسراء:٤٦)، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾(الكهف:٥٧)، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(لقمان: ٧)، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾(فصلت:٤٤)، ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً﴾(الذاريات:٢).

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم
*ابن خلدون(ت٨٠٨هـ)، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٣م.
*الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)، أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، ط١، منشورات الفجر، بيروت، (د.ت).
*الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، الراغب، المفردات، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (د.ط)، دار المعرفة- بيروت. (د.ت).
*الافريقي(ت٧١١هـ)، ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، (د.ت).
*بنو هاشم، الحسين، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٤م.
*الجرجاني (ت٨١٦هـ)، السيد الشريف علي بن محمد، التعريفات، ط١، مؤسسة التاريخ الاسلامي ودار إحياء التراث العربي- بيروت، ٢٠٠٣م.
*زاده، طاش كبرى، شرح آداب الحديث والمناظرة، مجلة المناظرة العدد الثاني، ١٩٩٠م.
*الشهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية، ط١، دار الكتاب الجديد، بنغازي- ليبيا، ٢٠٠٤م.
*الطبرسي (ت ق٦هـ)، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، ط١، دار الأميرة - بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
*الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري المشهور بتاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث- بيروت، ١٣٨٧هـ.
*عادل، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط١، منشورات ضفاف- بيروت، منشورات الاختلاف - الجزائر، ٢٠١٣م.
*عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط٢، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٠م.
*العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ط١، مطبعة العمدة، الدار البيضاء، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
*العسكري (ت نحو٤٠٠هـ)، أبو هلال، الفروق اللغوية: تحقيق وضبط: محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠م.
*العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي- مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة في القرن الأول نموذجا، ط٢، أفريقيا الشرق-بيروت، ٢٠٠٢م.
*القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي دراسة وتحليل، ط١، دار البلاغة-بيروت، ١٩٩٣م.
*الكفوي (١٠٩٤هـ)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، منشورات ذوي القربى، مطبعة سليمانزادة- ايران، ١٤٣٣هـ .
*المجلسي(ت١١١١هـ)، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٣، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٨٢م.

الإشاعاتُ ودوُرها في تفكيك

جيش الإمام الحسن عليه السلام

د. فاطمة مهدي البزّال

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها / لبنان

ملخص البحث

تُعَدُّ الإشاعاتُ من أشدّ الحروب النفسيّة تأثيرًا في الفرد والمجتمع، فهي تعملُ على بثّ الخوف في نفس المُتلقّي لثنيهِ عن القيام بعملٍ ما في إطارٍ من التّرغيب والتّرهيب .هذه الكرة من المخاوف تتدحرجُ بسرعةٍ لتطالَ المجتمعاتِ وتسري كالنّار في الهشيم مُخلخلةً القناعات والعقائد في نفوسٍ ضعيفةٍ تستجيبُ لأدنى مؤثّرٍ في حياتها وتتمتّع بقابليّة الاستدارة الفوريّة عندما تلمحُ رياح التغيير قادمة بما يلائمُ أهواءها وتطلّعاتها المُستقبليّة بالوقوف إلى جانب القويّ ولو كان خطّاءً على حسابِ الضّمير والوعي . إنّ الجمهور المتلقي للإشاعات مسيّرٌ على وفق منظومةٍ عملتْ جاهدةً على دراسةِ نفسيّته وكيفيّة تقبّلهِ الأخبار، والإنسان بفطرتِهِ يميلُ إلى كلّ شيء جديد بفعل فضوله فيُصدّق كل ما يسمعُهُ قبل أن يتسنى له إعمال عقله لتمييز الزّائف من الصّحيح ، وذلك لأنّ اختيار الإشاعات يأتي بعد دراسةٍ متأنيةٍ بحيث أنّها تحملُ في طيّاتها شيئًا من الحقيقة المموّهة بكثيرٍ من الغموض ، ممّا يدفع الكثيرين لتردادها ونشرها في جوٍّ مشحونٍ بالقلق والتّوتّر . من هنا نجدُ أنّ الإشاعات تُحقّقُ غرضها كلّما اشتدّت الأزمات وتخالفتْ الآراء و احتدم النّزاع لتُسهم مُساهمةً فعّالةً في زيادة الشّرخ والشكّ وتفريق وحدة الكلمة في مجتمعٍ ما، ممّا يُسهّلُ عمليّة خضوعهِ للآخرين مؤثرًا السّكينة والدّعة على العيش في ظلّ التّوترات القائمة. جاء عصر الإمام الحسن عليه السلام امتدادًا ومُكملًا لعصر جدّه صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام، بحيث لم تغبْ تناقضات المجتمع ، في ظلّ بقاء الانقسام الحادّ عموديًا بين أهل بيت النبوّة من جهة والمشركين الذين ادّعوا الاسلام ولـمّا يدخل الإيمان قلوبهم من جهة أخرى ، والذين حاولوا بكلّ ما أُوتوا من قوّة الاستيلاء على الحُكم باستعمال أساليب الخداع والنّفاق تارة عبر ما ابتدعوا من خدعة «التّحكيم» وأخرى بتفكيك جيش الإمام الحسن عليه السلام تمهيدًا للصلح ليكون لهم موطئ قدمٍ في السّلطة . من هنا كان اختيار بحثنا الموسوم بـ» الإشاعات ودورها في تفكيك جيش الإمام الحسن عليه السلام» للوقوف على أثر الإشاعات التي حملتْ قادة جيشهِ على خيانتهِ وتفكيكِ وحدة صفّه ليصل إلى قبول الصّلح مع معاوية .

Abstract

Rumors are one of the most influential psychological wars on the individual and society, as it works to spread fear in the recipient to discourage him from doing something within a framework of persuasion and intimidation. This ball of fears quickly rolls over to reach societies and spreads like wildfire, shaking the weak satisfactions and beliefs in the souls . The audience that receives rumors is guided by a system that has worked hard to study its psychology and how it accepts news, and the human being by nature tends to deal with everything new due to his curiosity, so he believes in everything he hears before he can use his mind to distinguish the false from the true . It contains something of the truth camouflaged with a lot of mystery, which prompts many to repeat it and spread it in an atmosphere charged with anxiety and tension. From here, we find that rumors achieve their purpose whenever crises intensify, opinions differ, and conflict rages in order to effectively contribute to increasing rift and suspicion and dispersing the unity of word in a society, which facilitates the process of its submission to others, affecting the existing peace and quietness . Hence the choice of our research : "Rumors and their role in dismantling the army of Imam Hassan (pbuh)", is to find out the impact of rumors that led his army leaders to betray him and to dismantle the unity of his class for accepting peace with Muawiyah.

أولا : تعريف الإشاعة

١ـ تعريف الإشاعة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور، تحت مادّة «شيع»:

شيّعْتُ فلانًا :اتبعته ، وشايعه: تابعه وقوّاه، ويُقال: شاعكَ الخير : أي لا فارقكَ. ويُقال: فلان يُشيّعُهُ على ذلك أي يقوّيه، ومنه تشييع النار بإلقاء الحطب عليها . وشيّعهُ : خرج معه عند رحيله ليودّعهُ. وتشيّعَ في الشيء: استهلكَ في هواه ، والشّياع : صوتُ قصبةٍ ينفخُ فيها الرّاعي .وشاعَ الشّيب : ظهر، وشاع الخبر: انتشر، وأشاع ذكر الشيء:أطارهُ .وأشعت السرّ: أذعتهُ. ورجلٌ مِشياع: أي مذياع لا يكتُمُ سرًّا . وأشاعكم السّلام: أصحبكم إياه. [١]

وقال الرّاغب الأصفهاني في كتاب المفردات في غريب القرآن :

الشّياع : الانتشار والتّقوية ، ويقال : شاع الخبر أي كثر وقوي . وشاع القوم : انتشروا وكثروا، وشيّعت النار بالحطب : قويتها . والشّيعة من يتقوّى بهم الإنسان وينتشرون عنه ، ومنه قيل للشجاع : شيّع . ويقال : شيعة وشيَعْ وأشياع . قال تعالى : « وإنّ من شيعته لابراهيم» [٢]

إذًا ، المعنى المشترك لهذه المعاني هو الانتشار والتّكاثر ، فالأخبار تنتشر ، والقوم يتكاثرون وينتشرون ، وكذلك النّار تقوى وتزيد ، وكلّها معاني متقاربة لمادة «شيع» .

٢ ـ تعريف الإشاعة اصطلاحًا :

عُرِّفت الإشاعة بأنّها « كلّ قضيّة أو عبارة مقدّمة للتّصديق ، تتناقل من شخص إلى آخر، دون أن تكون لها معايير أكيدة للصّدق »[٣].

أو هي « النبأ الهادف الذي يكون مصدره مجهولا ، وهي سريعة الانتشار ، ذات طابع استفزازيّ أو هادئ حسب طبيعة ذلك النبأ »[٤].

وقد وجد البعض أنّها « أخبار مشكوك في صحّتها ، ويتعذّر التّحقّق من أصلها ، وتتعلّق بموضوعات لها أهميّة لدى الموجّهة إليهم ، ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنويّة »[٥].

إذن، الإشاعة تتناول أخبارًا مشكوكا في صحّتها تحملُ طابعًا يتكيّفُ بحسب الخبرِ المُراد نشرُه بهدفِ إضعافِ معنويات الموجّهَة إليهم ، والتأثير بهم وتشتيت جمعهم .

ثانيا : تاريخيّة الإشاعة :

وُجِدَت الإشاعة مع وجود الإنسان على هذه الأرض، ولا يكادُ يخلو مجتمع من المجتمعات منها لقابليّة نفسيّة عند الإنسان لتداولها .وقد عانى منها الأنبياء والأولياء والصّالحون على مرّ العصور ، ولم يخلُ زمن لم تكن لتتصدّر فيه الإشاعات وتأخذ طريقها إلى الانتشار بخاصة إذا وجدت البيئة الحاضنة لها والميسّرة أمرها .

كان أباطرة الرّومان يَعون أهميّة انتشار الإشاعات في مجتمعهم ، ويعانون كثيرًا من هذا الوباء الذي يوهنُ السّلطة ، لذلك لجأوا إلى تعيين « حراس إشاعات، وكان لحرّاس الإشاعات حين يقتضي الأمر أن يشنّوا من جانبهم حملة مضادّة من الإشاعات »[٦] تُسهم في التّخفيف من وطأة ما يتمّ تداولهُ بين النّاس . وأحيانًا كانوا هم من يُبادر لإطلاق الإشاعات بهدف استمزاج الرأي العام حول قضيّة من القضايا ، ولمعرفة ما تنطوي عليه سرائر الناس إتجاه السّلطة .إذن نلحظُ أنّ الإشاعات دخلت في مجال التخطيط الاستراتيجي للسّلطة وصارتْ تُستخدمُ من ضمن سياسات الدّولة عبر التّفنّن بها ، لما لها من أثرٍ في تكوين الرأي العام ، وتأثير في نفوس النّاس ترغيبًا وترهيبًا .والإشاعة نفسها هي التي ساقتْ سقراط إلى حتفهِ بعد اتّهامهِ بحضّ الشّباب على الثّورة [٧]، ومثله الحلّاج الذي اتّهم بالزندقة وغيرهم كثيرون .

ثالثًا :الإشاعة في القرآن الكريم :

جاء القرآنُ هدى وتبيانًا لكلّ شيء ، فيه آياتُ الثّواب والعقاب والأحكام والتّشريع ، وفيه أحسن القصص. ورد الفعل «تشيع» مرّة واحدة في القرآن الكريم بلفظه الظاهر وذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾[٨]. وبقراءة للتّاريخ نلحظ أنّ كلّ من يُخالف أهواء الناس كان معرضًا لسيلٍ من الإشاعات. من هنا، نجدُ أنّ الأنبياء عليهم السلام ،بما حملوا من رسالةٍ للنّاس وهداية لهم من الضّلال، كانوا الاكثر تعرّضًا للإشاعات بهدف تثبيط دعوتهم وتفريق النّاس عنهم ، كي يصدّوا عن ذكر الله ، فرموهم تارةً

بالجنون وتارة بالكذب. فهذا نوحٌ اتُّهم بأنّه يريد أن يتزعّم قومه ﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾[٩]، والحديث كان موجّهًا بصيغة المخاطب الجمع لتأليب النّاس عليه . كما اتّهموه بالكذب والضّلال مع من اتّبعه من المؤمنين ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[١٠]. وعندما يئسوا منه، اتّهموه بالجنون ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾[١١].

كذلك النبيّ موسى الذي أرسل إلى طاغية عصره «الفرعون» ، تعرّض لكمٍّ هائلٍ من الإشاعات، ونلحظ هنا، أنّ قوّة الإشاعات كانت تتكثّف بأهميّة الحدث بُغية الإحاطة بهِ وإيجادِ مناخٍ من التّشكيكِ حولَهُ يليه تفرّق النّاس عنه. فاتّهم بالسّحر: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ *يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[١٢].الخطاب كان موجّهًا للجماعة ولا يخفى ما للأثر الذي تتركه على نفسيّاتهم خاصّة باللعب على الوتر الحسّاس وهو إشاعة إخراجهم من ديارهم ، ومعلومٌ مدى تعلّق الإنسان بأرضه وحبّه لها .

وكذلك الرسول الأكرم المعروف بين قومه بـ«الصّادق الأمين» قبل بعثته الشّريفة ، فقد لاقى من قريش: كفّارها ومنافقيها الأمرّين ، فرموه بالجنون: ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[١٣]. غير أنّ الإشاعات لاحقتْ النبي صلى الله عليه وآله حتى بعد هجرته إلى المدينة ، وكان للمنافقين واليهود دورٌ بارزٌ في إطلاقها ونشرها بغية إضعاف الدّين الجديد . وفي معركة أُحد أشاعت قريش نبأ مقتل الرسول صلى الله عليه وآله لّما رأت استبسال المسلمين في المعركة واقترابهم من حسم المعركة لصالحهم، وهذا ما أثّر على النّفوس الضّعيفة فأصابها الوَهن والخوف. قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[١٤].من هنا، نرى أنّ الإشاعة تفعل فعلها في ضعاف النّفوس والذين لم يتمكّن الإيمان منهم ليزيدهم قوة وصلابة في مواجهة المصاعب ، لذلك نراهم يتململون ويخافون قبل التأكّد من الخبر واستيضاح الأمر[١٥].

وجاء كلام الحقّ تعالى مؤكّدًا أنّ الإشاعة المشتركة الموجّهة للأنبياء كانت السحر والجنون:

﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[١٦].

ونلحظ ممّا تقدّم أنّ الإشاعة كانت دائمًا سبيل المُفلس الذي لا يمتلك حجّة دامغةً يُدافعُ فيها عن معتقداتِهِ وأفكاره ، خاصّة أنّ الانبياء عليهم السلام كانوا معروفين عند أقوامهم بالصّدق والعمل

الصّالح قبل تكليفهم الإلهيّ بالدّعوة لعبادة الله الواحد .

رابعًا : الحياة السّياسيّة في عصر الإمام الحسن عليه السلام:

كان عصر الإمام الحسن عليه السلام امتدادًا لعصر جدّه صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام . فالعناصر المكوّنة للمجتمع الإسلامي كانت نفسها ، والذين قاتلوا الرسول في بدر صلى الله عليه وآله وأحد والأحزاب، من المشركين والمنافقين الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم ، هم أنفسهم من أعدّ العدّة واجتمعوا على قتال الإمام علي عليه السلام في صفّين . وبعد استشهاده عليه السلام أعملوا مكائدهم للإمام الحسن عليه السلام الذي لجأ للصّلح مع معاوية حقنًا لدماء الثلّة القليلة الباقية بعد خذلانه وتفرّقِ جيشه «أيدي سبأ»، تمهيدًا لاغتياله بالسمّ . وهي الشّجرة الخبيثة نفسها التي ثار عليها الإمام الحسين عليه السلام مُعلنًا دمه ، خارِجًا لطلب الإصلاح في أمّة جدّه صلى الله عليه وآله رافضًا مبايعة يزيد .

إعلان البيعة :

استلم الإمام الحسن عليه السلام الحكم، ومرجل الخصومات لّما تزل مستعرة بعد قتال الناكثين والمارقين والقاسطين ، فقد وهن كيان الأمّة بعد غرقها بحروبٍ كان بالإمكان تلافيها وتوفير كثير من الوقت من أجل إرساء دعائم ثابتة لبناء الأمّة الإسلاميّة فضلًا عن الارواح التي أزهقت . ولأوّل مرّة نجدُ كيانا سياسيّا قائما بذاته في الشّام متمثلًا بحكم معاوية وكان ذلك ممّا أفرزتْهُ حادثة التّحكيم ، فغدا وجود هذا الحكم المنشقّ شرعيًّا في نظر أهلِ الشّام وهذا لم نقع عليه سابقًا. وكان النّاس أمام أمرين إمّا الانضمام إلى السلطة اللاشرعية في الشّام وإمّا بناء كيان سياسي جديد . هذا النّوع من التّفكير لم يكن موجودًا إبّان حكم الإمام علي عليه السلام ومع ذلك فقد اندفع النّاس لمبايعة الامام الحسن عليه السلام وهو يقول : «**تبايعون لي على السّمع والطّاعة ، وتحاربون من حاربت ، وتسالمون من سالمت** » فبايعه أهل الكوفة والحجاز وفارس واليمن ولم يتخلّف إلا معاوية في الشّام .(١٧).

يتّضح من كلام الحسن عليه السلام أهميّة طاعة الولي في كلّ الأمور فهو القادر ــ بما أوتي ـ من علمٍ لدنّيٍ وحكمة وبصيرة ـ على الإمساك بدفّة السفينة لتمخرَ عباب البحار دون خوفٍ أو وجل، لذلك كان شرُطهُ على المُبايعين أن يُسلّموا له أمورهم تسليمًا مُطلقًا ولا يتوانون عن نصرته والسّير بأمره لأي أمرٍ تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين ، سلمًا أو حربًا .

كان الإمام الحسن ﵇ مُتيقّظًا من للفتن التي تأتي من الشّام لعلمهِ بدهاء معاوية ومكره داعيًا النّاس لتوخّي الحذر:« **وأحذّركم الإصغاء لهتاف الشّيطان إنّه لكم عدوٌّ مبين ، فستلقون للرّماحِ وردًا ، وللسّيوف جزرًا ، وللعمد حطما ، وللسّهام غرضا** »(١٨). لقد استشرفَ الإمام ﵇ المُستقبل ورأى المصير الذي ستؤول إليه أحوال الأمّة إذا انحازت عن الصراط المستقيم واختارتْ معاوية لحكمها، أراد الإمام بهذا الكلام تهيئة الأرضيّة المناسبة لقيام حكمٍ شرعيّ يُراعي حُرم النّاس ، مُسهمًا في بناء وإرساء دعائم متينة في حكم الأمّة بتبيان النموذج الأسوأ لإدارة الحكم وذلك لردع من تسوّل له نفسه الوقوف مع معاوية، فسيناريو الخراب والدّمار والقتل سيكون طاغيًا ؛ لأنّ معاوية كان مُعطّلًا العمل بأحكام الدين الحنيف ، غير مُكترثٍ لشيء سوى الوصول للحكم والتّربّع على عرشهِ لإرضاء شهوة دفينة رافقته ردحًا من الزّمن للقتل والتجرّؤ على أحكام الدين ثأرًا لنفسه ولأبيه وللمنافقين بعد أن خلّدهم القرآن بوصفهم أنموذجاً من أشدّ الخلق عداء لله ورسوله وأولي الأمر .

ومن أجل إلقاء الحجّة كتب الإمام ﵇ إلى معاوية يدعوه للبيعة وممّا جاء في كتابه ﵇ :«**واتقِ الله ، ودعِ البغي ، واحقن دماء المسلمين ، وإن أنت أبيْتَ إلّا التّمادي في غيّك ، نهدْتُ إليك بالمسلمين فحاكمتك حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين**» (١٩). من خلال هذه الرّسالة نتبيّن حكمة الإمام ﵇ بتبيان أحقيّته في الخلافة، داعيًا إلى حقنِ دماء المسلمين، مع الأخذ بجانب القوّة والحزم في حال تمادى معاوية ولم يُقدم على مبايعته . لقد كان كلام الإمام ﵇ واضحًا باستعمال ضمير المخاطب «أنت» فلم يُهادنْ أو يُساير وإنّما كان حازمًا متوسّلًا لغةً ونبرة حادّة بأسلوبٍ إيعازي غلب عليه الأمرُ والنّهي . في هذه الرّسالة لم يكن الإمام ليدعوَ لنفسهِ بل لتطبيق أحكام الله وحقن دماء المسلمين. وهنا، أجاب معاوية برسالة يضمرُ فيها العصيان الكامل لبيعة الإمام رافعًا نسبة التّحدّي والإثارة معه ، فما كان من الإمام الحسن ﵇ إلا إن أوقف المكاتبات مع معاوية وبدأ بالتعبئة العسكريّة وتثوير الشّعب للنّهوض والاستعداد لخوض الحرب مع معاوية، لذلك خرج خطيبًا في النّاس لأنّ الخطابة تعدّ الوسيلة الإعلاميّة الأكثر رواجًا والأشدّ تأثيرًا في قلوب النّاس في ذلك الوقت وكدأب أبيه من قبله حثّ الإمام الحسن ﵇ المسلمين على الجهاد

فقال عليه السلام: «**أمّا بعد، فإنّ الله كتب الجهاد على نفسه وسمّاهُ كرهًا، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين «اصبروا إنّ الله مع الصّابرين» ،فلستم نائلين ما تحبّون إلا بالصّبر على ما تكرهون، وبلغني أنّ معاوية بلغهُ أنّا كنّا عزمنا على المسير إليه فتحرّك، لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنّخيلة حتّى ننظر وتنظرون** »(٢٠).

لقد استحثّ الإمام عليه السلام النّاس على الخروج مُذكّرًا إياهم بكلام الله عزّ وجلّ في ضرورة الجهاد مع كراهة النّفس البشريّة والصّبر على البلاء والمحن. وعزم منذ اللحظة الأولى، بعد استنفاذ كلّ الوسائل السلميّة بالحوار والنّقاش، على الحشد من أجل الحرب لقطع الطّريق على معاوية في تنفيذ مآربه الفتنويّة والسّلطويّة ، كان لابدّ من التّصدّي له بخاصّة أنّهُ كان عازمًا على الحرب والوقوف حجر عثرةٍ في وجه الإمام الحسن عليه السلام مُتّبعًا أساليب الحرب النّفسيّة باثًّا الرّعب والخوف في النّفوس قبل وصوله ليسهل عليه تبديد الجموع وتفريقها عن الإمام الحسن عليه السلام .

خامسا : أساليب الحرب النفسيّة :

تعدّدتْ أساليب الحرب النّفسيّة والهدف واحد ألا وهو تدمير الخصم والقضاء على قدراته العسكريّة أو شلّها لتفقدَ قدرتها وتتلاشى فاعليتها . لذلك كان من الأهمّيّة بمكان إيلاء كلّ من الجسد والنّفس قدرًا كافيًا من التّربية والرّياضة السّلوكيّة لتحقيق التّوازن بينهما ، وإلا ظهر الخلل وكان كما قال الشّاعر :

لا بأس بالقومِ من طولٍ ومن عظم جسمُ البغال وأحلامُ العصافيرِ (٢١)

إذن، لا بدّ من التّربية النفسيّة والسّلوكيّة لتتلاءم مع القدرات الجسديّة والإيمان الرّاسخ والعقيدة الحقّة للتّغلّب على أساليب الحرب النفسيّة التي تستخدمُ وسائل غير مشروعة غير آبهة إلا بتحقيق أهدافها السّلطويّة عبر التّرغيب والتّرهيب وبثّ الفرقة وتغذية الفتن من باب « فرّق تَسُد». عزم معاوية على الحرب باتّخاذ طريقِ الغدر والاغتيال والاحتيال وذلك باتّباع طُرُق عدّة :

١ ـ **افتعال الأزمات وحبك المؤامرات** : لتعرف عدوّك أكثر وتدركَ مدى إمكانيّته لا بدّ من نصب الجواسيس في الأماكن كافّة ولا سيّما الحسّاسة منها ليسهل تحقيق خرقٍ نوعيٍّ على المستوى الاستراتيجي والعسكري. وبذلك يكون الاطّلاعُ من قِبل الجواسيس وعديمي الأمانة على الأسرار الحربيّة وما يُرافقها من خُططٍ مُعدّةٍ لهزيمة العدوّ أمرًا في غاية الخطورة وقد تقلبُ موازين الحربِ لتُصبح الكفّة الرّابحة خاسرةً بكلّ المقاييس. لقد فطِنَ معاوية لهذه المُعادلة وعمد إلى تطويع كلّ الوسائل لتتلائم وسياسته لتحقيقِ أهدافهِ في الوصول إلى السّلطة والضّرب بيدٍ من حديد لكلّ من يُزاحمُهُ ويُفكّر في اعتراض طريقه . فعمد إلى إرسال العيون والجواسيس إلى الكوفة والبصرة لاستطلاع عدد جيش الإمام الحسن عليه السلام ونوعيّته والاطلاع على سير الخُطط الحربيّة بُغية الاستعداد لها ، كما عمدَ لدسِّ رجلٍ من حِميَر إلى الكوفة وآخر من بني القيْن إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار،وتمّ إلقاء القبض عليهما وأُعدِما[٢٢].

عادة ما تكون الحروب الدّاخليّة أشدّ خطرًا من الحروب الخارجيّة ، لأنّ عدوّ الخارج معروف بأطماعه التّوسّعية وأهدافه الاستعماريّة ، ولكن الحرب الدّاخليّة هي حربٌ ضمن نسيج المجتمع الواحد حيثُ القرابة والتحالفات تغدو أكثر عمقًا. من هنا، فإنّ العمل على إثارة النّعرات والخلافات ضمن المركبات الضّيقة للمجتمع بأطيافه كافّة ستؤدي إلى هلهلة نسيجه والقضاء على لُحمتهِ بحيثُ يصعُبُ بعدها رتق ما كان فتبقى حزازات النفوس كما هي.

٢ـ **إشاعة الرّعب والفوضى** : وهي من أساليب الحرب النّفسيّة . فالتّفكير السّليم والمنطقي يستلزمُ بيئة مُنظّمة من أجل أن تأتي القرارات صائبة وقد نضجت على نارٍ هادئة ، من دون التّعرض لأي ضغوط نفسيّة أو شعبية أو إقليميّة .من هنا، فإنّ إشاعة الفوضى والرّعب لها آثارها السّلبيّة ، بحيث ينصرف النّظر أو يتراجع التّركيز عن الاهتمام بالعدوّ الخارجي من أجل رأب الصّدع الذي أحدثتهُ الفوضى بإعادة تصويب الرؤية على الأهداف الكبرى مع العمل على معالجة الأمور الدّاخليّة لإبقاء الجبهة متماسكة .فما نفعُ السّيوف إذا كانت بكفِّ الجبان ؟ وكما يعبر المتنبي :

تلقى الحُسام على جراءة حدّهِ مثل الجبانِ بكفِّ كلِّ جبانِ[٢٣].

فالسّيف يستمدُّ قوّته من حامله وإلا فقد اهميّته .ولا بدّ للمقاتل من التمتّع بقلبٍ قوي شجاع خائضًا غمار الحتوف

عندما وصلتْ أخبار توجّه معاوية للحرب عمّ العراقيين الذّعر والخوف، فتثاقلوا وتخاذلوا عن نصرة الإمام (عليه السلام) . ومن المعلوم أنّ هذه الجماهير مجموعة من أخلاط النّاس وهي غير متجانسة ، فمنهم شيعة الإمام (عليه السلام) وهي التي تؤمن بحقّ الإمام الحسن (عليه السلام) في ولاية المسلمين وتُشكّل فئة قليلة قياسًا بغيرها . ومنهم الخوارج أوالمحكّمة التي قبلت بالتّحكيم ثمّ تظاهرت على الإمام علي (عليه السلام) في حرب صفّين ، هذه الفئة تكيد لمعاوية وتسعى لحربه بأية طريقة .وكان من هذا الجمهور **«الشّكاكون» والمحاربون للمغنم وهاتان الفئتان لا يعوّل عليهما لأنّهما تنقلبان وتميلان حيث تميل ريح الغنائم والظّفر .أمّا الفئة الاخيرة فينحصر ولاؤها لزعماء القبيلة ، فتُقدّم طاعة زعماتها على طاعة الإمام(عليه السلام) .وكانت الأنباء تصل للإمام عن معاوية أنّه خرج معه جيش :« أطوع النّاس لمخلوق وأعصاهم للخالق ، عُصاة الجبّار، وحلفة الأشرار»**[٢٤].

لقد جهد معاوية في بثّ الرّعب والخوف قبل توجّهه لملاقاة جيش الإمام الحسن (عليه السلام) ، مُبيّنًا المنظومة الأخلاقيّة والقيميّة والعقائديّة التي يتمتع بها هذا الجيش ، من اتّباع للشّهوات بإطاعتهم المخلوق الذي يُغدق عليهم الأموال في حياتهم الدّنيا ومعصيتهم الخالق جهارًا وفي هذا قمّة التّحدّي . أناسٌ نُزعت الرّحمة من قلوبهم فلا دين يردعهم ولا قيم تمنعهم ، وهم بذلك مُهابون يبثّون الرّعب حيثما حلّوا ، ومن لم يخاف الخالقَ فالخوف منه واقع .

هذا الاسلوب اتّبعه معاوية سابقًا مع الامام علي (عليه السلام) عندما قال للأعرابي :« **أبلغ عليًا أني أقابله بمائة الف ما فيهم من يُفرّق بين الناقة والجمل**»[٢٥] وهذا يعني أنهم لا يميزون بين الحقّ والباطل .جاء ردّه بعد أن بيّن الإمام علي (عليه السلام) صفات أصحابه في التُّقى والورع والبأس والشّجاعة .

٣ـ الإشاعة :

وتعدُّ من ركائز الحرب النّفسيّة وعمادها الأوّل ، وغالبًا ما كانت تقلب موازين القوى لصالح مروّجيها الذين لا يألون جهدًا من أجل إنجاح مؤامراتهم وتحقيق مآربهم منتهجين

كلّ الوسائل المُتاحة مُتخطّين تعاليم الدّين والقيم والمُثل العليا التي تُبنى على أساسها الحضارة الإنسانيّة .والإشاعة أسلوبٌ من أساليب تقويض الرّوح المعنويّة على صعيد الفرد والمجتمع، تعتمد البلبلة الفكريّة والنّفسيّة ليسهل على مرّوجيها تغيير الاتجاهات واللعب بالعقول وصولًا للسّيطرة والتّحوير الفكري.

أهداف الإشاعة في الحرب:

أ. تستخدم الإشاعات بهدف تفتيت الجيش وإضعاف المعنويات وتفريق الصّفوف : بما انّ الإشاعة أخبار غالبًا ما تكون مجهولة المصدر فهي تعتمد على تزييف الحقائق وتشويه الواقع بتأثيرها على الرّوح المعنويّة بزرع بذور الشكّ في صفوف الجيوش ممّا يولّد القلق والارتباك في النّفوس فتتزعزع العقيدة وتتخلخلُ موازين القوى لصالح العدو .

ب . بثّ الفرقة بين البيئة الحاضنة والحلفاء من جهة وأولي الأمر من ناحية ثانية :لا شكّ في انّ المجتمع بأطيافه يُشكّلُ الدّعامة الاولى لأيّ مشروع نهضويٍّ يهدفُ إلى تطويره وتنميته وحمايته. لذلك تعدُّ الإشاعة سلوكًا عدوانيًّا يستهدفُ لُحمة المجتمع ، فهي تعمل على عقل الإنسان ونفسه وليس جسده وتُصوّب باتّجاه معنويّاته وميوله ورغباته مستفزّة غرائزه لتسييرها على وفق ما حُدد لها من أهداف تفكيكيّة .إنّ بثّ الإشاعات تعبيرٌ عن العُقد النّفسيّة المُترسبة في العقل الباطن ، هذا السّلوك العدوانيّ يستهدف كلّ ما يتعلّق بأمن النّاس لانّه يتركهم في دوامة من القلق بحيث يفتقد النّاس إلى الإدراك والوعي وثوابت الاستقرار كالامن والدّين والقيم ، ممّا يؤدّي إلى تدني المعنويات وإعاقة التّفكير فتتشكّل حواجز تحجب من خلالها الحقيقة فتعمى الأبصار ويسوء التّقدير ويقع الخلل لعدم الثّقة بين مكونات المجتمع وصولًا إلى التّشكيك بعدالة الهدف الذي يُحاربُ من أجله .

بثّ الإشاعات من المعسكر الاموي :

عمد معاوية إلى بثّ الإشاعات التي طالتْ الإمام الحسن عليه السلام وقادة جيشه . وينشط بثّ الإشاعات في الحروب والأزمات حيث حالة التّوتّر مرتفعة واستعداد نفسيّ لتصديقها . نظر معاوية إلى بوادر إعلان الحرب ، وتبلور موقفهُ إزاءها عن طريق ما كان

يصله من جواسيسه حول نوعيّة جيش الإمام الحسن عليه السلام وقادته المخلصين ، لذلك عمل على محاولة تفكيك وحدة هذا الجيش وضرب معنويّاتِه عن طريق اتّصاله بقادة الجيش وزعماء القبائل لشراء ضمائرهم فأجابوه سرًّا إلى طلبه .

أ ـ الاتصال بعبيد الله بن العبّاس قائد جيش الإمام الحسن عليه السلام الذي أرسله على جيش يربو على اثني عشر ألفًا. عمد معاوية إلى الحيلة لاستدراجهِ إلى جانبه عن طريق إغرائه بالمال وإشاعة أنّ الإمام الحسن عليه السلام قد قبل بالصّلح :«**إنّ الحسن قدْ أرسلني في الصّلح ، وهو مُسلّمٌ الأمر إليّ فإذا دخلتَ في طاعتي الآن كنتَ متبوعًا ، وإلّا دخلت وأنت تابع**» (٢٦) .

ب ـ إغراء القبائل ونشر الذّعر:

لقد مُني جيش الإمام الحسن عليه السلام في ذلك الوقت بحزبين عدوين يكيدان للهاشميين كلّ عداء وهما الحزب الأموي الذي يتكوّن من الأسر البارزة الذين لا يهمّهم سوى الظّفر بالمال والزّعامة على حساب الأخلاق والفضيلة ، وكانوا يُشكّلون خطرًا كبيرًا لوجودهم في جيش الإمام عليه السلام ومنهم :عمر بن سعد ، قيس بن الأشعث، عمرو بن الحجاج وغيرهم. وهؤلاء كانوا قد وعدوا معاوية باغتيال الامام أو بتسليمه له ، إلى جانب الأعمال الوضيعة التي روّجوا لها من بثّ الرّعب في نفوس الجيش وإرهابه أو من خلال العمل على إطلاع معاوية على كلّ بادرة في جيش الإمام عليه السلام ليكونوا همزة الوصل بينه وبين سائر مكونات المجتمع. وقد برز إلى جانب الحزب الاموي حزب الخوارج وهدفه « **الخروج على النّظام الحاكم ومحاربته بشتى الوسائل ، وقد انتشرت مبادئه في الجيش العراقي انتشار النّار في الهشيم .لقد قضت خطط الخوارج الخروج على وليّ أمر المسلمين إذا لم ينتمِ إليهم**»(٢٧) .

هذان الحزبان عملا بكل ما أوتيا من قوّة على إفساد الجيش ، وتفتيته ، وزرع الخلاف بين وحداته .

أرسل معاوية المغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الرحمن بن الحكم إلى الإمام ليفاوضوه في أمر الحرب . يحملون كُتب أهل العراق ليطّلع عليها ، وتعهّدهم بتسليم الإمام إن سالمًا أو مقتولا :» **وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسّمع والطّاعة له في السّرّ،**

واستحثّوه على المسير نحوهم ، وضمنوا له تسليم الحسن عند دنوّه من عسكره أو الفتك به»[٢٨].

هذا الوفد قام بنشر الفتنة بين صفوف جيش الإمام بعد ملاحظة تصميم الإمام على خوض الحرب ضدّ معاوية. تمثّلت الإشاعة بقبول الإمام عليه السلام واستجابته لنداء الصّلح مع معاوية بقولهم :«**إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدّماء، وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصّلح**»[٢٩].

كان لتأثير هذه الإشاعة أثر كبير في تسريع تفكيك جيش الإمام الحسن عليه السلام وتفتيته خاصّة أنّهم يتقوّلون وينسبون الكلام للامام المعصوم الذي يُشكّلُ رأس الهرم في قيادة الجيش .

ج ـ بعد فشل معاوية في استمالة وإغراء القادة الخُلّص في جيش الإمام عليه السلام أمثال قيس بن سعد وعدي بن حاتم ومعقل بن رياح التميمي[٣٠] ، عمدَ إلى الخديعة والكذب ، فأشاع في معسكر المدائن أن قيسا بن سعد قد صار إلى معاوية وصالحه « **ولم يكتفِ بذلك بل وجّه جماعة أخرى تعلن في المدائن بأن قيسًا قد قُتل** »[٣١].

نلحظ ممّا سبق ، انّ الإشاعات التي انطلقتْ كانت مُحدّدة الأهداف ، طُبختْ على نار هادئة ، مُستغلّة التناقضات في المُجتمع وكثرة الخلافات والأحزاب ممّا سهّل عمليّة اللعب على الوعي الجمعيّ بزعزعة الثّقة بالقيادة العليا وما ينضوي تحت لوائها من مُسمّياتْ .

هذه الإشاعات طالت الإمام الحسن عليه السلام بما يُمثّله من موقع قياديّ واتّهامه بالسّعي للصّلح مع معاوية في الوقت الذي كان يستحثّ النّاس على التّوجه لقتاله ـ وكان لها دورها في خيانة عبيد الله بن العبّاس وغدره لسبط النبي مع بعض قادة الجيش ، أضف إلى ذلك أَنَّ الاشاعة لاقت صدى في صفوف الجيش العراقي وهي قبول قيس بن ساعدة مصالحة معاوية ومن بعدها إشاعة مقتله . كلّ ما سبق أسهمَ مساهمة فعّالة في خلخلة فرق جيش الإمام عليه السلام وأماتت نشاطه العسكري بفقده الدّافعيّة والعقيدة التي يُقاتل من أجلها .

نتائج الإشاعات التي طالتْ معسكر الإمام الحسن عليه السلام :

١ـ **خيانة الجيش وتفكّكه** : كانت نتيجة الإشاعة التي بثّها معاوية لعبيد الله بن العبّاس أن سرّعت في عمليّة تفكيك الجيش ، إذ استجاب له وسار إليه على رأس ثمانية آلاف رجل. بعد غدر عبيد الله بعث الإمام قائدًا لكتيبة من كِندة في أربعة آلاف مقاتل. فلمّا نزل الأنبار بعث إليه

معاوية بخمسمئة ألف درهم « **ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة ، فأجابه وانقلب على الحسن عليه السلام مع مئتي رجل من خاصّته**»[٣٢].

لقد أصيبت مقدّمة جيش الإمام عليه السلام وهي أقوى فصائل الجيش بالوهن والضّعف بعد أن مزّقتها الفتن والدّعايات المُغرضة ، وهي التي كان يُعوّلُ عليها أن تمضي قُدُمًا وتبثّ جوًا من الحماس في صفوف الاجنحة الأخرى مقدّمة للنّصر. ولكن ما حصل كان عكس ذلك تمامًا، فشكّلت خيانة القادة ، وبخاصّة عبيد الله بن عباس سببًا وجيهًا لمن كان يمتلك عقيدة متزعزعة بأن ينسحب من المشهد العام التّعبويّ ليؤثر الرّاحة وسلامة البدن .

٢ـ مخطّط اغتيال الإمام الحسن عليه السلام

أجرى الإمام الحسن ثلاث محاولات لاستعادة قوّة الجيش بعد ظهور الخيانات من قبل القادة العسكريين ، فاتّخذ الإمام عليه السلام قرار قيادة الجيش بنفسهِ وتحرّك بمن معه نحو النّخيلة ومعه أربعة آلاف رجل . نزل في ساباط وبات ليلته وأراد أن يمتحن إرادة الجيش بهدف فرز أوليائه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشّام .أمر أن ينادى بالصّلاة جامعة ، فصعد المنبر وخطب فيهم إلى أن قال :«**ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبّون في الفرقة ، ألا وإني ناظرٌ لكم خيرًا من نظركم لانفسكم ، فلا تخالفوا أمري ولا تردّوا عليّ رأيي**»[٣٣]. فما كان من القوم إلا أن ارتابوا وهجموا على الإمام وانتهبوا متاعه ثمّ عاجله الخارجي الجراح ابن سنان[٣٤] بطعنةٍ في فخذه . من الواضح أنّ جيشًا يفتقرُ إلى أدنى مقوّمات الالتزام بطاعة القيادة لا يعوّل عليه في جبهة المواجهة عند احتدام المعارك ولا يؤمن غدره.

لقد زادت محنة الإمام عليه السلام ولم تقف عند تفكك جيشه بل بمحاولات الاغتيال العديدة التي طالته ، فقد اتّضح له أنّ هذا الخليط من الأحلاف لا يُعوّلُ عليه في المعركة وأنّ جُلّ ما يبغونه هو الإيقاع بالإمام عليه السلام أو تسليمه إلى معاوية وفي كِلا الحالين لن تستفيد الأمّة من التّضحيات التي سيقدّمها .

٣ـ رسائل عملاء الكوفة إلى معاوية : عسكر الإمام الحسن عليه السلام في النّخيلة وانتظر التحاق النّاس به للانضمام إلى جيشه ولكن لم يحدث ذلك . في الوقت الذي كان فيه رؤساء القبائل في

الكوفة يكتبون لمعاوية بالقدوم إليهم مع وعدهم إياه بتسليمه الإمام الحسن (عليه السلام). ومن هؤلاء أبو موسى الأشعري، وشبث بن ربعي و الأشعث بن قيس وغيرهم .لقد اتّسعتْ شبكة الخيانة لتطالَ قطاعًا كبيرًا من أبناء الأمة ودخل ذلك في تشكيلة جيش الإمام (عليه السلام) .

كان لتأثير الرّشوة على النّفوس المريضة أثرٌ بالغٌ في عمليّة تسريع حسم الخيارات بالوقوف في وجه الإمام الحسن (عليه السلام) ، وبهدف الضغط على الامام والتأثير على نفسيّته، أرسل معاوية رسائلهم إلى الإمام للاطلاع على تخاذلهم وسوء نيّتهم .وبذلك يكون معاوية قد استغلّ الجميع حتّى الحلفاء من أجل إكمال مكيدته (٣٥).

٤ـ إيثار الجماهير الدّعة والمطالبة بالحلّ السّلمي :

عاش الإمام الحسن (عليه السلام) في مجتمعٍ متقاعسٍ يهوى حياة الرّاحة .هذا المجتمع نفسه عانى منه الإمام علي (عليه السلام) الأمرّيْن محاولًا استنهاضهُ ودعوته للجهاد في سبيل الله . لقد سيطرت على هذا المجتمع معالم الهزيمة والتّثاقل والتّهرّب من كلّ ما يمتّ للحرب بصلة . لذلك قفل الإمام الحسن (عليه السلام) راجعًا إلى الكوفة بعد أن بلغ اليأس حدّه في انتظار قدوم جموع أهل الكوفة إلى معسكر النّخيلة .دخل (عليه السلام) مسجد الكوفة ثمّ خطب في النّاس قائلًا:« **أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشّام ذلّة ولا قِلّة ، ولكن كنّا نقاتلهم بالسّلامة والصّبر، وكنتم في مسيركم إلى صفّين ودينكم أمام دنياكم ، وقدْ أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ، إنّ معاوية قد دعا إلى امرٍ ليس فيه عزّ ولا نصفة ، فإن أردتم الحياة قبلنا منه وأغضينا على القذى ، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله، وحاكمناه إلى الله بظبا السّيوف . فنادى القوم بأجمعهم: بل التقيّة والحياة** »(٣٦).

بمقارنة الظروف الزّمانيّة والمكانيّة لحرب صفين وحشد الإمام الحسن (عليه السلام) لقتال معاوية يُبيّن الإمام تغيّر وتبدّل النّوايا مع أن العدوّ واحد في كِلا الحالين .غير أنّ الفارق كان بتقديم الدّنيا وأمورها على الدين وهذا كفيلٌ بقلبِ كثيرٍ من المُعادلات والسّير في الاتّجاه المُعاكس تمامًا، ومع ذلك بقي (عليه السلام) يلقي الحجّة عليهم معلنًا استعداده المُضيّ إلى الحرب في حال وجود النّاصر والمُعين لأنّ خيار الصّلح مع معاوية لم يكن واردًا في حساباته حتّى اللحظة الأخيرة .

٥ـ تدمير النّظام القيمي والسّلم الاجتماعي وتعميم قواعد الإحباط : أسهمت الإشاعات في

الكشف عن النّفوس الضّعيفة والتي تتلبّس بلبوس الدّين ولا تلبث أن تخلعهُ عند أوّل فرصة. فالإنسان بتكوينه الجسديّ والنّفسيّ يجب أن يتربّى تربية واعية ومسؤولة ليحقّق التّوازن .فإذا كانت عقيدته متزعزعة فإنّ ذلك سينعكس على تفكيره وسلوكه فيُصابُ بالإحباط وينسحبُ بسرعة من المشهد العام الذي يتطلّب عزيمة وشجاعة وقدرة على اتّخاذ المواقف السّليمة في ظلّ الضّغوط الكبيرة التي تُبذل لتطويعه وتغيير تفكيره وانتماءاته بما يُحقّق مصلحته الدّنيويّة. وهذا ما حصل مع قاعدة الإمام عليه السلام الشّعبيّة والعسكريّة . إنّ قبول الرّشاوى مثّلتْ خطوة أولى على درب الخيانة العُظمى لأنّها مهّدت الطّريق أمام تغيير المنظومة القيميّة فاستُبدل الاقدام والشّجاعة بالخذلان والتقاعس ، والنُّصرة بالخيانة ، والجهاد بإيثار الرّاحة والسّلامة ، ممّا أسهم في بروز جوٍّ من الإحباط خيّم على المشهديّة العامّة وعبّدت الطّريق لقبول الصّلح في النّهاية .

٦ـ **تدني المعنويات وإعاقة الفكر** :لا شكّ أنّ مروّجي الإشاعات يعمدون إلى بثّها في جوٍّ متوتّرٍ بحيث يصعبُ التّيقّن من صحّتها . وبذلك تُعيقُ وتوقف آلية التّفكير المنطقيّ لتكون الضّربة القاضية . وهذا ما حصل مع جيش الإمام الحسن عليه السلام بعد تلقّفه لعدد من الإشاعات التي أسهمت في تفكيكه وخيانة قادته ، وصولا الى اتّهام الإمام عليه السلام بالكفر .

لهذه الأسباب جميعها وجد الإمام الحسن عليه السلام نفسهُ أمام سيلٍ جارفٍ من الفتن والاتّهام والخذلان من القريب والبعيد ، مع جهودٍ مضنيةٍ لاغتياله في بيئةٍ مشحونةٍ بالتباغض والتّنافر، وضعفٍ في العقيدة والنّفوس ، لذلك آثر، بعد إلقائه الحجّة على الجميع، المحافظة على من تبقّى من السلّة المُخلصة ، معلنًا قبوله الصّلح مع معاوية بشروطه التي تضمن سلامة المسلمين واستعادة حقّه في الخلافة بعد معاوية.

الخاتمة

تتنازع النّفس البشريّة كثيرٌ من الأهواء، وتنشط الحروب النّفسيّة التي تعملُ على تقويض ثقة الإنسان بنفسهِ زارعة في نفسه الوهم والشكّ والخوف بُغية السّيطرة عليه وتسييره على وفق أجنداتٍ مُعدّةٍ مُسبقًا .وتُعدُّ الإشاعاتُ وسيلة فعّالة من أساليب الحرب النّفسيّة ، وهي قديمة قِدم المجتمعات البشريّة ، لم يسلم منها حتى الانبياء والصّالحون .وقد أدّت الإشاعات دورًا مهمًّا ومهّدت لصلح الإمام الحسن ﷺ مع معاوية بعد سلسلة من الأحداث تمثّلت في استغلال التّناقضات التي يضجّ بها المجتمع آنذاك، إذ كان يفتقد لوحدة الكلمة والصّفّ فضلًا عن التّحلّل القيمي وسهولة تبديل الانتماء تبعًا للمصالح الخاصّة .

إنّ الخليط غير المتجانس ، عقائديّاً وفكريّاً وقيميّاً ، الذي كوّن جيش الإمام الحسن ﷺ ، كان له أبلغ الأثر في تسريع تفكيكه نتيجة الإشاعات التي عملت على تمزيق وحدته وفكّ عُراه . هذه الأكاذيب والاراجيف لم تمنع مروّجيها من التقوّل حتى على الإمام الحسن ﷺ فأشاعوا نبأ قبوله الصّلح؛ ليسهل عليهم التّوغل داخل الجيش وضربهم القيادات العليا ممّا يؤدي إلى تحقيق أهدافهم بأدنى الخسائر الممكنة .لقد أسهمت الاشاعات في تفكيك جيش الامام الحسن وجعلته ينحو منحى الصّلح بعد استنفاذ كلّ الوسائل للنّهوض في حرب معاوية .

وبما أنّ الشائعة تتطوّر وتنمو مع تطور المجتمعات بات لزامًا علينا أن نتنبّه للأساليب المُغرضة التي يدسُّها الأعداء عبر الوسائل كافّة والتي تُعدّ اليوم من اساليب الحرب النّاعمة. وللتّعامل مع الشائعات لا بدّ من التّوعية بالمخاطر النّاجمة عن الاستماع لها ونقلها وترويجها وهذا يستدعي الوعي بأهداف العدوّ وأساليبه في الحرب النّفسيّة .كذلك لا بدّ من الوقاية عبر بناء منظومة تعمل على تحصين الجبهة الداخلية وتدعيمها ضدّ الإشاعات عبر الثقة المتمثّلة بتزويدها بالمعلومات الدّقيقة والموثوقة ، إلى جانب تدعيم الجانب الإيماني وترسيخ العقيدة وتنمية الشّعور بالنّفس للتّغلّب على هذه الآفة المدمرة .

الهوامش

١-ابن منظور، لسان العرب ، تحق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ،ص ٢٤٠٤.

٢-الاصفهاني ، المفردات ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ص ٢٧١.

٣- وليام أولبروت ، سيكولوجيّة الإشاعة ، ترجمة: صلاح مخيمر ، ص ١٥.

٤-زهير الأعرجي ، الرأي العام الإسلامي وقوى التحريك ، ط١، دار التعارف ، ص ٤٤.

٥- محمد جمال الدين ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ،دار الاعتصام للطباعة والنشر ، ص ١٢٢.

٦-كامل محمد عويضة ، علم نفس الإشاعة، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦، ص٥٧.

٧-م.س، ص ١١١

٨-سورة النور، الاية ١٩.

٩-المؤمنون ، الاية ٢٤.

١٠-سورة الاعراف ، الاية ٦.

١١-سورة القمر ، الاية ٩.

١٢-سورة الشعراء ، الاية ٣٤.

١٣-سورة القلم ، الاية ٢.

١٤-سورة ال عمران ، الاية ١٤٤.

١٥-ينظر احمد نوفل ، الاشاعة ،ط٣، دار الفرقان للطباعة والنشر ، عمان ، ١٩٨٧م، ص ١٨وما بعدها.

١٦-سورة الذاريات ، الاية ٥٢.

١٧-عبد الله ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ،تحق: محمد الزيني ، ج ١، مؤسسة الحلبي ، ص٤٠.

١٨-المفيد، محمد بن النعمان ، الامالي ، تحق :الحسين استاذ ولي وعلي اكبر الغفاري ،ط٢، دار المفيد، بيروت،ص٣٤٩.

١٩-ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص٣٦.

٢٠-علي الكوراني ، جواهر التاريخ، مج٣، ط١، ١٤٢٦هـ، ص ١٢٠.

٢١-القيرواني، زهر الآداب وثمر الالباب ، دار الجيل ، بيروت ، ص ٤١٢.

٢٢-ابو الفرج الاصفهاني ، م.س،ص ٣٨.

٢٣-المتنبي، الديوان، شرح البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢م، ص٣٨١.

٢٤-المسعودي، مروج الذهب ، تحقيق: محمد محي الدين ،ج١١، مصر ، ١٩٤٨م، ص١١٩.

٢٥-الاميني ، الغدير، ط١، دار الكتب العربية ، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص١٩٦. (

٢٦-اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج٢ ، دار صادر ،بيروت ، ص ٢١٤. (

٢٧-حسين الحاج حسن ، الامام الحسن رائد الواقعية السياسية ، ط١، دار الهادي ،بيروت ،٢٠٠٧، ص ٢٠٥.

٢٨-المفيد ، الارشاد ، تحقيق: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ،ط٢، دار المفيد ، بيروت، ١٤١٤هـ ،ص١٤.

٢٩-الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، تحق: نخبة من العلماء ،ج٤، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ص١٢٢.
٣٠-من صحابة الامام علي ، وكان لهم دوربارز في حضّ الناس على الخروج مع الامام الحسن في حربه مع معاوية.
٣١-اليعقوبي ، م.س، ١٩١.
٣٢-الراوندي ، الخرائج والجرائح ، تحقيق: مؤسسة المهدي ، ج٢، ط١، ص ٥٧٥.
٣٣-الارشاد ، م.س، ص ١٢.
٣٤-خارجي حاول اغتيال الامام الحسن فضربه بخنجر مسموم بعد ان اتمّ الامام الهدنة مع معاوية.
٣٥-المفيد ، الارشاد ، ج٢، ص١٤.
٣٦-الامام الحسن رائد الواقعية السياسية ، م.س، ص ١٩٩.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*الأعرجي، زهير ، الرأي العام الإسلامي وقوى التحريك ، ط١، دار التعارف للمطبوعات،١٩٧٧م.

*الاصفهاني ، المفردات ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت.

*ابن قتيبة ، عبد الله، الامامة والسياسة ،تحق: محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي.

*ابن منظور، لسان العرب ، تحق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة .

*ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد:احمد صقر ، مؤسسة الاعلمي، بيروت .

*الحاج حسن ،حسين، الامام الحسن رائد الواقعيةالسياسية،ط١، دار الهادي،بيروت،٢٠٠٧م.

*الراوندي ، الخرائج والجرائح ، تحقيق: مؤ سسة ا لمهد ي ، ط ١٤٠٩ ، ١هـ .

*الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، تحق: نخبة من العلماء ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت.

*القيرواني، زهر الآداب وثمر الالباب ، ط٤، دار الجيل ، بيروت .

*كامل محمد عويضة ، علم نفس الإشاعة، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٩٦م.

*الكوراني ، علي ، جواهر التاريخ ، ط١، ١٤٢٦هـ.

*محمد جمال الدين ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية،دار الاعتصام للطباعة والنشر.

* المسعودي، مروج الذهب ، تحقيق: محمد محي الدين ، مصر ، ١٩٤٨م.

*المفيد ، الارشاد ، تحقيق: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ،ط٢، دار المفيد ، بيروت، ١٤١٤ه..

*الاميني ، الغدير، ،ط١، دار الكتب العربية ، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

*١٦المفيد ، محمد بن النعمان ، الامالي،تحق:الحسين استاذ ولي وعلي اكبر الغفاري،ط٢، دار المفيد، بيروت .

*وليام أولبروت ، سيكولوجيّة الإشاعة، ترجمة: صلاح مخيمر.

*اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، بيروت .

الأَمنُ الفكريُّ في فكرِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام

أ.م.د. عقيل رشيد عبد الشهيد الأسدي

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

م.م. رشا حسين عبد الكاظم الركابي

المديرية العامة لتربية بابل

ملخص البحث

خلق الله الانسان وميزه عن سائر مخلوقاته بالعقل، وللعقل وظائف عدة منها : التفكير الذي ينتج الفكر الذي بدوره يحدد توجهات الشخص وميوله، وانطلاقاً من مقولة إنّ الإنسان إذا امتلك فكراً صحيحاً راشداً يمكنه التمتع بأنواع الأمن الأخرى المتعلقة بحياته ومجتمعه من أمن ديني واجتماعي وسياسي واقتصادي، وبيئي، وغذائي، وثقافي؛ لذلك عدّ الأمن الفكري الركيزة الأساسية لأمن المجتمع.

ومن الخطوات التي يجب أن نسير عليها لتحقيق بناء الأمن الفكري: ترسيخ مبادئ حرية الرأي وقبول الآخر، ورصد الأفكار المنحرفة والمتطرفة والوقاية منها، والتدخل بصورة سلمية لتغيير الأفكار والقناعات الضالة عن طريق المناقشة والجدال بالتي هي أحسن.

وتراث أهل البيت (عليهم السلام)، ولا سيما فكر الامام الحسن (عليه السلام) معين لا ينضب من شأنه أن ينمي الانسان ويصل به إلى الكمالات الفكرية والروحية والنفسية. وقد جاء هذا البحث إسهامة متواضعة لبيان أسس الأمن الفكري في فكر الإمام الحسن (عليه السلام) من خلال عرض بعض أحاديثه في هذا المجال، وقراءتها في ضوء مفهوم الآمن الفكري بعد ان عكفت أغلب الدراسات والبحوث التي اتخذت من الإمام الحسن (عليه السلام) عنوانا لها على القضايا التاريخية، وما يرتبط بصلح الإمام (عليه السلام) مع معاوية، لذا وجد الباحثان في هذا البحث فرصة للخروج عن المألوف .

اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مطالب، تسبقهم مقدمة وتليهم خاتمة، تناول الباحثان في التمهيد مفهوم الآمن الفكري لغة واصطلاحا، وأهدافه، ومراحله، والعوامل التي تعيق تحقيقه، أما المطالب فقد خصص الأول منها للأسس الفكرية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن (عليه السلام) وشملت العلم والتعلم، والعقل والتفكر، والتقوى ، أما الثاني فتناولنا فيه الأسس الاجتماعية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن (عليه السلام) فشملت التنشئة الأُسرية، والتفاعل الاجتماعي، في حين تناول الباحثان في الثالث الأسس السياسية والاقتصادية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن (عليه السلام)، ثم انتهى البحث بالخاتمة مع قائمة بالمصادر .

Abstract

Allah create man and distinguish him from other creatures with reason . The mind cuddles person’s orientations and tendencies, and based on the saying that if a person possesses a sound and rational thought, he can enjoy other types of security related to his life and society; these issues religious, social, political and economic security, environmental, nutritional and cultural are considered the main pillar of the society security .

The heritage of Ahalalbayt (peace be upon them), especially the thought of Imam Al-Hassan is an inexhaustible source that will develop a person and lead him to intellectual, spiritual and psychological perfections. This research comes as a modest contribution to clarifying the foundations of intellectual security in the thought of Imam Hassan (peace be upon him) by presenting some of his hadiths in this field, and reading them in the light of the concept of intellectual security after most of the studies and research taken from Imam Hassan (peace be upon him) were devoted to Historical issues.

The research includes an introduction and three sections preceded by an introduction and followed by a conclusion. The first tackles knowledge and learning, reason, contemplation, and piety. As for the second, it does the social foundations of intellectual security in the thought of Imam Hassan (peace be upon him). In the third, the researchers deal with the political and economic foundations of intellectual security in the thought of Imam Hassan (peace be upon him). Then the research ended with a conclusion with a list of sources.

تمهيد

التعريف بالأمن الفكري وأهدافه ومراحله والأخطار التي تواجهه

أولا : مفهوم الأمن الفكري

يُعدُّ الأمن مطلب حيوي لا يستغني عنه الإنسان في أطوار حياته، ولأهميته دعا به إبراهيم عليه السلام لمكة أفضل بقاع الأرض، إذ قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ». (١)

والأمن الفكري لُبّ الأمنِ ورَكيزتُه الكبرى فإذا اطمأنَّ الناس على ما عندهم من أصولٍ وثوابِت وأمِنوا على ما لدَيهم من قِيَم ومثُلٍ ومبادئ فقد تحقَّق لهم الأمنُ في أَسمى صوَرِه وأجل معانيه وأَنبلِ مَراميه؛ لأن تصرفات الناس تنطلق من قناعاتهم التي تستند إلى أرصدتهم الفكرية والاعتقادية ، وبهذا يكون منطلق كل عمل يمارسه الإنسان ويظهر في سلوكه من خير أو شر مرتكزا في كيانه الفكري والاعتقادي ومستكناً في داخل النفس وأعماقها. لذلك نجد لمفهوم الأمن الفكري مكانة مهمة وعظيمة في أولويات المجتمع الذي تتكاتف وتتآزر جهود أجهزته الحكومية والمجتمعية لتحقيقه تجنباً لتشتت الشعور الوطني أو تغلغل التيارات الفكرية المنحرفة، ومن هنا أصبحت الحاجة لتحقيق الأمن الفكري حاجة ماسة لتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي؛ لذا تعيّن على الأمة برمتها أن تتضامن في حراسته.

ثانياً : الأمن الفكري لغة واصطلاحا

١-الأمن الفكري لغة

-الأمن : جاء في لسان العرب : « آمن يأمن أمناً؛ فهو آمن، وآمن أمناً وأماناً، اطمأن ولم يخف، فهو آمن وأمن وأمين، والأمن يعني الاستقرار والاطمئنان، نقول: أمن منه أي سلم منه، وأمن على ماله عند فلان أي جعله في ضمانه». (٢)

-الفكر : جاء في لسان العرب : إِعمال الخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ؛ والتَّفَكُّر التأَمل، وَالِاسْمُ الفِكْرُ والفِكْرَة، وَالْمَصْدَرُ الفَكْر، بِالْفَتْحِ. قَالَ يَعْقُوبُ: يُقَالُ: لَيْسَ لِي فِي هَذَا الأَمرِ فكْرٌ أَي لَيْسَ لِي فِيهِ حَاجَةٌ.(٣)

٢-الأمن الفكري اصطلاحا

عُرّف الأمن الفكري تعريفات عدة منها :

-« النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع؛ لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقدية، أو فكرية أو نفسية تكون سببا في انحراف السلوك والأفكار عن جادة الصواب، أو سببا في الايقاع في المهالك». [٤]

- « سلامة فكر الانسان وعقله، وفهمه من الانحراف، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهم الأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون». [٥]

-« حماية عقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب، ومعقد وخاطىء يتعارض مع العقيدة التي يدين بها المجتمع وبذل الجهود من كل مؤسسات المجتمع لتحقيق هذه الحماية» [٦]

-« هو حفظ الثقافة ومكوناتها من الغزو الفكري أو المصادرة أو التحريف والتزوير»[٧].

يلحظ من التعريفات السابقة أنها تختلف في بعض الألفاظ إلا أنها تتفق في المعنى، فجميعها تهدف الى تحقيق الحماية التامة للإنسان فكريا ونفسيا وابعاده عن مخاطر الانحراف والتطرف في السلوك بما يضمن سلامة الفرد والمجتمع.

ثالثاً: أهداف الأمن الفكري

يرمي الأمن الفكري الى تحقيق أهداف عدة في المجتمع منها :-

-غرس القيم والمبادئ الإنسانية، وتعزيز روح الانتماء لله والوطن.

-ترسيخ مبدأ المسؤولية تجاه أمن الوطن.

-المحافظة على أمن المجتمع

-ترسيخ مفهوم الفكر الوسطي

-تحصين أفكار الناشئة من التيارات الفكرية المتطرفة.

-تربية النشيء على التفكير الصحيح.

-اشاعة روح المحبة والتعاون بين الأفراد، وابعادهم عن أسباب التفرقة والاختلاف.[٨]

مما لاشك فيه أن تحقيق هذه الأهداف ينعكس إيجابا على أبناء المجتمع الواحد وحمايتهم ووقايتهم من الخلاف والتشتت، وتأكيد هويتهم الوطنية وثقافتهم المجتمعية في مجابهة أي غزو فكري .

رابعاً: مراحل تحقق الأمن الفكري

يتحقق الأمن الفكري عبر مراحل ثلاث هي :

١-**مرحلة الوقاية** : في هذه المرحلة تتخذ كل الإجراءات الكفيلة لمنع حدوث الانحراف الفكري بتظافر جهود أفراد المجتمع كلهم عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية والمؤسسات التربوية على وفق خطط مدروسة بعناية تحدد فيها الغايات والأهداف من التعليم العام والجامعي فيما يخص الآمن الفكري.

٢-**مرحلة المناقشة والحوار** : قد لا تأتي مرحلة الوقاية أكلها وتنتشر الأفكار المنحرفة، وهنا يستدعي تدخل أصحاب الفكر والرأي من المفكرين والباحثين للتصدي لهذه الأفكار ودحض مزاعمهم بالحجج والبراهين عبر الحوار والمناقشة.

٣-**مرحلة التقويم والعلاج** : هنا تبدأ مرحلة التقويم للفكر المنحرف وتقدير مدى خطورته بعد الحوار والنقاش والتحليل، ثم تقويم هذا الفكر وتصحيحه بالفكر .[٩]

خامساً : العوامل التي تعيق تحقيق الأمن الفكري

يتأثر تحقيق الآمن الفكري لدى الفرد والمجتمع بجملة من العوامل منها:

١-**العامل الثقافي**: أثبتت الدراسات أن وسائل الاعلام وما تبثه من أفكار وقيم قد يضعف المستوى الثقافي للمجتمع فيشغل أبناءه عن الدراسة ويضيع أوقاتهم بلا فائدة ، ويشجع فيهم الخمول وعدم الجدية ويضعف لغتهم، فضلا عن تلقينهم مفاهيم وثقافة غريبة عن مفاهيمهم وثقافتهم التي تربوا عليها.

٢-**العامل الأخلاقي**: تسهم بعض الفضائيات وشبكة الانترنت والمواقع الإباحية جميعها في الدعاية الى أمور تخالف تعاليم الدين الحنيف وتثير الغرائز وتشيع الرذيلة والفكر المنحرف.

٣-**العامل الاجتماعي**: إن نشر الأفكار والمفاهيم التي تتعارض مع القيم والمبادئ الاجتماعية وتقليد الأنماط التي تتعارض مع النسق الاجتماعي يترتب عليه غياب القيم والمثل العليا في المجتمع.

٤-**العولمة**: تقف المجتمعات حائرة في ظل العولمة نتيجة التغيرات المؤثرة في حياتها والتي انعكس كثير منها سلبا على المجتمعات. إذ زادت حالات التَّفكُّك الأُسري والاجتماعي والتطرف الفكري بأشكاله المختلفة، واختلت المعايير الأخلاقية، وتراجعت القيم الاجتماعية الإيجابية وحلت محلها القيم المادية المعبرة عن ثقافة المصالح. (١٠)

المطلب الأول

الأسس الفكرية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن عليه السلام

ثمّة أكثر من سمة أخلاقيّة أقرّها خطاب الإمام الحسن عليه السلام، تحقّق للأفراد صحّتهم النفسيّة والعقليّة. وقد وردت في توجيهاته عليه السلام وفي نصائحه لأفراد المجتمع في عصره، وحتى عصرنا الحالي مجموعة من القيم الأخلاقيّة، وضرورة تفعيلها في حركة الحياة، كي تحقّق الذات أمنها الداخليّ في الدنيا، وتجعل من أعمالها العباديّة حصناً آمناً لها في عالم الآخرة. وفي هذا المطلب سوف نتناول الأسس الفكرية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن عليه السلام ومن أبرزها : العلم والتعلم، العقل والتفكر، والتقوى، وتفصيل ذلك على النحو الآتي :

١ . العلم والتعلم

يعد التعليم الأداة التي يتم من خلالها تثقيف الأفراد والجماعات وإفساح المجال أمامهم للاطلاع على الجديد من الأساليب التكنولوجية، والمستحدثة من الأفكار والنظريات التي تشكل في مجموعها حصيلة المعرفة العلمية، والتجربة الحضارية لمختلف شعوب العالم(١١). اذ أصبحت الحاجة إلى التعليم ضرورة من ضرورات البقاء، والنماء للإنسان في أي مجتمع من المجتمعات، وفي أي زمان ومكان، ومع تطور الحضارة الإنسانية وتعقيدها أصبح حق الانسان في أن يتزود بقسط معلوم من التعليم المنظم والمنتظم، من الحقوق الأساسية التي نصت عليها المواثيق الدولية (١٢) .

إن ضرورة التعليم تكمن في قدرته على تنمية الشخصية الإنسانية، ومساعدتها على تجسيد إرادتها، وحركتها، وإبداعاتها، وانتمائها الحضاري، والقومي، ومشاركتها في مسيرة تنمية مجتمعها (١٣). ولا شك أن التعليمُ يعدُّ عنصرا مهما في التنمية البشرية إذ يستهدف تغيير الأنماط

السلوكية، والتصرف العقلاني بشؤون الحياة، وتطوير التفكير الخاص والعام للإنسان، وان هذا الرافد الحيوي لم يعد يتصل بمهمته في التعليم والتعلم في بديهياته فحسب، وإنما أصبح ذا اتصال واسع بشبكة الاستثمار للرأسمال البشري، والمادي، وتنمية المهارات البشرية سواء ما كان منها على صعيد سنوات الدراسة أم ما يليها من سنوات العمل والإنتاج (١٤).

ومن دون شك أن تحصيل العلم النافع والعمل به يوسع مدارك الانسان ويستثمر طاقاته على أكمل وجه، وينمي ثقافته، ويجعله مُتسلحاً إتجاه كل الانحرافات الفكرية والأخلاقية فيكون عصيا عليها، أما الجاهل فيكون سهل الانقياد والتعاطي مع كل فكرة تطرح عليه؛ لأنه لا يملك حصانة علمية تنأى به عن المهالك، وقد أكّد الإمام الحسن عليه السلام هذه المسألة بقوله: «**فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرجه من جهله و يوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه و يسقيه كفضل الشمس على السهى**»(١٥)

فكلام الامام عليه السلام بهذا الجانب واضح جدا، فهو يحرص على تثقيف الناس وانتشالهم من غياهب الجهل، لأن الجهل يودي بالإنسان الى المهالك والخروج عن جادة الصواب، لذا فالغذاء الفكري قد يحتاج إليه الانسان أحيانا أكثر من احتياجه الى الغذاء الجسدي، ولا سيما حين تكثر الفتن ويعم الانحراف في المجتمع.

وكان الإمام عليه السلام كثيرا ما يحثّ على التعليم والتعلم على حدٍّ سواء لما لهما من انعكاسات طيبة على الانسان تشعره بالاستقرار النفسي والأمن الفكري فيقول عليه السلام: (**علم الناس علمك، وتعلم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك، وعلمت ما لم تعلم**) (١٦)

وهنا في حديث الإمام عليه السلام إشارة لطيفة، فالفرد عندما يريد أن يعّلم شخصا ما فبطبيعة الحال تكون قراءته فاحصة ومعلومته رصينة ويكون قد أتقن علمه بشكل جيد كي يتسنى له إيصال ذلك العلم إلى الآخر؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فمن غير المعقول أن يعلم الانسان شيئا هو يجهله، وبذلك يكون الشخص المعلم قد أتقن علمه نتيجة تعليم غيره، وفي الوقت نفسه حث الإمام عليه السلام على التعلم من الآخر بمعنى أن الانسان لا ينبغي له الوقوف عند حدٍّ معين من العلم خلال مراحل عمره؛ لأن العلم بالشيء خير من الجهل به. وهذا ما أشار

إليـه الإمـام عليه السلام بقولـه : **(علمـت مـا لم تعلـم)**، فضـلا عـن ذلـك أكـد الامـام عليه السلام عـلى الاكثـار مـن مجالسـة العلـماء؛ لأنهـا تفتـح العقـل وتوسـع المـدارك وتقـوي الحجـة. إذ يقـول عليه السلام : «**مـن أكثـر مجالسـة العلـماء أطلـق عقـال لسـانه، وفتـق مراتـق ذهنـه، وسر مـا وجـد مـن الزيـادة في نفسـه، وكانـت لـه ولايـة لمـا يعلـم، وإفـادة لمـا تعلـم**».[17]

وهنـا وقفـة مهمـة في حديـث الامـام عليه السلام إذ يبين عليه السلام أن مجالسـة العلـماء تحـرر لسـان الشـخص وتفـك قيـوده لينطلـق بالحديـث، بعـد تفتـح ذهنـه وتطويـر تفكـيره لمـا يرتشـفه مـن الحكمـة ودماثـة الخلـق وأدب الحـوار العلمـي، وهـذا مـا يميّـز تحصيـل العلـم مـن التباحـث مـع العلـماء عـن تحصيلـه مـن المصـادر، ومـن دون شـك أن العلـم الحاصـل مـن هـذه المجالسـة يكـون رصينـا وذا فائـدة جمـة للشـخص.

٢-العقل والتفكر

العقـل مـن النعـم العظيمـة التـي أنعـم بهـا الله سـبحانه وتعـالى عـلى الإنسـان، إذ بوسـاطته يتعـرّف الإنسـان عـلى أسـرار خلـق الله وعظيـم صنعـه، وبـه يتوصّـل إلى تصديـق الأنبيـاء والرسـل الذيـن بعثهـم الله تعـالى لهدايتـه وسـعادته، والعقـل هـو منـاط التكليـف وقـد جـاء في الحديـث عـن أبي جعفـر الصـادق عليه السلام أنـه قـال: (**إنّ لله خلـق العقـل فقـال لـه : أقبـل فأقبـل ثـم قـال لـه: أدبـر فأدبـر ثـم قـال لـه: وعـزتي وجـلالي مـا خلقـت شـيئا أحـب إلي منـك، لـك الثـواب وعليـك العقـاب**)[18].

فللعقـل مكانـة سـامية في ديـن الله، ومنزلـة رفيعـة، ومـن وظائفـه التفكـير والتفكـر؛ لـذا يقـول الإمـام الحسـن عليه السلام : « **عجبـت لمـن يتفكـر في مأكولـه ، كيـف لا يتفكـر في معقولـه ، فيجنـب بطنـه مـا يؤذيـه ويـودع صـدره مـا يرديـه**»[19] .

فالإمـام عليه السلام يقـول عجبـت لإنسـان يكـون حريصـا عـلى أن لا يضـع في بطنـه شـيئا يؤذيـه، في حـين يضـع في ذهنـه أفـكارا قـد تؤثـر في كل أركان حياتـه بـما في ذلـك صحتـه الجسـمية والنفسـانية.

فلا شك أن الشخص عندما يفكر بطريقة سلبية فأن ذلك يؤثر في ذهنه ويجعله يركز على السلبيات فيقوم العقل بفتح ملف يضع عليه عنوان الفكرة السلبية، ثم يقوم بإلغاء أية معلومة أخرى ايجابية في هذا الوقت؛ لأن العقل البشري لا يستطيع التركيز إلا على معلومة واحدة فقط في وقت واحد ثم يقوم بتعميم هذه المعلومة وتدعيمها وإيجاد البرهان عليها، وذلك يؤثر على جسم الشخص بما فيه من تعبيرات وتحركات داخلية وخارجية وتنفس، ويؤثر في أحاسيسه ومن ثمَّ على تصرفاته وسلوكه فيتصرف بطريقة سلبية مما يجعله يحصل على نتائج من نوع تصرفه سواء أكان ذلك في الحياة الروحانية أم الصحية أو الشخصية أو الأسرية أو الاجتماعية أو المهنية وحتى المادية.(٢٠)

والأمر يختلف عندما تفكر بطريقة ايجابية فلا شك تكون النتائج ايجابية فأنت نتيجة أفكارك وما تكون عليه في الخارج هو نتيجة لواقعك الداخلي. لأن العقل يجذب باستمرار الذبذبات التي تتوافق مع الرغبة المهيمنة عليه، وأي فكرة أو خطة أو هدف يحمله الانسان في ذهنه، يجذب مجموعة مماثلة من الأفكار والخطط والأهداف ويضيفها إلى قوته؛ لتنمو مع بعض وتصبح الدافع المهيمن على الانسان.(٢١)

يقول الفقي : «أن الفكر هو جذور كل سلوكياتنا ونتائجها، وهو السبب في حالتنا النفسية والعضوية وصورتنا الذاتية وتقديرنا الذاتي، وفي إنماء ثقتنا بأنفسنا أو عدمها».(٢٢)

ومن هنا ندرك حديث الإمام الحسن عليه السلام : « **لا أدب لمن لا عقل له، ...، بالعقل تدرك الداران جميعا ، ومن حرم من العقل حرمهما جميعا**» (٢٣).

فالإنسان يمكن أن يضيع نفسه في عشية وضحاها فيخسر الدنيا والآخرة نتيجة فكرة سلبية أو أفكار ضالة منحرفة، لذا لا بد من التسلح بالفكر النير ليكون مصدا وعاصما من الفتن والأهواء، وهذا الفكر وصفه الامام الحسن عليه السلام بحياة القلب ومفتاح الحكمة بقوله: (**عليكم بالفكر فإنه حياة قلب البصير ومفاتيح أبواب الحكمة**).(٢٤)

٣-التقوى

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من المادة والروح، ولكي يعيش الانسان باستقرا نفسي

يجب عليه أن يوازن بالاهتمام بين جانبه المادي ليؤمّن بقاءه واستمراريته في الحياة حتى نهاية عمره، وبين جانبه الروحي الذي يقربه من الله ويزيد من ارتباطه به والالتزام بتعاليمه .

ولا شك أن الروح هي مصدر الجانب المعنوي في الإنسان وترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب النفسي ومن هنا نجد أن الارتباط الروحي بالله له دور أساسي في شحن الإنسان بالقوة المعنوية التي تضاف إلى القوة المادية، ومن هنا لا غنى للإنسان عن الارتباط ببارئه واستمداد القوى المعنوية والمادية منه للمحافظة على استقراره النفسي وبسطته الجسمية. لذلك نجد في المجتمعات الغربية زيادة في حوادث الانتحار؛ لأن الإنسان هنالك يشعر بفراغ روحي قاتل قد يؤدي به إلى ذلك المصير الأسود الأمر الذي يؤكد أهمية الجانب الروحي للإنسان(٢٥). لذلك يوصي الإمام الحسن عليه السلام بتقوى الله بقوله : « **اتقوا الله عباد الله وجّدوا في الطلب وتجاه الهرب وبادروا العمل قبل مقطعات النقمات وهادم اللذات فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجيعها ولا تتوقى في مساويها، غرور حائل، وسناد مائل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنعيم، وانتفعوا بالمواعظ، فكفى بالله معتصما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما وكفى بالجنة ثوابا وكفى بالنار عقابا ووبالا** » (٢٦). وقال أيضا عليه السلام : «**أيّها الناس إنّه مَن نصح لله وأخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم ووفّقه الله للرشاد وسدّده للحسنى فإنّ جار الله آمن محفوظ وعدوّه خائف مخذول فاحترسوا من الله بكَثرة الذكر. واخشوا الله بالتقوى وتقربوا إلى الله بالطاعة فإنّه قريب مجيب**».(٢٧)

ولو تأملنا في حديث الإمام عليه السلام للمسنا عملية التغيير النفسي وتطوير الذات البشرية للنأي بها عن كل ما يبعدها عن الفيوض الإلهية. فالإمام عليه السلام يوعظ الناس ويذكرهم بالرجوع إلى الله ويحذرهم من الغفلة والانشغال في الملذات الدنيوية الزائلة التي لا يدوم نعيمها قبل فوات الأوان ولات حين مندم. إذ سعى عليه السلام إلى إيقاظ الدوافع النبيلة داخل الانسان مستفيدا من الاستعدادات الفطرية التي أودعها الله في البشر كافة ؛ لإيجاد حالة التوازن بين الماديات والروحانيات ليصل الانسان الى حالة الاستقرار النفسي والعقلي .

بعد ذلك يوجه الامام خطابة للطاقة الفاعلة في المجتمع والتي دائما ما تكون عرضة وهدفا للجهات المنحرفة فكريا وأخلاقيا بحسب طبيعة هذه المرحلة الحساسة من العمر وما تشهده من تغيرات عقلية وجسمية واجتماعية وغيرها، فيقول الامام عليه السلام: « **معاشر الشّباب: عليكم بطلب الآخرة، فوالله رأينا أقواماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدّنيا والآخرة** ».[٢٨] وفي الوقت نفسه يحذرهم الامام عليه السلام من الافتتان بقوة الجسم وطول الأمل بقوله: « **يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود، والكافر يتمتع** ».[٢٩] واياك من الغفلة التي وصفها الإمام الحسن بقوله: «**الغفلة تركك المسجد وطاعتك المفسد**»[٣٠]، فهذه الغفلة ستكون رأس كل خطيئة.

ولكن أغلب البشر تستبعدهم الأهواء والشهوات وتطغى عليهم نوازع التنكر والتمرد على النظم الإلهية، وتشريعها الهادف البناء، فيتيهون في مجاهل العصيان، ويتعسفون طرق الغواية والضلال، ومن ثم يعانون ضروب الحيرة والقلق والشقاء، ولو أنهم استجابوا لطاعة الله تعالى، وساروا على هدي نظمه ودستوره لسعدوا وفازوا فوزا عظيما. قال تعالى: ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[٣١]،

المطلب الثاني

الأسس الاجتماعية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن عليه السلام

لا بد للأمن الفكري من ركائز وأسس اجتماعية يستند إليها وقد أخذ الباحثان أساسين مهمين في هذا المطلب هما التنشئة الاسرية، والتفاعل الاجتماعي، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١-التنشئة الأسرية

التنشئة الأسرية هي كل ما يمكن أن تقوم به الأسرة من إجراءات ووسائل من شأنها أن تضمن تهيئة الجو الأسري الصالح لنمو الطفل وتنشئته التنشئة الاجتماعية السليمة وصولا إلى حالة الاستقرار النفسي والفكري للأبناء الذي يؤدي إلى الاستقرار الاجتماعي.

وعُرِّفت التنشئة الأسرية بأنها: «عملية تعلم الأبناء لآداب الحديث والسلوك وفق نظام الاسرة الثقافي ومعاييرها واتجاهاتها، وهي عملية مقصودة أو غير مقصودة تمارسها الأسرة بهدف إكساب أو تغيير أو تعديل في سلوك الأبناء»[٣٢]

فيتعلم الطفل في الأسرة اللغة والتعبير والكلام، وبمجرد تعلمه اللغة تنقل إليه عن طريق الكلام أفكار الكبار من أفراد الأسرة وآراؤهم، وتتعهد الأسرة أيضا بالتعليم والثقافة، وكذلك تلقنه مبادئ حسن المعاملة والأدب، وتدريبه على كيفية التعامل مع الآخرين وتكوين علاقات طيبة معهم، ومن ثم تكون لديه الشعور بالمسؤولية.(٣٣)

وتقوم الأسرة بإدماج الطفل في الإطار الثقافي العام عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه وتوريثه إياه توريثا، عن طريق تعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب إليه وتدريبه على طرق التفكير السائدة فيه، وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والقيم والأساليب، فلا يستطيع التخلص منها، لأنه قد شبّ عليها، وتكون قد تغلغلت في نفسه وأصبحت طبيعة ثابتة نسبيا له،أي أصبحت من مكونات شخصيته (٣٤).

مما تقدم يمكن القول: إن الأسرة تُؤمّنْ الاستقرار النفسي والفكري لأعضائها، ذلك إن المحيط الأسري بما يسوده من حب واطمئنان يساعد كثيرا على إزالة القلق والاضطراب الذي قد ينتاب الأعضاء عند مزاولتهم لبعض الأدوار الاجتماعية خارج الأسرة، فتعدد الأدوار الاجتماعية وتناقض وظائفها في بعض الأحيان من أهم بواعث القلق النفسي لدى الأفراد. فتأتي الأسرة هنا وسيلة طبيعية لتفريغ تلك الشحنات وخلق التوازن النفسي عند الأفراد، إن التفاعل العميق بين الزوجين وبين الآباء والأبناء هو المصدر الرئيس للإشباع العاطفي لجميع أعضاء الأسرة الذي يساعدهم على التمسك بالكيان الأسري والمحافظة عليه من التفكك والانهيار .

ومن ذلك ما أشار به الإمام الحسن عليه السلام إلى دور الأمّ في بناء شخصيّة الفرد في مناظرته عليه السلام لمعاوية، حين قال: « **أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا وألأمنا حسبا وشرنا قدما وأقدمنا كفرا ونفاقا**».(٣٥)

فهنا الامام عليه السلام وضع يده على أصل المشكلة في نشأة معاوية، بوصف الوالدين مقدمة لتنشئة أبناء صالحين، إذ يقومان بدور مؤثّر وأساسيّ قبل انعقاد النطفة وبعدها إلى مرحلة الجنين، التي تصنع فيها الشخصية الأخلاقيّة والروحيّة للطفل، إذ تكون الأم هي مصدر الغذاء المباشر له، فضلا عن مرحلة الطفولة التي تسقل الشخصية ويتشكل فيها طابعها العام، ومن ثمَّ أن إيمان الوالدين وأخلاقهم يعدان ركنان مهمّان في بناء الاسرة الصالحة، وشرط أساسي في الوصول إلى الأهداف التربويّة السامية.

ويتضح الدور الريادي للامام الحسن عليه السلام في التنشئة الاسرية في ضوء تأكيده على التربية والتعليم في الصغر لأنه يترك آثارا يصعب محوها من الذاكرة. فيروى عنه عليه السلام أنه دعا بنيه وبني أخيه، فقال: « **إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم ... فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته**»[٣٦]

وأفضل تعلم في الصغر هو تعلم القرآن الكريم قراءة وتلاوة وحفظا، ففي ذلك أثر كبير في تكون الثروة اللغوية عند الطفل، وتنوير ذهنه، وتهذيب سلوكه، وترقيق قلبه، وتقوية الحجة والدليل عنده، وقد نوّه الامام الحسن عليه السلام على ذلك بقوله :«**إن هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور**»[٣٧].

ولا بد لهذه القراءة وهذا الحفظ من أن يكونا قائمين على وعي ودراية، وأن يتم التفريق بين أهل القرآن وبين أعداء القرآن الذين يحرفون كلماته لنكون مصداقا لقول الإمام الحسن عليه السلام: « **لن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه**» [٣٨]

٢-التفاعل الاجتماعي

يتأثّر الإنسان من خلال تردده إلى المجالس والمحافل بسلوك المشاركين وحركاتهم سلبا وايجابا بحسب طبيعة هذه المجالس والمحافل. ويشير الإمام الحسن عليه السلام إلى أصل تأثير المجالس الاجتماعيّة ويوصي بالمشاركة في المحافل المفيدة، ومنها المساجد، فيقول عليه السلام: « **مَنْ أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة وأخاً مستفاداً وعلماً مستطرفاً ورحمة منتظرة وكلمة تدلّه على الهدى أو تردّه عن ردى**»[٣٩].

فالمسجد مؤسسة إسلامية عظيمة لها دور فاعل في اصلاح المجتمع، فلا يمكن إصلاح المجتمع إلا بتفعيل دور أكبر مؤسسة وأعظمها على وجه الأرض، وهي المساجد؛ لأنها تربي المجتمع تربيةً إيمانيةً متكاملةً، وتقوم بصبغ الإنسان بأحسن صبغة، وهي صبغة الله، ؛ لذا نجد أن معلم البشرية محمدًا صلى الله عليه وآله قد عمد إلى تأسيس وإرساء قواعد المسجد أبان وصوله إلى المدينة المنورة حاضرة دولة الإسلام الوليدة، ليكون غرفة عمليات لتربية المجتمع الإسلامي على الايمان والتقوى، والمحبة والاحترام والتآخي، والتكاتف والتضامن والتعاطف والتراحم، ويدعوهم إلى إحياء رُوح الإسلام فيما بينهم، فلا فرق بين العبد والسيد، والغني والفقير، كلهم سواء أمام الله جل وعلا، لا يُفّضلْ أحدٌ منهم على الآخر إلا بالتقوى .

فالمساجد تغيّر أحوال الإنسان. إذ إنها تنير العقول وترقق القلوب فتحول الضيق رخاءً، والشقاء سعادةً، فمن دون شك يصيب بها الانسان خيرا كثيرا، ومن هذا الخير الذي ذكره الامام الحسن عليه السلام العلم النافع والهداية لتقوى الله والصديق الصدوق. وقد جرى الحديث عن العلم والتقوى سلفا، لذا سنتحدث هنا عن الصديق بوصفه أقوى الفعاليات الاجتماعية التي تؤثر في الفرد.

فالصداقة علاقة اجتماعية تقوم على مشاعر الحب والجاذبية بين شخصين أو أكثر وتميزها خصائص عدة منها: الدوام النسبي والاستقرار والتقارب العمري في معظم الحالات بين الأصدقاء مع توافر قدر من التماثل بينهم فيما يتعلق بسمات الشخصية، والقدرات العقلية والاهتمامات والاتجاهات والقيم والظروف الاجتماعية. فالإنسان بطبعه كائن حي اجتماعي يندفع في كل مراحل حياته تلقائيا وبصورة طبيعية للبحث عن صديق أو أكثر؛ ليرتبط معهم بعلاقة صداقة قوية؛ ليتجاوز بذلك خطورة الوحدة والعزلة التي تحرمه من الراحة النفسية وتضعف ثقته بنفسه(٤٠).

وتشير الدراسات النفسية إلى أن الصداقات تسهم إسهاما كبيرا في ارتقاء المهارات الاجتماعية والقيم الأخلاقية، فهي تبصّرهم بمعايير السلوك الاجتماعي الملائم في مختلف المواقف ومن خلالها يتعلمون كيفية المشاركة مع الآخرين في الاهتمامات والإفصاح عن المشاعر والأفكار،

وتكوين علاقات تتسم بالثقة المتبادلة مع أقرانهم ، ومما لا شك فيه أن وجود الصديق يوسع دائرة رؤية الفرد ويمنحه القدرة على حل مشكلاته، فإذا كان الصديق مؤمنا وملتزما وذا أخلاق حميدة فإنه حتما سيترك في أصدقائه آثارا جيدة ويسوقهم نحو السعادة ؛ لأن الصديق يتأثر تلقائيا بصديقه(٤١) ؛ لذلك نجد النبي محمد ﷺ يؤكد اختيار الصديق المناسب بقوله : «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٤٢)

وعلى الرغم من كون الإمام الحسن عليه السلام قد جعل (الصداقة) من فوائد ريادة المسجد إلا أنه في الوقت نفسه يؤكد على حسن اختيار الصديق بقوله عليه السلام : « **يا بني لا تواخي أحدا حتى تعرف موارده ومصادره فاذا استبطنت الخبرة ورضيت العشرة فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة** » (٤٣).

فلو تمعنا في حديث الإمام عليه السلام جيدا لبدا واضحا البعد التنموي الاجتماعي للإنسان حينما يريد أن يكوّن علاقة حميمة بينه وبين إنسان آخر، فالإمام عليه السلام يأمر بنيه بعدم المؤاخاة وبناء صداقة مع شخص آخر حتى يتسنى لهم اختبار ذلك الشخص ومعرفة موارده ومصادره، والاختبار هو الطريق الأمثل لمعرفة الرجال. فلا يصح أن نثق بالصديق إلا بعد اختباره، ولا يكفي أن يبتسم لك شاب فتتخذه صديقا، فالنفوس مثل المغارات لا يمكن اكتشافها بمجرد لقاء عابر، بل لابد من الدخول فيها والولوج في أعماقها؛ كي يكتشف الإنسان حقيقة ما بداخلها فإما تكون مناظرا جميلة وخلابة أو ثعابين وعقارب، فبالصداقة أما أن يسعد الإنسان ويصل إلى بعض الكمالات الروحية والنفسية أو يسقط في مهاوي الرذيلة والضياع . لذا شدّد الإمام عليه السلام على النهي قبل الإختبار فهو يدرك عليه السلام أن الصديق نفعه كثير وضرره كبير، وإن المقاطعة بعد الصداقة أصعب من عدم المصادقة.

ثم يبين الامام عليه السلام صفات الصديق الذي يجب مصادقته، فعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فقال فيما قال عليه السلام : «... **وَ إِذَا نَازَعَتْكَ إِلَى صُحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةٌ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا صَحِبْتَهُ زَانَكَ، وَ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وَ إِذَا أَرَدْتَ مِنْهُ مَعُونَةً أَعَانَكَ، وَ إِنْ قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَكَ، وَ إِنْ صُلْتَ شَدَّ صَوْلَكَ ، وَ إِنْ مَدَدْتَ يَدَكَ بِفَضْلٍ مَدَّهَا، وَ إِنْ بَدَتْ عَنْكَ ثُلْمَةٌ سَدَّهَا، وَ إِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَ إِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وَ إِنْ سَكَتَّ عَنْهُ ابْتَدَأَكَ، وَ إِنْ نَزَلَتْ إِحْدَى الْمُلِمَّاتِ بِهِ سَاءَكَ،...**»(٤٤).

كذلك من الفعاليات الاجتماعية التي تؤثر في المجتمع وتزعزع أمنه الفكري الاعلام والتثقيف المضلل، وقد تعامل الامام الحسن عليه السلام مع هذه الظاهرة بكل حنكة ودراية ومن ذلك: أنه روي «**أنّ شامياً رآه راكباً، فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه عليه السلام وتبسّم، وقال: «أيّها الشيخ، أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كبيراً»، فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبّتهم**».(٤٥)

نلحظ من ذلك أن الإمام الحسن عليه السلام كان مدركاً بشكل جيدٍ لحجم الاعلام المضلل ضد أهل البيت عليهم السلام من قبل معاوية وأبيه، لذلك الامام بدماثة خلقه ولين عريكته نفذ الى قلب الشامي وكشف عن الفهم الخاطئ لديه وتأثره بالإعلام المضلل، فجعل الشامي يستشعر مواطن الخطأ في أحكامه بنفسه، ولا سبيل أمامه إلا الإقرار بالولاية والمحبة، فالإمام عليه السلام يعطينا درسا بليغا في الحوار وتقبل الآخر أيا كان فكره ثم العمل على تصحيح الفكر الخاطئ بالتي هي أحسن.

المطلب الثالث

الأسس السياسية والاقتصادية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن عليه السلام

تلعب السياسة والاقتصاد دورا مهما في استقرار المجتمع أمنيا وفكريا، فالمجتمع الذي لا يشهد استقرارا سياسيا واقتصاديا يكون مضطربا أمنيا وفكريا، ويصبح مرتعا للأفكار المنحرفة والتيارات المتطرفة، ولو استعرضنا التأريخ الى عصرنا الحالي للمسنا أن الفوضى السياسية والوضع الاقتصادي المتردي كانا كفيلين بظهور الحركات والتيارات المنحرفة التي عصفت بالمجتمع وفككت أواصره، وفي هذا المطلب سيتناول الباحثان الأساسين السياسي والاقتصادي للأمن الفكري في فكر الامام الحسن عليه السلام، وعلى النحو الآتي :

١. الأسس السياسية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن عليه السلام

يعد الأمن السياسي من أهم الدعائم الأساسية لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية ويتضح مفهوم الأمن السياسي بوصفهِ « حالة خاصة من الطمأنينة الاجتماعية تتحقق من خلال تشجيع وتنمية مشاركة المواطنين السياسية وانعدام الشعور بالعزلة السياسية»(٤٦)، فالفكر السياسي المستنير هو الذي يَبني ولا يَهدم ويُشارك بفاعلية أو يُعارض بعقلانية فهو ثمرة تنشئة اجتماعية سياسية هادفة وواعية، وعندما يكون هذا الفكر مدعوم بشرعية ومصارحة وحرية رأي وحوار متواصل وصريح بين الحاكم والمحكوم فإنه عادة ما يكون من اسس استقرار الدولة السياسي، وضمانة لأمنها الوطني بمفهومه الشامل، إلا أن ليس كل الأفكار السياسية هي أفكار عقلانية ومقبولة، فقد ينشأ فكر سياسي متطرف ومنحرف عن الحق مما يؤثر في الأمن الوطني وعلى استقرار الدولة وسيادتها.

وقد فرّق الأمام الحسن عليه السلام بين السياسة النفعية التي تنظر الى الحكم وتنشده للاستيلاء على مقدرات الدولة مهما كان الثمن ولو على حساب أرواح الناس وثرواتهم، وبين السياسة القيمية التي تنشد قيم السماء وتحرص على تطبيقها وهذا الأمر بدا واضحا في معرض جوابه عليه السلام حين سأله بعض الناس عن رأيه في السياسة، فقال عليه السلام: «**هي أن تراعي حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات. فأما حقوق الله، فأداء ما طلب، والاجتناب عما نهى. وأما حقوق الإحياء،**

فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخر عن خدمة أمتك، وأن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا حاد عن الطريق السوي. وأما حقوق الأموات، فهي أن تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مساوئهم، فإن لهم رباً يحاسبهم».[٤٧]

هذه النظرة القيمية للسياسة في فكر الإمام الحسن (عليه السلام) تمهد لحالة استقرار فكري واطمئنان نفسي لعامة الناس، لأنهم سيدركون أن حقوقهم مأمّنة فلا يعد لديهم مبرر للخوف من المجهول، وخلاف ذلك ستنشط حركات وتوترات ناتجة من هوّة بين الحكومة والناس بسبب السياسات الفاشلة والاضطهاد وسلب الحقوق والحريات.

٢.الأسس الاقتصادية للأمن الفكري في فكر الامام الحسن (عليه السلام)

لاشك أن السلطة هي المسؤولة عن عملية التنظيم الاقتصادي، لان تلك العملية تتطلب بالضرورة قوة قانونية تسهم في إمضاء مشيئة السلطة من قرارات أو أوامر أو لوائح تنظيمية، وهذه القوة القانونية أو الشرعية لا تمتلكها غير السلطة، وبناءً على ذلك فعملية التنظيم الاجتماعي بشكل عام والاقتصادي على وجه الخصوص تحاول الموازنة بين موارد المجتمع التي تحت إمرة (السلطة) والاحتياجات التي تسعى لسدها أو إشباعها بالنسبة لفئات المجتمع عموما.

وقد حاولت الأمم المتحدة أن تجد معنىً جامعاً يفسر الأمن الاقتصادي فتوصلت للتفسير التالي: «هو أن يملك المرء الوسائل المادية التي تمكّنه من أن يحيا حياة مستقرة ومشبعة، وبالنسبة لكثيرين يتمثل الأمن الاقتصادي ببساطة، في امتلاك ما يكفي من النقود لإشباع حاجاتهم الأساسية، وهي: الغذاء، والمأوى اللائق، والرعاية الصحية الأساسية، والتعليم»[٤٨]

وفي الواقع السياسات الاقتصادية الخاطئة تلحق بالشعوب أضرارا كثيرة وينتج عن ذلك حالة من عدم الاتزان النفسي والاستقرار الفكري فتحدث كثيرٌ من المشكلات والاضطرابات والفوضى، فيصبح الفرد أرضا خصبة للانحرافات الفكرية والأخلاقية فيسقط في مهاوي الردى. ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن البلد الذي لا يستقر اقتصاديا لا يستقر أمنيا.

وحقيقة القول إنّهُ لا يمكن الوصول الى الحالة المثلى في الوضع الاقتصادي بسبب القوانين الوضعية القاصرة، والفساد، والعمالة، وغيرها، فيحدث تباين بين الناس في معيشتهم فنجد الغني العزيز والفقير الذليل، وقد أشار الامام الحسن عليه السلام لهذه المسألة بقوله: «**مَنْ قَلَّ ذَلَّ، وَ خَيْرُ الْغِنَى الْقُنُوعُ، وَ شَرُّ الْفَقْرِ الْخُضُوعُ**»(٤٩)، وهنا يبين الامام أن الغنى الحقيقي هو غنى القناعة لا المال، فلا يكون المال سببا في شقاء الانسان وخروجه عن جادة الصواب، فالامام عليه السلام يعمل على حسم حالة الصراع النفسيّ في داخل كيان الانسان، وتهيئة نفسه لحالة رضى داخليّ يشعر فيها بغنى النفس.

بعد ذلك يوضح الامام عليه السلام مقدار المال اللازم للفرد لتغطية متطلباته اليومية، وما زاد عنه يعد خزنا للغير بقوله عليه السلام: «**واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلّا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً، وفي الشبهات عتابا...**»(٥٠)

وهنا نستشعر حالة الترويض والتدريب للنفس المؤمنة على تقبّل الإحباطات المستمرّة في حياة الإنسان كي لا يشعر بالتوتر والقلق ولا يعتريه صراع؛ بسبب كونه لا يجري وراء إشباع زائد عن حاجته، وبذلك تتم السيطرة على شهوة جمع المال بالحلال والحرام على حدٍّ سواء، بل الاكتفاء بالحلال فقط بعد أن يدرك الغاية من جمع المال.

الخاتمة

يعد الأمن الفكري من المرتكزات الاساسية في المجتمع، فالشعور بالطمأنينة والسلامة الفكرية والنفسية لدى الفرد يجعل الحياة عنده أكثر سعادة، وأقل توترا، والحق أن هذا الأمن لا يتحقق جزافا، بل لا بد من أسس ومقومات رصينة تمثل الحصن الحصين تجاه كل الانعطافات والانحرافات الفكرية التي تستهدف أمن المجتمع واستقراره، وعلى ضوء استقرائنا المتواضع لموضوع الامن الفكري وفكر الامام الحسن (عليه السلام)، استطعنا أن نستخلص بعض هذه الأسس في فكر الامام (عليه السلام)، وعملنا على تصنيفها الى أسس فكرية واجتماعية، وسياسية واقتصادية، واستخلصنا منها الآتي :

١-طلب العلم والفكر والتفكر يصقلُ شخصية الفرد ويعزز ثقته بنفسه ويحرر عقله من القيود والأوهام والجهل، ويرتقي بقيمه وأخلاقه، ويمنحه الفطنة في مواجهة ما يعترض سبل حياته، وما يهدد أمنه الفكري.

٢-التقوى تهذّبْ النفس والروح فيكون الانسان عبرها مراقبا لله في كل حركاته وسكناته، فيبتعد عن الموبقات والأفكار المنحرفة والضالة ليشعر بالأمن والأمان.

٣-التنشئة الأسرية السليمة لها دور بارز في حياة الأبناء وبناء شخصياتهم ونمو تفكيرهم لدرجة أن كثيراً من مظاهر التوافق أو عدم التوافق التي تظهر في سلوك الأبناء وتحقيق النجاح أو الفشل يمكن إرجاعها إلى نوع العلاقات الأسرية التي تسود بين أفراد الأسرة والى أساليب المعاملة التي يعاملها بها الوالدان اطفالهما.

٤-اختيار الصديق فالاهتمام بالتواصل مع الآخرين وعقد الصداقات مع الافراد الجيدين له نفع كبير على أمن الفرد واستقراره.

٥-التواصل مع المؤسسات الاجتماعية النافعة، ومنها المساجد لها دور كبير في الاستقرار النفسي والفكري، إذ يسترشف منها الانسان كثير من قيم التسامح والاخاء والمحبة والتعاون ونبذ الخلاف والفرقة، وغيرها من القيم التي توطد علاقة الانسان مع الله والمجتمع.

٦-الاعلام له دور أساسي ومفصلي في زعزعة الامن الفكري، لذا يجب أن يوجه بالاتجاه الذي

يخدم الفرد والمجتمع، وأن يتم التعامل مع الأفكار المنحرفة والتثقيف المضلل عبر الحوار والمناقشة.

٧-السياسة القائمة على إدارة شؤون الناس على أسس عادلة وسليمة لها أثر كبير في استقرار المجتمع، وابعاده عن الانحراف والتطرف الفكري.

٨-السياسة الاقتصادية التي تنظم موارد الدولة بشكل سليم تُشعر الفرد والمجتمع بالأمن والاستقرار النفسي والفكري، فالبلد الذي لا يستقر اقتصاديا لا يستقر أمنيا ولا فكريا ولا نفسيا.

الهوامش

1- إبراهيم:٣٥
٢- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب ، مادة (أمن) ، ٥/ ص ١٤
٣-المصدر نفسه :، مادة (فكر) ، ٥/ ص١٠٢
٤-نصير ، محمد. الأمن والتنمية البشرية : ص ١٢
٥-الوادعي، سعيد مسفر . الأمن الفكري الإسلامي : ص ٥٠
٦-نور ، أميرة بنت طه بن عبد الله، مفهوم الآمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، .ص٤٨
٧-آل عايش، عبد الله بن حلفان بن عبد الله، التربية الأمنية في الإسلام (الحل الأمثل للفتن) : ص١١
٨-: جري ، خضير عباس . الأمن الفكري : ص٣٨
٩-ينظر جري ، خضير عباس . الأمن الفكري : ص ٤٤-٤٦
١٠-ينظر المصدر نفسه : ص٤٦-٤٧
١١-علاوي، احمد إبراهيم . التعليم استثمار ام استهلاك : ص١٠٦.
١٢-عمار، حامد . التنمية البشرية في الوطن العربي : ص١٤٣.
١٣-عبد المعطي، عبد الباسط ، بعض المتغيرات المؤثرة في العلاقة بين التعليم والتنمية البشرية في الوطن العربي : ص ٢٩٢ .
١٤-. زيدان، سلمان ، اثر التعليم في التنمية البشرية : ص١٣٤
١٥- المجلسي ، محمد باقر. بحار الانوار : ٢/ ص٣
١٦-المصدر نفسه ، ٧٥/ ص١١١
١٧-المرعشي، السيد نور الله الحسيني . احقاق الحق وازهاق الباطل :١١/ ص ٢٣٨
١٨-المصدر نفسه : ١/ ٩٦
١٩-النمازي، الشيخ علي. مستدرك سفينة البحار، : ٦/ ص٥٣٨
٢٠-الفقي، إبراهيم . قوة التفكير : ص١٦٤-١٦٥
٢١-المدرسي ، هادي . أساليب النجاح : ص : ٦٣
٢٢-الفقي، إبراهيم . قوة التفكير : ص٨
٢٣-المجلسي، محمد باقر . بحار الانوار : ٧٥/ ١١١
٢٤- المصدر نفسه : ٧٥/ ١١٥
٢٥-ينظر الموسوي ، خليل . كيف تبني شخصيتك برواية أهل البيت: ص ٦٨ - ٦٩
٢٦-المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار : ٧٥/ ص١١٠
٢٧- المصدر نفسه : ٧٥/ ص١٠٤
٢٨- الحلي، الشيخ ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ١/ ص٢٨٤
٢٩-المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار : ٧٥/ ص١١٢

٣٠-المصدر نفسه : ٧٥/ ص١١٥

٣١-الرعد : ٢٨

٣٢-البصري، إنعام جلال توفيق . التنشئة الاجتماعية في الأسرة العراقية ،: ص ٢٢.

٣٣-زيدان، عبد الباقي، الأسرة والطفولة : ص ٥٠

٣٤-ذياب، فوزية ، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة : ص ١٢١

٣٥-المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار : ٤٤/ ص٤٩

٣٦-المصدر نفسه : ٢/ ص١٥٢

٣٧-المصدر نفسه : ٧٥/ ص١١٢

٣٨-المصدر نفسه : ٧٥/ ص١٠٥

٣٩-المصدر نفسه : ٧٥/ ص١٠٨

٤٠-الأسدي، عقيل رشيد عبد الشهيد . الصداقة سيف ذو حدين ، مجلة الولاية، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف ، العدد ٨٠ : ص ٣٠

٤١-المصدر نفسه : ص ٣٠

٤٢-المجلسي ، محمد باقر . بحار الأنوار: ٧١/ ص١٩٢

٤٣-الحراني، ابن شعبة . تحف العقول عن آل الرسول: ص ٦٦

٤٤-المجلسي ، محمد باقر . بحار الأنوار: ٤٤/ ص١٣٩

٤٥-المصدر نفسه : ٤٣/ ص٣٤٤

٤٦-الشقحاء ، فهد بن محمد ، الأمن الوطني تصور شامل: ص٧٢.

٤٧-العاملي، العلامة جعفر مرتضى. الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام : ص٧

٤٨-القليطي سعيد علي ، التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الاقتصادي والنهضة المعلوماتية بالمملكة العربية السعودية، مؤتمر تقنية المعلومات والأمن الوطني : ص٤.

٤٩-المجلسي، محمد باقر. بحار الانوار : ٧٥/ ص١١٣

٥٠-المصدر نفسه : ٤٤/ ص١٣٩

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*ابن منظور، محمد بن مكرم(د. ت). **لسان العرب** ، دار الكتاب المصري ، القاهرة: مصر.

*الأسدي، عقيل رشيد عبد الشهيد. الصداقة سيف ذو حدين ، **مجلة الولاية**، العدد ٨٠، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف : العراق.

*آل عايش، عبد الله بن حلفان بن عبد الله(٢٠٠٦). **التربية الأمنية في الإسلام (الحل الأمثل للفتن)**، دار المحبة، دمشق : سوريا.

*البصري، إنعام جلال توفيق(١٩٩٥). **التنشئة الاجتماعية في الاسرة العراقية**، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، آداب في علم الاجتماع ،جامعة بغداد : العراق.

*جري، خضير عباس، هاشم أبو خميس، وأسامة ناجي سلمان النجار(٢٠٢٢) . **الأمن الفكري**، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل :العراق .

*الحراني، ابن شعبة (٢٠٠٨). **تحف العقول عن آل الرسول**، ط٣، مطبعة سبحان.

*الحلي، الشيخ ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري(٢٠١٣)، **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر**، تحقيق باسم محمد مال الله الأسدي، ط١، اصدار شعبة التحقيق في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة: العراق.

*ذياب، فوزية (١٩٧٩)، **نمو الطفل وتنشئته بين الاسرة ودور الحضانة** ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة: مصر.

*زيدان، عبد الباقي(١٩٨٠).**الأسرة والطفولة** ، دار الشباب للطباعة ،القاهرة : مصر.

*زيدان، سلمان (١٩٩٧). اثر التعليم في التنمية البشرية، **مجلة ام المعارك** ، العدد ١٢ / ١٣ ،لسنة ٣ .

*الشقحاء ، فهد بن محمد(٢٠٠٤) ، **الأمن الوطني تصور شامل**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض: السعودية.

*العاملي، العلامة جعفر مرتضى (١٩٩٤)، **الحياة السياسية للإمام الحسن**(عليه السلام)، ط١، دار السيرة ، بيروت: لبنان.

*عبد المعطي، عبد الباسط (١٩٩٥)، بعض المتغيرات المؤثرة في العلاقة بين التعليم والتنمية البشرية في الوطن العربي، في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : لبنان.

*علاوي، احمد إبراهيم (١٩٩٥). **التعليم استثمار ام استهلاك**، المؤسسة العربية الدولية للتوزيع والنشر، العدد ٣٤، عمان : الاردن .

*عمار، حامد (١٩٩٢). **التنمية البشرية في الوطن العربي** ، سينا للنشر ، القاهرة: مصر.

*الفقي، إبراهيم (٢٠٠٨). **قوة التفكير** ، دار الراية للنشر والتوزيع.

*القليطي، سعيد علي(٢٠٠٧). التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الاقتصادي والنهضة المعلوماتية بالمملكة العربية السعودية، **مؤتمر تقنية المعلومات والأمن الوطني**، الرياض: السعودية.

*المجلسي، محمد باقر(د.ت). **بحار الأنوار**، مؤسسة الوفاء ، بيروت : لبنان.

*المدرسي ، هادي(٢٠٠٧). **أساليب النجاح**، ط٣، مؤسسة احمد للمطبوعات، بيروت: لبنان.

*المرعشي، السيد نور الله الحسيني . **احقاق الحق وازهاق الباطل** ، تعليق آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي، من منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة: ايران.

*الموسوي، خليل (٢٠١١). **كيف تبني شخصيتك برواية أهل البيت**، ط١، دار الجوادين.

*نصير ، محمد(١٩٩٣) . **الأمن والتنمية البشرية**، مكتبة الكبيكان، الرياض: السعودية.

*النمازي، الشيخ علي(١٤١٩هـ). **مستدرك سفينة البحار**، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة: ايران.

*نور ، أميرة بنت طه بن عبد الله(٢٠٠٧). **مفهوم الآمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى: المملكة العربية السعودية.

*الوادعي، سعيد مسفر(١٤١٨هـ). الأمن الفكري الإسلامي، **مجلة الآمن والحياة** ، العدد (١٨٧).

تَشييدُ الصُّورة التاريخية في خطابها الأُموي لإقصاء الإمام الحسن (عليه السلام) في التأصيل التاريخي

أ.م.د. علاء حسن مردان اللامي
كلية الامام الكاظم (عليه السلام) الجامعة اقسام البصرة

ملخص البحث

إنَّ تشييد الصورة التاريخية تنحصر بين المرجعيات التي تعكزت عليها، اذ انها تنطلق من الخطاب الذي يشيدها ويجعلها مرتكزاً ثابتاً في تصور عامة الناس، فلا يستطيعون بعدها تجاوزها او التشكيك بحقيقتها او انها حدثت بطرق مغرضه، بل يصبح انعدام الشك فيها حاضر وهذا ما حدث مع عوام الناس والاغلب من المتعلمين والنفعيين من كبار رجال القبائل آنذاك، اذ وقعوا تحت خدعة ما شيد وأصل له على انه واقع ما يحدث لا جدل فيه، ومن هذا التصور شيدت الرواية التاريخية الاموية بأسلوب مغرض مقصود في محاولتها لإقصاء الامام الحسن عليه السلام من تاريخ الإسلام بصورة عامة، اذ حطت من ذكره، وشهرت به بالقبيح من الاعمال، وبحسب خطابها المغرض شيدت الرواية التاريخية التي تنامت وتوسعت في كتب التراث الإسلامي على انها مصداق ما حدث بحسب الاحداث الأكثر جدلا من رواية الى أخرى.

فتشييد الرواية التاريخية ذات الخطاب الاموي تشكلت عند مخيلة المتلقي وبقوة، اذ تتحدد هذه الصورة الأولية كنص يحاكي احداث ذلك العصر على وفق المعلومات التي يسطرها النص، وسيكون المتلقي لهذه المعلومة مساقا الى الاخذ بها والتصديق بحيثياتها لتملئ ذهنه بواقع على انه حقيقة ما يجري او ما جرى وسواء اكان ذلك سلبي او إيجابي فهو سيحسب على انها من فعل الامام الحسن عليه السلام، وهذا هو الغرض من سلطة الرواية المراد تشييدها في اذهان الناس، هكذا تظهر الرواية التاريخية بهدف تشييد الشخصيات بصور سلبية او إيجابية، وان كان الغالب على رواية الخطاب الاموي الأثر السلبي المغرض التي خضع لها المتلقي ليشكل مادة روايته المشيدة من ايعازات السلطة الاموية. وسوف يقسم البحث على محاور ليتضح مقصد البحث وهي على النحو الاتي: المحور الأول سيهتم لتوضيح صورة الرواية التاريخية الأولية، بينما المحور الثاني سيهتم لخطاب السلطة الاموية في تشييد الرواية التاريخية. اما المحور الثالث سيهتم لتوضيح التناقض في أصل الرواية التاريخية

من خلال هذه المحاور ستكتمل الفكرة العامة لهذا البحث الذي يعد محاولة في استقراء الروايات التاريخية ومحاولة توجيهها بالاتجاه الصحيح الذي خطط لها بغض النظر إذا كانت إيجابية او سلبية، الا ان الاعم الغالب من نوع هذه الروايات هو سلبي تجاه شخصية الامام الحسن ﷺ، وبسبب كثرة الروايات السلبية سلم العديد من الباحثين والمهتمين بالدراسات الإسلامية بتلك الروايات على انها حقيقة ما جرى، فأيدوها وألقوا باللوم على الامام الحسن ﷺ وعدُّوه شخصية همها حب الملذات من الطعام والنساء، في حين اصل هذا الاتهام لا يصمد كثيرا امام النقد لأصل المرويات التاريخية على اعتبار انها مثلت الصورة المشيدة تحت رعاية الدولة الاموية القاصدة لإقصاء اهل البيت ﷺ من شرعية الحكم، فكان التركيز على اضعافهم في اذهان المجتمع الإسلامي، فنجحت الدولة الاموية في خطابها الفكري وغَذَّتْ أجيال من أبناء المسلمين على اكذوبة مفتعلة ومغرضة تولدت نتيجة رغبات معاوية بن ابي سفيان في التأصيل لأخبار مغرضة هدفها ابقاءه لأطول مدة زمنية على عرش السلطة الإسلامية.

Abstract

The construction of the historical image is confined between the references as it proceeds from the discourse that builds it and makes it a fixed base in the perception of the general public. The people, most of the educated and senior tribesmen at that time, fell under the deception of what was built and based on it . From this perception the Umayyad historical narrative was constructed in a malignant and intentional manner in its attempt to exclude Imam Hassan, peace be upon him, from the history of Islam in general , as his mention was degraded , and made him famous for fabricated deeds .

The research will be divided into axes to trace the heinous intents of the Umayyad pens : The first axis will be concerned with clarifying the image of the initial historical narrative , while the second axis will be concerned with the discourse of the Umayyad authority in the construction of the historical narrative . As for the third axis, it will be concerned with clarifying the contradiction in the origin of the historical narrative .

المحور الأول: صورة الرواية التاريخية الأولية

شيدت الرواية التاريخية عبر مراحل حتى وصلت الى شكلها المدون في كتب التراث الإسلامي، وحقيقة ما نقل عن حوادث التاريخ متفاوتة الى حدٍّ ما بين المؤرخين، اذ في النقل هناك طرق اعتمدها المؤرخ في تثبيت الخبر المراد، اذ انه اعتمد على مجموعة من الرواة الذين شيدوا الرواية واظهروها بألفاظها ومعناها النهائي، ومن ثم جاء دور المدون ليثبتها في مدونه بوصفها حقيقةً لا شك في مصداقية ما تُقدمه من ايجاز او سرد للتاريخ المراد كشف صورته امام المتلقي، اذ ان بنية العمل التاريخي وعلى وفق تنظيم مادته التي هي عبارة عن مجموع الروايات فهي لا تخلو من اثر الشخصية سواء كان سلبيا او إيجابيا، فهي ستكون مادة التاريخ والجميع سيأخذ بها بوصفها الاصدق او الأقرب لحدث الحقيقة الحاصلة، وبهذه الكيفية التي اظهرتها للوجود الفكري والمعرفي فأنها ستكون محل تأمل على المستوى العاطفي والاستفهامي وستطغى على عالمنا الفكري والثقافي فتشيد نمطاً محدداً مانحاً لها معنى الحدث والوجود التاريخي، في حين ربما هذه الصورة المشيدة لا اصل لها في حقيقة الاحداث انما هي رغبة الشخصية في بث صورة مغايرة للحقيقة آنذاك فيطلق تصوراته المقصودة في إيجاد فضائل ترفع من قدر شخص وتضع من اخر، وهو ما يعني التلاعب بالحقائق وجعلها تنسجم مع تفكير الناس ومن ثم تحصل هذه التصورات على معنى مقبول له قيمة تاريخية عند المدون الذي جمع المادة التاريخية المنقولة شفاها ليجعلها نصاً ناطقاً عن حدث تاريخي له تشييده الخاص.

ومن جهة أخرى ان التعامل مع تأصيل الاخبار التاريخية بهذه الصورة أدى الى سلب حقيقة تاريخية واقصائها من الظهور (1)، او ترك التعامل معها منذ ظهور الرواية المنقولة سماعا، وهذا الامر يعد أخطر ثقافة أسست في تاريخ الإسلام اذ ان الرواية التي نقرأها معبرة عن فكرة الثقافة المنبثقة من مكان تأصيلها بشأن السياق المقصود سواء كان الراوي متمكناً من الحقيقة الواقعة او هو يكتب على هامش حقيقة فيخرجها بتصوراته الداخلية ويضيف عليها مشاعره واحاسيسه الشخصية مع الأوامر والدوافع التي تجعل كتاباته مميزة بحسب رغبة السلطة، حينها ستكون هناك اكثر من صورة شيدت بشكل منحرف عن الشيء الحاصل في الأصل، وبالنتيجة سيكون

هناك رواية تنتحل الحقيقة وهي قادرة على اخضاع المتلقي الى التسليم بحدوثها فيصدق بها ولا يشك بانها مقدر لها بحدود عقلية الراوي لها مع تأثير البيئة التي انتمى اليها.

تتحقق الصورة التاريخية الأولية للإمام الحسن (عليه السلام) في الكتب التي الفت عنه، اذ ما نقل في كتب الفهارس والتراث يوحي الى ان المصنفين والذين اهتموا بتدوين اخبار الإسلام، كان لهم اهتمام كبير بتدوين اخبار الامام الحسن (عليه السلام)، وفي الحقيقة هذه المصنفات فقدت ولم يبقَ منها الا بعض المرويات في الكتب والمصادر التاريخية العامة والرجالية منها، فنقل منها ابن النديم صاحب الفهرست بعضها، فذكر كتاب اخبار الحسن بن علي ووفاته للهيثم بن عدي (ت٢٠٧هـ) (٢). وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأصبهاني (ت٢٦٦هـ) وقال انه من الثقات العلماء المصنفين، وله من الكتب، كتاب اخبار الحسن بن علي (عليه السلام) (٣).وكتاب قيام الحسن (عليه السلام) لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي (ت٢٨٣هـ) (٤).

وأيضا هناك من نسب كتاب اخبار الحسن بن علي بن ابي طالب للطبراني (ت٣٦٠هـ) (٥)، في حين ان هذه الاخبار مثبتة ضمن كتابه المعجم الكبير، اذ ليست كتاب مستقل، لكن الطبراني افرد اخبار الامام الحسن (عليه السلام) بعدما ذكر ما اسند عن الامام الحسن (عليه السلام) من احاديث نبوية (٦).

ويبدو ان الناس كانت تهتم لأخبار الامام الحسن (عليه السلام) (٧)، وهذا الاهتمام مرده ربما محاولة من البعض للوقوف على حقيقة ما يروى او التزود من الاخبار التاريخية بغض النظر عن مدى مصداقيتها، وبهذه الطريقة قد تكون الصورة الذهنية حاضرة في تشييد الرواية التاريخية الموضوعة والمغرضة سواء من اجل المنافع المادية او الانتفاع المعنوي ولا سيما ممن يتباهى بانه يعرف بأخبار الاخرين وهذا الامر مرحب به عند السلطة واتباعها ومن عامة الناس، اذ كان تفكيرهم في قلب الحقائق واخراجها بمشهد اخر يرفع من قدر بني امية لا سيما وهم يرون في الامام الحسن (عليه السلام) القوة القادرة على تغيير توجههم في التأسيس لحكم الدولة الإسلامية، اذ جاء في الرواية التاريخية ان السلطة كانت مصرة على ان لا يعرف الناس اخبار حقيقية تفضح خلفاء بني امية (٨)، فيوصون بحرق الكتب بداعي التستر على حقائق التاريخ، او انهم من الواضح يحاولون الالتفات والتوجه نحو التأصيل لرواية مغايرة للحقائق التي يعرفونها، وهنا

دورهم يكون عن قصد في تدوير الاخبار او طمسها والتخلص منها، وهذا ما جعل معاوية بن ابي سفيان يوصي اتباعه بان بعض الحقائق لا ينبغي ان يقرأها اهل الشام فيميلون الى علي بن ابي طالب (٩)، فالرواية تحدثت عن فكرة لها اصل تاريخي، لكن مع إصرار معاوية انقطعت تلك الرواية بل انتهت لتحل محلها رواية جديدة لها صورتها المشيدة بعناية متطابقة الى ذهنية أنصاره، وبطبيعة الحال مثل هذا التوجه القى بظلاله على تأسيس حركة تاريخية مغايرة للواقع الحاصل في زمان الامام الحسن (عليه السلام)، فظهرت اخبار كثيرة ترفع من قدر بني امية في روايات تاريخية تحافظ على مكانتهم في حكم اهل الإسلام.

وتتكرر المغالطة التاريخية عند الاخباريين الذين دونوا الكتب عن الامام الحسن (عليه السلام)، فالهيثم بن عدي الذي عد ابيه ممن شهد شهادة زور بحق الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) انه مات موتا طبيعيا ليبرر أفعال السلطة العباسية، لتكسب ود المجتمع الإسلامي، نقل روايات تاريخية انفرد بها على انها حقيقة حدثت مع الامام الحسن (عليه السلام)، جاء في نص روايته: (دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرو امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ففعلت) (١٠). بينما المشهور المرأة التي سمت الامام هي جعدة بنت الاشعث (١١)، فلماذا اختلف الهيثم مع الجميع في رواية هذا الخبر؟ بما انه كان على رأي الحرورية الخوارج، كأنه يريد ان يعطي تصورات على ان الراي العام زمن الامام الحسن هو بالضد منه، والكل اشتركت في التخلص من وجوده لأنه ليس اهلا للحكم والسلطة ورعاية أمور المسلمين، فالرواية اكدت انقطاع الرابطة العائلية، وهذه الفكرة تثير فيمن يقرأها جانب التعصب والبغض للإمام الحسن، ليكون اصل تشييد الرواية التاريخية هي الحيلة والكيد وقلب الحقيقة بمعرفة أخرى تأخذ منحى المغلوبين والانهزام ليكون شخص الامام الحسن (عليه السلام) ضعيفاً، جدا بل كان يشعر بالهزيمة وان الانتصار هو للطرف الاخر معاوية وحزبه، ولكي تكتمل الصورة المشيدة في المرويات التاريخية جاء ذلك الانهزام في ما شيد من خبر زعموا انه قاله الامام الحسن لأخيه الأمام الحسين (عليهما السلام) ساعة احتضاره، تقول الرواية: (يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه انى لأضع كبدي قال الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال ما سؤالك عن هذا أتريد

أن تقاتلهم أكلهم الله إلى عز وجل) [١٢].بعدما وصل الخبر الى معاوية جاء نص ما نقل عنه في الرواية: (فلما مات ورد البريد بموته على معاوية، فقال: يا عجبا من الحسن، شرب شربة من عسل بماء رومة) [١٣].

وحقيقة الرواية فيها تدبير كبير من معاوية اذ كان ينتظر ان يصل اليه البريد ببشارة موت الامام الحسن عليه السلام، بل كان معاوية يعرف حتى الطريقة التي سم بها الامام، وهذا النقل يوحي لمن يريد ان يتحقق من حقيقة الاحداث آنذاك، ان معاوية ورجاله كانوا متضايقين من وجود الامام الحسن عليه السلام، اذ مع بقائه على قيد الحياة يكون حائلا دون تطبيق رغبات معاوية في حكم الدولة الإسلامية، ومن هذا المنطلق يتعرى ما نقل في الروايات التاريخية التي تصور الامام الحسن بانه شخصية انهزامية لا يواجه الخطر متى وقع، بل نجد ان قوة الامام في القيم الاعتبارية التي خططت لها الدولة الاموية، اذ لو كان ضعيفا لما اهتمت لإمره وانشغلت بكيفية التخلص منه، ومن هذا الصراع تبرز عدة مسائل مهمة في إتمام التصور الحقيقي الحاصل آنذاك بعيدا عن الغضب والتعصب واتباع الهوى في استقراء الروايات التاريخية.

وعلى وفق تشييد الرواية الانهزامية كان البعض ممن دون اخبار الخلفاء وسيرتهم ذكرهم كقادة للدولة الإسلامية، لكنه لم يذكر الامام الحسن عليه السلام من ضمنهم [١٤]، وهذا يعني ان البعض من الاخباريين قد تقصدوا ان يقصوا الامام الحسن عليه السلام من الرواية التاريخية بعدما وجدوا في المرويات ان جل الاخبار تؤكد على اقراره بالهزيمة وعدم تمكنه من الإدارة والحكم، وهذه ظاهرة مخربة وغير حقيقة لكنها أصبحت في التراث الإسلامي حقائق معبرة عما حدث حينها، لذلك كانت علاقة الاخباري وهو يتعامل مع المرويات التاريخية وبشان الامام الحسن روايات يغلب عليها علاقة مهزوزة من الأساس، ونقرئها من الخارج بمنظار مظلم يغلب عليها الخوف وعدم الرضا والميل الى الغالب وهو معاوية، فهذه الخصوصية التي طغت على تصورات الاخباريين جعلتهم يسلمون بنقل الروايات الانهزامية التي ربطوها بعصر الامام الحسن عليه السلام والصقوها بشخصه وقلة كفاءته.

بقيت الرواية تتابع الامام الحسن من اجل اظهاره بمظهر الضعف والانهزام من الرجال ومواجهتهم، فركزت على حبه للنساء، وانه كثير الزوجات! وهذه المرة تشييد الرواية يراد منه لوم الامام الحسن وجعله مقصرا بعيدا عن مقابلة القيم الاعتبارية التي سادت في عصره، اذ كان قد اعتزل الحياة السياسية ليتفرغ لحياة يغلب عليها مدى اهتمامه بالنساء، حتى جعله متزوجا اكثر من تسعين امرأة [١٥]. وهذا التصور وفي أيام ذلك المجتمع الذكوري بل وحتى وقتنا الحاضر سوف يفسر مثل هذه الروايات على ان الامام الحسن كان شخصاً ضعيفاً وجباناً غير قادر على ان يكون بالضد من معاوية فمال لحياة البذخ وحب النساء، ومن هذا المنطق شيدت الرواية بفكرة تشوش ذهن السامع او القارئ لها فيمتلئ من هذه التعابير والمعاني المضادة لحقيقة الامام الحسن عليه السلام، من ان احتياجاته ورغباته لم تتجاوز حياة الترف وحب النساء، بل اكثر من ذلك وفي مشهد اخر من الرواية المشيدة ان بعض نسائه هنَّ من حرصن على حفظه والعناية به، اذ يروى ان الامام الحسن تزوج من خولة بنت منظور [١٦]، فلما بات عندها على سطح البيت، كانت خوله تشد خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها، فقام من الليل فقال ما هذا؟ فردت عليه زوجته: خفت ان تقوم من الليل فتسقط من السطح، ونتيجة لعملها هذا حبها الامام ولم يخرج منها فافتقده بعض الرجال فقصدوه في بيت خوله ليطلعوا على حاله [١٧].

بل اختلفوا بشأن المرأة التي شدت رجلها برجل الامام الحسن اذ البعض يرى انها ليست خوله [١٨]، انما هي هند بنت سهيل بن عمرو [١٩]. فهذا الاختلاف في تدوين حياة الامام الحسن يعكس مدى الاختلاف بين الرواة بشأن إيضاح حياته الصحيحة، وهي تجعل من سلوكياته انه لم يكن ليهتم بالمجتمع الإسلامي، بل احساسه أصبح ضعيفاً فهو بحاجة الى من يحرسه اثناء نومه، وهذه الفكرة الماكرة تريد ان تتعكز على اظهاره بمظهر المهزوم وعدم امكانيته من الانسجام في تحقيق مصلحة الدولة الإسلامية فكيف يطالب بمصلحة المجتمع آنذاك وهو غير قادر على تحقيق ما يحتاجه حتى في نومه ! وحتى تكتمل فكرة اضعاف شخصية الامام الحسن عليه السلام نسبت رواية الى الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يشكو من ابنه الحسن ويخشى منه ومن طريقته في التزويج وتطليق النساء، زعموا انه قال: (لقد تزوج الحسن وطلق حتى

خفت أن يجيء بذلك علينا عداوة أقوام)[٢٠]. حتى كثرت الروايات وتحايلت في تشييد الاخبار بشأن اهتمام الامام الحسن بالنساء والزواج منهن [٢١]، واتُّهم بانه قضى زهرة شبابه في الزواج والطلاق[٢٢]. وبطبيعة الحال هذه الأفكار التي طغت في تلك الروايات المشيدة والمغرضة القصد منها اضعاف شخصية الامام الحسن عليه السلام فكان صداها ثقيل في تفكير الاخرين، اذ حاكموا الامام الحسن على انه شخص يفتقر الى القيادة فجعلوه مقصرا غير متمكن من تحقيق النجاح او خلق بيئة مناسبة للمجتمع الإسلامي، يقول الصفدي: (وهذا الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام قال لمعاوية: ان عليَّ ديناً فأوفوه عنّي وأنتم في حل من الخلافة، فأوفوا دينه وترك لهم الخلافة) [٢٣]. اذ عَدَّ الصفدي الامام الحسن عليه السلام ممن رضي الخمول من الرؤساء والاكابر وفارقوا مناصبهم، وهذا الوصف نتيجة لما شاع من اخبار شيدت عن طريق رواتها دون ان تكون قد حدثت بالفعل، بل جاءت لتعبر عن مخيلتهم التي تشكلت صورتها جراء ما تناقله الرواة والاخباريون الأوائل، لذلك فليس بغريب ان تزوج مثل هذه الاخبار وفي حقيقة حدوثها انها اكذوبة مفتعلة ومقصودة للنيل من شخصية الامام الحسن عليه السلام من دون مراعاة مكانته الفعلية.

على اثر هذا التأصيل التاريخي ذهب بعض الباحثين على تصديق ما شيد من اخبار على انها قد وقعت في زمانها، وانها كاشفة عن حال الامام الحسن وسيرته في وسطه الاجتماعي، اذ يقول فليب حتّي: (ولكن الحسن الذي يميل الى الترف والبذخ لا الى الحكم والإرادة لم يكن رجل الموقف، فانزوى عن الخلافة مكتفياً بهبةٍ سنوية منحه إياها) [٢٤]. فهذه الأفكار اكتسبها الباحث من تلك الروايات المغرضة، ولعدم قدرته على تشخيص الخبر الصحيح سلم بما هو مدون في كتب التاريخ الإسلامي، فاكتسب في ذهنه مثل هذه الأفكار الخيالية وغير الواقعية، متأثراً بنصوص معبرة عن أفكار راويها وليس عن حقيقة ماضيها، والنتيجة انه وقع في فخ ما يروى عن الامام الحسن عليه السلام على وفق الظاهر من الروايات المشيدة، اذا قبل بها دون ردها او مقارنتها مع احداث زمانها، فوقع في خطا التقييم وإعادة استقراء التاريخ بصورة اكثر اتزانا مع ما هو مقصود او مستهدف في تزييف الحقيقة لصنع هوية فكرية والصاقها بالإمام الحسن

الرغم من انها لا اصل لها من الأصل الواقعي، لذلك صناعة الاخبار ما زالت مستمرة حتى عصرنا الحاضر، سواء كانت بقصد او من عدمه، فهي بكلتا الحالتين تمس بشخصية الامام وتحمله المسؤولية وتبرر لأعدائه افعالهم التي فعلوها في حكم الدولة الإسلامية، يقول احد المستشرقين: (فان الاخبار تدل على ان الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية، والشجاعة والضبط النفسي والقابلية العقلية لقيادة شعبه بنجاح) [٢٥]. فهذه التصورات مبنية على أوهام أصل لها في التاريخ الإسلامي، وليس من السهل على الباحث اكتشاف ذلك، بل يحتاج الى قراءة معمقة للطريقة التي نقلت المروية التاريخية لتصبح رواية مدونة في الكتب كجزء من اخبار التاريخ، ثم يحتاج الى قراءتها بذهنية حيادية منصفة بعيدا عن التأثر بما نقل من اخبار ليست قابلة للاطمئنان، لكن المستشرق وغيره وقعوا بخديعة القالب الفكري للأخبار التاريخية وما شيد من روايات فاستحسنوها وبنوا عليها أثر في دراساتهم البحثية التي ينقصها الاستقراء الكامل لحوادث القرن الأول من الهجرة.

المحور الثاني: خطاب السلطة الاموية في تشييد الرواية التاريخية المغرضة

ان خطاب السلطة الاموية في تشييد الرواية التاريخية المقصودة للنيل من الامام الحسن عليه السلام هو بلا شك مشروع اكتنفته خطورة كبيرة في التوثيق التاريخي، ولا سيما في كيفية التعامل مع الرواية التاريخية والاخذ بها من دون بحثها واستقرائها من حيث الحوادث التي تنتمي اليها في زمن الامام الحسن او زمن ابيه الامام امير المؤمنين عليهما السلام، فالخطورة تتحقق مع أولئك الذي اعتادوا على اعتماد المعيار الشكلي امام بحوثهم ودراساتهم وباستمرار من دون التوقف عند كل رواية مشيدة لفكرة تاريخية سواء اكانت سلبية التصور ام إيجابية، فالغرض هنا يحتاج الى تصور كامل لأحداث الرواية واصل الشيء الذي تستعرض بوصفهِ حدثاً تأريخياً، اذ من المحتمل ان يقف الباحث -مهما كان انتماؤه الفكري- على حقائق غاية في الأهمية فيعزل كثيراً من المرويات التاريخية وربما بعض من الاحداث التي هي ثابتة وراسخة في عقليتنا التاريخية، واذا كان الباحث يمتلك الشجاعة والجرأة فهو من المحتمل ان يقوم بعزل روايات تاريخية مشيدة بُنِيَتْ على انها حقائق معبرة عن حوادث عصر الامام الحسن عليه السلام او لها علاقة بتفسير طبيعة شخصية الامام من حيث قدراته الفكرية وامكانياته الإدارية للدولة الإسلامية، اننا بحاجة الى نقد الرواية التاريخية التي شيدت افكارها تحت رعاية السلطة الاموية لتكون جزءاً من موروثها الفكري كخطاب له تداعياته في بناء الرواية التقليدية المتعارف عليها وهي لا تخلوا من الأثر العاطفي وغير الموضوعي في اظهار احداث رويت عن حياة الامام الحسن عليه السلام.

فالخطاب الاموي له تداعياته في تشييد أصل المعرفة التاريخية فاذا ما وقفنا على حقيقتها من حيث تفكيكها سندا ومتنا وموضوعا والرجوع الى اقوال اهل الجرح والتعديل في حال الرواة، وإذا ما أدخلنا الإحصاء في مسالة عدد الروايات التي تروى بشأن المواجهة الفعلية بين الامام الحسن عليه السلام ومعاوية، مع التركيز على طبيعة الشخصية وتربيته ونشأته مع هذا الاعتبار ستنكشف حقائق تغير من الصورة التقليدية للرواية التاريخية الخاصة بالقرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، لذلك يرى ابن خلدون ان التاريخ في باطنه نظر [٢٦]، وتحقيق وتعليل

للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفية الوقائع واسبابها عميق، وبما ان مدوني التاريخ جمعوا اخباره وسطروها في صفحات دفاترهم واودعوها، فهي لم تبقَ على حالها او صورتها الاصلية انما وهي بحسب قول ابن خلدون: (وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها) [٢٧]. فهذا القول يكشف أصل الروايات التي شيدت حول الاخبار التاريخية التي نقف عنده على انها تراثنا التاريخي الذي لم يسلم من التلاعب وتغيير الحقائق بنحو يخدم توجهات البعض، لكن كيف نصف الروايات التي صنعت تحت رعاية الخطاب الاموي، وهي روايات صريحة في مشروعها القاصد لتغيير بنية الفكر والتصور بشان احداث عصر الامام الحسن ﷺ وما سبقه وما جاء من بعده من أئمة اهل البيت ﷺ، فما هي النتائج التاريخية لمنهج الخطاب الاموي؟

اذا المواقف السياسية وتولي الدولة الاموية الحكم وتشكيل الكيانات السياسية دفعت الى ظهور خطاب سياسي متحيز، والأكثر أهمية في هذا التحول ظهور روايات تاريخية مشيدة لبعض الاحداث وهي في الحقيقة لا اصل لها جاءت معبرة عن قصد راويها لتدفع به نحو خلق المرويات التي ابتدعها فضلا عن تزييف المرويات الموجودة وتعديلها وتكييفها في احسن الأحوال التي تخدم توجهه، ومع هذا الإصرار في الخطاب الاموي ظهرت حالة من الدس والتزوير والتلفيق في النقل التاريخي ولا سيما فيما يخص القرن الأول من الهجرة وبالذات عصر الامام الحسن ﷺ، فما الذي نفهمه من هذا التوجه في الخطاب المغرض واثره في تشييد صورة ذهنية موالية لمعاوية وسلطته؟

ان الانقلاب الفكري الذي أوصل معاوية لحكم الدولة الإسلامية استمر للسيطرة على العقل والهيمنة على الذاكرة، وهو طابع المهيمن على عملية انتقال السلطة بجميع اشكاله، وهناك نص تاريخي مهم جداً يكشف عن حقيقة خطاب السلطة الاموية والذي كان هدفه تحول المعرفة التاريخية الى المولاة، أي من يعمل بجدية في موالاة معاوية سيحصل على الأموال والثراء ويقرب من السلطة ويحصل على الوجاهة في المجتمع الإسلامي آنذاك، ومن يبتعد عن موالاة معاوية سيخسر حياته ونفوذه وممتلكاته ولا تقبل حتى شهادته في الإسلام، بل يعد خارج ذمة اهل السلام، ويجوز قتله لرجال السلطة الحاكمة، جاء في نص الخطاب الرسمي

الموجه للمسلمين وعلى رأسهم رجال معاوية من اجل تطبيقه بوصفهِ حُكماً رسمياً صادراً من حكومة الدولة آنذاك: (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبى تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق الا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته . ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجئ أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة الا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا)[٢٨].

فهذه التوجهات التي اعتمدتها دولة معاوية بن ابي سفيان تكشف عن خطوات انجاز الخلافة في عهده، ومثل هذا الخطاب يحتاج الى من يؤيده ويعمل به حتى يتمكن معاوية من الوصول الى تحقيق مشروعه الفكري على المستوى الاجتماعي والسياسي والثقافي، فهو بحد وصف الرواية أعلاه يكون قد عمل انقلاب في منظومة الفكر الإسلامي بصورة كلية اذ لم يترك حقيقة الا وقلبها في صورة أخرى، فشيد صورة من الخطاب الرسمي الذي تتبناه دولة معاوية، وفي الحين نفسه يؤول ذلك الخطاب حسب ما خطط له في إضافة تصورات جديدة للحوادث الحاصلة، فبدأت الاخبار المزيفة تصبح حقيقة متبعة، بينما الحقائق أصبحت مضيعة ولا احد يستطيع ان ينقلها الا سرا بين شيعة علي بن ابي طالب، وعندما علمت السلطة الاموية بذلك اتخذت التدابير اللازمة لمنع نقل الحقائق بصورة سرية واخذت تحقق بشأن من يثبت

عليه انه يتحدث بشأن الامام علي واهل بيته عليهم السلام، عندها يتمنى لو لم تلده امه اذ سيقتل وتسبى نساؤه وتصادر ممتلكاته، او انزال اشد العقوبات بشأن من ينقل اخبار اهل البيت عليهم السلام بمراحل التعذيب، وهي قطع الارجل والايدي، وسمل العيون، ثم صلبهم على جذوع النخيل، كل هذه الإجراءات اثرت بشكل كبير على ضياع الاخبار الحقيقية لتظهر صورة فكرية مشيدة تتعكز على إرادة السلطة الاموية.

بعدما نجح معاوية في فرض قراراته الصادرة التي مكنته من ترسيخ أفكار جديدة بكل ابعادها ودلالاتها الدينية والرمزية التي تمثل حفظ أنصار بني امية في ذاكرة المجتمع الإسلامي آنذاك وتحت زعامته الزمانية، كسب المعارك الفكرية، فاذا كانت المرحلة الأولى تشييد صورة تاريخية بحق الخليفة عثمان ونجح بذلك، المرحلة الثانية أصبح التوجه في نشر اخبار مفتعلة بحق الخلفاء والصحابة واقصاء علي بن ابي طالب واهل بيته من كل خبر ينقل او يتحدثون بشأنه، ومن هذا الخطاب نصب معاوية نفسه كحامي للدين والدولة، وفي المقابل اخرج اهل بيت النبي عليهم السلام على انهم أعداء للإسلام، وبذلك فان الحياة أصبحت اكثر قسوة على الشيعة كما صرحت بذلك الرواية الأكثر تماسكا في وصف طريقة تشييد الرواية التاريخية والفكر المقصود في اقصاء اخبار حقيقة وجعلها منسية في ذاكرة المسلمين : (ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبى تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا أحبُ إليَّ وأقر لعيني وادحض لحجة أبى تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله . فقرئت كتبه على الناس فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجد الناس في رواية ما يجرى هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله) (٢٩).

هذه المرحلة الثانية من مراحل الانقلاب الفكري الحاصل في خطاب الدولة الاموية، والخطورة الواضحة فيها انهم اوكلوا الى المعلمين في الكتاتيب-أمكن تعليم القراءة والكتابة-ان يلتزمون بمنهج ذكر الاخبار المصرح بها من قبل الدولة الاموية دون سواها، والهدف تربية جيل جديد من المسلمين على حقائق لا وجود لها من الأصل، اذ ان الجيل الناشئ سيجد خطاب السلطة الاموية على انه حقيقة وهي جزء من حياته الفكرية التي تعلمها من اساتذته وولاة السلطة وبذلك يكون توجههم في احتواء فكر السلطة دائمياً وليس وقتياً مع مرحلة معاوية، اذ خلال عشرين سنة سيكون الذهن اعتاد على نوعية من الأفكار والاخبار فيتعامل معها على انها امرا حقيقيا فينشره لمن يأتي من بعده، لهذا تشكلت صورة تاريخية كبيرة من الاخبار التي تختلف من رواية الى أخرى بفعل اختلاف التوجهات الذهنية والادراكات الواقعية في تلقي الخطاب الاموي.

لم يقف معاوية عند ذلك الانقلاب الفكري، بل جاء خطابه في المرحلة الثالثة من اجل صياغة الرواية التاريخية في انعكاساتها الفكرية العنيفة ضد اتباع علي وابنه الحسن عليهما السلام، والنتيجة صناعة وتشييد الرواية بما يخدم توجه معاوية ونجاح مشروعه في اقصاء اهل البيت من التاريخ الإسلامي(٣٠)، وهذه المرة ظهر خطابه بمسحة عنيفة وحاسمة بمظهرها المتحزب ومنهجها الموالي ولا سيما بعد شهادة الامام الحسن عليه السلام، مما يعني ان الشيعة انكشفوا امام معاوية بعدما فقدوا الامام الحسن، وهذا يعطينا تصوراً اخر لمدى تأثير الامام الحسن عليه السلام بالمجتمع الإسلامي او بالذين يوالونه ويعرفون قدره حق المعرفة، فالرواية الاتية فيها تصورات كاشفة للإقصاء المتعمد من طرف السلطة الاموية وخطاب معاوية، اذ جاء فيها: (ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يحبُّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع

وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها .فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علي (عليه السلام) فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل الا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض) (٣١).

فالناس بعد وفاة الامام الحسن أصبحت بين من هو خائف يترقب هلاكه في كل حين، والبعض أصبحوا مشردين في الأرض بعد تهديم دورهم وقطع رزقهم والاستيلاء على ممتلكاتهم ومصادرتها باسم الدولة الاموية، هذ الحالة من البؤس والحرمان مارسها معاوية مع كل انسان تثبت انه موالي للإمام علي او لابنه الحسن (عليهما السلام)، بل حتى الذي يتهم بانه يوالي ال البيت يأخذ بجريرة التهمة وان لم تثبت عليه، فيعذب وتهدم داره وتسبى نساؤه، ومع هذا الإصرار الاموي ظهرت الرواية التاريخية المشيدة التي جاءت مؤيدة لأفعال معاوية (٣٢)، وفي المقابل سيحصل صاحبها على حظوة يمني بها نفسه، ومع هذه البيئة الفكرية المنحرفة يمكن ان نتصور كيف انقلبت الاخبار المزيفة لتصبح حقائق تتحدث عن حياة الامام الحسن (عليه السلام) وهي في الأساس تحت رعاية الخطاب الاموي الذي عرف بالاضطهاد القاسي وعديم الرحمة لشيعة اهل البيت.

من خلال ما تقدم أصبح بالإمكان تصوّر البيئة التي تم من خلالها تشييد الرواية التاريخية المتأثر بنزعة الخطاب الاموي المضطهد، وان هذه الرواية جاءت مناصرة لمعاوية ومن والاه وترفع من شأنه في امكانياته لحكم الدولة الإسلامية، وبالمقابل لم يترك مجال لروايات قادرة على الرد او كشف الادعاءات الباطلة التي نادى بها المنتفعين وهم اغلبهم من المتدينين او الذين يظهرون الورع والتقوى بدولة معاوية المبنية على الكيد والخداع، فهذا التغيير والتبديل الأساسي في مجرى التاريخ الزمني اثر كثيرا على تشييد الرواية غير الصحيحة عند اغلب الرواة ولاسيما ممن يوالي معاوية (٣٣).

المحور الثالث: تناقض الاخبار المشيدة في أصل الرواية التاريخية

الرواية التاريخية تبقى تحمل جميع صور الحقيقة المفتعلة وليس اصل الحدث الحقيقي، ومن صيغ متنوعة ومتماثلة لتقويم الاحداث الماضية سواء كانت رسمية او شكلية في إيضاح نزاعات السلطة الاموية وتوجهها الفكري اتجاه الامام الحسن ﵇، اذ صيغت الرواية من قبل رواة مواليين للدولة الاموية، فعدلت بعدما اخضعت الى إعادة صياغة تدريجية تكون متناسقة في الإطار العام مع توجهات معاوية ومن يرى رأيه تجاه اهل البيت، لذلك الاخبار التي شيدت في النصف الأول من القرن الأول الهجري أصبحت مرويات شفهية تتناقلها الناس حتى دونت قبل نهاية القرن الأول الهجري روايات اتخذت الشكل العام للفكر الذي ساد أيام معاوية بن ابي سفيان، ومن ثم أصبحت هذه الرواية مادة جميع المصنفين والمدونين للأخبار المشيدة في مدة حكم الدولة الاموية، فلم يكن هناك تغيير في انتقاء المادة التاريخية المتوافرة، بل تكيف معها الجميع وعاملوها على انها ما نقل بواسطة راويها والعهدة عليه في حقيقتها او بطلانها في إيضاح الحقيقة، وهذا ما صرح به المؤرخ الطبري (ت٣١٠هـ)، يقول: (فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا) [٣٤]. اذ لم يجدوا بدائل تغنيهم لإتمام المادة التاريخية المراد جمعها، وبهذه الطريقة نقلت في كتب التراث العديد من الروايات الملفقة والمصنعة التي تتصف بوجهة نظرها الملائمة للخطاب الاموي، فشيده صور مختلفة في أصل الروايات التاريخية المتناقضة.

ان الاوضاع السياسية قد اثرت في صياغة اظهار الرواية التاريخية بنسق جديد لمعالجة ما حصل بين الامام الحسن ﵇ ومعاوية، فالمتتبع بتركيز على الاخبار المشيدة ساعة ما يسمى بالصلح او الهدنة التي عقدت بين الطرفين آنذاك، يجد في الفاظ الروايات اختلافاً كبيراً فيما يخص الكيفية وطريقة تسليم المعلومات ونوعيتها ودقتها في إيضاح الاحداث الحاصلة لا سيما اذا عرفنا ان مشاعر الراوي تنتمي بولائها للسلطة الاموية او لديها التوجه في صياغة كلام يحفظ الحق لمعاوية في توليه

حكم الدولة الإسلامية، نعرف حينها ان معلومات الرواية ستكون منسقة الى حد ما في تفاصيل الخبر التاريخي المنسجم مع عقلية الراوي في ولائه لمعاوية، ومن ثم سنجد الرواية المتحزبة بالرأي وهو منهج في الغالب سيكون مرتكز تشييد الرواية المنحرفة عن الامام الحسن عليه السلام.

إذا نحتاج الى عملية موازنة بين الاخبار ذات الصلة بالحدث المنقول بشأن حادثة الصلح او الهدنة للكشف عن عناصرها ومكوناتها الأساسية ودوافعها النهائية من خلال الفاظها او الكلمات المستخدمة لإيضاح مدى مصداقيتها بوصفها رواية أولية شيدت بطريقة راويها، ونقلت من على انها الخبر الأكثر توافقا مع تطور الاحداث مع وصول معاوية بن ابي سفيان الى حكم الدولة الإسلامية، وخير من يمثل هذا النمط من الروايات هو الشعبي (٣٥)، الذي لم يكن يرى للشيعة من مكانة في الدولة الإسلامية (٣٦)، ونقل عنه انه رأى رشيد الهجري وحبة العرني والأصبغ بن نباتة فال عنه ليس يساوى هؤلاء كلهم شيئا وقال في موضع آخر اصبغ بن نباته ليس بشيء (٣٧)، وهذه الشخصيات الشيعية مشهورة في وقوفها الى جانب امير المؤمنين عليه السلام وجميعهم قتلوا تحت تعذيب معاوية ورجاله كونهم من شيعة اهل البيت وانصارهم، فقول الشعبي المقصود من تضعيف رجال الشيعة، يكشف عن حقيقته وتوجهه الموالي لبني امية، اذ كان يعيب من يوالي الامام علي وابنه الحسن عليهما السلام ويقلل من قدرهم (٣٨)، وهذا يعطينا تصوراً عن توجهاته الفكرية ونيته المغرضة فيما نقل عنه من روايات تاريخية، لهذا سنقف عند رواية نقلت عن الشعبي وهو بدوره يمثل شاهد على ما قاله الامام الحسن عليه السلام ساعة عقد الهدنة واتمام الصلح مع معاوية.

روي عن الشعبي انه قال: (قال شهدت الحسن بن علي عليه السلام بالنخيلة حين صالحه معاوية فقال له معاوية إذا كان ذا فقم فتكلم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي وربما قال سفيان أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه قال الشعبي وأنا أسمع ثم قال أما بعد فإن أكيس الكيس التقى وان أحمق الحمق الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقا لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم أو يكون حقا كان لأمرئ أحق به مني ففعلت ذلك وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) (٣٩).

فالنص التاريخي الذي نقل عن الشعبي انما يمثل وجهة نظره في تبرير وتسويغ وصول معاوية الى سلطة الحكم من خلال تنازل الامام الحسن وانه كان على رضا بان معاوية هو الاصلح للامة الإسلامية اذ سيحقن دمها! ومن ثم تجعل هذه الرواية الامام الحسن قد اعترف لأول مرة بحق الحكم الشرعي وهو له، ومع ذلك فهو يتنازل عنه لمصلحة معاوية، فالرواية ركزت على الشرعية في حكم الدولة الإسلامية وأنها انتقلت بالتسوية والتراضي بين الامام الحسن وبين معاوية، فهو يعطي التبرير الصريح بانه لم يكن هناك أي جدال حول شرعية وصول معاوية للحكم الشرعي للدولة، ومن ثم فالرواية فيها تشييد لفكرة وهي ان الامام الحسن صنف وجوده خلف شخصية معاوية، وانه غير قادر في حفظ الامة الإسلامية لذلك تنازل للأجدر وفق رواية الشعبي.

في حين هناك رواية أخرى تذكر صورة الحديث الذي كان الامام الحسن عليه السلام يتحدث به امام الجميع وفي حضور معاوية من دون ان يخشاه او ان يتنازل عن حقيقة ما هو عليها معاوية، اذ جاء في الرواية: قال الامام الحسن: (أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشا ألفته وسوء رأى عرفت به، وخلقا شيئا ثبت عليه، وبغيا علينا، عداوة منك لمحمد وأهله، ولكن اسمع يا معاوية، واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم. أنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم، صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية! وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر، وبالأخرى ناكث! وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر، وتظهرون الاسلام، وتستمالون بالأموال!) [٤٠].

إذا كان هناك تناقض بين الرواية التي نقلها الشعبي وبين الرواية الثانية التي نقلها ابن ابي الحديد، فالرواية الثانية تظهر الموقف الحقيقي للأمام الحسن عليه السلام وصلابته في الدفاع عن الحق واسكات من يريد قلب الحقائق بنظر جميع المسلمين متعكز على قوة السلطة ويتبجح في ظلها، وهؤلاء هم رجال معاوية الذين لم يمتلكوا الحلول للردِّ على كشف زيفهم وخدعهم للمجتمع الإسلامي، فوصف

الامام الحسن ﷺ وفق الرواية الثانية فيها تعزيز للحقيقة المغيبة في رواية الشعبي، اذ ثمة تصور تاريخي لحقيقة معاوية ومواقفه من الدين الإسلامي، وهذا الشيء يبرهن على ان هناك عملية تحريف او تشويه للحقائق شيدت من خلال رواية الشعبي المتقدمة الذكر، فالإمام الحسن قد ذكر لمعاوية انه عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام (٤١)، فهذا القول فيه إصرار على ادانة معاوية بسبب انتهاكاته الواضحة سواء كانت في عصر النبوة او في أيام الامام علي او في أيام الامام الحسن ﷺ.

فالإمام الحسن ﷺ جسد الحقائق التي عرفها عن معاوية، فنطق بها بصورة مباشرة وامام الجميع حتى يفكروا بحقيقة الحوادث التي اوصلتهم لان يكون معاوية حاكما عليهم، بمعنى انه حاول ازالة الظلمة عن اذهان الجميع وفي مقدمتهم رجال السلطة الاموية او الموالين لمعاوية، وهذا يعطينا تفسيراً آخرا بشان شخصية الامام الحسن من انه لم يكن ليهادن معاوية بتلك الصورة الملفقة والمنقولة عن لسان الشعبي، انما هناك حراك اخر اصرَّ عليه الامام في نصر قضيته امام معاوية، فاذا ربح معاوية في استمالت عقول الرجال بالوعود والأموال، لكنه لا يتمكن من تغيير مجرى الحقيقة التي هو عليها، وهذا يفسر لنا لماذا اصر معاوية على تشييد روايات تاريخية ملفقة ومزورة للحقائق؟ فالجواب يكمن فيما قاله الامام الحسن ﷺ وكشفه لحقيقة معاوية وال ابي سفيان. فالروايات التاريخية المتناقضة بشأن سيرة الامام الحسن ﷺ جاءت كردة فعل من معاوية ورجاله لأنه كشف زيفهم وادعاءاتهم الباطلة، وعليه تعرض لحملة تاريخية فكرية المراد منها قلب الحقائق والتستر على عيوب السلطة الاموية وعلى راسها معاوية، فلا نستغرب من قراءة روايات تنال من شخصية الامام الحسن ومن اهل بيته، و حتى تكتمل الصورة الانهزامية التي رسمتها السلطة الاموية مع انقلابها العسكري والفكري للاستيلاء على السلطة الإسلامية، ومن اجل السيطرة على العقل والهيمنة على الذاكرة في اقصاء الامام الحسن من مواجهة معاوية، وجعله شخصية غير كفؤة لمعاوية شيدت رواية تاريخية تتحدث عن شجاعة الامام الحسن ﷺ وامكانياته في القتال فحسب زعم بعض الرواة ذكروا قول زعموا انه ما قاله امير المؤمنين ﷺ ونص القول: (أنا أحدثكم عني وعن أهل بيتي، أما عبد الله ابن أخي فصاحب لهو وسماح، وأما الحسن فصاحب جفنة وخوان، فتى من فتيان قريش، ولو قد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم شيئا في الحرب، وأما أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منا) (٤٢).

بيئة الرواية جاءت لتتحدث عن مواقف الرجال في ساحة المعركة، وغرضها المقصود جعل الامام الحسن عليه السلام لا ينفع في القتال والحروب، انما هو مشهور بحبه للجلوس على موائد الطعام! والاشكالية في النص ان معاوية هو المشهور بحبه للطعام وكثرة اقباله على الاكل جعله لا يقوي ان يخطب على المنبر إلا وهو جالس لسمنته، بينما الامام الحسن عليه السلام لم يكن يعرف بذلك الامر، ثم ان الرواية جاءت عن لسان امير المؤمنين وغرابتها ان هناك وصف لا يتطابق مع مواقف الامام الحسن أيام ابيه عندما اشترك في معركة الجمل اذ كان من قادة الجيش حينها، او معركة صفين او مواقفه الشجاعة التي دلت على امكانياته القتالية وقدرته العالية في التصرف ساعة المحنة كما هي في معاركة ضد معاوية، اذ يقول: (فاحتشدوا في قتال عدوكم: معاوية وجنوده ، فإنه قد حضر، ولا تخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب...[٤٣]، فمثل هذه المواقف تنفي ما نسب اليه من قول لا يتحقق من خلال توجهاته الفكرية، واصراره على مواجهة معاوية وقتاله من دون هوادة، وهذا الإصرار يكشف حقيقة الغرض المراد منه في الروايات التي حاولت تضعيف شخصية الامام الحسن عليه السلام حيلة لتأصيل فكرة انتصار معاوية وتسنمه منصب حاكم الدولة الأول، وهذا التوجه انما هو في الحقيقة فخ انحصر في قول ينسب للإمام علي عليه السلام كونه اعرف من غيره بشجاعة ابنه الحسن، لكن من يحلل الرواية ويقف عند كلماتها ويبحث في حقيقة مواقف الامام الحسن يجدها لا تتوافق ومردوده وفكرتها سيئة يراد منها خلق انفعالات ذهنية تكون متشائمة من ذكر موقف الحرب ضد معاوية، وان الامام لم يكن يمتلك الحس الثوري الذي كان العرب آنذاك يهتمون له كثيرا، وما زال من يقرأ احداث التاريخ الإسلامي ويقف عند مثل هذه الروايات ويسلم بحقيقتها سيلوم الامام الحسن وينسب اليه صورة التخاذل والضعف في المواجهة العسكرية، وهذا هو المكر المشيد في الرواية التاريخية من اجل اقصاء الامام الحسن من ميدان الشجاعة والبطولة، ولكي تكتمل الصورة التاريخية ظهرت روايات كثيرة تدين الامام الحسن وتنسب له مسؤولية الهزيمة امام معاوية.

وأيضا هناك رواية أخرى غرضها ان تظهر الامام الحسن بانه لا يستطيع مواجهة جيش الشام، وعليه سيتخذ قرار لمصالحة معاوية، بعدما كان الأخير هو من بادر الى عمل الاحسان

في حقن دماء المسلمين، الغريب في الرواية ذكرت اعتراض الامام الحسين عليه السلام على قرار الامام الحسن ولكن دون جدوى، جاء في الرواية: (ثم إن الحسن خلا بأخيه الحسين فقال له: يا هذا إني نظرت في أمري فوجدتني لا أصل إلى الأمر ، حتى تقتل من أهل العراق والشام من لا أحب أن أحتمل دمه ، وقد رأيت أن أسلم الأمر إلى معاوية فأشاركه في إحسانه ويكون عليه إساءته. فقال الحسين: أنشدك الله أن تكون أول من عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره. فقال: إني لا أرى ما تقول والله لئن لم تتابعني لأسندتك في الحديد فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري. قال: فشأنك. فقام الحسن خطيبا فذكر رأيه في الصلح والسلم لما كره من سفك الدماء وإقامة الحرب. فوثب عليه أهل الكوفة وانتهبوا ماله وخرقوا سرادقه وشتموه وعجّزوه ثم انصرفوا عنه ولحقوا بالكوفة) (٤٤).

الرواية فيها تناقض كبير وواضح بشأن هذا التوجه الذي رغب به الامام الحسن، اذ الانهزام واضح وصريح في بنيتها الفكرية وقصدها ان الامام الحسن قد اصبح على بينة من امكانياته القتالية فوجدها غير قادرة على صدِّ معاوية وجيشه، والا اذا أصرَّ على القتال فسوف يخسر كثيراً من اهل العراق، ثم خطورة الرواية في مفرداتها ولا سيما أنها تحمل الامام الحسن مسؤولية أي رجل يقتل سواء من اهل العراق او اهل الشام، وكأنه هو سبب كل الاختلاف والفرقة الحاصلة بين اهل الإسلام آنذاك، فالصورة المشيدة تتهم الامام الحسن وتبرر لمعاوية وتجعله محق في جميع مساعيه، سواء في حربه مع الامام علي عليه السلام او فيما اقدم عليه مع الامام الحسن عليه السلام، والملاحظة الأخرى على الرواية انها تذكر حديثاً دار بين الحسن والحسين عليهما السلام، وتظهر الامام الحسين غير راضٍ عن أخيه الحسن والأخير يهدد أخيه بحبسه بالحديد الى ان تتم عملية المصالحة وينتهي الامر لمعاوية، فالرواية فيها مكر وخبث كبيران فهي تتفق وتنسجم بشكل جيد وواضح مع تبرئة معاوية وتعطيه حقه الشرعي بحكم الإسلام والمسلمين بعد ذلك التنازل الحاصل من طرف الامام الحسن لتكون هناك ردة فعل من طرف الجيش العراقي الذي قام بالانقلاب على قائده وكادوا ان يقتلوه، فمثل هذا التغييرات والتحولات في الموقف ما هو في الأساس الا محاولة الراوي في اقتفاء اثر ما يرويه الناس بشأن حقيقة ما جرى ولا

سيما في النقل المبكر للتاريخ بحدود القرن الأول الهجري، فظهرت الرواية مرتبطة ارتباطا وثيقا بعملية صياغتها لمصلحة المنتصر، في حين الاحداث الحقيقة قد حجبت وسترت وراء مقاصد الدولة الاموية وخطابها السياسي ودعايتها المبنية على قلب الحقائق وتزويرها.

ويبدو ان تناقل الروايات التاريخية استمر يلاحق الامام الحسن عليه السلام الى اخر ساعة من عمره الشريف، والقصد المراد تبنيه من قبل الراوي محاكات الاحداث التاريخية الحاصلة منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله الى وصول معاوية بن ابي سفيان لحكم الدولة الإسلامية، فهناك ما يروى في وصية منسوبة للإمام الحسن ساعة احتضاره، في محاولة تعد مغنماً فكرياً أُموياً فيه اثر القدر واضحا على انه من تدخل لمصلحة اهل الإسلام، واثر تجهيل رسول الله صلى الله عليه وآله وامتهانه من قبل الرواة (٤٥)، تتجلى في الراوية القادمة، صورة مشيدة عن الأثر العقدي في كتابتها وصورتها التاريخية محاكات لأحداث التاريخ فيما يخص الحكم وشرعيته، وكيف استلم الخلفاء مناصبهم آنذاك جاء نص الرواية: (وروينا من وجوه أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه: يا أخي، إنّ أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله استشرف لهذا الأمر، ورجا أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوّف لها أيضا، فصرفت عنه إلى عمر. فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستّة هو أحدهم، فلم يشك أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان بويع، ثم نوزع حتى جرد السيف، وطلبها، فما صفا له شيء منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا - أهل البيت - النبوة والخلافة، فلا أعرفنّ ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت إلى عائشة إذا متّ أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: نعم. وإني لا أدرى لعلها كان ذلك منها حياء، فإذا أنا متّ فاطلب ذلك إليها فإن طلت نفسها فادفني في بيتها، وما أظنّ القوم إلا سيمنعونك إذا أردت ذلك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في بقيع الغرقد، فإن فيمن فيه أسوة) (٤٦).

هذه الرواية محاكاة لأحداث التاريخ الحاصلة، وهي محاولة لإقصاء اهل البيت عليهم السلام من حكم الدولة الإسلامية، وراويها حاول ان يشيدها في ضوء ما حدث في التاريخ الإسلامي، وهنا فرق كبير بين ما حدث في النقل التاريخي وبين ما هو حادث بالفعل وقد غيب عن النقل التاريخي؟ فهناك قصد لتشييد فكرة مفادها ان الله تعالى أراد مصلحة الامة الإسلامية

فحققها رغم ان رغبة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت في علي بن ابي طالب عليه السلام، لكن المصلحة اقتضت ان يكون الحاكم غير علي بن ابي طالب فهو لا يصلح للحكم، وأيضا باقي ابناءه فهم لا يصلحون للحكم هكذا روايات مغرضة ومقصودة هي التي رسمت نمط التفكير لدى اغلب الرواة عندما سمعوا واطلعوا على هكذا سياق تاريخي، والنتيجة ستكون تماشياً مع فكرة الرواية بشكلها العام والاعتماد عليها في التوثيق التاريخي ولا سيما فيما يخص الامام الحسن عليه السلام، وهذا ما هو واضح في مصادر الفريقين، لاسيما لدى بعض اتباع اهل البيت (٤٧)، اذ وقعوا في الخطأ واعتمدوا على الرواية التي ذكرناها على انها وصية الامام الحسن، وهي في حقيقة كلماتها عبارة عن صورة مزورة لحقيقة ما حصل، وتتضح صورة كذبتها لان الامام الحسن يذكر الامام الحسين عليهما السلام بان اهل الكوفة استخفوا به ودعوه، ونحن نعلم ان الحقيقة اهل الكوفة دعوا الامام الحسين عليه السلام بعد عشرين او احدى وعشرين سنة من وفاة الامام الحسن عليه السلام.

وهناك روايات مغرضة ومتناقضة في حقيقة حصولها من عدمه، أعرضنا عن ذكرها خشية من الاطالة في فكرة البحث العامة، كالتي جعلت الامام الحسن عليه السلام عثمانيا، وانه يدافع عن عثمان بن عفان (٤٨)، والمشهور ان عثمان استخدم في الدعاية الإعلامية الاموية للوصول الى حكم الدولة الإسلامية، من أيام الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، وأيضا الروايات التي أصرت على ان الامام علي عليه السلام كان يرغب بتسمية ابناه الحسن والحسين باسم حرب (٤٩)، ومقصدها الحقيقي ان امير المؤمنين عليه السلام كان توجهه وتفكيره مبني على سل السيوف واراقة الدماء وهو كذب وافتراء غرضه تشويه عدالة امير المؤمنين ورأفته ببني البشر سواء من اهل الإسلام او اهل الديانات الأخرى، فهذه الأفكار التي جعلت التاريخ يحاكم الامام الحسن واهل بيته على انهم لا يجيدون السياسة ويفتقرون لها، وهي في الحقيقة عكس ما شيد من روايات تاريخية مغرضة تماماً.

الخاتمة

من سياق فكرة البحث العامة يتضح بعض الأمور المهمة على كل مهتم بالشأن التاريخي ان يكون على حذر منها ولا سيما في قراءة سيرة الامام الحسن عليه السلام وممكن ايجازها بالآتي: -

١-إنَّ تشييد الرواية التاريخية كان قد تكون بشقين في التدوين التاريخي، الأول كان غرضه كتابة احداث التاريخ الإسلامي، وبسبب حاجة المؤرخ الى مادة تاريخية عمل على تدوين وتأصيل ما مروي في كتبهم التي صنفوها ودونوها في القرن الأول والثاني من الهجرة، فنقلوا الصحيح والسقيم من المرويات من دون تمحيص الخبر او تدقيقه فظهرت مادة تاريخية متناقضة في اسنادها لرواتها، والشق الثاني الرواية المقصودة والمغرضة الهدف منها قلب معطيات الحقيقة لمصلحة الحكام، وهذا الامر كان واضح في توجه الدولة الاموية ومشروعها الفكري الانقلابي، وفي رواية الرواة الذين ظهروا في العصر العباسي اذ تأثروا بأفكار خلفاء بني العباس فكتبوا لهم روايات محرفة عن الأصل التاريخي.

٢-شكلت الرواية التاريخية أفكارا مختلفة في مضمونها وهي في بعض جوانبها حقيقة من الاحداث التاريخية الى حدٍّ ما، وفي جانب كبير منها غلب عليه طابع مصطنع يتماشى مع المنتصر في نهاية الامر، وبما ان معاوية هو المنتصر في المواجهة العسكرية كرس ذلك الانتصار ليكون مشروع اقصاء اهل البيت عليهم السلام من حقهم الشرعي في حكم الدولة الإسلامية، وهذا الامر تطلب منه بذل جهود كبيرة في تغيير حقيقة التاريخ فعمل عليها من خلال ترغيب الرواة بالأموال وتقريبهم من البلاط الاموي فيما لو شيدوا رواية او خبراً فيه فكرة تظهر الامام علي وبنوه عليهم السلام بصورة الضعف والانهزام.

٣-ان ثقل الرواية المشيدة تعكز على حادثة الهدنة بين الامام الحسن ومعاوية، وبسبب الاعلام الاموي ظهرت الرواية محايدة لمعاوية وغير منصفة بالمرة للإمام الحسن عليه السلام، وهذا ما جعل كثير من الباحثين يقعون في الخطأ في استقراء الروايات التاريخية ويلقون باللوم على الامام الحسن ويتهموه بانه شخصية ضعيفة انهزامية ساعة المواجهة.

٤-ان تناقض الروايات التاريخية بشأن الحوادث الحاصلة كبير جداً، وهذا التناقض يكشف

عن حقائق مغيبة بها بحاجة الى إعادة القراءة وتنظيم المادة التاريخية المنقولة في كتب التراث الإسلامي، فالتوقف عند كل رواية مهم جدا لتمحيص افكارها والكشف عن وجهتها الحقيقية بعيدا عن الميول والاهواء وتحت حس المسؤولية والأمانة العلمية.

الهوامش

١-للتفصيل ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤؛ خالد البغدادي، تصحيح القراءة، ص٢١٨.
٢- ابن النديم، الفهرست، ص١١٢
٣- المصدر نفسه، ص٢٧٩.
٤- الطوسي، الفهرست، ص٣٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٧٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٢٢٢.
٥- محمد حسين الجلالي، فهرس التراث، ج١، ص٤٠٥.
٦-للتفصيل ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص٣٧.
٧- ينظر، الاربلي، كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٣ ص٢٢٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٥٠، ص٢٩٥.
٨-الزبير بن بكار، الاخبار الموفقيات، ص٢٧٥-٢٧٦.
٩-ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٥٢١؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١٤، ص٤٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص١٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٠.
١٠-البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص٥٩.
١١- ابن قتيبة، المعارف، ص٢١٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٤٢٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٢٦.
١٢-ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص٣٩٠؛ ابن الاثير، أسد الغابة، ج٢، ص١٥.
١٣-المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٠.
١٤- للتفصيل أكثر ينظر ما كتبه المدائني (ت٢٢٥هـ) في كتابه اخبار الخلفاء الكبير ويحتوي على اخبار أبى بكر. عمر. عثمان. على عليه السلام. معاوية. يزيد (بن معاوية) معاوية ابن الزبير مروان بن الحكم، عبد الملك الوليد سليمان عمر. يزيد بن عبد الملك. هشام بن عبد الملك. الوليد بن يزيد. يزيد بن الوليد. مروان. السفاح. المنصور. المهدى. الهادي. الرشيد. الأمين (والفتنة). المأمون. المعتصم. ابن النديم، الفهرست، ص١١٥.
١٥- ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق، ج١٣-ص٢٤٩.
١٦-ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٦.
١٧- ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق، ج١٣، ص٢٤٩.
١٨- المصدر نفسه، ج١٣، ص٢٤٩.
١٩- ينظر بشأن طريقة زواجها من الامام الحسن عليه السلام: البلاذري، اساب الاشراف، ج٣، ص٢٠؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٩، ص٢٦٩.
٢٠-البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص٢٥.
٢١- للتفصيل ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٢.
٢٢-دوايت م رونالدسن، عقيدة الشيعة، ص٨٩.
٢٣- شرح لامية العجم، ج٢، ص٢٧.

٢٤-العرب، ص٨٤.
٢٥-دوايت م رونالدسن، عقيدة الشيعة، ص٨٩.
٢٦-تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٤.
٢٧-المصدر نفسه، ج١ ص٤.
٢٨-ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤.
٢٩-المصدر نفسه، ج١١، ص٤٥.
٣٠- يوجزه الإمام أحمد بن حنبل في رده على ولده عبد الله وقد سأله عن علي ومعاوية، قال عبد الله: (سألت أبي قلت: ما تقول في عليّ ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: يا بني، أيش أقول فيهما، أعلم أن عليّا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا، فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فوضعوا له فضائل كيدا منهم له). ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٢٩.
٣١- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٥-٤٦.
٣٢-ينظر: محمد بن عقيل العلوي، النصائح الكافية، ص٩٩.
٣٣-ينظر ما يرويه الشعبي لإسناد خلافة معاوية امام تنازل الامام الحسن: الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص٢٦.
٣٤- تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٥.
٣٥- هو عامر بن شراحيل بن عبد، ويقال: عامر بن عبد اللَّه، أبو عمرو الهمْداني ثم الشعبي. ولد بالكوفة سنة تسع عشرة، وقيل: سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وقيل غير ذلك، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره، ورسولَه إلى ملك الروم، وقد ولي قضاء الكوفة زمن عمر بن عبد العزيز، وكان الشعبي معروفاً بولائه لبني أُميّة، وانحرافه عن أهل البيت عليهم السّلام وكان يكذّب الحارث الهمداني، لا لشيء إلّا لكونه شيعياً، وهو القائل للحط من مكانة الشيعة في زمانه: لو كانت الشيعة من الطير كانوا رخما ولو كانوا من الدواب كانوا حميرا. ويوصي بان لا تكون شيعياً. توفي سنة ١٠٣ او ١٠٤ من الهجرة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٤٦.
٣٦-ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص248.
٣٧-العقيلي، الضعفاء، ج١، ص١٣٠.
٣٨-المصدر نفسه، ج٢، ص٦٣.
٣٩- الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص٢٦.
٤٠-ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٢٨٨.
٤١-المصدر نفسه، ج٦، ص٢٩١.
٤٢-الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص١٠٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٧٧؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١١.
٤٣-المنقري، وقعة صفين، ص١١٤.
٤٤- البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص٥١.

٤٥- صالح الورداني، دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، ص٢٧٢.
٤٦- ابن عبد البر، الاستيعاب ج١، ص٣٩١.
٤٧-ينظر: محب الدين الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص١٤٢؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الامام الحسن (عليه السلام)، ص١٩٣.
٤٨- البلاذري، انساب الاشراف، ج٣ ص١٢.
٤٩- ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص٣٨٤

المصادر والمراجع

*أولا: المصادر الأولية.

*ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

***اسد الغابة في معرفة الصحابة** (مطبعة، انتشارات اسماعيليات، طهران د.ت).

*البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

***انساب الاشراف**، تحقيق: محمد حميد الله (مطبعة مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٦م).

*ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

***المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا (الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢م).

*ابن حبيب، محمد البغدادي (ت ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م).

***المحبر** (مطبعة الدائرة ،١٩٦١ م).

*ابن أبي الحديد، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

***شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الطبعة الاولى ١٩٧٨م).

*ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).

***التذكرة الحمدونية**، تحقيق: احسان عباس، بكر عباس (الطبعة الأولى ١٩٩٦م).

*ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ).

*تاريخ ابن خلدون، (الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت).

*الزبير بن بكار، بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

***الاخبار الموفقيات**، تحقيق: سامي مكي العاني (الطبعة الثانية، ١٩٩٦م).

*ابن سعد، محمد بن سعد (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م).

***الطبقات الكبرى** (مطبعة دار صادر، بيروت د.ت).

*الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م).

***المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي (مطبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية د.ت).

*الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ / ٩٢٢م).

***تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء (الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٣م).

*الصفدي، صالح بن علي الحنفي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

***الوافي بالوفيات**، تحقيق: احمد الارناؤوط، وتركي مصطفى (مطبعة بيروت، ٢٠٠٠م).

***شرح لامية العجم** (الطبعة الأولى، المطبعة الازهرية القاهرة ١٣٠٥ هـ).

*الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

***الفهرست**، تحقيق: جواد القيومي (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ).

*ابن عبد البر، أبو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

***الاستيعاب في معرفة الاصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي (مطبعة دار الجبل، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢م).

*ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

***تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: علي شيري (مطبعة دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م).

*العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن

حماد العقيلي المكي (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٣م).
***الضعفاء**، تحقيق: عبد المعطي امين قلعجي (مطبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٧م).
*ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
***المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة (مطبعة دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر ١٩٦٩م).
*المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م).
***بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار**، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي (الطبعة الثالثة المصححة ١٩٨٣م).
*محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م).
***ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى** ، أربعة أجزاء (القاهرة - ١٩٥٥ م) .
*المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٧٥م).
***مروج الذهب ومعادن الجوهر** (الطبعة الثانية ١٩٨٤م).
*المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م).
***وقعة صفين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (المطبعة المدني، الطبعة الثانية، مصر ١٣٨٢هـ).
*ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق (ت ٤٣٨ هـ/ ١٠٤٧ م).
***الفهرست**، تحقيق: رضا تجدد (مطبعة مهر، طهران ١٩٧١ م).
*ياقوت الحموي، شهاب الين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
***معجم الادباء** (مطبعة دار الفكر، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٧٩م).
***ثانيا: المصادر الثانوية(المراجع).**
*البغدادي، خالد
***تصحيح القراءة** (مطبعة ستارة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ).
*الجلالي، محمد حسين
***فهرس التراث**، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي (مطبعة نگارش، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ).
*رونالدسن، دوايت م
***عقيدة الشيعة**، تعريب ع. م (نشر مكتبة الخانجي ومطبعتها، ١٩٤٦م).
*حتي، فيليب
***العرب تاريخ موجز**(مطبعة دار العلم للملايين ١٩٩١م).
*عقيل، محمد
***النصائح الكافية لمن يتولى معاوية** (مطبعة دار الثقافة، ط ١الطبعة الأولى، قم ١٩٩٢ م).
*لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام
***موسوعة كلمات الامام الحسن** عليه السلام (مطبعة الآثار، الطبعة الأولى، قم ٢٠٠٣ م).
*الورداني، صالح
***دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين** (الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ).

مَصادرُ الرِّوايات المُظلِّلةُ وشخوصُ رواتِها حولَ سيرةِ الامامِ الحسن عليه السلام

م.د. حيدر سالم محمد المالكي – م.د. دينا عبد السادة رسن المالكي
الجامعة العراقية / كلية الآداب / قسم التاريخ

ملخص البحث

أخذ أرباب الأقلام المأجورة، والناقمين من المؤلفين على آل أبي طالب ﷺ صب جام أقلامهم ومدادهم، ولصق الشبهات فيهم، والتشكيك في دينهم، كل هذا من اجل النيل منهم بدءاً من كفر أبي طالب (عليه رضوان الله) كما زعموا بذلك، فأخذت تلك الأقلام النيل منه والإتيان بالأباطيل في سبيل ذلك، ثم لم يكتفوا بذلك، بل أخذت أقلامهم النيل من الإمام علي ﷺ بوضع الشبهات في شخصيته من (سجوده للأصنام، ونزلت آية لا تقربون الصلاة وأنتم سكارى) وغيرهما كما زعموا، ثم استمرت تلك الأقلام جيلا بعد جيل في النيل منهم حتى وصلت إلى الإمام الحسن ﷺ موضوع بحثنا أخذت كذلك بنقل الأكاذيب والأباطيل وإلصاقها في شخصيته ﷺ الفذة، فلم يكن هو بجديد؛ كونهم تلقفوها من أشياخهم.

فجاء بحثنا هذا دراسة ما وضع من أباطيل وشبهات التي دفعتها أنفسهم الضالة المظلة للنيل منه ﷺ فقد قُمنا بدراسته الشبهات من اسمه((حربا))، والتمثيل بجثة ابن ملجم، وأقوال الإمام علي ﷺ التي نالت من شخصيته التي قالها في مسجد الكوفة- كما زعم-، وشبهات الزواج، وصلاة والي المدينة على جنازته وليس أخوه الإمام الحسين ﷺ دراسة تاريخية رجالية.

Abstract

The hired and proxy pens assault against the Abitalib family , peace be upon them, and sling suspicions on them. At the very outset they try to spray rumours that Abitalib was an atheist , then they cast suspicions on Imam Ali (peace be upon him) in particular on his personality . So these pens worked generation by generation to smudge the repute of Ahalalbayt , so imam Al-Hassan was under such a historical campaign .

So the research study examines the falsehoods and suspicions that target imam Al-Hassan : Mosque of Kufa speeches , the suspicions of marriage and the prayer of the governor of the city on his funeral and not his brother Imam Hussein (peace be upon him).

اولا: اسمه والصلاة على جثمانه الطاهرة

١ – اسمه حربا.

لعب المؤرخون دورا كبيرا في حفظ التراث الإسلامي، كله في سبيل الحفاظ على ذلك الموروث، والأثر الكبير لما قدمه المسلمون الأوائل، ولكن نجد بين طيات تلك المصنفات الغث، والسمين، فعلى الباحث المدقق بيان ذلك، وعدم التسليم لكل ما يرد، حتى لا تقع الأمة في ضلالة، فلا بد التمحيص والتدقيق بما ورد، ومن بين ما أورد في كتب الأوائل سيرة الإمام الحسن عليه السلام فكان أولها اسمه الشريف إذ ترى بعض المصنفات أن أباه الإمام علي عليه السلام أطلق عليه اسم حرب، إلا أن الرسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله امتنع من ذلك وسماه حسنا، وهذه الروايات هي:

وأول من أخرج هذه الرواية ابن حنبل[1] بقوله ((حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي، قال: لما ولد الحسن سميته حربا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أروني أبن، ما سميتموه؟ قال: قلت: حرب. قال: بل هو حسن فلما ولد الحسين سميته حربا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أروني أبن، ما سميتموه؟ قال: قلت حربا. قال: بل هو حسين فلما ولد الثالث سميته حربا، فجاء النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أروني أبن، ما سميتموه؟ قلت: حرب. قال: بل هو محسن ثم قال: سميتهم بأسماء ولد هارون شبرا، ولشبير ، ومشير)).

ما الأسباب التي دفعت الإمام علي عليه السلام إلى هذه التسمية؟ بل الأعجب من ذلك الإصرار على ذلك الاسم. فهل هناك دفع يدفعه إلى هذه التسمية على الرغم أن رسول الله صلى الله عليه وآله يغير الاسم الذي عليه السلام حرب، ولماذا لم يتخذ من موقف رسول الله صلى الله عليه وآله في تبديل الأسماء، بل نرى هناك إصرارا في كل مرة في التسمية، وأنه من أقبح الأسماء فذكر البخاري في باب أحب الأسماء إلى الله –عز وجل– قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله... تسموا باسم الأنبياء، أحب الأسماء إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حربا ومرة...))[2]، فلماذا هذه المخالفة ؟ فهل كان الامام علي عليه السلام لم يسمع ذلك الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله حتى في كل مرة يصر على ذلك الاسم (حرب)؟

بيان حال الرواة

هاني بن هاني

عُدَ هانئ بن هانئ من المجاهيل ، وليس معروفا عند اهل الجرح والتعديل فقال الذهبي (٣) ((هانئ بن هانئ عن علي ليس بالمعروف قال ابن المديني مجهول .)) ، ويذكر ابن حجر (٤) راء عدة فيه ومنها عن ((..... الشافعي هانئ بن هانئ لا يعرف وأهل العلم بالحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاله)) ، فضلا عن ذلك ضعف الالباني هذه الرواية فقال في ذيلها ضعيف (٥) .

ويرى ابن سعد (٦)علة تمسك الإمام علي عليه السلام تسميتهما بـ(حرب) لأنه كان يحرب الحرب فقال ما نصه ((قال: أخبرنا يحيى بن عيسى الرملي، عن الاعمش ، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي: كنت أحب الحرب، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن، فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حربا، فسماه الحسين، وقال: سميت ابني هذين باسم ابني هارون شبر وشبير)).

بيان حال الرواة

١ -يحيى بن عيسى الرملي

يرى اصحاب الجرح والتعديل انه من الضعفاء ، ولم يكتبوا حديثه ، فاخرج العقيلي (٧) اقوالهم فقال ((يحيى بن عيسى الرملي)) حدثنا محمد بن عثمان قال: سمعت يحيى بن معين، وذكروا له حديث (يحيى بن عيسى الرملي)، فقال: كان ضعيفا وكان يسكن الرملة. حدثنا محمد قال: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى، يقول: يحيى بن عيسى الرملي ليس بشيء. حدثنا أبي قال: سألت أبي عن يحيى بن عيسى الرملي، فقال: ما أدري،ما كتبت عنه شيئا)) ، ويرى العقيلي (٨) انه ((.... ليس بالقوي كوفي)) ، بينما قال ابن شاهين (٩) ((....ليس حديث بشيء)). وانه ساء حفظه واختلط امره ، وكثر وهمه ، واخذ يقلب الاسانيد فقال ابن حبان(١٠) ((يحيى بن عيسى بن محمد التميمي الرملي أصله من الكوفة انتقل إلى الرملة كنيته أبو زكريا وكان خزازا يروي عن الاعمش والثوري روى عنه الشاميون مات سنة إحدى ومائتين وكان ممن ساء حفظه وكثر وهمه حتى جعل يخالف الأثبات فيما يروي عن الثقات فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به)) .

٢- الاعمش

ذهب علماء الجرح والتعديل أن الأعمش كان من المدلسين، ولهذا لم يخرج له كتب الصحاح أي حديث فقال ابن حبان [١١] ((سليمان بن مهران الاعمش مولى بنى كاهل أبو محمد كان أبوه من سبى دنباوند ومولده السنة التي قتل فيها الحسين بن على بن أبى طالب سنة إحدى وستين رأى أنس بن مالك وسمع منه أحرفا يسيرة مات سنة ثمان وأربعين ومائة وكان مدلسا)) .

فضلا عن ذلك استعرض الذهبي[١٢] هذه الرواية في ترجمته للامام الحسن عليه السلام فعلق عليها قالا : ((.... رواه يحيى بن عيسى التميمي عن الاعمش، وهو من رجال مسلم، لكنه منقطع.))

ويتبين مما تقدم بأن ما ذكر أن الإمام علي عليه السلام قد أطلق اسم حرب على ابنه الإمام الحسن عليه السلام؛ كونه يحب الحرب، هذه روايات ضعيفة الإسناد؛ لضعف سلسلة رجالها كما بيناه في أعلاه.

٢- الصلاة على جثمانه الطاهرة

واشتهر بين مؤرخين اهل السنة والجماعة ان الذي صلى على الامام الحسن عليه السلام هو والي المدينة سعيد بن العاص، ولكن عند مناقشة سند هذه الرواية، تجد فيها اشكال في رجالها ، فلا يمكن اعتمادها ، وان سند هؤلاء القوم يعتمد على راوية عن طريق (سفيان الثوري عن سالم بن ابي حفصة) فيقول ابا الفرج الاصفهاني [١٣] ((حدثني محمد بن الحسين الأشناني، قال: حدثنا عبد الله بن الوضاح، قال: حدثني[يحيى] بن يمان، عن الثوري، عن سالم بن أبي حفصة، عن أبي حازم: أن الحسين بن علي قدّم سعيد بن العاص للصلاة على الحسن بن علي، وقال: تقدم فلولا أنها سنة ما قدّمتك)) .

مناقشة سند هذه الرواية

موقف علماء الرجال من (سفيان الثوري) .

❖يقول ابن حنبل[١٤] يقول عن ((سفيان يقول: إن قلت: إني أحدثكم كما سمعت فقد كذبت))، وذكره الذهبي نفسه [١٥] .

❖ويذكر ابن حجر [١٦] ((.... مراسيل الثوري؟ قال: لا شيء لو كان عنده شيء لصاح به)) .

❖يذكر مغلطاي[١٧] ما نصه ((... قال ابن المبارك[١٨] حدث سفيان بحديث فجئته وهو يدلسه فلما رآني أستحيي وقال نرويه عنك)) .

❖ويذكر الذهبي [١٩] قول انه قال ((سفيان قال: تركتني الروافض، وأنا أبغض أن أذكر فضائل علي)).

ومما تقدم يتضح لنا ان الراوي لهذه الرواية كان ضعيفاً ، ومدلساً عند جمهور علماء السنة والجماعة .

موقف علماء الرجال من (سالم ابن ابي حفصة) .

فهو ورد فيه كلاما طويلا في نقده وتضعيفه بين رجال علماء الشيعة الامامية واهل السنة والجماعة .

أ ـ موقف علماء اهل السنة والجماعة .

❖يقول ابن سعد [٢٠] ((ويكنى أبا يونس وكان سالم يتشيع تشيعا شديدا ، فلما كانت دولة بني هاشم[بني العباس] حج ... سنة اثنتين وثلاثين ومائة.... فدخل مكة ، وهو يلبي يقول: لبيك لبيك مهلك بني أمية لبيك)).

❖ويذكر العقيلي[٢١] قوله ((سالم بن أبي حفصة ليس بالقوي)).

❖وقال ابن حبان [٢٢] فيه ((يقلب الأخبار ويهم في الروايات)) .

ب ـ موقف علماء الشيعة .

ورد فيه طعن من قبل الامام عليه السلام إذ كذبه وكفره [٢٣] ، ويقول السيد الخوئي[٢٤] (قدس سره) ((ثم ان الحاصل مما ذكرنا ان الرجل كان منحرفاً وضالاً ومُظَّلاً)) .

ويذكر ابن الصفار [٢٥] راوية عن الامام الصادق عليه السلام يذمه فيها فيقول ((عن أبي عبيدة الحذاء قال كنا زمان أبى جعفر حين مضى عليه السلام نتردد كالغنم لا راعى لها فلقينا سالم بن أبي حفصة فقال يا أبا عبيدة من امامك قال أئمتي آل محمد صلى الله عليه وآله فقال هلكت ، وأهلكت اما سمعت انا ،وأنت ، وأبا جعفر عليه السلام فهو يقول من مات ليس له امام مات ميتة جاهلية ، قلت بلى لعمري لقد كان ذلك ثم بعد ذلك بثلث أو نحوها دخلنا على أبى عبد الله عليه السلام فرزق الله لنا المعرفة فدخلت عليه فقلت له لقيت سالما فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا فقال أبو عبد الله عليه السلام يا ويل لسالم يا ويل لسالم ثلث مرات اما يدرى سالم ما منزلة الامام أعظم مما

يذهبُ إليه سالم ، والناس أجمعون يا أبا عبيدة انه لم يمت منا ميت حتى يخلف من بعده من يعمل بمثل عمله ،ويسير مثل سيرته ،ويدعو إلى مثل الذي دعا إليه يا أبا عبيدة انه لم يمنع الله ما أعطى سليمان أفضل ما أعطى ثم قال هذا عطاؤنا فامنن ، أو أمسك بغير حساب قال قلت ما أعطاه الله جعلت فداك قال نعم يا أبا عبيده انه إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله حكم بحكم داود وسليمان لا يسئل الله الناس بينة » .

ومنع الامام عليه السلام من ان يدفع مع جده صلى الله عليه وآله فقال الذهبي (٢٦) « ... لما حضر الحسن قال للحسين: ادفني عند أبي –يعني النبي – صلى الله عليه وآله إلا أن تخافوا الدماء، فادفني في مقابر المسلمين، فلما قبض تسلح الحسين، وجمع مواليه، فقال له أبو هريرة : أنشدك الله ووصية أخيك، فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء، فدفنه بالبقيع، فقال أبو هريرة: أرأيتم لو جيء بابن موسى ليدفن مع أبيه، فمنع أكانوا قد ظلموه، فقالوا: نعم قال: فهذا ابن نبي الله صلى الله عليه وآله قد جيء ليدفن مع أبيه » .

ثانيا : تنكيل الامام الحسن عليه السلام بجثمان ابن ملجم

إن أولى الاتهامات التي شمّرتْ بها سواعد المؤرخين باسم الإمام الحسن عليه السلام، ولم يكتف بذلك بل تعد الأمر إلى أنه قام بالتمثيل بجثمان قاتل أبيه عليه السلام، واقتص منه أشد القصاص، وفي راوية أخرى أنه قطعة تقطيعاً لشفاء غليله، فهناك جملة من الروايات التي أخرجها المؤرخون وغيرهم، تشير إلى لك المزعوم، فمنها ما روي أن الإمام الحسن عليه السلام نهى عن ذلك، ومنها هو من قام بذلك، سوف نذكر مصادر تلك المؤلفات فضلا عن مناقشتها رجاليا، كما هو المسلك في البحث فهي:

١ –تنكيل الامام الحسن عليه السلام بجثمان ابن ملجم

هنا وودت إلى الإشارة إلى ذكر المصادر التي تحدثت عن قيام الإمام الحسن عليه السلام بتمثل بجثمان عبد الرحمن ابن ملجم قتل الإمام علي عليه السلام في محرابه في الكوفة سنة (٤٠هـ)، ثم بعد ذلك انتقال إلى الروايات التي قالت إنه عليه السلام نهى عن ذلك فهي.

وأول من أخرج هذا الرأي أي أن الإمام الحسن عليه السلام مثل بجثمان« ابن ملجم هو ابن أبي

الحديد (٢٧) الذي بينهُ وبين الامام عليه السلام قرابة (٦٠٠) سنة فمن اين جاء بذلك الخبر ؟ ولصقه في صحفيته اعماله ، فهل يعقل ابن سبط المصطفى صلى الله عليه وآله، وقرة عينه ، وريحانته ، وسيد شباب اهل الجنة ، فعل هذه الفعل من اجل ارضاء نفسه ، وامتصاص غضبه فقال ((ومنهم ابن ملجم، وقطع الحسن بن علي يديه ورجليه وهو في ذلك يذكر الله ، ثم عمد إلى لسانه فقطعه فجزع ، فقيل له في ذلك قال : أحببت ألا يزال لساني رطبا من ذكر الله)) .

وأما الرأي الثاني استعرض ابن القيم الجوزية (٢٨) في كتابه بدائع الفوائد كثيرٌ ما ذكره من الفوائد للافادة منه ، ذكر منها فائدة يشر فيها الى ندمان الامام الحسن عليه السلام لأنه مثل بجثمان ابن ملجم فقال ((فائدة : من دقيق الورع أن لا يقبل المبذول حال هيجان الطبع من حزن أو سرور فذلك كبذل السكران ومعلوم ان الرأي لا يتحقق إلا مع اعتدال المزاج ومتى بذل باذل في تلك الحال يعقبه ندم ومن هنا لا يقضي القاضي وهو غضبان وإذا أردت اختبار ذلك فاختبر نفسك في كل مواردك من الخير والشر فالبدار بالانتقام حال الغضب يعقب ندما وطالما ندم المسرور على مجازفته في العطاء وود أن لو كان اقتصر وقد ندم الحسن على تمثيله بابن ملجم)) .

ويرى ابن القيم قيام الامام الحسن عليه السلام بتمثيل بجثمان قاتل ابيه عليه السلام ، وانه ندم على فعله، وما قام به ، فلماذا فعل ذلك ، وندم ألم يتذكر قوله تعالى ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾ (٢٩) ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (٣٠)، فاين الامام الحسن عليه السلام من آيات الله عز وجل ؟ فهل نساها مثلا ، ام اخذت الحمية ، والعصبية القبلية ، والجاهلية دفعت الى ذلك ــــ حشاه ــــ ، فضلا عن ذلك اين هو من وصية ابيه عليهما السلام ؟ ولقد روى انه عليه السلام اوصى بعدم المثلة والتعدي على حدود الله.

فقال محب الدين الطبري (٣١) روي أنه ((لما ضربه ابن ملجم أوصى إلى الحسن والحسين وصية طويلة في آخرها: يا بني عبد المطلب؛ لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي. انظروا، إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثلة، ولو بالكلب العقور.....)) ؛ اضف الى ذلك اين هو عليه السلام من وصية ابيه الاخرى في العفو والصفح ، وعدم الاعتداء ، ومن اعتداء

فان الله لا يحبه فقال ابن سعد [٣٢] «..... قال علي: إنه أسير فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه فإن بقيت قتلت أو عفوت وإن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

إن هذين الرأيين فقط ذكرا ذلك الرأي، ولم نر هذا الرأي إلا ما ذكره (ابن أبي الحديد، وابن القيم الجوزية)، وأننا لم نجد هذين الرأيين عند المؤرخين الأوائل، بل هناك روايات متناقضة في الشأن ذلك، التي سوف نذكرها، ومناقشتها، والتي يخرجه لا ابن أبي الحديد، ولا ابن القيم الجوزية، واكتفاء بذكر ما ذكرناه.

٢- نهى الامام الحسن عليه السلام عن التنكيل بجثمان ابن ملجم

ذكر من المؤرخين الاوائل قصة مقتل ابن ملجم بأبشع انواع التمثيل، معتمدين على رواة ضعفاء، فضلا عن ذكر نهي الامام الحسن عليه السلام التنكيل بجثمان ابن ملجم، والتي لم يخرجها لا ابن ابي الحديد، ولا ابن القيم الجوزية، اضف الى ذلك ان هذه الروايات كلها ضعيفة، والتي سوف نناقش رجال اسنادها. هي:

١-رواية الصنعاني

اول من ذهب الى القول ان الامام الحسين عليه السلام قام بتمثيل وحرق جثمان ابن ملجم، ونهى الامام الحسن عليه السلام فأول من ذهب الى هذا القول الصنعاني[٣٣]، واتبعه ابن ابي عاصم [٣٤]، فقال الصنعاني ما نصه«.... عن ابن جريج،قال: أخبرني عبد الكريم ،عن قثم مولى الفضل بن عباس، قال: مر بالمرادي فقالت ابنة علي: لتقتلن، قال: كذبت والله، لا أقتل إلا أن أموت قال: وقال لي غير عبد الكريم: إنها أم كلثوم بنت علي، قال: وقال عبد الكريم: أخبرني قثم مولى الفضل أن عليا دعا حسينا ومحمدا، فقال: بحقي لما حبستما الرجل، فإن مت منها فقدماه فاقتلاه، ولا تمثلا به. قال: فقطعاه وحرقاه، قال: ونهاهما الحسن عليه السلام».

نجد أن الصنعاني، وابن أبي عاصم الذي اتبعه في ذلكما الوحيدان اللذان ذكرا هذه الرواية وانفردا بها، ولم نعثر على أحد غيرهما ذكر ذلك، فنستشف من روايتهما أن أصبع الاتهام نقلت إلى الأمام الحسين عليه السلام وأخيه، وكأنهما الصنعاني وابن أبي عاصم يدافعان عن الإمام الحسن عليه السلام، وإنه لم يفعل ذلك، بل الأكثر أنه نهاهما، أي عدم ارتضائه بما يفعلان، ولكن نقول إن هذه الرواية ضعيفة السند، لا الإمام الحسن، ولا الإمام الحسين عليهما السلام، ولا أخيهما لم يعرفوا الحكم الشرعي.

بيان حال الرواة

١-ابن جريج

يُعدُّ ابن جريج من المدلسين والمشهورين بذلك ، وقد حذر ائمة الجرح والتعديل منه ، لتدليسهِ على الرغم من وثاقته فقال ابن حبان [٣٥] «عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مولى أمية بن خالد بن أسيد القرشي[٣٦] ، له كنيتان أبو الوليد ، وأبو خالد من فقهاء أهل مكة ، وقرائهم ممن جمع وصنف ، وحفظ وذاكر مات سنة خمسين ومائة وكان يدلس» .

وقال الذهبي [٣٧] «.... ثقة مدلس قال الدارقطني يجتنب تدليسه فإنه وحش التدليس لا يدلس إلا فيما قد سمعه من مجروح .....» . بينما يرى ابن العراقي[٣٨] انه «عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام المشهور مكثر». اي بالتدليس.

وكذلك ذهب ابن حجر[٣٩] الى ما ذهب اليه من سبقه فقال «... مشهور بالعلم والثبت كثير الحديث وصفه العقيلي وغيره بالتدليس قال الدارقطني شر التدليس تدليس بن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس الا فيما سمعه من مجروح.» .

٢-ابن معين

هو ابن معين أبو امية المعلم ، وهو عبد الكريم بن طارق ويقال ابن قيس[٤٠] ، توفى سنة سبع وعشرين ومائة [٤١] ، فقد ضعفه علماء الجرح والتعديل فقال ابن معين[٤٢] انه ابن معين « البصري أبو أمية ليس بشيء ليس بشيء» ، ويرى الجوزجاني[٤٣] انه «.... غير ثقة» ، وكما ضعفه ابن ابي حاتم[٤٤] بقوله «....ضعيف الحديث» ، ويصفه ابن حبان [٤٥] بانه كثير الوهم، فلا يؤخذ باخباره فقال «.....وكان كثير الوهم فاحش الخطأ فيما يروى فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج بأخباره» ، بينما يرى ابن منده [٤٦] انه «ليس بالقوي عندهم ... روى عنه: عبد الملك بن جريج ....» ، وذكر الخليلي[٤٧] انه من الضعفاء الذي يروي عن مثله فقال «.....ضعيف روى عنه مالك[ابن جريج] ، ولا يروي عن ضعيف غيره» ، وقد اخرج ابن الجوزي [٤٨] كل اقوال علماء الجرح والتعديل فيه فقال ابن معين «أبو أمية المعلم البصري يروي عن الحسن ونافع ومجاهد وعكرمة رماه أيوب السختياني بالكذب ، وقال أحمد ليس هو

بشيء قد ضربت على حديثه وهو شبيه المتروك ، وقال يحيى ليس بشيء ، وقال السعدي غير ثقة ، وقال ابن حبان كثير الوهم فاحش الخطأ فلما كثر ذلك منه بطل الاحتجاج به، وقال العقيلي والدارقطني متروك)) .

واما قثم مولى الفضل بن عباس (٤٩) فلم يترجم له احد ، ولم يكن معروفا عندهم، بل لم يذكره احد الا الصنعاني(٥٠) ، وابن ابي عاصم (٥١) ، ومحب الدين الطبري(٥٢) الذي ذكره بـ (هشيم مولى الفضل) ، والذهبي (٥٣)، ولم يذكره غير هؤلاء سوء أكان المحدثين ، أو المؤرخين ، أو اصحاب التراجم ، ربما لعدم شهرته بينهم .

ومما تقدم ان سلسلة رجال الاسناد التي اعتمد عليها الصنعاني ، وابن ابي عاصم كانتا ضعيفة ؛ لضعف رجالها ، فلا ينبغي القول ان عملية التمثيل جرت .

٢-ابو الفداء

اما التناقض الاخر الذي اورده بعض من المؤرخين ذكر تلك القصة ، ولكن يرى ان الذي قام بفعل التمثيل بالجثمان هو (عبد الله بن جعفر)(٥٤) ، فليس الامام الحسن، واخيه الامام الحسين ﴿عليهما السلام﴾ اي دور قاما بتلك المجزرة قال أبو الفداء(٥٥) هذا الراي واتبعه في ذلك ابن الوردي(٥٦)، فقال ((ولما مات علي أُخرج عبد الرحمن بن ملجم من الحبس، فقطع عبد الله بن جعفر يده، ثم رجله، وكحلت عيناه بمسمار محمى، وقطع لسانه، وأحرق، لعنه الله.)) .

والتي ذكره ابن سعد (٥٧) عن شيوخه برواية طويلة اذكرها لبيان تلك الحادثة التي وقعت فقال ((أخبرنا أسباط بن محمد عن مطرف عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأصم قال: دخلت على الحسن بن علي وهو في دار عمرو بن حريث فقلت له: إن ناسا يزعمون أن عليا يرجع قبل يوم القيامة. فضحك وقال: سبحان الله! لو علمنا ذلك ما زوجنا نساءه ولا ساهمنا ميراثه. قالوا ، وكان عبد الرحمن بن ملجم في السجن فلما مات علي ﴿عليه السلام﴾ ،ودفن بعث الحسن بن علي إلى عبد الرحمن بن ملجم فأخرجه من السجن ليقتله. فاجتمع الناس وجاءوه بالنفط، والبواري(٥٨) ، والنار فقالوا نحرقه. فقال عبد الله بن جعفر ، وحسين بن علي ومحمد ابن الحنفية: دعونا حتى نشفي أنفسنا منه. فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم

يتكلم. فكحل عينيه بمسمار محمى فلم يجزع وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك بملمول مض. وجعل يقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٥٩) حتى أتى على آخر السورة كلها وإن عينيه لتسيلان. ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطعه فجزع. فقيل له: قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك يا عدو الله فلم تجزع فلما صرنا إلى لسانك جزعت؟ فقال: ما ذاك مني من جزع إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فواقا لا أذكر الله. فقطعوا لسانه ثم جعلوه في قوصرة وأحرقوه بالنار. والعباس بن علي يومئذ صغير فلم يستأن به بلوغه)) .

بيان حال الرواة

١ - اسباط بن محمد

ان الرواة هم أصل الرواية ، بل العمود الفقري ، فلو كسر فلا راوية ، العجيب في هذه الرواية ان ابن سعد (٦٠) نفسه يقول فيه ضعف عندما اخرج ترجمته إذ قال ((أسباط بن محمد القرشي. ويكنى أبا محمد. توفي بالكوفة في المحرم سنة مائتين في خلافة عبد الله المأمون. وكان ثقة صدوقا إلا أن فيه بعض الضعف. وقد حدثوا عنه.)) . فهل يُعقل ان تاخذ رواية من راوٍ فيه ضعف ؟ فاشترط ائمة الجرح والتعديل ان يكون الراوي ضابط اي ليس فيه قدحا فقال ابن الصلاح (٦١) ((الحديث الصحيح: فهو الحديث المسند الذي يتصل إسناده، بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذا، ولا معلل، وفي هذه الأوصاف احتراز عن المرسل، والمنقطع، والمعضل، والشاذ، وما فيه علة قادحة، وما في راويه نوع جرح)) ، وان (اسباط) ضعف ببعض رواياته ، فكيف يُميّز بين رواياته الثقة ، والضعيفة ، ويرى العقيلي (٦٢) ان ((أسباط بن محمد القرشي ربما يهم في شيء ....)) .

٢- طريف بن مطرف

هو مطرف بن طريف الخارفي أبو عبد الرحمن من صالحي أهل الكوفة ، وقراء القرآن مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة (٦٣) ، فقال ابن شاهين (٦٤) ((.... مطرف بن طريف ثقة صدوق، وليس بثبت)) . اي ليس بصحيح (٦٥) .

٣-ابو اسحاق

واسمه عمرو بن عبد الله بن علي بن أحمد بن ذي يحمد بن السبيع بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان، توفى سنة تسع وعشرين ومائة [٦٦] ، يعد من المدلسين ، وقد وصفة ائمة الجرح والتعديل بذلك فقال ابن العراقي [٦٧] ((عمرو بن عيد الله أبو الحسن السبيعي تابعي كبير مشهور به)) اي بالتدليس ، وكذلك ابن حجر [٦٨] يرى ذلك فقال ((عمرو بن عبد الله السبيعي الكوفي مشهور بالتدليس وهو تابعي ثقة وصفه العقيلي وغيره بذلك)) .

فضلاً عن ذلك فقد ضُعف هذا الاسناد كلهُ من قبل ابن حجر[٦٩] فقال ((... [روى] ابن سعد أيضًا في الطبقات عن أسباط بن محمَّد عن مطرف، عن أبي إسحاق... الحكم عليه الحديث بهذا السند ضعيف فيه عمرو بن الأصم ولم أجد من تكلم فيه جرحًا ، أو تعديلًا غير أن ابن حبان ذكره في الثقات[٧٠])) . ومما تقدم اتضح ان هذا الرواية لا يمكن الاعتماد عليها، والاخذ بها بالجزم على ان هذا التمثيل بجثمان ابن ملجم وقعت تاريخيا ، بسبب ضعف سلسلة رجال هذا الاسناد كما بيناه.

وقد انكر الصلابي [٧١] تلك الروايات المزعومة ، ويرى انها روايات منقطعة ، ولم تثبت صحتها فقال ((وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض علي -عليه السلام- بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية، أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله - أو قتلته ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار، ثم قدمه فقتله، ثم إن الناس أخذوه، فأحرقوه بالنار)، ولكن هذه الرواية منقطعة، والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن بن مُلْجم، وفيها يظهر خلق الإسلام العظيم في النهي في المثلة والالتزام بالقصاص الشرعي. ولا تثبت الرواية التي تقول: (فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبواري، فقال محمد

بن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، دعُونا نشتفّ منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحَلَ عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحُل عيني عمّك وجعل يقرأ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[٧٢] حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقْطع فجزع، فقيل له في ذلك. فقال: ما ذاك بجزع، ولكنّي أكره أن أبقى في الدنيا فُواقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثمّ أحرقوه...» .

وعلى هذا الاساس لا يمكن الاعتماد على الاقوال المتقدمة التي زعمت بالتنكيل بجثمان ابن ملجم، سواء كان الامام الحسن عليه السلام، أو احد ابناء ابي طالب (عليهم رضوان الله) ، والسبب في ذلك عدم صحة تلك الروايات ؛ لضعف اسنادها ، فضلا عن ذلك ، لا تمد الى الدين الاسلامي بأيَّةِ صلة، فان الضمائر الانسانية والفطرة الانسانية تمنع القيام بذلك . فكيف بذرية رسول الله صلى الله عليه وآله الذين بعثوا رحمة للإنسانية جمعا ، فان كان تصرف هذا ــ حشاهم ــ فعل عقلائي فعلى الدين السلام .

ثالثا: شبهات الزواج

صبت الأقلام لجام اخبارها ، وكرست المجالس دوران أفكارهم للنيل من شخصية الصحابي لرسول الاعظم صلى الله عليه وآله الامام الحسن المجتبى عليه السلام وهي من اشد المحرمات التجني على صحابي فضلا عن حفيده صلى الله عليه وآله سواء أكان ذلك عن قصدا أو عدمه ، فما تجني تلك الثمار الا حطاما ، وكسرابا يحسبه الظمآن ماءً ، فأخذت تلك الأقلام المرجفة النيل منه عليه السلام دون تقيد أو تمحيص أو نقد لما سمعوه ، أو نقله في سجلات كتبهم ، فلماذا لم نرى النقد في رواياتهم ، ولماذا لم ترد تلك الروايات في الصحيح كالبخاري ومسلم ، فإن صحة تلك الاخبار لنقولها وخاصة ان تلك الصحاح نقل الكثير من الدوريات التاريخية وغيرها .

فلذا سوف اتناول تلك الروايات التي تناول قضية الزواج التي تعد من أهم الروايات التي جاءت في ترجمة شخصية الامام الحسن عليه السلام

وأن المنهجية المتبعة في هذا البحث هو مناقشة رجال تلك الرواة فضلا عن المورد الذي ذكرها ، فإن بيان حال الرواة اهم ما يمز هذا البحث بيان سلسلة الاسناد التي ذكرها المؤرخون وغيرهم في كتبهم ، ومناقشتها . وسأتبع في ذلك موارد الأقدم فالأقدام في ذلك.

الرواية الاولى لابن سعد

اخرج **ابن سعد** (٧٣) المتوفى (٢٣٠هـ) عن شيخه الواقدي المتوفى سنة (٢٠٧هـ) خبرا مفاده أن الإمام الحسن عليه السلام قلما تفارقه أربع حرائر فكان صاحب ضرائر، وهو أول من صرح بذلك الافتراء ولم يخرجه إلا هو وابن عساكر واتبعهم المزي، ولا يوجد غيرها في التاريخ نقول ذلك، وكان نقلها عنه لا غير، وان ابن سعد تبعا إلى شيخه الواقدي اعتمد على جملة من شيوخه الضعفاء الذين ضعفهم أئمة علماء الجرح والتعديل من مذهبه أي مذهب أهل السنة والجماعة، فلم نَرَ للواقدي، ولا تلميذه ابن سعد أي نقد لتلك الرواية؛ كونهما لم يراع علم الجرح والتعديل، بل إنه نقل الرواية على علاتها فضلا عن ذلك أن الواقدي طعن فيه رجاليا، فقال: ما نصه ((حدثنا عبد الرحمن بن ابي الموالى، قال سمعت عبد الله بن حسن يقول : كان حسن بن علي قلما تفارقه اربع حرائر فكان صاحب ضرائر، فكانت عنده ابنة منظور بن يسار الفزاري ، وعنده امرأة من بني اسد من آل خزيم. فطلقهما وبعث الى كلِّ واحدة بعشرة الاف درهم ، وزقاق من عسل متعة ، وقال لرسوله يسار بن سعيد بن يسار – وهو مولاه- احفظ ما تقولان ذلك ، فقالت الفزارية بارك الله فيه وجزاه خيرا ، وقالت الاسدية متاع قليل من حبيب مفارق ، فرجع فاخبره، فراجع الأسدية ، وترك الفزاري)) .

فان القارئ اللبيب يلحظ هذه الرواية فيها ما فيها من الشبهات فقبل بيان حال الرواة، أود الإشارة الى هذه الرواية إذ فيها مبالغة كبيرة ؛ السبب في ذلك أن الامام الحسن عليه السلام كأنه يملك من الاموال الطائلة خاصة كل واحدة منهما اعطاها عشرة آلاف يعني كلاهن عشرين الف درهم ، فهل كان يملك تلك الاموال كلها ؟ فضلا عن ذلك من أين جاء بها ؟ هل من بيت المال في حياة ابيه عليه السلام الذي كان يكنسه ويصلي فيه ركعتين (٧٤) ؟ وقد عرف عنهم الزهد والعبادة في هذه الدنيا .

فصلا عن ذلك تقول زوجته الفزارية (بارك الله فيه وجزاه خير) على ماذا هذا القول على خراب دارها ، أو على ماذا قالت ذلك ؟ والأخرى استعطف عليه السلام قولها فأرجعها ، فلماذا اذن طلقها، فهل الحياة كانت عنده بهذا الأشكال يتأثر بالأقوال؟ ، ولماذا لم يتأثر بالزوجة الاولى(الفزارية) فلماذا لم تذكر تلك الروايات اسباب طلقهن، فهل كانت حياته عليه السلام عبارة عن ملذّات وشهوات .

بيان حال الرواة

١-الواقدي

يُعُّد احد قضاة الدولة العباسية في بغداد في عهد هارون الرشيد ، احد الضعفاء ، بل وصف بالكذب فقد اخرج العقيلي [٧٥] جملة من التضعيفات منها تضعيف البخاري له فيه فقال محمد بن عمر بن واقد الواقدي ((مديني مديني حدثني آدم بن موسى قال: سمعت البخاري قال: محمد بن عمر بن واقد الواقدي مديني،سكن بغداد كان قاضيا،قال البخاري : متروك الحديث ...))

بيد ان ابن الجوزي[٧٦] زاد في اقوال العلماء في التضعيف على ما اخرجه العقيلي فيقول ((محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله الأسلمي الواقدي قاضي بغداد قال أحمد بن حنبل هو كذاب كان يقلب الأحاديث يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر ونحو ذا ، وقال يحيى ليس بثقة ، وقال مرة ليس بشيء لا يكتب حديثه، وقال البخاري ، والرازي ، والعقيلي متروك الحديث ، وذكر الرازي، و العقيلي أنه كان يضع الحديث ، وقال الدراقطني فيه ضعف ، وقال ابن عدي أحاديثه غير محفوظة ، والبلاء منه . بينما يرى الذهبي [٧٧] ((محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي صاحب التصانيف مجمع على تركه ....)) .

٢-عبد الرحمن بن بي الموالي

يعد عبد الرحمن بن ابي الموالي من الضعفاء الذين ضعفوا من قبل علماء الجرح والتعديل، فلا يمكن الاعتماد على روايته ، كونه لم يكن عَدلاً ثقة فقال ابن حبان [٧٨] ((عبد الرحمن بن أبى الموالي وهو عبد الرحمن بن زيد بن أبى الموال نسب إلى جده كنيته أبو محمد من متقني أهل المدينة وكان يغرب)) .

٣- عبد الله بن الحسن

هو عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت حسين بن علي بن أبي طالب(ع)[٧٩] ، مات في حبس أبي جعفر المنصور بالهاشمية [٨٠] ، في أواخر سنة أربع وأربعين ومائة [٨١]، وهو ابن خمس وسبعين سنة[٨٢]. وهذا يعني ان ولادته كانت سنة (١٢٤هـ) ، وان استشهاد الامام الحسن (ع) سنة (٥٠هـ) ، فيكون الفرق بين ولادته ، والاستشهاد (٧٤) سنة ، وعلى هذا تكون هذه الرواية مرسلة كونه لم ولن يرى الامام اطلاقا .

فضلا عن ذلك يرى محقق كتاب الطبقات ان الاسناد ((إسناده مرسل ضعيف))[٨٣].

اضف الى ذلك انه كان من المقربين الى الدولة الاموية والعباسية فقال السخاوي [٨٤] ((كان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز في خلافته ثم أكرمه السفاح ووهب له ألف ألف درهم وقال غيره: إنه دعا بسفط جوهر فأعطاه نصفه، وقال: إن هذا وصل إلي من بني أمية.....)) .

الرواية الثانية لابن سعد

وذكر ابن سعد[٨٥] رواية اخرى عن قصة زواج الامام الحسن (ع)، ولكنها تختلف عما ذكره في الرواية الاولى فقال ((أخبرنا علي بن محمد ، عن ابن جعدبة ، عن ابن ابي مليكة، قال : تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور ، فبات ليلة على سطح اجم[٨٦] فشدت خمارها برجله، والطرف الاخر بخلخالها . فقام من الليل فقال : ما هذا ؟

قالت : خفت ان تقوم من الليل بوسنك[٨٧] ، فتسقط فأكون اشام سخلة[٨٨] على العرب فاحبها فأقام عندها سبعة أيام.

فقال ابن عمر : لم نر أبا محمد منذ أيام، فانطلقوا بنا اليه ، فاتوه ، فقالت له خولة : احتبسهم حتى نهيئ لهم غداء .قال : نعم .

قال ابن عمر : فأتبدأ الحسن حديثا الهانا بالاستماع اعجابا به حتى جاءنا الطعام)) .

بيان حال الرواة

١-محمد بن علي

وهو علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف، أبو الحسن المدائني مولى عبد الرحمن بن سمرة[٨٩] ، بصري سكن المدائن، ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها إلى حين وفاته ومائة ومات سنة خمس وعشرين ومائتين[٩٠] ، وقد ضَعف جُل علماء والجرح والتعديل فقال ابن عدي[٩١] ((ليس بالقوي في الحديث ، وهو صاحب الأخبار)) .

٢-ابن جعدبة

اسمه يزيد بن عياض بن جعدبة الليثي ، ويكني أبا الحكم، انتقل إلي البصرة ومات بها في خلافة المهدي [٩٢] . والغريب بالامر ابن سعد [٩٣] نفسه ضعفه فقال ((...وكان قليل الحديث يستضعف)) ، بل انه ليس بشيء فيأخذ لانه ضعيف منه فقال ابن معين [٩٤] ((يزيد بن عياض بن جعدبة ليس بشيء))، فقد انكره البخاري [٩٥] فقال ((يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة، الليثي حجازي، منكر الحديث.)) ، بينما العقيلي [٩٦] يرى انه تركه العلماء فقال ((يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة متروك الحديث مدني))، بل انه ليس ثقة فقال العقيلي[٩٧] ((يزيد بن عياض ابن جعدبة ليس بثقة)) ، بل الاكثر من ذلك كله وصف بالكذب بالتوكيد اللفظي فقال ابن ابي حاتم [٩٨] ((سال مالك .... فقال : يزيد بن عياض أكذب وأكذب)) .

٣-ابن ابي ملكية

اسمه عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي مكي وكان قاضيا على عهد ابن الزبير[٩٩] ، مات سنة سبع عشرة ومائة[١٠٠] .

ومما تقدم اتضح (ضعف) سلسلة رجال الاسناد ، فلا يمكن الاعتماد على هذه الراوية .

الرواية الثالثة لابن سعد

عندما ترجم ابن سعد لشخصية الامام الحسن عليه السلام فجمع كل الروايات التي وجدها ونقلها عن شيوخه ، ولم يتابع مسألة الاسناد غيره ، كون منهجه الأول والأخير جمع الروايات ، ففي الرواية الثالثة التي ذكرها خبر مفاده ان الامام الحسن عليه السلام رأى ان يتزوّج هند بنت سهل[١٠١]

بعد أنْ طلّقها عبد الرحمن بن عتاب[١٠٢] ، والتي كان من المؤمل ان يتزوجها يزيد بن معاوية .

فقال [١٠٣] ((قال أخبرنا علي بن محمد عن الهذلي عن ابن سيرين قال كانت هند بنت سهل بن عمرو عند عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ، وكان أبا عذرتها فطلقها، فتزوجها عبد الله بن عامر بن كريز[١٠٤] ثم طلقها ، فكتب معاوية الى ابي هريرة ان يخطبها إلى يزيد بن معاوية، فلقيه الحسن بن علي فقال اين تريد ؟ قال اخطب هند بنت سهل بن عمرو على يزيد بن معاوية ، قال اذكرني لها ، فاتاها ابو هريرة فاخبرها الخبر ، فقالت خر لي ، قال اختار لك الحسن ، فتزوجها ، فقدم عبد الله بن عامر المدينة ، فقال للحسن :ان لي عندها وديعة ، فدخل إليها والحسن معه، وجلست بين يديه فرق ابن عامر ، فقال الحسن: ألا انزل لك عنها ؟ فلا راك تجد محللا خيرا لكما مني ، فقال وديعتي ، فاخرجت سفطين فيهما جوهر ففتحهما ، فاخذ من واحد قبضة ، وترك الباقي ، فكانت تقول : سيدهم جميعا الحسن ، واسخاهم ابن عامر، واحبهم الي عبد الرحمن بن عتاب)).

يرد في هذا الخبر شبهات كثيرة، منها تصف كأن بالإمام الحسن عليه السلام واقف في أزقّة المدينة، ويبحث عن النساء سواء كانت طلقت، أو أرملة أو غيرها. بل قاطع طريق- حشاه- في سبيل تحقيق ملذاته ، وشهواته، المتعطش لها. ويوحي الخبر الإمام الحسن عليه السلام ليس له عرض يخاف عليه- حشاه- فادخل ابن عامر على زوجته وجالسها وطال الحديث وسألها عن وديعته، بل الأكثر من ذلك، رفق ابن عامر عليها في حضرة الإمام الحسن عليه السلام وهو ينظر إلى تلك المسامرة، بل يقول له إنزال لك عنها أي أطلق فأنت أحق مني- لا إله إلا الله-، بل الطامة الكبرى هند تحب شخصا آخر هو (عبد الرحمن بن عتاب)، بالله عليك يا أيُّها القارئ لو كان ديوث يفعل هذا؟

ما أجرأكم على هذه الاتهامات، والأباطيل التي لم يُنزل الله بها من سلطان، فإن تزوجها فأصبح محرما على كل أجنبي أن يراها؟ فضلا عن الجلوس والتسامر، والمحاسبة معها.

فهل يفعل في يومنا هذا مثلا هذا الأمر في مجتمعاتنا. فإن كان كلا وألفا كلا فكيف من هي زوجته، وأي زوج الإمام الحسن عليه السلام بمعنى آخر أصبحت هذه المرأة شرفَ رسول الله صلى الله عليه وآله- أن

صَحّتِ الرواية-

فضلا عن ذلك ورد في الخبر أن ابن عامر أسخى من الإمام الحسن عليه السلام!!!

بيان حال الرواة

اما علي بن محمد هو المدائني، وقد بينا موقف علماء الجرح والتعديل منه في الرواية السابقة.

١-الهذلي

اسمه سلمى بن عبد الله أبو بكر الهذلي بصري ، كان في صحابة أبي جعفر المنصور، مات في سنة تسع وخمسين ومائة(١٠٥) . فقد ضعفه علماء الجرح والتعديل فقال العقيلي (١٠٦) ((... كان أبو بكر الهذلي كذابا)) ؛ وتركه العقيلي (١٠٧) فقال ((سلمى بن عبد الله أبو بكر الهذلي متروك الحديث بصري)) ، بل ان العلماء تركوا الحديث عنه فقال الذهبي (١٠٨) ((سلمى بن عبد الله أبو بكر الهذلي ... تركوا حديثه))، بل الاكثر من ذكر كان العلماء يطيقون سماع اسمه فقال ابن عدي(١٠٩) عندما سئل شعبة(١١٠) عن حديث الهذلي فقال ((شعبة عن حديث أبي بكر الهذلي فقال دعني لا أقيء.)). وعلى هذا الاسناد فان الرواية ضعيفة من حيث اسنادها ، فلا يمكن الاعتماد عليه في اخذ هذا الخبر .

الرواية الرابعة لابن سعد

اخذ تسجيل اعداد الزواجات تتوالى على الامام الحسن عليه السلام حتى لو خطبها فهل تعد زوجته؟ويروى انه خطب امرأةٍ خارجية ، وعندما علم بها طلقها التي انفرد بها ابن سعد (١١١) ((عن محمد بن علي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزام قال: خطب الحسن بن علي امرأة من بني همام بن شيبان ، فقيل له : انها ترى رأي الخوارج . فقال: إني اكره ان اضم الى صدري جمرة من جنهم))

فإن مفاد هذه الرواية تنص على أن الإمام عليه السلام خاطب وهو لا يعلم بها، ولا بمعتقدها، فإن المرء عندما يذهب إلى خطبة امرأة ما يسأل عن أصلها، فكيف بالإمام الحسن عليه السلام فهل يعقل أنه تقدم إلى خطبتها، ولم يعرف عنها أي شيء، ويجهل حالها؟

فإن كان الجواب وتنزلنا فيه لا يعرف سرائر الدار، فكيف بالمرأة الخارجية التي ترى مذهبها

استباح دَمَ عليٍّ ﷺ، فلماذا لم تمتنع وهي تخالفه في العقيدة، وترى عليا وآلهِ ﷺ على دين باطل، وليسوا على حق. وإن مذهبها (الخارجي) مذهب حق، وما خلاه باطل، فلماذا تقبل بهذا الزوج؟

بيان حال الرواة

إما علي بن محمد هو ((المدائني)) فقد تم بيانا تضعيفه من علماء الجرح والتعديل في الرواية الثاني .

عبد الله بن أبي بكر

اسمه عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أبو محمد المديني الأنصاري، توفى سنة (١٣٥ هـ) ، وهو ابن سبعين سنة[١١٢] ، وهذا يعني انه لم ولد سنة (٦٥هـ) ، وان استشهاد الامام الحسن ﷺ كان سنة (٥٠هـ) ، اي انه لم ير الامام ﷺ اطلاقا ، فكيف اخبر بذلك بالمباشرة من دون ذكر من نقل عنه الخبر ، فهذا منقطع الاسناد من قبله في هذه الرواية .

الرواية الخامسة لابن سعد

اخرج ابن سعد [١١٣]روايتا عن علي بن محمد (المدائني) مفادها تزوج امرأة يهواها رجلا اخر كان يرغب فيها ، وعندما علم بذلك الامام الحسن ﷺ طلقها فقال ((أخبرنا علي بن محمد، عن سحيم بن حفص الأنصاري، عن عيسى بن أبي هارون المزني، قال: تزوج الحسن بن علي حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. وكان المنذر بن الزبير[١١٤] هويها . فأبلغ الحسن عنها شيئا فطلقها الحسن. فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه وقالت: شهرني، فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها فرقي ، إليه المنذر أيضا شيئا)) .

فهل يعقل ان رجلاً يأتيه احدا ما يهوى زوجته ، فكيف رآها ، ولماذا سكت الامام عليه السلام عن ذلك ، فضلا عن ذلك لماذا الرواية ردت فعله عندما علم بهذا الخبر ؟ وما الاسباب التي دفعته عليه السلام لطلاقها باي ذنبٍ ؟ ثم ان هذه الزوجة لم ترغب بالمنذر ، فلم ترتضِ الزواج منه ، وكان ردُّ فعلها غريباً جدا (شهرني) واي شهرة شهر بها !!!! وما تلك الشهرة ؟

وكل من ترجم لها في كتب التراجم والطبقات لم يذكر انها زوجة الامام الحسن عليه السلام بل يرون انها زوجة (المنذر بن الزبير) فذهب كل من ابن حبان [١١٥]، وابن منجويه [١١٦]، والمزي [١١٧] في ذكر ترجمتها يقولون إنها كانت تحت (المنذر) فقال ان حبان ((حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر تروى عن عائشة روى عنها .... وأهل الحجاز ، وكانت تحت المنذر بن الزبير)). وكذلك قال بدر الدين العيني [١١٨] في ترجمتها ((حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر: أخت أسماء بنت عبد الرحمن وكانت تحت المنذر بن الزبير.....)) .

ولم يذكروا انها كانت زوجه أو طليقة الامام الحسن عليه السلام .

وكذلك قال ابن حجر [١١٩] ((حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق زوجة المنذر بن الزبير روت عن أبيها وعمتها عائشة وأم سلمة ....)) .

اضف الى ذلك كتب الانساب الذين لم تذهب الى القول انها زوجة، أو طليقة الامام الحسن عليه السلام ؛ بل يذكرون انها زوجة (المنذر بن الزبير) فقال الزبيري [١٢٠] ((وكان للمنذر بن الزبير من الولد، ممن له عقب: إبراهيم بن المنذر، وأمه: حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.....)) ، وقال ابن حزم [١٢١] ((وولد المنذر بن الزبير: محمد: أمه بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل؛ وإبراهيم بن المنذر: أمه حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ....)).

ومن التناقضات الاخرى هناك من يرى أنّها زوج الامام الحسين عليه السلام وليس زوجة اخيه الحسن عليه السلام فقال ابن حبيب [١٢٢] ((وتزوجت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (الحسين) بن علي بن أبي طالب. ثم (عاصم) بن عمر بن الخطاب. ثم (المنذر) بن الزبير)).

بيان حال الرواة

عُدَّ المدائني من الضعفاء وقد بينا موقف علماء الجرح والتعديل منه ، وقد بينا ذلك في الرواية الثالثة.

ابو يقظان

اسمه سحيم بن حفص أبو اليقظان الراوية الأخباري ، كان لا يجيد القراءة ولا الكتابة، وكان كذابا فقال ياقوت الحموي (١٢٣) ((سحيم بن حفص أبو اليقظان الراوية الإخباري النسابة: كان أميا لا يكتب، وكان أنسب الناس ، وكان عارا على أبي عبيدة(١٢٤) ، وكان أبو عبيدة عارا على الناس. توفي سنة تسعين ومائة.)) . وهذا يعين الرواية ضعيفة الاسناد فلا يمكن الاعتماد عليها ، فضلا عن ذلك هناك اصحاب التراجم ، والانساب لم يذكرونا انها زوجة ام طليقة الامام الحسن عليه السلام اطلاقا ، بل كل من ترجم لها يذكر انها زوجة (المنذر) .

الرواية السادسة للبيهقي

ومن الروايات التي وضعت في شان الامام الحسن عليه السلام انه طلق زوجته ، لأنها هنأته بتولي الخلافة بعد ابيه عليه السلام ، وأنه ندم على فعله ، وأراد أن يرجعها فذكر البيهقي(١٢٥) ((أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين بن علي البيهقي صاحب المدرسة بنيسابور،أنبأ أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد القرميسي بها ثنا [حدثنا] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الطيالسي ثنا محمد بن حميد الرازي، ثنا سلمة بن الفضل، ثنا عمرو بن أبي قيس، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة قال: كانت الخثعمية(١٢٦) تحت الحسن بن علي عليهما السلام، فلما أن قتل علي عليه السلام بويع الحسن بن علي دخل عليها الحسن بن علي،فقالت له: لتهنك الخلافة، فقال الحسن بن علي: أظهرت الشماتة بقتل علي أنت طالق ثلاثا،فتلففت في ثوبها وقالت: والله ما أردت هذا فمكثت حتى انقضت عدتها وتحولت فبعث إليها الحسن بن علي بقية من صداقها وبمتعة عشرين ألف درهم، فلما جاءها الرسول ورأت المال قالت: متاع قليل من حبيب مفارق،فأخبر الرسول الحسن بن علي عليهما السلام فبكى وقال: لولا أني سمعت أبي يحدث عن جدي النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من طلق امرأته ثلاثا لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره لراجعتها،وقد جاء في متعة المدخول بها ما)).

بيد أن مذهب الشيعة الأمامية يرى الطلاق مرة واحدة.

قبل مناقشة سند هذه الرواية، لا بد من الالتفات إلى متن الرواية نجد فيها أن الإمام الحسن عليه السلام كان متزوجا من امرأة من أشد أعداء أبيه عليه السلام، بل إنها معلنة عن ذلك؛ لأن الإمام الحسن عليه السلام قال لها (أظهرت الشماتة)، فضلا عن ذلك لماذا ندم على طلاقها؟ وأراد استرجعها، وهي عدوة أبيه، هل أخذته نزوته الجنسية- حشاه- حتى يتخلى عن أعداء أبيه، ويجتمع بها تحت سقف واحد وفراش واحد؟ فهل يفعل هذا عاقلا مثلا؟ فكيف بالإمام الحسن عليه السلام الذي عرف بشجاعته، وشهامته، وصلابته.

فضلا عن ذلك ما الملكية المالية التي يمتلكها عليه السلام، بحيث في كل طلاق يعطي لكل واحد منهن من المال (١٠) ألف درهم أو (٢٠) ألف درهم، فهل كانت تلك الأموال ورثها عن أبيه عليه السلام؟ كل فلا يعقل؛ كونه عرفا بزهده حتى كان يقول يا صفراء ويا بيضاء غري غيري فذكر قوام السنة [١٢٧] ((....فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال، وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري، حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين)).

بيان حال الرواة

١-ابو عبد الله الطيالسي

وصف بشتى الاوصاف الدالة على ضعفه، كونه كذاباً وضاعاً، دجالا فذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء[١٢٨]، وانه كان دجال وضاعا فقال ابن الجوزي [١٢٩] ((محمد بن إبراهيم بن زياد أبو عبد الله الطيالسي الرازي ... دجال يضع الأحاديث وقال مرة متروك ... بئس الرجل))، ويرى الذهبي [١٣٠] انه ((.... متروك الحديث)).

٢-محمد بن حميد

اسمه محمد بن حميد بن حيان أبو عبد الله الرازي قدم بغداد، وحدث بها مات في سنة ثمان وأربعين ومائتين[١٣١]، فقد ضعف علماء الجرح والتعديل فقال البخاري [١٣٢] ((محمد بن حميد أبو عبد الله الرازي سمع يعقوب القمي وجريرا، فيه نظر .... لماذا تكلم؟ فيه فقال كأنه أكثر على نفسه))، وانه حدث كثيرا فتركوه رواياته فقال العقيلي[١٣٣] ((....حديثا كثيرا، ثم تركا الرواية)).

٣-سلمة بن الفضل

اسمه سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري ، مولاهم، أبو عبد الله الأزرق الرازي قاضي الري ، مات بعد التسعين ومئة [١٣٤]. فقد ضعفه البخاري [١٣٥] ((سلمة بن الفضل بن الأبرش قاضي الري سمع محمد بن إسحاق روى عنه ... محمد بن حميد ولكن عنده مناكير وفيه نظر))؛ وقد ضعفه العقيلي [١٣٦]، وقال الذهبي [١٣٧] ((... عنده مناكير ...)) . ونستشف مما تقدم ان الرواية التي اخرجها البيهقي هي ضعيفة ، لضعف رجال اسنادها .

الرواية السابعة للغزالي

زعم أن الامام الحسن عليه السلام اشتهر ، وعرف بأنه أفنى حياته ، وقضى عمره في الزواج والطلاق حتى اخذ يطرق الأبواب من أصحابه للزواج من بناتهن فيعترضون ، ويمتعضون من ذلك ، خشيةً من طلاقهن التي انفرد بها ((الغزالي)) [١٣٨] الذي ذكرها لم يذكرها المتقدمون والمتأخرون عنه فقال ما نصه ((كان الحسن بن علي عليهما السلام مطلاقا ومنكاحا ، ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداهما فنكست رأسها وتنكست وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة إذ قالت لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشرا ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وآله مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام [١٣٩] فدخل عليه الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكنت أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز علي منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها وأنت مطلاق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره

أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي ».

فهل هذه سيرة حفيد لرسول الله صلى الله عليه وآله أم شخصا عديم الإحساس والإنسانية- حشاه- حتى أخذت تفشو قلوب الناس بطلاق بناتهن، متى شاء، وكيف يشاء، فدخل الرعب في قلوبهم، لما اشتهر به!!! فضلا عن ذلك لماذا لم يذكرها إلا الغزالي، ولم يذكرها المتقدمون فضلا عن المتأخرين وخاصة من ترجمة للإمام الحسن عليه السلام جاء بتلك الروايات المزعومة.

ومما تقديم تبين أن الروايات التي إشارة إلى أن الإمام الحسن عليه السلام مزواج وطلاق وغيرها، فهي روايات ما بين سلسلة رواتها ضعفاء، أو راية الانفراد، أو لا الراوية منقطعة، وهذه كلها تخل في الرواية، ولا يمكن الأخذ بتلك الروايات، مهما أخرجها العلماء.

رابعا : ما نسب من الأقوال للإمام علي عليه السلام

أوردت بعض الكتب في ثناياها روايات، وأباطيل، موضوعة، ونسبت ذلك إلى الأمام علي عليه السلام قالها في حق ابنه الإمام الحسن عليهما السلام، وهذه الروايات هدفها النيل من شخصية الإمام الحسن عليه السلام، سأقوم بإخراج تلك الروايات من بطون المصادر ومناقشتها رجاليا.

١- يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن

ان المزاعم الاخرى من المؤرخين استمرت بإلقاء التهم التي وجهت الى الامام الحسن عليه السلام واحدة تلوا الاخرى دون نقدها ، ومعرفة رواتها ، بل نقلها على علاتها ومنها ما أخرجها ابن سعد (١٤٠) فقال «قال: أخبرنا محمد بن عمر. قال: حدثني حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد. عن أبيه. قال: قال علي: يا أهل الكوفة: لا تزوجوا الحسن بن علي فإنه رجل مطلاق فقال رجل من همدان والله لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق » .

فهل يعقل من الامام علي عليه السلام لا يستطيع السيطرة على اسرته ، إذ انه لم يتمكن على ابنه؟ وهذا يعني لا عادلة للإمام الحسن عليه السلام ــ حشاه ــ كونه اخذ يدمر الحياة الاجتماعية بفعاله هذه !!!! .

بيان حال الرواة

محمد بن عمر هو الواقدي فقد تم بيان حاله في مصنفات علماء الجرح والتعديل في الرواية الاولى ، إذ انه كان ضعيفا لا يعتمد عليه في الرواية .

٢-رجل مطلاق ليس تحظين عنده

ومن آفات الاخبار الاخرى التي زعمت ان الامام علي عليه السلام كان ينهى الناس من تزوج ابنه الامام الحسن عليه السلام وينعته بأنـّه رجلٌ مطلاق ، وليس تحظين عنده فيقول الخبر الذي انفرد به ابن عساكر [١٤١] ما نصه قالا ((أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم وغيرهما عن أبي الحسن بن نظيف المقرئ أنا أبو الفتح إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سيبخت البغدادي نا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس الصولي حدثني عون عن أبيه عن الهيثم نا ابن عياش عن أبيه قال خطب الحسن والحسين عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام إلى المسيب بن نجبه ابنته الحسان ، فقال لهم إن لي فيها أميرا لن اعدو أمره فأتى علي بن أبي طالب فأخبره خبرهم، واستشاره فقال له علي اما الحسن فإنه رجل مطلاق وليس تحظين عنده ، وأما الحسين فإنما هي حاجة الرجل إلى أهله وأما عبد الله بن جعفر فقد رضيته لك فزوجه المسيب ابنته)) .

من خلال الاطلاع على متن هذا الخبر يرد فيه ان الامامين الحسن والحسين عليهما السلام يفعلان ما يُشان، وبدون اذن ابيهما، إذ إنهما توجها الى (ابن نجيبه) دون علمه عليه السلام للخطبة لأنفسهم، والإمام علي عليه السلام لا يعلم فآيته الخبر من (ابن نجيبه) فيستشره على أولاده!!! عن أي خلق يتحدثون ، عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقرة عيناه ، وسيد شباب اهل الجنة .

بيان حال الرواة

ابراهيم بن علي

اسمه إبراهيم بن علي بن الحسين بن سيبخت أبو الفتح سكن مصر وفي بمصر في جمادى الآخرة من سنة أربع وتسعين وثلاث مائة [١٤٢]، كان العلماء لا يأخذون بقوله ؛ لأنه كان ضعيفا فقال الخطيب البغدادي[١٤٣] ((... كان ضعيفا سيئ الحال في الرواية)).

٣-خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل

وفي الرواية الاخرى التي اخرجها ابن سعد(١٤٤) عن شيخه الواقدي الذي ضعفه علماء الجرح والتعديل مفادها ان الامام علي عليه السلام كان يخشى من عداوة القبائل ؛ لأنَّ ولده لا يستطيع السيطرة عليه ، الذي اخذ يتزوج ويطلق ، ويفعل ما يشاء بنساء العرب ــ كما زعم ــ فقال ((قال: أخبرنا محمد بن عمر. قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل. عن جعفر بن محمد. عن أبيه. قال: قال علي: ما زال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل)). فهذه الراوية ضعيفة لضعف محمد بن عمر الواقدي، وقد بينا اسباب ضعفه في الرواية الاولى .

٤-كثير نكاح النساء

اخرج ابن سعد (١٤٥) كذلك هذه الرواية التي افادة بان الامام الحسن عليه السلام رجلٌ كثير النكاح ، وكانت النساء لا يحبنه الا القليل منهم فقال ((قال: أخبرنا محمد بن عمر. قال: حدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسن كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء وكن قل ما يحظين عنده. وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبته وصبت به....)) فضلا عن ذلك ان محقق الكتاب ضعف هذه الرواية بقوله ((إسناده مرسل ضعيف.)) (١٤٦) .

بيان حال الرواة

وهذه الرواية التي اخرجها ابن سعد عن شيخيه الواقدي الذي ضعفه علماء الجرح والتعديل، فضلا عن ذلك انه لم يذكر عمن نقلها لان الحقبة الزمنية بينه وبين الامام الحسين عليه السلام قرابة (١٥٠) سنة ، فتعد هذه الرواية مقطوعة . فضلا عن ذلك قال محقق الكتاب ((إسناده مرسل ضعيف))(١٤٧).

٤ - احصن سبعين امرأة

ومن الروايات التي ذكرها المؤرخون في مصنفاتهم ان الامام الحسن عليه السلام احصن سبعين امرأة، وفي حقيقة الامر ان هذه الرواية لا تمت الى الحقيقة بشيء ؛ والسبب في ذلك لضعف رواتها فقال ابن سعد (١٤٨) ((قال علي بن محمد: وقال قوم: التي شدت خمارها برجله هند بنت سهيل ابن عمرو. وكان الحسن أحصن تسعين امرأة)) . ان ابن سعد نفسه قال (وقال قوم) ، وهذا يعني انه لم يكن جازماً فيما اخرجه حتى دفعه الامر الى استعمال هذه اللفظة ، ولو كان

جازما لما ذكر ذلك فضلا عن ذلك ان الرواية اخرجها عن (علي بن محمد) وهو (المدائني) وقد بينا موقف علماء الجرح والتعديل منه في الرواية الثانية ، اضف الى ذلك ان محقق كتاب ابن سعد ضعفه فقال: ((منسوبا إلى المدائني))(١٤٩).

فيذهب إلى أنه عليه السلام تزوج تسعين امرأة وتبنى هذا الرأي كل من الشبلنجي والسيوطي فذكروا . وأحصن تسعين امرأة.

الاستنتاجات

١- زعم ان الامام علي عليه السلام اطلق اسم (حربا) على مولده وقرة عينه الابن الأكبر، إلاّ أن ان الرسول صلى الله عليه وآله عندما سمع بذلك رفض وأطلق عليه اسم (الحسن)، إذ إن المورخين عللوا اسباب تلك التسمية ان الامام علي عليه السلام يحب الحرب، فعند التدقيق، والفحص عن رواة هذه الرواية تبين ضعف رواة إسناد تلك الراوية أمثال (هاني بن هاني) الذي ذكره الذهبي بأنه (مجهول)، ويرى ابن حجرانه لا يعرفه احد من العلماء. وكذلك ضعف (يحيى بن عيسى الرملي) الراوي الآخر الذي ذكر اسمه في الاسناد نفسه، وكما ضعف (الاعمش) الوراد اسمه بالاسناد نفسهِ.

٢- اشتهر بين بعض المؤرخين ان الامام الحسن عليه السلام عندما استشهد، وجهز جثمانه الطاهرة صلى عليه والي المدينة سعيد بن العاص، فوقع في إسناد هذه الرواية (سفيان الثوري) الذي وصفه علماء الجرح والتعديل بالكذاب. وأن الراوي الوحيد لهذه الرواية هو (سالم بن ابي حفص) الذي ضعفه علماء اهل السنة والشيعة كذلك الذي قال طوافه (لبيك اللهم لبيك مهلك بني امية لبيك) مادحا اياه بنو العباس، فكان يقلب الاخبار، كما يرى السيد الخوئي أنه محّرَفاً.

٣- ذهب بعض المؤرخين الى القول ان الامام الحسن عليه السلام مَثَّلَ بجثمان (عبد الرحمن بن ملجم) كون الاخير قام بقتل ابيه، ولكن هناك تناقض كبير بين المؤرخين أنفسهم فمنهم من يرى ان الامام الحسن عليه السلام قام بتلك الفعلة الشنيعة، ومنهم من يرى الامام الحسن عليه السلام نهى عن تلك الجريمة، ومنهم يرى (عبد الله بن جعفر) قام بذلك، وفي الحقيقة تبين لا صحة لتلك

الروايات، فالرأي الذي ذهب للقول بأنّ الإمام الحسن عليه السلام هو من قام بتلك الجريمة هو الصنعاني اعتمد على رواية فيها (ابن جريج) الذي وصفه ابن حبان بالتدليس، وكما ورد في الاسناد نفسه (عبد الكريم بن ابي المخارق) الذي ضعفه كل من (ابن معين، وابن عدي، وابن ابي حاتم، وابن منده، والخليلي، وابن الجوزي).

واما الذي أورد التناقض الآخر ما ذكره ابو الفداء ان الفعل قام به (عبد الله بن جعفر) التي اخرجها ابن سعد بشكل تفصيليٍّ عن شيوخه فهي رواية ضعيفة كذلك.

إذ ورد في الإسناد كل من (أسباط بن محمد) شيخه الذي ضعفه هو نفسه، الراوي الضعيف الآخر هو (طريف بن مطرف) الذي وصفه ابن شاهين بأنه ليس ثبت.

٤- أما القضية أكثر شيوع التي لفقها الرواة الضعفاء والمجاهيل أن الإمام الحسن عليه السلام كثير الزواج والطلاق، فعند التفحص والتدقيق والتقدير العلمي تبين ضعف كل تلك الروايات، فلا توجد رواية واحدة صحيحة أو تبلغ مقام الحسنة، إنما جاءت للتقسيط والتشهير لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥- كما وردت روايات لفقها الرواة وأخرجها المؤرخون مفادها أن الإمام علي عليه السلام كان ينعت ولده بكثير الطلاق فلا تزوجه في رواية ضعيفة أخرجها الواقدي الذي ضعفه علماء الجرح والتعديل.

وإنه رجلٌ مُطلقٌ ليس تحظين عنده رواية أخرجها أبن سعد عن (إبراهيم بن علي) الذي ضعفه الخطيب البغدادي).

وأما القول الآخر الذي نسب للإمام علي عليه السلام خشيتُ أن تورثنا عدواة في القبائل. أخرجها (ابن سعد) عن شيخه (الواقدي) الذي ضعفه علماء الجرح والتعديل. هكذا فإن الروايات التي ذكرها المؤرخون وغيرهم لم تكن ترد لا في الصحيحين (البخاري ومسلم) إنما أوردها البقية الباقية من المؤرخين، ولو كانت صحيحة كان من باب أولى أن يخرجها (البخاري ومسلم) في صحيحهما.

الهوامش

١-أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون إشراف: عبد الله عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة(د. م- ٢٠٠١) ج٢، ص١٥٩؛ابن الاعرابي ، أحمد بن محمد بن زياد (ت ٣٤٠هـ) معجم ابن الاعرابي ، تحقيق وتخريج: عبد المحسن إبراهيم أحمد الحسيني ، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – ١٩٩٧) ج٢، ص ٦٧١ ؛ الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ)المعجم الكبير ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، ط٢ (القاهرة، د. ت) ج٣، ص٩٦.

٢-البخاري، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) الأدب المفرد ،تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية ، ط٣(بيروت – ١٩٨٩) ص٢٨٤ ؛الطبراني، المعجم الكبير ، ج٢٢، ص٣٨٠؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)الآداب ، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه ، مؤسسة الكتب الثقافية(بيروت – ١٩٨٨) ص١٥٧ .

٣-المغني في الضعفاء ، تح: نور الدين عتر (د . م – د. ت) ج٢ ، ص ٧٠٧.

٤-أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ)تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية(الهند – ١٣٢٦هـ) ج١١، ص٢٣ .

٥- ينظر : البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٢٨٦.

٦-الطبقات الكبرى الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة ، ج١،ص ٢٣٩ ؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) تاريخ دمشق ، تح : عمرو غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(د. ت – ١٩٩٥) ج١٣، ص ١٧١ ؛الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) تاريخ الاسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، تح : بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي (د. ت٢٠٠٣) ج٢ ، ص٦٢٧.

٧-محمد بن عمرو بن موسى (ت ٣٢٢هـ) االضعفاء الكبير، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية (بيروت-١٩٨٤) ج٤ ، ص ٤٢١ ؛ ابن عدي ، عبد الله بن عدي بن عبد الله (ت ٣٦٥هـ)الكامل في ضعفاء الرجال ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة ، الكتب العلمية (بيروت-١٩٩٧) ج٩ ،ص ٦٠ ؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تح : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر(بيروت – ١٩٦٣) ج٤ ، ص ٤٠١ .

٨-أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ)الضعفاء والمتروكون ، تح : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي (حلب-١٣٩٦هـ) ص١٠٨.

٩-عمر بن أحمد بن عثمان (ت ٣٨٥هـ) تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين، تح : عبد الرحيم محمد أحمد القشقري (د . م-١٩٨٩) ص ١٩٤ .

١٠-محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، تح: محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي (حلب -١٣٩٦هـ) ج٣،ص ١٢٦.

١١- مشاهير الاعلام، ص ١٧٩ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تح : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٣(د . م -١٩٨٥) ، ج٦، ص٢٢٧؛ سبط ابن العجمي ، إبراهيم بن

محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي (ت ٨٤١هـ)التبيين لأسماء المدلسين ، تح : يحيى شفيق حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٨٦) ص ٣١ ؛ ابن حجر ، تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، تح: عاصم بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار (عمان - ١٩٨٣) ص٣٣.

١٢- تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ .

١٣-علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ) مقاتل الطالبيين ، وتح : السيد أحمد صقر، دار المعرفة، (بيروت- د-ت) ص ٨٣ .

١٤-العلل ومعرفة الرجال ، تح : وصي الله بن محمد عباس ، دار الخاني ،ط٢(الرياض - ٢٠١) ج١ ،ص٥٥٠ .

١٥-تاريخ الاسلام ، ج٤،ص ٣٨٢ ، سير اعلام النبلاء ،ج٧، ص ٢٥٦.

١٦-تهذيب التهذيب ، ج٤ ، ص ١١٥ .

١٧-ابن قليج بن عبد الله (ت ٧٦٢هـ) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح : عادل محمد ،و أسامة إبراهيم ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر (د. ت - ٢٠٠١) ج٥ ،ص ٤٠٦ ؛ ابن حجر ،تهذيب التهذيب، ج٤، ص ١١٥ .

١٨-هو عبد الله بن المبارك» ،ويكنى أبا عبد الرحمن ، ولد سنة ثماني عشرة ومائة، وطلب العلم فروى رواية كثيرة ،وصنف كتبا كثيرة في أبواب العلم، وصنوفه حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم، كان ثقة مأمونا إماما حجة كثير الحديث ، ومات بهيت منصرفا من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة.... ينظر: ابن سعد ، محمد بن منبع (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، وتح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٠) ج٧ ، ص٢٦٣ .

١٩-سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٢٥٣.

٢٠-الطبقات الكبرى، ج٦ ، ص ٣٢٦-٣٢٧.

٢١-أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ)الضعفاء والمتروكون ، تح : محمود إبراهيم زايد، دار الوعي (حلب - ١٣٩٦هـ) ص٤٦ .

٢٢- محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ)المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تح: محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي(حلب - ١٣٩٦هـ) ج١،ص٣٤٣.

٢٣-ابن المطهر الحلي ، الحسن بن يوسف(ت٧٢٦هـ) خلاصة الاقوال في معرفة الرجال، تح : جواد القيومي ، ط٤(قم المقدسة -١٤٣١هـ) ص ٣٥٥.

٢٤-ابو القاسم بن علي أكبر بن هاشم معجم رجال الحديث ، وتفصيل طبقات الرجال ، مطبعة الاداب (النجف الاشرف ١٩٧٤)، ص١٨ .

٢٥-جعفر محمد بن الحسن (ت٢٩٠هـ) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ، تح : ميرزا محسن،منشورات الأعلمي (طهران-د. ت)، ص ٥٣٠.

٢٦-سير اعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٣٤٤ .

٢٧-عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦هـ)شرح نهج البلاغة، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء

الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه (د . م ــ د . ت) ج٥ ، ص٩٦؛الدميري، محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ) حياة الحيوان الكبرى ، دار الكتب العلمية، ط٢ (بيروت -١٤٢٤هـ) ج١، ص٨٨ .
٢٨-محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ) بدائع الفوائد، تح: هشام عبد العزيز عطا ، واخرون ، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة -١٩٩٦) ج٣، ص٦٥٥ .
٢٩-سورة الإسراء ، آية :٣٣.
٣٠-سورة النحل ، آية: ١٢٦ .
٣١-أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، عنيت بنشره: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة ، عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية (د. م -١٣٥٦ هـ) ص١١٦؛الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر (بيروت - د. ت) ج٢ ،ص٢٨٢.
٣٢-الطبقات الكبرى، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٠) ج٣ ، ص ٢٥ .
٣٣-عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت ٢١١هـ)المصنف، تح : حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، ط٢ (بيروت - ١٤٠٣ه) ج١٠، ص ١٥٤ .
٣٤-أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧هـ) الآحاد والمثاني ، تح : باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية (الرياض-١٩٩١) ج١، ص ١٤٠ .
٣٥-مشاهير علماء الامصار، ص ٢٣٠ ؛
٣٦-هو أمية بن خالد بن أسيد بن خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد القرشي كان يسكن محلة الراهب خارج باب الجابية وامرأته عثامة ابنة عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن امية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .... للمزيد ينظر :ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج٩، ص ٢٥٤- ٢٥٥ .
٣٧-ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق ، تح : محمد شكور ، مكتبة المنار(الزرقاء - ١٩٨٦) ص ١٢٥ .
٣٨- أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦ه) المدلسين، تح : رفعت فوزي عبد المطلب،، و نافذ حسين حماد ، دار الوفاء (د . م - ١٩٩٥)ص ٦٩ .
٣٩-تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، تح : عاصم عبد الله القريوتي، مكتبة المنار (عمان -١٩٨٣) ص ٤١ .
٤٠- ابن ابي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ)الجرح والتعديل ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، دار إحياء التراث العربي (بيروت -١٩٥٢) ج٦، ص ٥٩.
٤١- ابن حبان،المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج٢، ص١٤٤ .
٤٢-يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣هـ) تاريخ ابن معين (رواية عثمان الدارمي)، تح : أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث (دمشق - د . ت) ص ١٨٦.
٤٣-إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق (ت ٢٥٩هـ) أحوال الرجال ، تح : عبد العليم عبد العظيم البَستوي، دار النشر حديث اكادمي - فيصل آباد (باكستان- د . ت) ص ١٦١ .

٤٤-الجرح والتعديل ، ج٦ ،ص٦٠ ؛الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية (بيروت-١٩٩٨)ج١ ، ص ١٠٦ .

٤٥-ابن حبان،المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج٢، ص١٤٤ .

٤٦-محمد بن إسحاق بن محمد (ت ٣٩٥هـ) فتح الباب في الكنى والألقاب ، تح : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر (الرياض - ١٩٩٦) ، ص٧٢.

٤٧- خليل بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٤٦هـ) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، تح : محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد (الرياض- ١٤٠٩هـ)،ج١، ص٢١٤ .

٤٨-عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)الضعفاء والمتروكون ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت -١٤٠٦ هـ)، ج٢ ،ص١١٤ ؛الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تح : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر(بيروت - ١٩٦٣) ج٢، ص ٦٤٦ .

٤٩- هو الفضل بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر، يكنى أبا عبد الله ويقال يكنى أبا محمد، واستشهد بالشام يوم أجنادين في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، ويقال: استشهد يوم مرج الصفر في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة. ينظر : ابن خياط ، بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة (ت ٢٤٠هـ) طبقات خليفة، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري (ت ق٣ هـ) ، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي (تق٣ هـ)، تح : د سهيل زكار ، دار الفكر(د. م - ١٩٩٣) ص٥٤٧ .

٥٠- المصنف ، ج١٠ ، ص١٥٤ .

٥١-الآحاد والمثاني ، ج١، ص ١٤٠ .

٥٢-الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ج٣ ، ص٢٣٨ .

٥٣-معجم الشيوخ الكبير للذهبي ، تح : محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق، الطائف (المملكة العربية السعودية - ١٩٨٨) ج١، ص ١٦٢.

٥٤- هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ويكنى أبا جعفر، وأمه أسماء بنت عميس بن معد ، فولد جعفر الأكبر وبه كان يكنى ، مات سنة ثمانين ، وهو عام الجحاف سيل كان ببطن مكة جحف الحاج وذهب بالإبل وعليها الحمولة، وهو ابن تسعين سنة .... للمزيد ينظر : ابن سعد ، الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة ، ج٢، ص ٥-٢٥ .

٥٥-إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ) المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية (د. م - د. ت)، ج١، ص١٨٠ .

٥٦-عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ)تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٦)، ج١ ، ص١٥٥ .

٥٧-الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨ -٢٩ ؛ الدينوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) الأخبار الطوال ، تح: عبد المنعم عامر ، مراجعة: جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه

(القاهرة–١٩٦٠) ص٢١٥؛ابن حبان ، الثقات ، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (الهند –١٩٧٣) ج٢ ، ص ٣٠٢– ٣٠٣؛ ابن الاثير ، علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ) أسد الغابة ، دار الفكر(بيروت – ١٩٨٩) ج٣ ،ص ٦١٧ .

٥٨–بورية، بورياء، بارية ، حصير منسوج من قصب . ينظر : دوزي ، رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي ، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية (العراق– ٢٠٠٠) ج٨، ص ٣٢٩ .

٥٩– سورة العلق ، اية :١–٢ .

٦٠–الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٣٦٤ .

٦١–عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ)معرفة أنواع علوم الحديث ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تح : نور الدين عتر ،دار الفكر المعاصر (بيروت – ١٩٨٦) ص ١٢ .

٦٢–االضعفاء الكبير، ج١، ص ١١٩.

٦٣– ابن حبان ،مشاهير علماء الامصار ، ص ٢٦٤ .

٦٤–تاريخ أسماء الثقات ، ص ٢٢٥ .

٦٥– ابن شاهين ، ناسخ الحديث ومنسوخه ، تح : سمير بن أمين الزهيري ، مكتبة المنار (الزرقاء – ١٩٨٨) ص ٣٠٥ .

٦٦– ابن سعد ،الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣١٢.

٦٧– المدلسين ، ص٧٧ ؛ سبط ابن العجمي ، التبيين لأسماء المدلسين، ص٤٤.

٦٨–تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، تح : عاصم عبد الله القريوتي، مكتبة المنار (عمان ١٩٨٣) ص ٤٢.

٦٩– المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، تح : مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية ، تنسيق: سعد ناصر عبد العزيز الشَّثري، دار العاصمة ، ودار الغيث (د. م – ٢٠٠٠) ، ج١٢ ، ص٥٦٥.

٧٠– ترجمة له بقوله ((أبو حية الوادعي عمرو بن عبد الله الأصم الهمداني الكوفي يروي عن بن مسعود روى عنه أبو إسحاق السبيعي وأهل الكوفة)) ينظر :ابن حبان، الثقات ، ج٥، ص ١٨٠.

٧١–علي محمد ، امير المؤمنين الحين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) شخصيته وعصره ، دار التوزيع والنشر الاسلامية (القاهرة –٢٠٠٤) ، ج١٨٥–١٨٦ .

٧٢– سورة العلق ، اية: ١ .

٧٣– محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم أحداث الأسنان ، تح : محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق (الطائف – ١٩٩٣) ج١ ،ص ٣٠٠– ٣٠١ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ،ج١٣ ، ص ٢٤٩ ؛ المزي ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت ٧٤٢هـ) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح : بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة (بيروت– ١٩٨٠) ج٦ ،

ص ٢٣٧ .

٧٤- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٢ ، ص ٤٧٨؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢، ص١٩٩ ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج٢، ص٣٦١ ؛ الصالحي ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية(بيروت- ١٩٩٣) ج١١ ، ص٢٨٨ .

٧٥-االضعفاء الكبير ، ج٤ ، ص ١٠٧-١٠٨؛ابن عدي ، الكامل في ضعفاء الرجال ، ج٦، ص ٢٤١ .

٧٦-الضعفاء والمتروكون ، ج٣ ، ص ٨٧ .

٧٧- محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) المغني في الضعفاء، تح : نور الدين عتر (د. م- د. ت) ج٢ ، ص ٦١٩ .

٧٨-مشاهير علماء الامصار وأعلام فقهاء الأقطار، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة (د. م - ١٩٩١) ص٢٢٣.

٧٩- ابن سعد ،الطبقات الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٩٩٠) ج٥ ، ص ٣٨٦- ٣٨٧ .

٨٠- ابن حبان،مشاهير علماء الامصار ، ص ٢٠٥.

٨١-السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، دار الكتب العلمة، بيروت - ١٩٩٣) ج٢، ص ٣١ .

٨٢- المزي، تهذيب الكمال ، ج١٤ ، ص ٤١٧.

٨٣- ينظر : ابن سعد ،الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان ، ج١ ، ص ٣٠٠ .

٨٤-التحفة اللطيفة ، ج٢، ص ٣٠.

٨٥-الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٠٧-٣٠٨ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٣،ص ٢٤٨؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح : روحية النحاس واخرون ، دار الفكر (دمشق- ١٩٨٤) ج٧ ، ص ٢٧ ؛المزي، تهذيب الكمال ، ج٦،ص ٢٣٦ .

٨٦-كل بيت مربع مسطح ... للمزيد : ينظر :ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ) الكنز اللغوي في اللَسَن العربي ، تح : أوغست هفنر ، مكتبة المتنبي (القاهرة - د. ت) ص٤٩.

٨٧-الوسن ثقلة النوم...للمزيد : ينظر:الفراهيدي،الخليل بن أحمد بن عمرو(ت ١٧٥هـ)كتاب العين ، تح : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال (د. م - د. ت) ج٧، ص ٣٠٣ .

٨٨-الصغيرة من أولاد الغنم، يقال للذكر والأنثى... للمزيد ينظر :الحميري ، نشؤان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تح : حسين عبد الله العمري واخرون ، دار الفكر المعاصر (بيروت - ١٩٩٩) ج٥، ص ٣٠١٣ .

٨٩-ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ، ج٦ ، ص٣٦٤ .
٩٠- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت - ١٩٩٣) ج٤،ص ١٨٥٢ .
٩١- الكامل في ضعفاء الرجال ، ج٦ ، ص٣٦٤ ؛ ابن الجوزي ،الضعفاء والمتروكون ، ج٢، ص ١٩٩ ؛الذهبي، ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين ، تح : حماد بن محمد الأنصاري ، مكتبة النهضة الحديثة ، ط٢ (مكة- ١٩٦٧) ص ٢٨٥ .
٩٢- ابن سعد ، الطبقات ، الكبرى ، ج٥، ص٤٨٣ .
٩٣-الطبقات ، الكبرى ، ج٥، ص٤٨٣ ؛ ابن زريق ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٣هـ) مَنْ تَكلَّم فيه الدَّارقطني في كتاب السنن من الضعفاء والمتروكين والمجهولين ، تح : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر (د . م - د . ت) ج٣، ص ١٤٣ .
٩٤- يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣هـ) سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين، تح : أحمد محمد نور سيف ، مكتبة الدار (المدينة المنورة-١٩٨٨) ص٤٦٤ ؛ ابن الجوزي ،الضعفاء والمتروكون، ج٣ ، ص ٢١١.
٩٥- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) كتاب الضعفاء ، تح : أحمد إبراهيم ، مكتبة ابن عباس (د. م- ٢٠٠٥) ص ١٤١ ؛ أبو نعيم الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ) الضعفاء ، تح : فاروق حمادة ، دار الثقافة (د . م - ١٩٨٤) ص١٦٠.
٩٦- أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ)الضعفاء والمتروكون ، تح : محمود إبراهيم زايد، دار الوعي (حلب- ١٣٩٦هـ) ص ١١٠ ؛الذهبي، المغني في الضعفاء ، ج٢، ص 752.
٩٧- الضعفاء الكبير، ج٤، ص ٣٨٧ .
٩٨- الجرح والتعديل ، ج٩ ، ص ٢٨٣ ؛ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨،ص ٢٧٣ ؛المزي ، تهذيب الكمال، ج٣٢ ، ص ٢٢٣ ؛ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن(د . م - ٢٠١١) ج٢ ، ص ٣٦٤ .
٩٩- ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل ، ج٥،ص٩٩-١٠٠ ؛ ابن وكيع ، محمد بن خلف بن حيان(ت٣٠٦هـ) أخبار القضاة ، صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد(الرياض- ١٩٤٧م)ج١،ص ٢٦٠- ٢٦١ .
١٠٠- الذهبي،سير اعلام النبلاء، تح : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣(د .م - ١٩٨٥) ج٥، ص ٨٨ .
١٠١- هي هند بنت سهل بن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم من أهل راتج. أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ .... للمزيد ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ج٨، ص ٢٤٧.
١٠٢-عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي وأمه جويرية بنت أبي جهل .... فولدت له عبد الرحمن. وكان مع عائشة يوم الجمل، فكان يصلي بهم إماما، وقتل يوم

الجمل بالبصرة ... للمزيد ينظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٤)ج٣، ص ٤٦٧.

١٠٣-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم أحداث الأسنان، ج١، ص ٣٠٣-٣٠٤.

١٠٤- اسمه عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس القرشي، توفى النبي صلى الله عليه وآله وله ثلاث عشرة سنة، وتوفي سنة ستين حنكه النبي صلى الله عليه وآله وهو ابن ثلاث سنين وهو الذي فتح نيسابور. ينظر : ابو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة ، تح : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن (الرياض - ١٩٩٨) ج٣ ، ص ١٧٣٢ .

١٠٥-الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد ، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي (بيروت - ٢٠٠٢) ج١٠، ص ٣٠٨.

١٠٦- االضعفاء الكبير، ج٢،ص ١٧٧ .

١٠٧- الضعفاء والمتركون ، ص ٤٦ ؛ابن الجوزي ،الضعفاء والمتروكون ، ج٢،ص ١٢ .

١٠٨- المغني في الضعفاء ج١، ص ٢٧٦.

١٠٩-الكامل في ضعفاء الرجال ، ج٤ ، ص٣٤٠ ؛الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص ٣٠٨.

١١٠- اسمه شعبة بن الحجاج بن ورد من الأزد ، مولى للأشاقر عتاقة، ويكنى أبا بسطام ، وتوفي شعبة بالبصرة في أول سنة ستين ومائة. وهو ابن خمس وسبعين سنة.... للمزيد ينظر : ابن سعد ،الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٢٠٧.

١١١-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص٣٠٢- ٣٠٣.

١١٢-الكلاباذي،أحمد بن محمد بن الحسين (ت ٣٩٨هـ) الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، تح: عبد الله الليثي ، دار المعرفة (بيروت -١٤٠٧هـ) ج١ ،ص ٤٣٦ ؛المزي ، تهذيب الكمال ، ج١٤ ، ص ٣٥١ ؛ الذهبي،تاريخ الاسلام ، ج٣ ،ص ٦٧٦ .

١١٣-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٠٥؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٠، ص ٢٩١.

١١٤- اسمه المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، ولد في آخر خلافة عمر، وغزا القسطنطينية مع يزيد، ولما استخلف يزيد وفد عليه ، أن المنذر بن الزبير غاضب أخاه عبد الله، فسار إلى الكوفة، ثم قدم على معاوية، فأجازه بألف ألف درهم، وأقطعه، فمات معاوية قبل أن يقبض المنذر الجائزة، وأوصى معاوية أن يدخل المنذر في قبره. وقتل المنذر في نوبة الحصين، وله أربعون سنة. ... للمزيد ينظر : الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٢، ص٧٢٥ .

١١٥- الثقات، ج٤ ، ص١٩٤ .

١١٦-ابن منجويه ، أحمد بن علي بن محمد (ت ٤٢٨هـ) رجال صحيح مسلم ، تح : عبد الله الليثي ، دار

المعرفة (بيروت- ١٤٠٧هـ) ج٢ ، ص٤٢٢.
١١٧- تهذيب الكمال ، ج٣٥، ص١٥٣ .
١١٨-محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ)مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، تح : محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية (بيروت - ٢٠٠٦) ج٣ ،ص٤٨٨- ٤٨٩ .
١١٩- ابن حجر ،تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ٤١٠ .
١٢٠-مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ) نسب قريش ، تح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف، ط٣(القاهرة - د . ت) ص ٢٤٤ .
١٢١- علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ) جمهرة أنساب العرب ، تح : لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية (بيروت -١٩٨٣) ص ١٢٣ .
١٢٢- محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ) المحبر ، تح : إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة (بيروت - د. ت) ص ٤٤٨ .
١٢٣-معجم الأدباء ، ج٣ ، ص ١٣٤٢ .
١٢٤- هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، التميمي بالولاء، تيم قريش، البصري النحوي العلامة؛ قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف: كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها، وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره، وكان يخطئ إذا قرأ القرآن الكريم نظراً، وكان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتباً، وكان يرى رأي الخوارج... للمزيد ينظر : ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر (بيروت - ١٩٩٤) ج ٥ ، ص ٢٣٥ .
١٢٥-السنن الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت- ٢٠٠٣) ج٧ ، ص ٤١٩؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ج١٣ ، ص٢٥٠ ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٢٦٢ .
١٢٦- لم تذكر المصادر ترجمتها .
١٢٧-إسماعيل بن محمد بن الفضل (ت ٥٣٥هـ) سير السلف الصالحين، تح : كرم حلمي فرحات أحمد ، دار الراية (الرياض - د . ت) ص ٢٠٤؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١، ص ٢٢.
١٢٨- علي بن عمر بن أحمد (ت ٣٨٥هـ) الضعفاء الضعفاء والمتروكون ، تح : عبد الرحيم محمد القشقري ، الناشر : مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة -١٤٠٤هـ) ج٣، ص ١٣١ .
١٢٩-الضعفاء والمتروكون ج٣ ، ص٣٨ .
١٣٠- المغني في الضعفاء ، ج٢ ، ص ٥٤٦ ؛ ديوان الضعفاء والمتروكين ،ص ٣٤٠.
١٣١-الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ج٣، ص ٦٠.
١٣٢- التاريخ الكبير ، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد (الدكن- د .ت) ج١ ، ص ٦٩.
١٣٣- االضعفاء الكبير، ج٤، ص ٦١.

١٣٤- المزي ، تهذيب الكامل ، ج١١ ، ص ٣٠٥-٣٠٩ .
١٣٥- الضعفاء الصغير ، تح: محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي (حلب- ١٣٩٦ هـ) ص٥٥ .
١٣٦-الضعفاء والمتروكون ، ص ٤٧ ؛ ابن الجوزي ،الضعفاء والمتروكون ، ج٢، ص١١ .
١٣٧-المغني في الضعفاء ، ج١، ص ٢٧٥ .
١٣٨-محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) إحياء علوم الدين ، دار المعرفة (بيروت - د. ت) ج٢،ص٥٦.
١٣٩- اسمه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة. وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ويكنى عبد الرحمن أبا محمد. وكان ابن عشر سنين حين قبض النبي صلى الله عليه وآله ، ومات أبوه الحارث بن هشام في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة، فخلف عمر بن الخطاب على امرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وهي أم عبد الرحمن بن الحارث ، فكان عبد الرحمن في حجر عمر. وتوفى عبد الرحمن بن الحارث في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالمدينة. وكان قد شهد الجمل مع عائشة.... للمزيد ينظر : ابن سعد ،الطبقات الكبرى ،ج٥، ص٣-٣ .
١٤٠-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٠٢؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٣ ، ص ٢٤٩ ؛ سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤ هـ) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق وتعليق: محمد بركات واخرون ، دار الرسالة العالمية(دمشق- ٢٠١٣) ج٧، ص ١٣٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص ٢٣٦ ؛ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تح : نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية (القاهرة- د. ت) ج١، ص ٦٣ ؛ السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ)التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، الكتب العلمية (بيروت-١٩٩٣) ج١، ص ٢٨٢ .
١٤١- تاريخ دمشق ، ج٧ ، ص ٢٦٢.
١٤٢-الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج٧ ، ص ٥٤.
١٤٣-الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٧ ، ص ٥٤؛الذهبي، المغني في الضعفاء ،ج١، ص٢١ ؛تاريخ الاسلام، ج٨، ص ٧٣٧.
١٤٤-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٠١؛الذهبي ،سير اعلام النبلاء ، ج٣، ص ٢٦٢ .
١٤٥-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٣٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج١٣ ، ص ٢٨٣؛المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦، ص ٢٥٢ ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣ ، ص ٢٧٤ .
١٤٦- الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٠١.
١٤٧-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٣٥.
١٤٨-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٠٨؛

ابن كثير ، البداية والنهاية ، تح :علي شيري ، دار إحياء التراث العربي(د . م - ١٩٨٨) ج٨ ،ص ٤٢؛المزي، تذهيب تهذيب ، ج٢، ص٢٩٩.

١٤٩-الجزء المتمم لطبقات الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ. وهم أحداث الأسنان ، ج١، ص ٣٠٨، ينظر : هامش (١).

المصادر والمراجع

*اولا: المصادر

*ابن الاثير ، علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ) أسد الغابة ، دار الفكر (بيروت – ١٩٨٩)

*ـــــــ،أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٤)

*ابن الاعرابي ، أحمد بن محمد بن زياد (ت ٣٤٠هـ) معجم ابن الاعرابي ، تحقيق وتخريج: عبد المحسن إبراهيم أحمد الحسيني ، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – ١٩٩٧)

*ابن ابي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ)الجرح والتعديل ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، دار إحياء التراث العربي (بيروت –١٩٥٢)

*أبو نعيم الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ) الضعفاء ، تح : فاروق حمادة ، دار الثقافة (د. م – ١٩٨٤)

*ـــــــ،معرفة الصحابة ، تح : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن (الرياض – ١٩٩٨)

*الأصبهاني ، إسماعيل بن محمد بن الفضل (ت ٥٣٥هـ) سير السلف الصالحين، تح : كرم حلمي فرحات أحمد ، دار الراية (الرياض – د . ت)

* ابو الفرج الاصبهاني ، علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ) مقاتل الطالبيين ، وتح : السيد أحمد صقر، دار المعرفة، (بيروت – د – ت)

*البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) الأدب المفرد ،تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية ، ط٣(بيروت – ١٩٨٩)

*ـــــــ،التاريخ الكبير ، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد (الدكن – د.ت)

*ـــــــ،الضعفاء الصغير ، تح: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي (حلب- ١٣٩٦ هـ)

*البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) الآداب ، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه ، مؤسسة الكتب الثقافية(بيروت – ١٩٨٨)

*ـــــــ،السنن الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت- ٢٠٠٣)

*ابن تغري بردي ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تح : نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية (القاهرة- د . ت)

*الجوزجاني ، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق (ت ٢٥٩هـ) أحوال الرجال ، تح : عبد العليم عبد العظيم البَستوي، دار النشر حديث اكادمي – فيصل آباد (باكستان- د .ت)

*ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)الضعفاء والمتروكون ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت -١٤٠٦ هـ)

*سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤ هـ)مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق وتعليق: محمد بركات واخرون ، دار الرسالة العالمية(دمشق- ٢٠١٣)

*ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ) بدائع الفوائد ، تح: هشام عبد العزيز عطا، واخرون ، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – ١٩٩٦)

*ابن حبان ، الثقات ، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (الهند –١٩٧٣)

*ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ)

المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، تح: محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي (حلب -١٣٩٦هـ)
*ابن حبان،مشاهير علماء الامصار وأعلام فقهاء الأقطار، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع -المنصورة (د. م - ١٩٩١)
*ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ) المحبر ، تح : إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة (بيروت - د . ت)
*ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ) تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية(الهند - ١٣٢٦هـ)
*ـــــــــــــــ ، تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، تح : عاصم عبد الله القريوتي، مكتبة المنار (عمان - ١٩٨٣)
*، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، تح : مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية ، تنسيق: سعد ناصر عبد العزيز الشَّثري، دار العاصمة ، ودار الغيث (د. م - ٢٠٠٠)
*ابن ابي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦هـ)شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه (د . م ــ د . ت)
*ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ) جمهرة أنساب العرب ، تح : لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية (بيروت -١٩٨٣)
*الحميري ، نشؤان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تح : حسين عبد الله العمري واخرون ، دار الفكر المعاصر (بيروت - ١٩٩٩)
*ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) العلل ومعرفة الرجال ، تح : وصي الله بن محمد عباس ، دار الخاني ،ط٢(الرياض - ٢٠١)
*مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون إشراف: عبد الله عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة(د. م- ٢٠٠١)
*الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد ، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي (بيروت - ٢٠٠٢)
*ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر (بيروت - ١٩٩٤)
*الخليلي ، خليل بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٤٦هـ) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، تح : محمد سعيد عمر إدريس ، مكتبة الرشد (الرياض- ١٤٠٩هـ) .
*ابن خياط ، بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة (ت ٢٤٠هـ) طبقات خليفة ، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري (ت ق٣ هـ) ، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي (تق٣ هـ)، تح : د سهيل زكار ، دار الفكر(د. م - ١٩٩٣)
*الدارقطني ، علي بن عمر بن أحمد (ت ٣٨٥هـ) الضعفاء والمتروكون ، تح : عبد الرحيم محمد القشقري ، الناشر : مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة -١٤٠٤هـ)
*الدميري ، محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ) حياة الحيوان الكبرى ، دار الكتب العلمية، ط٢ (بيروت -١٤٢٤هـ)
*الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر (بيروت - د. ت)
*الدينوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) الأخبار الطوال ، تح : عبد المنعم عامر ، مراجعة: جمال

الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه (القاهرة-١٩٦٠)

*الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) تاريخ الاسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي (د. ت ٢٠٠٣)

*ــــــ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية (بيروت-١٩٩٨)

*ــــــ، ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين ، تح : حماد بن محمد الأنصاري ، مكتبة النهضة الحديثة ، ط٢ (مكة-١٩٦٧)

*ــــــ ، ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق ، تح: محمد شكور ، مكتبة المنار(الزرقاء - ١٩٨٦)

*ــــــ، سير اعلام النبلاء ، تح : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٣(د . م -١٩٨٥)

*ــــــ ، معجم الشيوخ الكبير للذهبي ، تح: محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق، الطائف (المملكة العربية السعودية - ١٩٨٨)

*ــــــ ، المغني في الضعفاء ، تح : نور الدين عتر (د . م - د. ت)

*ــــــ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تح : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت - ١٩٦٣)

*الزبيري ، مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ) نسب قريش ، تح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف، ط٣(القاهرة - د . ت)

*ابن زريق ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٣هـ) مَنْ تَكلَّم فيه الدَّارقطني في كتاب السنن من الضعفاء والمتروكين والمجهولين ، تح : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر (د . م - د . ت)

*سبط ابن العجمي ، إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي (ت ٨٤١هـ)التبيين لأسماء المدلسين ، تح : يحيى شفيق حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٨٦)

*السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ)التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، الكتب العلمية (بيروت-١٩٩٣)

*ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم أحداث الأسنان ، تح : محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق (الطائف - ١٩٩٣)

*ــــــ،الطبقات الكبرى ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٩٩٠)

*ابن السكيت ، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ) الكنز اللغوي في اللَسَن العربي ، تح: أوغست هفنر ، مكتبة المتنبي (القاهرة - د . ت)

*ابن شاهين ، عمر بن أحمد بن عثمان (ت ٣٨٥هـ) تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين ، تح : عبد الرحيم محمد أحمد القشقري (د . م-١٩٨٩) .

*ــــــ ، ناسخ الحديث ومنسوخه ، تح : سمير بن أمين الزهيري ، مكتبة المنار (الزرقاء - ١٩٨٨)

*الصالحي ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية(بيروت- ١٩٩٣)

*الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت

٢١١هـ)المصنف، تح : حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، ط٢ (بيروت – ١٤٠٣هـ)
*ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ) معرفة أنواع علوم الحديث ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تح : نور الدين عتر ،دار الفكر المعاصر (بيروت – ١٩٨٦)
*الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ) المعجم الكبير ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، ط٢ (القاهرة، د. ت)
*ابن أبي عاصم ، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧هـ)الآحاد والمثاني ، تح : باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية (الرياض – ١٩٩١)
*ابن عدي ، عبد الله بن عدي بن عبد الله (ت ٣٦٥هـ)الكامل في ضعفاء الرجال ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة ، الكتب العلمية (بيروت-.١٩٩٧)
*ابن العراقي ، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ) المدلسين، تح : رفعت فوزي عبد المطلب ، ونافذ حسين حماد ، دار الوفاء (د. م – ١٩٩٥) .
*ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) تاريخ دمشق ، تح : عمرو غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت – ١٩٩٥)
*العقيلي ، محمد بن عمرو بن موسى (ت ٣٢٢هـ) االضعفاء الكبير، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية (بيروت- ١٩٨٤)
*بدر الدين العيني ، محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ)مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، تح : محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية (بيروت – ٢٠٠٦)
*الغزالي ، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) إحياء علوم الدين ، دار المعرفة (بيروت –د. ت
*ابو الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ) المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية (د. م – د. ت)
*الفراهيدي ،الخليل بن أحمد بن عمرو(ت ١٧٥هـ) كتاب العين ، تح : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال (د. م – د . ت)
*الكلاباذي ،أحمد بن محمد بن الحسين (ت ٣٩٨هـ) الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، تح : عبد الله الليثي ، دار المعرفة (بيروت –١٤٧هـ)
*ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن(د . م – ٢٠١١)
*ابن معين ، يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣هـ) تاريخ ابن معين (رواية عثمان الدارمي)، تح : أحمد محمد نور سيف ، دار المأمون للتراث (دمشق – د . ت)
*ابن منجويه ، أحمد بن علي بن محمد (ت ٤٢٨هـ) رجال صحيح مسلم ، تح : عبد الله الليثي ، دار المعرفة (بيروت- ١٤٠٧هـ)
*ابن منده ، محمد بن إسحاق بن محمد (ت ٣٩٥هـ) فتح الباب في الكنى والألقاب ، تح : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، مكتبة الكوثر (الرياض – ١٩٩٦)
*ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تح : روحية النحاس واخرون ، دار الفكر(دمشق- ١٩٨٤)
*ابن معين ، يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣هـ) سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين ،

تح : أحمد محمد نور سيف ، مكتبة الدار (المدينة المنورة-١٩٨٨)
*محب الدين الطبري ، أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى ، عنيت بنشره: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة، عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية (د. م -١٣٥٦ هـ)
*المزي ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت ٧٤٢هـ) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح : بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة (بيروت- ١٩٨٠)
* مُغَلْطاي ، ابن قليج بن عبد الله (ت ٧٦٢هـ) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح : عادل محمد ،و أسامة إبراهيم ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر (د . ت - ٢٠٠١)
* النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ) الضعفاء والمتروكون ، تح : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي (حلب- ١٣٩٦هـ)
*ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ) تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٦) .
*ابن وكيع ، محمد بن خلف بن حيان(ت٣٠٦هـ) أخبار القضاة ، صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد(الرياض- ١٩٤٧م)
*ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت- ١٩٩٣)

***ثانيا المراجع**

*دوزي ، رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي ، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية (العراق- ٢٠٠٠)
*علي محمد ، امير المؤمنين الحين بن علي بن ابي طالب عليه السلام شخصيته وعصره ، دار التوزيع والنشر الاسلامية (القاهرة -٢٠٠٤)

خلافة الامام الحسن عليه السلام

بين النّص الشرعي والاجتهاد الوضعي

دراسة تحليلية على وفق معطيات القرآن الكريم والسنة النبوية

أ.م.د. حسين صالح ظاهر

جامعة الامام الصادق/ ميسان.

ملخص البحث

اختار الله سبحانه وتعالى الدين الاسلامي إلى الخلق أجمعين ليختم به الرسالات السماوية، واختار الرسول ﷺ ليختم به النبوة ؛ وجعل القرآن خاتم الكتب المعجزة ، فهو الجامع للأحكام كلها (الروحية والعقلية) التي يحتاجها الانسان فضلا عن متطلبات حياته الدنيوية .

وقد وضع الله عزّ وجلّ ترتيباً منطقياً لإدارة هذه المنظومة العقائدية والفكرية للمجتمع الاسلامي (الكوني) عبر تهيئة سلطة فكرية خاصة مصطفاة من خلقه ، ويكون صاحب السلطة مُهَّيئاً فكريا وعلميا واجتماعيا ؛ وذلك لمعرفة الاحكام في القرآن الكريم ، وكل ما يتعلق بآيات القرآن فمن المنطقي جدا ان يكون الشخص المهيأ للقيادة يستحق هذه المنزلة ليمارس القيادة المطلقة لمفاصل الحياة كافة ، وقد كان الرسول على رأس هذا الترتيب واظهر الرسول للناس من هم الخلفاء من بعده ؛ وبدأ بعلي عليه السلام ثم الحسن والحسين عليهما السلام وقد اوجب الله سبحانه وتعالى على الامة طاعة الرسول وقرنها بطاعته ، فلا يقبل بطاعة الله دون طاعة الرسول فبهذه الطاعة يتم المحافظة على النسيج الإسلامي المقدس فسلام الامة باتباع الرسول واهل بيته (الخلفاء اللذين اختارهم الرسول ﷺ وقد أوضح الرسو ل ﷺ للأمة ذلك في أكثر من مناسبة من مثل قوله المتواتر : ((تركت فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) .

هذا البحث ، وخطته هو محاولة لعرض مواقف النص المقدس المتمثل بالقرآن والسنة في وجوب طاعة الرسول وخلفائه ، وكذلك عرض المواقف والسبل التي اتبعها الفريق المعارض للرسالة ، وصاحبها وتحليل السبل والطرق التي اتبعها والتي أدت الى نتائج خطيرة بدءاً من الانقلاب على الامام علي عليه السلام ؛ ثم الخليفة الامام الحسن عليه السلام ، وكيف صارت الأمور ترى بمنظار بعيدٍ عن الروح الحقيقية للدين الإسلامي

Abstract

Allah choose the Islamic Religion to convey the divine massages to the whole world, and the prophet Muhammad may Allah bless him and his purified house was chosen to seal the prophecy and make the Qur'an the concluding of the miracle books having all the rulings that the man should follow in his life .

Allah set a logical arrangement for the management for this system in adopting a special intellectual authority and the person who has this authority should be prepared intellectually, scientifically and socially to know the rulings of the Quran and the explanation of the verses , furthermore he should have special qualifications to deal with the different life facilities . The prophet was the one who shielded that order and identified the caliphs after him, Imam Ali, Alhassan and AL Hussain peace be with them . So that the nation should obey the Prophet and the chosen Caliphs, because the acceptability of the obedience of Allah pertains to the obedience of the Prophet and the Caliphs that protect the sacred fabric of Islam . As the prophet Muhammad stated clearly for his companions : "I leave behind me two priorities -if you grasp the two of them you will not go astray : the Quran and my household , Ahalalbayt". This research is an attempt to present the attitudes of the Glorious Quran and the traditions that certify to obey the prophet Muhammad and his Caliphs his household .

المدخل

لقد وضع الرسول محمد ﷺ الأسس المتينة لقيام الدولة الاسلامية وقواعدها في المدينة ومكة، وما فتيء الرسول ﷺ يؤكِّدُ في سنته العملية والقولية على كرامة الانسان وسموه عبر بناء منظومة فكرية واجتماعية واضحة المعالم، يسندها الذكر الحكيم في آياته الكريمة، وكان الاساس لهذه المنظومة هو توضيح العلاقة بين الخالق والمخلوق المتمثلة بالعبودية المخلصة لله عزّ وجلّ، فعلاقة العبد بالله هي الاخلاص في القول والعمل، وفي السرّ والعلن وليس مقبولٌ أي شائبة في هذه العلاقة؛ لذلك سعى الرسول ﷺ مؤيدا بروح القدس إلى بناء النفس الانسانية وتحصينها إلى جانب بناء الدولة، وتمثل هذا البناء في كثير من الأحاديث المتواترة عنه ﷺ، فبيّن وأوضح السبيل للناس الموصل لرضا الله ورسوله، وجزاء من اتبع هذا السبيل هو الجنة، وعقاب من تنكب عنه هو العذاب في نار جهنم، وقد وردت الآيات الكثيرة التي تؤيد الرسول ﷺ وتبين للمؤمنين والمسلمين، أن الرسول هو الباب والطرق إلى مرضاة الله، وعنوان هذا الباب هو حبّ الرسول وطاعته في كلّ شيء دون أي معارضة أو تردد، وسنذكر الآيات الصريحة في هذا الأمر في البحث من مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ وغيرها من الآيات؛ ولاستمرار هذه المنظومة أمر الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ أن يبين لنا من هم الخلفاء المؤهلين لشغل منصب القيادة الشرعية والسياسية في الدولة الاسلامية، فأدى الرسول ﷺ ما أمره الله عزّ وجلّ وبلّغ الناس كلّهم بمن يخلفه منذ (حديث الدار) في بداية الدعوة إلى (حديث الغدير) في حجة الوداع وما بين البداية والنهاية لم يترك الرسول ﷺ مناسبة خاصة أو عامة من دون التذكير والتأكيد بمن يخلفه في ادارة أمر المسلمين، لكن نشأ تيار مقابل هذه الوصايا هدفه الآساس هو معارضة الرسول ﷺ في هذا الأمر تحديدا؛ بوصفهِ يمثل القضاء على كلّ ما يمثله هؤلاء من استكبار وجاهلية ومصالح ضيقة لا تحترم الانسانية، وقد نشأ هذا التيار تحت عباءة المعارضة العسكرية أولا، ثمّ بعد الفتح وجد نفسه في منظومة الاسلام والمسلمين مما جعله يغير فكرته العسكرية إلى فكرة جديدة وهي استخلاف الرسول ﷺ في أمر المسلمين بأي صورة، فبدأ باشاعة بشرية الرسول ﷺ وأنّه يخطأ ويصيب وهي فكرة تهدف إلى

توهين أمر الرسول وسنته ؛ وخلق أجواء من التوتر والشكّ عند الناس في حياته ؛ ثمّ ظهرت قوة نفاق هذا التيار في مرض الرسول صلى الله عليه وآله وانقلابهم على وصاياه وهو لم يدفن بعد .

هذا البحث محاولة لفهم دلالات الآيات القرآنيّة التي تنصّ على أنّ طاعة الرسول صلى الله عليه وآله المطلقة من دون شكّ أو ريب إنّما هي علامة إيمان خالص بالله ورسوله صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد أوجب هذه الطاعة وجعلها مقرونة بطاعته ؛ وهي طاعة غير محددة بأمر ما ، فقد جعلها في الأمور كلّها .

فالتحليل والفهم يكون أولا لدلالات آيات الطاعة ، وبعض الآيات الأخرى ذات العلاقة التي نصّ عليها القرآن وكيف أدى تأويلها بعدم طاعة الرسول صلى الله عليه وآله لاسيما الذين عارضوا الرسول صلى الله عليه وآله في مسألة تنصيب خليفته الذي أوصى به ، ثمّ كيف اتبع هؤلاء سبيلا لمخالفة الرسول في هذا الأمر؛ فأدّى إلى النتائج الخطيرة التي ظهرت صورتها الواضحة ، و المضرّة بالدين الحقيقيّ في مدة الإمام الحسن عليه السلام، بسبب عدم الالتزام بما وضعه الله ورسوله من ترتيب لإدارة الدولة المسلمة بالصورة التي ارتضاها الله ورسوله للحفاظ على وجه الإسلام الحقيقيّ .

وبعد بيان دلالات الآيات ؛ سيركز البحث على تحليل سلوك الفكر الوضعي المتمثل برموز معارضة الرسول صلى الله عليه وآله ؛ الذي قابل النصّ الشرعي المتمثل بالقرآن والسنة النبوية ؛ التي فصّلت ووضّحت الآيات الدالة على تفصيل المرحلة التالية في خلافته صلى الله عليه وآله وذلك في ثلاثة **محاور** :

الأول : عنوانه : النصّ الإلهيّ في الاختيار ووجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله

الثاني : : عنوانه : مدة حكم الإمام الحسن عليه السلام الثالث : عنوانه : عدم الطاعة وصلح الإمام الحسن عليه السلام

أولا: النصّ الإلهيّ في الاختيار

إنّ الله سبحانه وتعالى لم يرتضِ الإسلام دينا إلاّ بعد إنزاله آية التنصيب لخليفة رسول الله ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾[١] وقد ذكر أغلب المفسرين أنّ هذه الآية نزلت في طريق عودة الرسول ﷺ من حجّة الوداع، وقد نادى الرسول ﷺ في الناس أنّ الصلاة جامعة، فيعود من تقدّم، ويلحق بهم من تأخّر؛ فاجتمع الناس قرب غدير خمّ، وحديث الغدير متواتر بين المسلمين فقد نصّ فيه الرسول ﷺ مع أحاديث كثيرة على تنصيب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيا له في قيادة الأمة مما يدلّ على أنّ هذا التنصيب أمر من الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد هيأ عليّ عليه السلام لقيادة الأمة عبر كفالة الرسول ﷺ نفسه لعليّ، فقد كفله صغيرا، وعلّمه كلّ العلم الذي جاءه من الله سبحانه تعالى فكلّ ذلك في رعاية الله وتسديده لما يجعل قيادته رحمة وفوزا للإسلام والمسلمين؛ لأنّ الله قد اصطفاهم لأداء هذا الدور القيادي الواجب في العقيدة والحفاظ عليها.

ومسألة الاختيار أو الاصطفاء مسألة خاصة بالله عزّ وجلّ فالله سبحانه يعلم الخير في عباده وأنّهم غير متساوين في القدرات الذاتيّة، فإنّ الله يختار للإنسان ما يصلحه في دنياه وآخرته، فقد اختار له الدين كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[٢].

وقد اختار الرسل من الناس لما علمه من خيرهم، وبرهم، وتقواهم، وتواضعهم، وحبهم للناس كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾. بل يحدثنا القرآن الكريم عن اصطفاء خاصّ لأفراد بعينهم من قبل الله سبحانه وتعالى؛ لأنّهم يحملون صفات ومؤهلات قد خصهم الله بها وحرم الآخرين منها إظهارا لقدرته عزّ وجلّ، وأنّه تعالى يختار للناس ما ينفعهم وإنْ خُفِيَتْ أسباب الاختيار يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ** ﴾[٥].

فاختيار الله سبحانه وتعالى لمن يشاء في أمر الدين مسألة منطقيّة لترتيب الحياة ؛ لأنّ الانسان لا يستطيع أنْ يعيشَ في فوضى حياتيّة غير منظمة ، سواء ذلك الحياة الدينيّة ، أم الاجتماعيّة، أم الثقافيّة وغيرها . والتأريخ الانسانيّ بكلّ حضاراته لا يخرج عن هذه السنّة التنظيميّة. فقد وضع الانسان قوانين وأحكام من أجل فرض نظام معين يحكم حياته، فهي فطرة إنسانيّة عند كلّ الشعوب قديما وحديثا فقد نظمت حياتها على أساس السلطة المركزيّة التي تمثلت بالحاكم المطلق الذي يقود البلد ، والعرب لا يخرجون عن هذه الفكرة التنظيميّة وإنْ كانوا يعيشون في تجمعات قبليّة فهناك زعيم للقبيلة على رأس هرم السلطة لإدارة شؤون القبيلة، وكذلك المدن مثل مكّة والمدينة والطائف لها زعاماتها التي تقودها في السلم والحرب وتنظم شؤونها .

وبظهور الإسلام واختيار النبيّ محمد صلى الله عليه وآله لتبليغ الرسالة السماويّة ،أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله هو رأس السلطة الدينيّة والدنيويّة ، والتي استمدت شرعيتها من النصوص القرآنيّة التي اقترنت فيها طاعة الله سبحانه وتعالى بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله ؛ فالإسلام أراد قيام دولة نموذجيّة تختفي فيها الفوارق التي وضعها الانسان من الناحية الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسية وعلاقة المحكوم بالحاكم التي يجب أنْ تسودها العدالة التامة فكل مسلم هو أخ للمسلم يحكمهما مبدأ المساواة أمام الله سبحانه فلا فرق بين فرد وآخر إلاّ بدرجة القرب من الله بالتقوى ؛ ولتحقيق هذا المبدأ يجب أنْ يكون الحاكم يمتلك صفات خاصّ لا تخضع للمزاج الشخصيّ أو الضعوطات الخارجيّة والمصالح الضيّقة أو أيّ مؤثرات خارجيّة تتقاطع مع روح الدين الإسلاميّ ، أي : تكون صفاته كصفات الرسول صلى الله عليه وآله ؛ لذا فقد أكّد القرآن على اطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وجعلها عنوانا للايمان بالرسالة السماويّة ، هذا الايمان الذي سيكون جزاءه الجنّة من مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ (٦) وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ (٧) وقوله تعالى: ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٨) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٩) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (١٠) وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١١) وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ ﴾ (١٢) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (١٣) وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (١٤) .

فالله عزّ وجلّ يأمر بطاعة النبيّ محمد ﷺ على كلّ حال، وفي كلّ زمان ، وهذه الطاعة عنوان للمؤمن الصادق الذي يؤمن أنّ أمر الرسول ﷺ هو أمر الله سبحانه وتعالى ويكون هذا الأمر على وجه الالزام للعبد المسلم من دون شكّ أو ريب ؛ لأنّه قد أوضح الجزاء الذي ينتظر المسلم المطيع الله ورسوله طاعة خالصة دون تردد أو مواربة ، او أي نوع من أنواع التفكير المعارض ، وما ذلك إلاّ لبناء مجتمع مثاليّ ؛ لأنّ الرسول ﷺ يجسد الروح الحقيقيّة للإسلام ، وفهما عميقا لمقاصد آيات القرآن الكريم .

وأمام هذه الآيات التي حثت على وجوب طاعة الله ورسوله المطلقة هناك آيات حذّرت، ونهت عن عدم الطاعة ، وأوضحت الجزاء الذي ينتظر من لا يطيع ، أو يشكّ أو يشاقق الرسول ﷺ ، أو أي نوع من أنواع المخالفة والعصيان ؛ منه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٥) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾ (١٦) وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا ﴾ (١٧) وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾ (١٨) وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١٩) وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ﴾ (٢٠) وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (٢٢) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ (٢٣) وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢٤) ؛ فالآيات الكريمة تؤكد على

مسألة الطاعة لله والرسول صلى الله عليه وآله وهي طاعة مطلقة غير محددة أو مشروطة ، وعدم العصيان والمخالفة بأيّ صورة . وهذه الآيات تؤسس لمسائل كثيرة لعل أهمها التأسيس لمرحلة ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لقيادة الأمّة ؛ لأنّها من المسائل البديهيّة والمهمة والمنطقيّة ، فالإسلام دين جديد على سكان الجزيرة العربيّة ، ومعظم الذين أسلموا قد أسلموا بعد فتح مكة عام ثمانية للهجرة فهؤلاء عقليتهم أقرب للجاهليّة وعهدها من الإسلام ، وحديث الرسول صلى الله عليه وآله يؤكد ذلك عندما قال((إنّي أعطي قريشا أتألفهم لأنّهم حديث عهد بالجاهليّة)) [٢٥] . ومثل هذه الآيات في التأكيد على طاعة الله والرسول صلى الله عليه وآله ماهي إلاّ لجعل هؤلاء يعرفون طريق الايمان والصراط المستقيم عن طريق طاعتهم المطلقة للرسول صلى الله عليه وآله ؛ وليؤكد الله سبحانه وتعالى منزلة النبيّ صلى الله عليه وآله ، ودرجته الرفيعة وأنّه يتكلم بكلام الله عزّ وجلّ سواء في ذلك الوحي أم السنّة وقد بيّن الله تعالى ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [٢٦] وقوله تعالى: ﴿ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [٢٧] وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [٢٨] وقوله تعالى: ﴿ **إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [٢٩] وقوله تعالى: ﴿ **إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [٣٠] وقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [٣١] .

فهذه الآيات لبيان رفعة النبي وعصمته ومعدنه المختار من الله ، وتثبيت صورة الرسول صلى الله عليه وآله القائد المطاع في كلّ أمر وعليه تكون وصاياه واجبة الاتباع . فسنته وقوله أمر يجب أنْ يطاع ، وهو علامة لإيمان المسلم ؛ لأنّ من يطيعه فقد أطاع الله ، ثمّ هي علامة حبّ من الله لمن يطيع الرسول صلى الله عليه وآله ويتبعه لقوله عزّ وجلّ : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [٣٢] فالرسول صلى الله عليه وآله هو كلمة الله في الأرض وبه أحيا سننه ودينه، وقد ارتضاه خاتم الأنبياء ، الإسلام خاتم الأديان ، فلابدّ من ترتيب إلهي للقيادة الدينيّة والدنيويّة وهي غير خافية عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله فالدين الإسلامي ليس بدعا عن رسالات الله السابقة فيختلف عنها . وقد نفذ رسول الله صلى الله عليه وآله ما أمره الله أنْ يفعله من تعيين خليفته وتنصيبه، الخليفة

الذي اختاره الله جلّ جلاله ليكون أول خليفة من خلفاء الرسول ﷺ ، وحديثا الغدير والعترة من أكثر الأحاديث المتواترة والمتداولة بين المسلمين، و لكثرتها فقد تعددت الطرق التي تمّ تخريج هذه الأحاديث عنها . وقد ذكرها أصحاب الكتب من مثل صاحب كتاب شواهد التنزيل إذ أخرج حديث الغدير من أكثر من طريق منها ثواب صيام يوم الغدير ذكر فيه أنه ((من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة كتب الله له ستين شهرا ، وهو يوم غدير خمّ لما أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ بن أبي طالب فقال : من كنت مولاه فعليّ مولاه . فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة . وأنزل الله ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾))[٣٣] ، وقال ﷺ في ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ((منْ سرّه أنْ يحيى حياتي ويموت مماتي ، ويسكن جنّة عدن غرسها ربي فليوال عليا من بعدي ، وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي فإنّهم عترتي)) [٣٤] ، ويروى عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله ﷺ قال : ((إنّي تارك فيكم الثقلين ، ما أنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)) [٣٥] وقد أكد صاحب العواصم من القواصم على خلافة الامام علي عليه السلام وان اختلفت ألفاظ الأحاديث فالمعنى واحد فقال : ((فإن قيل : إنّما يكون ذلك في المعاني التي تشكل ، وأمّا هذه الأمور كلّها فلا اشكال فيها ؛ لأنّ النبي ﷺ نصّ على استخلاف عليّ بعده فقال ﷺ : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي)) [٣٦] . فالرسول ﷺ أمر باتباع الخلفاء من بعده وذلك بعد تعيينهم ومعرفة المسلمين لهم ، ونصّ على ذلك بأكثر من مناسبة ، وقد أكد عدم افتراق هؤلاء الخلفاء عن القرآن الكريم وهم أهل بيته وتحديدا عترته الأقربين ، ولكي لا تكون هناك شكوكا ما لدّى المتلقين، فقد ذكر في مناسبات مختلفة من هم أهل بيته ومن هم عترته ، فقد تعددت الروايات بتعدد المناسبات التي ذكر فيها ﷺ هذا الأمر ، فقد روي عن عائشة أنّها قالت: ((خرج النبيّ ﷺ غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ، ثمّ جاء الحسين فدخل معه ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ، ثمّ جاء عليّ فأدخله ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ

اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الاحزاب/ ٣٣]))[٣٧] وعن سعد بن أبي وقاص قال : ((لما نزلت هذه الآية ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ [آل عمران/ ٦] دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي)) [٣٨] وفي رواية عن زيد بن يثيغ قال: ((سمعت أبا بكر يقول : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) خيّم خيمة وهو متكئ على قوس عربيّة، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال (صلى الله عليه وآله) : يا معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم ، ولي لمن والاهم ، لا يحبهم إلاّ سعيد الجدّ طيب المولد، ولا يبغضهم إلاّ شقيّ الجدّ رديء الولادة))[٣٩] وعن ابن عباس قال : ((سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون))[٤٠] ومن الأحاديث التي تؤكد أنّ رسول الله قد حدد خلفاءه بصورة لا لبس فيها وهم أهل بيته وأنّ أولهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قوله (صلى الله عليه وآله) : ((في كلّ خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ألا وأنّ أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ فانظروا من توفدون)) [٤١] .

فمثل هذه الآيات المنزلة التي تحثّ على طاعة الرسول، والأحاديث الصادرة من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) تعزز من توجهنا في أنّ مسألة الخلافة هي تهيئة وترتيب من الله سبحانه وتعالى لمن سيخلف الرسول (صلى الله عليه وآله) ؛ لأنّ الهدف منها أولا وأخيرا هو الحفاظ على الدين بروحه الحقيقيّة عبر الفهم التام والعميق لآيات القرآن الكريم ؛ لأنّه يمثل الدستور الدائم لحياة المسلمين والمؤمنين إلى قيام الساعة . وقد صرّح الرسول (صلى الله عليه وآله) بأنّ القرآن مع أهل بيته باخبار مجمل مرّة ، وأخرى تخصيص للإمام عليّ (عليه السلام)؛ لأنّه يمثل رأس أهل البيت من بعده فقد ((أخرج الطبراني عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : عليّ مع القرآن ، والقرآن مع عليّ ، لايفترقان حتى يردا علي الحوض))[٤٢] وذكر القندوزي ما يؤكد أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) أخبر أنّه لا يتصرف إلاّ بوحي من الله فقال: ((إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : إني أُمِرت بسدّ هذه الأبواب إلاّ باب عليّ ، فقال فيه قائلكم ، وأني ماسددت شيئا ولا فتحته، ولكني أُمِرت بشيء فاتبعته))[٤٣] .

ثانيا : مدة حكم أمير المؤمنين الحسن بن عليّ عليه السلام

تبين لنا في المبحث السابق أنّ الله سبحانه وتعالى قد أوجب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله على المسلمين وجعلها من أهم الطاعات لله عبر اقترانها بطاعته عزّ وجلّ ، وأنّ قوله صلى الله عليه وآله وفعله وسنته تدخل في حدود الطاعة الواجبة المفروضة من الله ، ثمّ أردف بالآيات التي تفرض الطاعة على المسلمين كافة لمن اختارهم الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله ليكونوا أولي الأمر من بعده ؛ لأنّ هؤلاء الخلفاء مهيئون ومصطفون لقيادة الأمّة والحفاظ على الدين ، فالرسول صلى الله عليه وآله يبيّن ويفصّل ما جاء مجملا في القرآن الكريم وقد أشار القرآن إلى ذلك في مثل قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** ﴾ (٦٥) ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾(٦٦)، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾(٦٧)، وقد ذكر أغلب المفسرين أنّ المقصود (بأولي الأمر) هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأولاده، فقد ذكر الحسكانيّ في شواهد التنزيل أنّها نزلت في عليّ والحسن والحسين عندما نقل: ((عن أبي بصير، عن أبي جعفر، أنّه سأله عن قوله تعالى ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ..قال : فنزلت في عليّ والحسن والحسين))(٦٨)، وذكر البلاذري ((نزلت في عليّ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ﴾))(٦٩)، ويؤكد الإمام الحسن عليه السلام في أحاديثه أنّ هذه الآيات نزلت في حقّهم في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله بقيادة الأمّة المسلمة عندما قال عليه السلام: ((نحن حزب الله المفلحون ، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون ، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله والثاني كتاب الله ... لا يخطئنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه فأطيعونا ، فإنّ طاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة فإنْ تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله... ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، وأحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان إنّه لكم عدو مبين))(٧٠) ؛ فأهل البيت ذريّة بعضها من بعض ، وسلالة تأخذ عهد الإمامة من

وصي لوصي ، ((ذلك أنّ الأمة قد اتفقت على أنّ لفظ أهل البيت إذا أُطلق ، إنّما ينصرف إلى الإمام عليّ والسيدة فاطمة والحسن والحسين وذريتهما))(٧١) ، ولكن كثير من الأمّة مع معرفتها مكانة أهل البيت عليهم السلام أصرت على عدم طاعة الله ورسوله فيهم ، لاسيّما في خلافتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم الإمام الحسن عليه السلام ؛ لأنّه من خلفائه الراشدين المهديين الهادين ، وهذه الطاعة عصمة لهم من الضلالة فهم حفّاظ الدين والسنّة ؛ لأنهم خزنة علم الكتاب في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾(٧٢) وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾(٧٣) وقوله تعالى: ﴿ **لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ** ﴾(٧٤) وأكدّ الرسول صلى الله عليه وآله علم أهل بيته عليهم السلام وعميدهم الإمام عليّ عليه السلام روي عن ابن مسعود أنّه قال : ((كنت عند الرسول صلى الله عليه وآله فسُئِل عن عليّ فقال صلى الله عليه وآله : قُسّمت الحكمة عشرة أجزاء ، فأعطي عليّ تسعة أجزاء ، والناس جزءا واحدا . وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله : قُسّم علم الناس خمسة ، فكان لعليّ منها أربعة أجزاء ، ولسائر الناس جزء ، وشاركهم عليّ في الجزء فكان أعلم به منهم))(٧٥) ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الراسخون في العلم وعندهم علم الكتاب عندما قال : ((نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله))(٧٦) وفي حديث آخر قال عليه السلام : ((وعندنا والله علم الكتاب كلّه))(٧٧) وأورد احد الباحثين حديثا للإمام الصادق يوضح فيه معدن الأئمة ((قال سدير للإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل فما أنتم جُعِلت فداك ؟ قال عليه السلام : خُزّان علم الله وتراجمة وحي الله ، ونحن معصومون ، أمر الله بطاعتنا، ونهى عن معصيتنا، نحن الحجّة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض))(٧٨)

فعدم طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ومخالفته كانت وجه من أوجه الانقلاب الذي كان هدفه الأساس الوصول إلى مركز قيادة الدولة المسلمة ؛ لأنهم نظروا إلى مسألة القيادة على أنها تحكم في رقاب العباد وهي نظرة مادية تماما ليس لها علاقة بالدين وحقيقته من قريب أو بعيد ، بل علاقتهم بالدين ونصوصه بالقدر الذي يخدم مصالحهم في تحقيق أهدافهم ومنها ابعاد خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله الحقيقيين عن منزلتهم والاستيلاء عليها . ونظرتهم هذه تؤكدها دلائل كثيرة ، من مثل قول أبي سفيان حينما رأى جيش المسلمين الذي فتح مكّة فقال : للعباس عمّ النبيّ

(إنّ ملك ابن أخيك عظيم) ، فهم لم يفهموا الرسالة تماما ولم يؤمنوا بها طوعا وحقّا ، فمن المنطقي أنْ يكون منهم من لم يعتقد أنّ تنصيب الإمام عليّ عليه السلام هو ترتيب إلهيّ وإنّما هو اجتهاد شخصيّ من الرسول صلى الله عليه وآله لقرابته منه ، وقد اشترك معهم في هذه الفكرة بعض المهاجرين ((فهناك كثيرٌ من المؤشرات التي تدعم الفكرة القائلة بأنّ عمر كان يعدّ ما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله وأعلنه يوم غدير خمّ من توجيهات بشأن عليّ بن أبي طالب اجتهادا من شخصه ورغبة في ذاته ، وليس وحيّا إلهيا، ومن ثمَّ لابأس في مخالفته باجتهاد آخر إذا اقتضت حاجة المسلمين))[٧٩] . فظهر أنّ الطعن في شخص الرسول صلى الله عليه وآله واظهاره على أنّه يجري عليه مايجري على انسان عادي ويعتريه مايعتريه، ويميل إلى أهله وقرابته بحقّ وباطل حاشاه صلى الله عليه وآله ، هذا الطعن تسبب في بلبلة الناس لاسيما بعد وفاته صلى الله عليه وآله فمالوا عن الترتيب الذي أقرّه صلى الله عليه وآله في الخلافة وأهملوا أحاديثه صلى الله عليه وآله في تحديد أهل بيته عليهم السلام،كأحاديث (الخلفاء من بعدي أثنا عشرة كلّهم من هاشم ، وفي رواية كلّهم من قريش) وغيرها من الأحاديث المتواترة بين المسلمين ، فهذا الفريق المعارض للرسول صلى الله عليه وآله قد تناسى تنزيه الله عزّ وجلّ لرسوله الحبيب في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[٨٠] وقوله تعالى: ﴿ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾[٨١] .

وموقفهم من الوصيّة باستخلاف عليّ عليه السلام تعكس فكرهم وحقيقة نفوسهم المترسبة فيها أفكارهم الجاهليّة من شرك وعصبيّة قبليّة التي حملوها في قلوبهم مع دخولهم الاسلام ، وهناك مواقف كثيرة تؤكد استمرار تفكيرهم وسلوكهم الجاهليّ وتمسكهم بعصبيته ، من مثل موقفهم حينما وقعت مشادّة بين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبين مروان بن الحكم إذ لطم عليّ جبهة مروان ((فلما نهض قالت قريش وبنو أميّة لمروان : أنت رجلٌ ، جبّهك عليّ ، وضرب راحلتك ، وقد تفانت وائل في ضرع ناقة ، وذبيان وعبس في لطمة فرس ، والأوس والخزرج في نِسعة ، أفتحمل لعليّ ما أتاه إليك))[٨٢] ، ومن مثل ما ((يروى عن عمرو بن معدي كرب ولم يكن له دين ينهاه ؛ أنّ صديقه عيينه بن حصن نزل عليه زائرا ، في محلة زبيد ، وكان عيينه نديمه في الجاهليّة فوقف قي ببابه ينادي : إي أبا ثور ، فخرج إليه مرحبا بقوله : أنعم صباحا أبا مالك ، فقال عيينه : أوليس قد أبدلنا الله تعالى بهذا ... السلام عليكم ، فقال عمرو : دعنا مما لا نعرف ...

ثمّ قال لضيفه : أتشرب لبنا ، أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهليّة ، فقال عيينه : أوليس قد حرمها الله عزّ وجلّ علينا في الإسلام قال عمرو : فإنّي قرأت ما بين دفتي المصحف فما وجدت لها تحريما إلاّ أنّه قال: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة/ ٩١] ، فقلنا لا فسكت وسكتنا))[٨٣] ؛ فضلا عن الآيات التي وصفت مثل هؤلاء بالجاهليّة كقوله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ [٨٤] . وحقيقة أنّ هناك من تصرفات المعاصرين للنبيّ صلى الله عليه وآله لاتنمّ عن عقليّة مؤمنة حقّا برسالته عندما لم يطيعوا الرسول صلى الله عليه وآله في أمور دينهم وكأنّهم أعلم منه من مثل قوله صلى الله عليه وآله مخاطبا أصحابه : ((إنّ الله عزّ وجلّ أهدى إلي وإلى أمتي هديّة ، لم يهدها إلى أحد من الأمم ، تكرمة من الله تعالى لنا ، قالوا : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله: الافطار في السفر والتقصير في الصلاة ، فمن لم يفعل ذلك فقد ردّ على الله عزّ وجلّ هديّته . قال عليّ بن الحسين عليه السلام: وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يصومون في السفر ويفطرون))[٨٥] ومثل هذه الأفعال والأعمال ((تدلّ على ظاهرة ليست فرديّة منعزلة، بل شائعة في صفوف الصحابة تشكل نمطا من أنماط السلوك لدى جماعتهم ، والدافع في كلّ هذه الحالات كانت المصلحة الماديّة ، هذا النمط السلوكيّ يدلُّ على افتقار إلى النضج في الايمان ، إلى درجة لايتفاعلون معها مع حقيقة موقع النبيّ صلى الله عليه وآله الربانيّ ، على الرغم من كثرة ما سمعوا من آيات الذكر الحكيم)) [٨٦] فهذه المواقف والتصرفات كلّها كانت لتحقيق هدفهم في خلق حاجز فكريّ لدى الناس لعزل القيادة الحقيقيّة التي تهيأت من الله ورسوله لتقود الأمّة والمتمثلة بعليّ وبنيه الحسن والحسين عليهما السلام((فهم نفر خلقوا ليكونوا أئمة خير يعملون به ويدعون إليه فلا تجد فضيلة من فضائل الحياة في عقيدة ، أو فكر ، أو اصلاح إلاّ كانوا مفاتيحها والأدلاء عليها)) [٨٧] فالتواطئ بين قادة الشرك في قريش الذين أسلموا بعد الفتح وبين المنافقين في المدينة مع كثير من العرب الذين لم يدخل الإسلام إلى قلوبهم هذا الاتفاق في مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله في أمر الخلافة تحديدا والذي تم تنفيذه يوم وفاته وقبل دفنه صلى الله عليه وآله ، انقلب هؤلاء الطامعون على وصيه الشرعيّ وهو ما يعكس الصراع الموجود فقد ((كان التنافس موجودا بين الرئاستين : الشرعيّة والفعليّة ، ولكنه تنافس غير متكافئ ، صحيح أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مرسل من الله ومدعوم منه

، ولكنّه في الوقت نفسه مُكلفٌ بتحقيق الغاية من ارساله بوسائل البشريّة الواقعة ضمن حدود ... فالتغيير الشرعيّ يجب أنْ يكون ثمرة رضا واقتناع المجتمع ، وأساسه الكلمة المجرّدة)) (٨٨) من الرسول ﷺ التي أمر الله عزّ وجلّ باتباعها ، وجعل مخالفته ﷺ عنوانا للنفاق والكفر قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾ (٨٩) .

وحينما عاد الحقّ إلى أصحابه من أهل البيت بخلافة الإمام عليّ عليه السلام لم يبق متخفٍ أو مدعٍ بالإسلام إلاّ أعلن صراحة معارضته للنصوص الإلهية في أحقيّة الإمام عليه السلام في الخلافة ، فجُرِدت السيوف وأصبح الصراع بين الايمان كلّه في معسكر عليّ عليه السلام وهم القلة المؤمنة ، وبين المنافقين في معسكر ضدّه ، وآخر اعتزل القتال بحجج واهيّة أقنعوا أنفسهم بها ، مع معرفتهم (أنّ الحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار) ، وكأنّ الدعوة الاسلامية عادت في أول ظهورها ، فأصبح الصراع بين الدين ممثلا في الخليفة الشرعيّ ، وبين الدنيا وزخرفها ممثلا بالمنافقين وقد أشار أغلب الباحثين إلى ذلك من مثل قول العقاد وهو يصف الصراع : ((هي كانت صراعا بين الخلافة الدينيّة كما تمثلت في عليّ بن أبي طالب ، والدولة الدنيويّة كما تمثلت في معاوية بن أبي سفيان))(٩٠) ويقول المستشرق (ايرلنغ بترسن) : ((ومهما يكن فإنّ تقويض دين عليّ هو أحد الوجوه والمظاهر التي أخذت في الحساب لصالح انتصار الأمويين ... لقد سعى معاوية وخلفاؤه المباشرين بوضوح إلى متابعة خطّ الخلفاء الأول ، وأقصد مساعيهم بالتنسيق والربط بين المصالح الإسلاميّة والبدويّة في التوسع)) (٩١) .

وبعد استشهاد الإمام عليّ عليه السلام ((اجتمع الناس إلى ابنه الحسن عليه السلام، فبايعوه ورضوا به وبأخيه الحسين بن عليّ عليه السلام من بعده)) (٩٢) فتحولت قيادة الصراع للحفاظ على الدين وجوهره، مع واقع جديد متغير ، ونفوس متلونة على حسب المصلحة الدنيويّة ؛ لأنّ السواد الأعظم من الناس قد تبلبلت نفوسها ، وتغيرت المواقف من الإمام الحسن عليه السلام بين مؤيد حقّا للإمام وهم قليلون ، وضدّه وهم الأغلب ، ومن وقف بين بين لغاية في نفوسهم.

وظهرت ثمار الأساس الذي قامت عليه فكرة ابعاد أهل البيت عليهم السلام عن منزلتهم في صدارة الأمّة وممارسة دورهم القياديّ، لقد علم هؤلاء كلّهم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد ((أوضح مرتكزات الإسلام الحقيقيّ في كثير من وصاياه، وتوجيهاته للأمّة غير أنّ سيادة الإسلام القبليّ بعد وفاته، ثمّ الإسلام الأمويّ، بعد ذلك قد أدّيا إلى التعتيم على هذه المرتكزات وتضليل المسلمين عنها بوصفها وسيلةً لضرب الإسلام النبويّ)) (٩٣) الذي حدد قادة الأمّة بالنصوص الإلهيّة، لكنّ انقلاب المنافقين اتبع خططا وخطوات منها عدم طاعة الله ورسوله واحلال ارادته الوضعيّة مقابل النصوص المقدسة، ومنها اتباع سياسة شراء المواقف المؤيدة لارادته الوضعيّة لتنفيذ ما يريدونه من مثل إعطاء أبي سفيان الأموال الخاصة بالمسلمين واعطاء ولديه مناصب قياديّة في جيش الذي أرسل لفتح فارس والشام ثمّ اقرارهم على الشام يتصرفون بها كيف شاءوا، مما عزز قوة معارضة الجبهة المضادّة للإمام الحقيقيّ الممثل بأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ((فليس ثمّة شكّ أنّ ارتباط معاويّة بالولاية الشاميّة واتخاذه موقعا شبه مستقل فيها، حتى اوج المركزيّة الراشديّة، فقد عزز موقعه السياسيّ واعطاه حجما خاصّا))(٩٤) أمّا سياسة شراء الذمم، ومساومة الناس على دينهم في تأييدهم لأهل البيت عليهم السلام، هي سياسة متفق عليها بين معسكر المعارضين لولاية أهل البيت وقد بدأت في عهد أبي بكر فقد ذكر الجوهريّ ما نصّه: ((فلما اجتمع الناس على أبي بكر، قسّم قسما بين نساء المهاجرين والأنصار، فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النجار، قسما مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا؟ قال: قسّم قسمة أبي بكر للنساء، قالت: أتراشوني عن دينيّ، والله لا أقبل منه شيئا، فردته عليه)) (٩٥) وفي مدة الحسن، اتبع معاوية أبا بكر فقد بذل ما بوسعه لاستمالة الناس إلى جانبه، وفعل لتحقيق ذلك أفاعيل لا تنمّ عن أي وازع ديني أو أخلاقيّ عندما((اشترى دهاة الرجال في عصره بالإمرة، والمال، والاستلحاق والنسب، وصانع الرؤساء، وداهن أعداءه، وبذل وافر المال، وتظاهر بالحلم والاغضاء عن كلّ خصومه)) (٩٦) ولعل ما قاله سعد بن أبي وقاص يعطي لنا فكرة عمّا اتبعه معاوية للحصول على الخلافة ذكر صاحب الكامل في التأريخ هذه المحادثة فقال: ((ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقاص فقال: السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال: ما

كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت : يا أمير المؤمنين ، فقال : أتقولها جذلان ضاحكا ؟ والله ما أحب أنّي وليتها بها وليتها به)) (٩٧) . وأصبح الدين في مدة الإمام الحسن عليه السلام بضاعة معروضة لمن يدفع أكثر ، فقد وصل الأمر عند بعضهم أنْ يبيع دينه علنا إذ يروى ((إنّ الحتات بن يزيد المجاشعيّ وفد على معاوية في جماعة من الرؤساء فأعطى كلاً منهم مائة ألف ، وأعطى الحتات سبعين ألفا فلما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ، أخبر بعضهم بعضا بجائزته ، فرجع الحتات إلى معاوية يعاتبه ؛ فقال : اشتريت من القوم دينهم ، ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان ، فقال : وأنا فاشتري مني ديني ، فأمر له بتمام الجائزة)) (٩٨) ، (والحتات : هو بزبد بن علقمة بن حوى بن سفيان بن مجاشع ، آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين معاوية بن أبي سفيان؛ ولهذا لحق معاوية وآزره ، وقبل ذلك كان هواه إلى عثمان ، وعرف بمناوئته لعلي عليه السلام كما تذكر كتب الرجال / انظر سيرته في الاستعياب ، والاصابة في تمييز الصحابة) ، وروى عن الحتات هذا أنّه كان ينادي يوم الجمل وهو من أصحاب الجمل: ((أيها الناس أمكم أمكم واختلط الناس فضرب بعضهم بعضا وتقصد أهل الكوفة قصد الجمل)) (٩٩) فمعاوية ينظر إلى الحتات على أنّه صاحب دين ، وهو بذلك يعرّض أنّ هذا هو الدين الصحيح ، لا دين عليّ والحسن والحسين عليهما السلام ومن يؤيدهم ، وهي ليست المرة الأولى التي يصف فيها معاوية منْ خالف وصيّة الرسول صلى الله عليه وآله بصاحب الدين ، قال في مراسلاته مع الإمام الحسن عليه السلام: ((ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار ، وغيرهم من سائر الناس وعامتهم أنْ يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاما وأعلمهم بالله وأحبّها لهم ، وأقواها على أمر الله ، واختاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأي ذوي الحجى والدين)) (١٠٠) .

فقد سلك الذين خالفوا الرسول صلى الله عليه وآله والذي يعني مخالفتهم الله سبحانه وتعالى لقوله: **﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾** (١٠١) طريقا أقل ما يقال عنه خطيراً ، وذلك بسعيهم بالتشكيك بالرسول صلى الله عليه وآله ومنزلته ومن ثمّ أهل بيته عليهم السلام وهذا يؤكد أنّ ((الاعتراض على شخص الرسول صلى الله عليه وآله أشدّ بروزا منه على الرسالة أو على الارسال ذاته)) (١٠٢)

ولم يكتف هؤلاء بالاعتراض الهادئ بل صعّدوا من مواجهتم عبر إكثار ((محدّثو الشيطان من دسّ الأحاديث والروايات التي تستبطن توهين الرسول صلى الله عليه وآله في حكمته ونزاهته وخلقه فضلا عن عصمته ... ليبرروا مخالفتهم له ، ومن قيمة الدلالة في تقديمه لبعضهم وتأخيره للبعض من تزكيّة لأهل بيته ووضعهم من الأمّة موضع الرأس من الجسد))(١٠٣) .

وعندما نصل إلى مدة الإمام الحسن عليه السلام ومطامع معاوية نلمس ظهور ثمار هذه السياسة الظالمة والأساس الخبيث لإزاحة أهل البيت عن منزلتهم ، فقد بدأ أغلب الناس يحاولون الإيحاء بأنّهم لا يمتازون بمنزلة تميزهم وتؤهلهم للإنفراد بقيادة هذه الأمّة والطاعة المطلقة لهم من المسلمين ، إلاّ القليل الذي بقي مخلصا لدينه ، ومحافظا على مبادئ الإسلام النبويّ الحقيقيّ ؛ ولعلّ ما أورده الذهبي يوضح هذه الفكرة إذ قال : ((حدثنا مخول عن أبي سعيد : أنّ أبا رافع أتى الحسن بن عليّ عليه السلام وهو يصلي عاقصا رأسه ، فحلّه فأرسله ، فقال الحسن عليه السلام: ما حملك على هذا ؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا يصلي الرجل عاقصا رأسه))(١٠٤) فمثل هذا الموقف المفتعل يفصح عن أهداف بعيدة وخطيرة وهو الإيحاء للناس الحاضرين بأنّ الحسن عليه السلام لا يعرف سنّة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله ، بدليل أنّ هذا الأعرابي يعلمه السنّة على الملأ ، وإذا كان الحسن لا يعرف السنة فكيف يتولى قيادة المسلمين ، متناسيا أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله نفسه في حقّ الحسن عليه السلام ومنزلته عند الله ورسوله من مثل قوله صلى الله عليه وآله عندما أخذ الحسن والحسين عليهما السلام : ((منْ أحبني وأحب هذين، وأباهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة)) (١٠٥) وعن طريق آخر ((كان النبيّ صلى الله عليه وآله يحبه ويحب أخاه الحسين عليه السلام ، وأخبر أنّ منْ أحبهما وأباهما وأمهما، كان معه بدرجته يوم القيامة)) (١٠٦) ومن مثل قول الرسول صلى الله عليه وآله في حقّهم : ((فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم))(١٠٧) وبمثل هذه التصرفات وغيرها استطاع الحزب المعارض لأهل البيت أنْ يضلل الناس وظهر ذلك جليّا في أهل الشام ، فأصبحوا لا يعرفون مكانة عليّ عليه السلام عميد أهل البيت ثمّ الحسن والحسين عليهما السلام ومما يروى في ذلك : ((دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلا راكبا بغلة حسنة ، قال : لم أر أحسن منه فمال قلبي إليه ، فسألت عنه فقيل لي : أنّه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فامتلأ قلبيّ غيظا وحنقا وحسدا أنْ يكون

لعليّ ولد مثله))(١٠٨) . وهذه نتيجة لتوجه الفريق الذي بدأ بالاستيلاء على الخلافة، وابعاد أهلها عن الساحة الدينيّة والاجتماعيّة ، فقد تمت مقاطعة الإمام عليّ عليه السلام في مسائل كثيرة هي في صلب الدين ، وبدأت آراء وتأويل النصوص من الخلفاء بحسب المصلحة السياسيّة لا الدينيّة ، من مثل عدم محاسبة خالد بن الوليد عمّا فعله بمالك بن نويره وقومه، فتجاوز أبو بكر عقوبته للابقاء على اتفاق الانقلاب متماسكا ، ومن مثل عدم إتباع السنة في توزيع العطاء والعدالة بين المسلمين فوصلت ثروة بعضهم أن يكسر الذهب بالفأس ، أمّا في عهد عثمان فحدث ولا حرج ، فصارت النفوس تواقة لدنيا زائلة تبحث عن المناصب ، والثروة عن أي طريق لايهم . فصدق فيهم حديث الرسول صلى الله عليه وآله حينما أخبرهم : ((إنّ بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويُمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع فيها أقوام خلاقهم فيها بعرض الدنيا يسير))(١٠٩) .

وبمثل هذه البيئة الاجتماعيّة التي ركبت الفتنة ، وذهبت في طلب المصالح الدنيويّة ، آلت الخلافة إلى الحسن عليه السلام، وأغلب الناس لا يتورعون عن المطالبة العلنيّة للحصول على حطام الدنيا فهذا عبد الله بن عباس ابن عمّ الإمام عليّ عليه السلام يستولي على بيت المال في البصرة ، وفعل أخوه مع الحسن عليه السلام الشيء نفسه إذ اتفق مع معاوية على أنْ يعطيه الأخير مليون درهم إذا أخذ جانب معاوية ، وسنفصل ذلك بالمبحث الذي يتناول الصلح .

ثالثا : عدم طاعة الحسن عليه السلام والصلح مع معاوية بين الحقيقة والتدليس:

لقد كان الاتفاق الذي تمّ بين الحسن عليه السلام ومعاوية نقطة تحول مصيريّة بين الايمان الحقيقيّ الذي يمثله الحسن عليه السلام، وبين الايمان السياسيّ الذي لايتورع عن أي شيء في حبّ الدنيا وزخرفها ، وتلك حقيقة لايختلف فيها أثنان فشتان ما بين ايمان الحسن عليه السلام الذي ((كان إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال : حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله))[110] فهو من أهل بيت قد عرفوا الله حقّ المعرفة فاختارهم على العالمين . أمّا معاوية فهو مثال لمن غلبت الدنيا عليه .

فقد وصلت الخلافة إلى الحسن عليه السلام في وقت يشبه أيام الدعوة قبل الهجرة فالمؤمنون قليلون إذا قيسوا بالذين فضلّوا الدنيا على دينهم وبدأ ذلك في خلافة الإمام عليّ عليه السلام((يقول الباقر عليه السلام عند خطابه لهشام الكابليّ : كان الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام عندكم بالعراق يقاتل عدوه ومعه أصحابه وما كان فيهم خمسون رجلا يعرفونه حقّ معرفته ، وحقّ معرفته امامته))[111] وتحول من كان يقاتل مع الإمام عليّ أصبح يقاتل مع الحسن عليه السلام والذين يعرفون حقّ معرفته هم الذين عرفوا حقّ أبيه أنفسهم ، فمعرفتهم هي معرفة الله حقّا ، وهي عنوان للمؤمن حقّا ، لكنّ قريش ومن حالفها أبت إلاّ أنْ تظهر أحقادها مع تولي الإمام عليّ عليه السلام الخلافة ثمّ الحسن والحسين عليهما السلام ((ولا ريب في أنّ هذه الأحداث كلّها تعسف وجور في الحكم، وأكثرها يبلغ الجرائم السياسيّة ... لاسيما سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسن عليه السلام ، لكنّها تعبر عن نهج من القمع على مستوى الأمّة))[112] . وأكثر ما يظهر الظلم الذي وقع على الإمام الحسن عليه السلام هو ما كُتِب عن اتفاقيّة الصلح ، فقد كتب المؤرخون عن هذه القضية وأغلبهم منحاز إلى السلطة فحاولوا تصوير الإمام الحسن عليه السلام على أنّه طالب سلطة دنيويّة ، ومن لم يفعل ذلك كتب باجمال دون تفصيل يوضح الحقيقة ، وصورة الإمام أنّه طالب السلطة نجد هناك من يصرّ عليها من الكتاب الذين كتبوا عن تلك الحقبة الزمنيّة وأحداثها ، مما يظهر دور السلطة في توجيه هؤلاء لما تريده من أهداف تنال بأي صورة من منزلة أهل البيت عليهم السلام ، فقد كتب معاوية كتابا موحدا إلى كلّ عماله قال فيه : ((إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة

والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة))(١١٣) ، فكثر وضع الحديث المزيف ، والحديث المدلس من مثل حديث (أنا مدينة العلم ، وعليّ بابها ، وأبو بكر سورها ، وعمر سقفها ، ومعاوية مفتاحها) ؛ لذلك كَثُرَ كتاب السلطة وأبواق دعايتها لاضفاء الشرعيّة على بني أميّة، مادام الطمع الدنيويّ يتحكم بمثل هؤلاء ، مقابل المعسكر الذي أقوى أسلحته الكلمة التي تدعو إلى الحقّ ، أو طريق الله الموصل إلى الجنّة ((فإنّ الإمامين عليّ والحسن عليهما السلام ركّزا على تعريف الحقّ وتمييزه عن الباطل حتى لا تتشوّه المفاهيم الإسلاميّة))(١١٤)، ولـــذا فقد اصطفت أغلب القوى الإعلاميّة للنيل من منزلة الحسن عليه السلام؛ لأنّه يمثل رأس أهل البيت عليهم السلام في حقبة اشتداد الفتنة بالصراع مع معاوية ، فقد كانت الدسائس تُحاك ضدّه ليلا ونهارا حين الصراع ، من مثل شراء ذمم بعض قادة الجيش التابع للإمام ، فقد أرسل معاوية إلى عبيد الله بن العباس ((وجعل له ألف ألف درهم ، فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه))(١١٥) وكان مجموع الجيش المرسل مع عبيد الله إثنا عشرة ألف ، ومن مثل اشاعة الأكاذيب بين صفوف جيش الإمام عليه السلام لاثارة البلبلة والفتنة بين صفوفه فقد ((كان معاوية يدس إلى عسكر الحسن من يتحدث أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه ، ويوجه إلى عسكر قيس بن سعد أنّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه)) (١١٦).

أمّا حقيقة الصلح فطمست معالمه بسبب المأجورين من مؤرخي التأريخ الإسلاميّ والمنحازين في مواقفهم إلى السلطة الأمويّة وأمثلة هؤلاء ((من أصحاب السلطان المموهين تعي الحصر والحساب في التأريخ الإنسانيّ قديمه وحديثه))(١١٧) وبنظرة ناقدة ومحايدة على ما كُتِب عن الصلح سنجد كثير من التزييف والتدليس والتلاعب باللفظ ، لخلط الأوراق على المتلقي مما يجعله في حيرة من أمره على أحسن تقدير مالم يجعله منحازا إلى جانب أعداء الإمام، والنظر إليه وكأنّه أحد الباحثين عن مطامع الدنيا، فالتدليس يظهر عند من ذكر أنّ الحسن عليه السلام هو من طلب الصلح مع الأموال ، ولكنّ الحقيقة أنّ معاوية هو من طلب الصلح ، فقد أرّخ البلاذري ما نصّه ((هذا كتاب للحسن بن عليّ من معاوية بن أبي سفيان ، صالحتك على أنّ لك الأمر من بعدي ولـك عهد الله وميثاقه))(١١٨) ، وكـــان معاوية يشاور أصحابه في مواجهة الحسن عليه السلام ((فقال

عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة : نلقاه فنقول له : الصلح))(١١٩) ، (وهذان الاثنان عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن شمس، وعبد الرحمن بن سمرة بن عبد الرحمن بن حبيب بن شمس قريبان ، وكان عبد الله واليا لعثمان على البصرة فلما سمع بقتله حمل ما في بيت المال وذهب إلى مكة ، فوافى بها طلحة والزبير وعائشة واقنعهم بالمسير إلى البصرة بدلا من الشام، أمّا عبد الرحمن فكان قائدا معينا من قبل عبد الله بن عامر في جيوش خراسان في زمن عثمان ،وهذا يدلّ على قربهما من معاوية الذي أرسلهما لغرض اثارة البلبلة في جيش الامام الحسن عليه السلام لما يمتازان به من دهاء وحيلة/ انظر الاصابة في تمييز الصحابة ، والاستعياب في معرفة الاصحاب) .

ومن هؤلاء المؤرخين منْ مرّ على هذه الحقبة وأحداثها مرورا أشبه بالتجاهل ، فأرّخ بقلب الحقيقة وتزييف الوقائع فذكر أنّ الحسن عليه السلام طامع يحب زخرف الدنيّا ، أورد صاحب الاستيعاب خبراً قال فيه : ((لما قُتِل عليّ سار الحسن فيمن معه من أهل الحجاز والعراق، وسار معاوية في أهل الشام ، فالتقوا ، فكره الحسن القتال ، وبايع معاوية على أنْ يجعل العهد للحسن من بعده))(١٢٠) ، وآخر يجمل الأحداث ويدلّسها فيقول ((فتجهّز الحسن بعد مبايعته للخروج بذلك الجيش ، وسار من الكوفة للقاء معاوية ، واشترط عليه وقال : إنْ أنت أجبت فأنا سامع مطيع))(١٢١) ، ويكذب الطبري في روايته فيقول: ((وكان الحسن لا يرى القتال ، ولكنّه يريد أنْ يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ، ثمّ يدخل في الجماعة ، وعرف الحسن أنّ قيسا لا يوافقه على رأيه ، فنزعه وأمّر عبيد الله بن عباس ، فلما علم بالذي يريد الحسن أنْ يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها ، فشرط له ذلك معاوية)) (١٢٢) ، ويورد اليعقوبيّ تأمير الحسن عليه السلام لقيس فيقول: ((وأمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس بن سعد ورأيه))(١٢٣)، ومثل هذه الروايات هي أداة من أدوات السلطة الحاكمة لتشويه صورة الحسن عليه السلام وثمّ صورة أبيه عليّ عليه السلام ؛ لأنّه كان معه في كلّ الأحداث منذ انقلاب قريش بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله إلى يوم استشهاده فهو الابن والتلميذ ، وهو خليفته الشرعيّ ، فمنزلته حاضرة عند أعدائه فظنوا أنّهم بمثل هذه الاساءة يقللون من شأن

أهل البيت عليهم السلام ؛ وكان الحسن عليه السلام واعيا لأبعاد هذه المرحلة وعلى بصيرة من أمره تماما ، ولكنّه لم يمتلك الأدوات التي تساهم في انتصاره وأهمها نكوص أغلب قواته عن القتال تبعا لمصلحتهم الدنيويّة ودفع معاوية وحلفائه الأموال لخيانة الحسن عليه السلام إذ ((كان يعمل سرّا وعلانية على تحقيق مشروع أميّة الأول السياسيّ في الظفر بالسلطة كمُلْك عضوض لهم ، يقاومون به نفوذ بني هاشم ، وقد أفاد معاوية من علاقات الأمويين التأريخيّة بأهل الشام))(١٢٤) وغير هذه كلّها اسهمت في قبول الإمام الحسن عليه السلام بالأمر الواقع ؛ ولاشكّ أنّه عليه السلام عندما صالح يعلم مكمن المصلحة العليا للإسلام والمسلمين في تلك المدة المظلمة، ويعلم كيف يسير الأمور حفاظا على الخطّ النبويّ الذي يمثل الإسلام الحقيقيّ فهو إمام زمانه الذي فرض الله طاعته على المسلمين في تلك المدة .

ولو أردنا أنْ نقرأ الأحداث في تلك المدة سنعرف أنّ الحسن عليه السلام قد تصرف بمنتهى الحكمة والأناة للحفاظ على وجه الإسلام الحقيقيّ عبر معرفته واستيعابه لدوره للتصدي للظلم ومحاربة الفساد المنتشر آنذاك ، فالإمام عليه السلام أراد قتال الباغين بكلّ قوّة ، ولا أدلّ على ذلك من خطبه ومراسلاته عليه السلام، فقد كتب الإمام كتابا إلى معاوية قال فيه : ((أمّا بعد فإنّك دسست الرجال كأنّك تحب القتال وما أشكّ في ذلك فتوقعه إنْ شاء الله))(١٢٥) وقال عليه السلام يحثّ الجيش على قتال معاوية : ((فاحتشدوا في قتال عدوكم ، معاوية وجنوده ، فإنّه قد حضر ولا تخاذلوا؛ فإنّ الخذلان يقطّع نياط القلوب ، وإنّ الاقدام على الأسنة نجدة وعصمة ؛ لأنّه لم يمتنع قوم قطّ إلاّ رفع الله عنهم العلّة ، وكفاهم جوائح الذلّة ، وهداهم إلى معالم الملّة))(١٢٦) ، فشجاعة الإمام الحسن عليه السلام ليست موضع شكّ أو اثبات فهو ابن أبيه عليه السلام وقد شهد معه المواقع كلّها، فالإمام الحسن عليه السلام لم يفتقر إلى شجاعة بل إلى أعوان يعينونه ويقارعون معه الأعداء ، ولكن ماذا يفعل ((بجيش مريض، لقد أغدق معاوية أمواله ورشاويه، ولم يغرهم الإمام الحسن إلاّ بالجهاد والجنّة فكان أنْ هرب عبيد الله مع ثمانية آلاف إلى معاوية ، وهرب الكنديّ إليه مع مائتي رجل بعد أنْ أغراه بخمسمائة ألف درهم وكان الحسن قد وجهه قائدا على أربعة آلاف ليعسكر بالأنبار))(١٢٧) (والكندي هذا لم تذكر لنا المصادر اسمه، ولا كنيته بل ذكرت لقبه فقط وكأنّ ذلك زيادة في تحقيره لفعلته الغادرة) ، ومسألة غدر الناس

بالحسن عليه السلام قضية مشهورة عند العرب وعرفوا رجال القبائل وزعمائها الذين قد غدروا ، فهذا ابن دريد في كتاب الاشتقاق (وهو من علماء القرن الرابع الهجري ، واسمه محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ألف كتابه وسماه الاشتقاق لأنّه تناول فيه أسماء القبائل ورجالها ؛ لذلك اطلق بعض العلماء على كتابه اسم (كتاب اشتقاق اسماء القبائل ، وكتاب اشتقاق الاسماء، عرف بعلمه الغزير حتى قيل فيه : إنّ ابن دريد أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء / انظر مقدمة كتابه الاشتقاق) فذكر رجال بني ثعلبة فيمن ذكر من الرجال وحدد الذي غدر الحسن عليه السلام فقال: ((ومنهم: خالد بن معمر، كان من ساداتهم غدر بالحسن بن عليّ عليهما السلام وبايع معاوية))[128]. وحينما أحسّ الحسن عليه السلام بضعفهم وميلهم الى ما يدعو إليه معاوية ، لم يمتلك الإمام عليه السلام إلاّ أنْ يذكرهم بوجوب طاعته لله ورسوله عبر طاعتهم لإمامهم وذكّرهم بالجزاء الذي يفوزون به فقال: ((فأقسم بالله ، لو أنّ الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها ، والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية))[129]، والإمام عليه السلام يذكرهم بوصايا الرسول صلى الله عليه وآله فيهم ومنها قوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: ((أكتب لشركائك ، قال عليه السلام ومن شركائي ؟ يانبيّ الله ، قال صلى الله عليه وآله : الأئمة من ولدك ، بهم تُسقى أمتي الغيث ، وبهم يُستجاب دعاؤهم ، وبهم يَصرف الله عنهم البلاء، وبهم ينزل الرحمة من السماء، وهذا أولهم وأومأ إلى الحسن ، ثمّ أومأ إلى الحسين عليه السلام ، ثمّ قال : الأئمة من ولده عليهم السلام))[130] وكلام الحسن عليه السلام يبين شدّة الضغوط عليه ، والتي تشبه تلك الضغوط على أبيه عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مع فرق أنّ تلك أقرب إلى السريّة خوفا من افتضاح أمر المنافقين لقرب العهد، أمّا في حقبة الحسن عليه السلام فقد أصبح الأمر علنا، فلا يتورع المنافق من إعلان نفاقه بمعارضته لأمر الرسول صلى الله عليه وآله عبر معارضته لخلافة الحسن عليه السلام بعدم نصرته على معاوية الباغي ، وأشار معاوية نفسه إلى هذا الأمر عندما خاطب الإمام الحسن عليه السلام عندما قال : ((إنّ أمري وأمرك شبيه بأمر أبي بكر وأمركم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله))[131] ومعاوية يشير بقوله هذا إلى أنّ الأكثرية ستسكت عن نصرة الإمام الحسن عليه السلام كما سكتت عن نصرة أبيه عليه السلام مع معرفتها الأكيدة بسماع وصايا الرسول صلى الله عليه وآله بحقّه في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويتضمن كلام معاوية أيضا وقوف قريش وحلفائها ضدهم ((فقد تكتلت قريش بوجوهها البارزة ، تيم ، أسد ، أميّة ... ضدّ عليّ))[132] ويبدو أن كلام معاوية

مع الإمام الحسن عليه السلام جاء بعد أنْ استوثق من أنّ الغدر بالإمام عليه السلام أمر مفروغ منه بعد أنْ ((كتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السرّ، واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من معسكرهم أو الفتك به)) [١٣٣] ولا شكّ أنّ اغتيال الحسن عليه السلام كان من الأهداف الأولى التي سعى إليها معاوية وقد حاول جهده لتحقيق ذلك فقد ((دسّ معاوية إلى عمرو بن حريث ، والأشعث بن قيس، وإلى الحجّار بن أبجر، وشبث بن ربعي دسيسا ، أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونه إنّك إنْ قتلت الحسن بن عليّ ، فلك مائة ألف درهم ، وجند من أجناد الشام وبنت من بناتي ، فبلغ الحسن عليه السلام فاستلأم ولبس درعا وكفّرها وكان يحترز)) [١٣٤] فالإمام عليه السلام كان واعيا تماما للظروف المحيطة ما يريد أعداؤه ، ويعلم خبايا جيشه ، ومن هم المخلصون له ولقضية الإسلام النبويّ ومن هم الذين لا يهمهم سوى دنياهم وحطامها ، ومن يسعى لمصلحة خاصة إذ ((بايع أهل الكوفة الإمام الحسن عليه السلام وفيها ثلاث قوى سياسية مهمة ومؤثرة :

١. الشيعة وعلى رأسهم قبيلتي ربيعة وهمدان...

٢. الخوارج ، وهم وإنْ كانوا لايؤمنون بإمامة أهل البيت عليهم السلام ويُعدون من أعدائهم ولكنّهم يعدون معاوية عدوا مشتركا .

٣. الزعامات القبليّة ، ذات المطامع الشخصيّة والنظرة المحدودة للواقع السياسيّ)) [١٣٥] ، وخطب الإمام عليه السلام تؤكد معرفته لحال جيشه ، وتشخيصه الدقيق لما انطوت عليه نفوسهم وأنّهم قد بدأوا يتأثرون سواء بالمؤثرات الشخصية ، أو الخارجيّة في حب الدنيا على حساب دينهم ، فقد خاطبهم يوما في مسألة الصلح عندما دعاه معاوية إليه ، ليعرف ولاءهم واستعدادهم لمناجزة عدوهم فقال لهم : ((كنتم في منتدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم ، ألا وإنّا لكم كما كنّا ، ولستم لنا كما كنتم،... ألا وأنّ معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإنْ أردتم الموت رددناه عليه ، وحاكمناه إلى الله بظبا السيوف ، وإنْ أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا ، فناداه القوم من كلّ جانب البقية البقية ، فلما أفردوه أمضى الصلح)) [١٣٦] وقد خاطبهم الإمام أكثر من مرّة لعلهم يصممون على قتال عدوهم فذكرهم بوجوب طاعته ؛

لأنّها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله فقال يشير إلى مكانة أهل البيت عليهم السلام : ((نحن حزب الله المفلحون وعترة رسوله المطهرون وأهل بيته الطاهرون وأحد الثقلين اللذينِ خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم طاعتنا مقرونة بطاعة الله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى والرسول وإنّ معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه نصفة ولا عزّ فناداه القوم البقية البقية)) (١٣٧) فالإمام عليه السلام يذكرهم بكتاب الله عزّ وجلّ، وسنّة نبيهم ووصيته في خلفائه من أهل بيته ، وأنّ الطاعة في هذا الأمر واجب شرعيّ عليهم، فالصراع واضح بين من يؤمن بالله ولا يشكّ طرفة عين ، وبين من شكّ ولا يؤمن بجنة أو نار، وهو معاوية وأصحابه ، ولا أدلّ على ذلك من مخاطباته معهم من مثل قول معاوية لعمرو يلومه : ((أفسدت علي أهل الشام بأن قلت أن آمر الحسن يتكلم، فقال عمرو: إليك عني إنّ أهل الشام لم يحبوك محبّة دين ، وإنّما أحبوك لدنيا ينالونها منك فلا يبغضك إليهم إلاّ الدنيا ، والسيف والمال بيدك ، فما يغني عن الحسن كلامه))(١٣٨) ومثل هذا الكلام يوضح إلى أي حدّ افتتن الناس، فالوضع العام، والسواد الأكثر في الشام والعراق كان يميل إلى المكاسب الدنيوية السريعة وهذا لم ولن يتحقق مع جبهة الحسن عليه السلام، وقد استغل معاوية تغييب الرادع الدينيّ عند هؤلاء ولم يتردد بتحقيق ما طلبوه ، ولم يترك أحدا من المؤثرين في الساحة إلاّ وحاول شراءه بالمال أغراه بمنصب، واتبع لتحقيق هدفه كلّ السبل ، وقد ذكرنا كيف اشترى بعض قادة جيش الإمام عليه السلام، ولتتوضح صورة الأحداث التي واجهها الإمام الحسن عليه السلام نذكر محاولات جيش الامام نفسه للفتك بقائده طمعا بدنيا زائلة ، يروي صاحب الكامل في التأريخ ما نصّه ((فلما نزل الحسن عليه السلام المدائن نادى منادٍ في العسكر: ألا أنّ قيس بن سعد قُتِل فانفروا فنفروا، بسرادق الحسن عليه السلام فنهبوا متاعه حتى نازعوه بساطا تحته... وكان الأمير على المدائن : ((سعد بن مسعود الثقفيّ عمّ المختار بن أبي عبيدة، فقال له المختار، وهو شابّ : هل لك في الغنى والشرف ، قال: وما ذاك ؟ قال نستوثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية فقال له عمّه : عليك لعنة الله أثبُ على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأوثقه؟ بئس الرجل أنت))(١٣٩) .

وهذا الواقع الخاذل للإمام الحسن عليه السلام، وهو يرى عصيان الناس لأوامر الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله عبر عصيانهم أولي الأمر منهم ، وحثّهم على الطاعة والمحبة لهم ، فاضطر

الإمام عليه السلام للصلح اضطرارا وقبول ما عرض عليه وعقد الهدنة ، وكان هذا الحلّ الأمثل أمام الإمام عليه السلام للخروج من الفتنة المتأزمّة التي تحاصره من كلّ الجهات ولا معين من الناس عليها، فقد كانت ((الظروف التي اكتنفت فترة الإعداد للهدنة وتوقيعها كانت مساعدة في أنْ يكتب الإمام عليه السلام شروطه فيها))[١٤٠] فقد رأى الإمام أنّ هذه الهدنة فرصة لفضح نوايا معاوية وحزبه الذي أعمى الناس بمكاسب الدنيا ولو بعد حين ، هذا أولا .

والأمر الآخر الأهم هو الحفاظ على البقيّة الباقية الصالحة من خلّص شيعة أهل البيت عليهم السلام ، فقد استبعد الإمام عليه السلام ((فكرة المخاطرة ببقايا الملتزمين بالخطّ السياسي الإصلاحيّ ، ممن صمدوا في وجه الخوف والإغراء ، وجسّدوا ضمير الاتجاه الإسلاميّ ، وعنصر الاستمراريّة فيه، وكانت المحافظة على الفئة النخبويّة في اطار ما سيعرف بحركة التشيع من أبرز هموم الحسن عليه السلام في ذلك الوقت))[١٤١] والحسن عليه السلام في هذا الأمر يستحضر ما مرّ بأهل البيت عليهم السلام فهي ليست المّرة الأولى التي يضطرون فيها إلى مهادنة مخالفيهم فالإمام عليّ عليه أجاب عمار بن ياسر حينما أعطت قريشُ عثمانَ الخلافة فقال عليه السلام: ((يا أبا اليقظان والله لا أجد عليهم أعوانا، ولا أحبّ أنْ أعرضكم لما لا تطيقون))[١٤٢] ومما يؤكد استحضار الحسن عليه السلام سيرة أبيه عليه السلام وجدّه صلى الله عليه وآله ذكره عليه السلام أنّه صالح في هذا الوقت اتباعا منه لسنّة جدّه ، إذ سأله أحد أصحابه فقال: ((قلت للحسن بن عليّ أبي طالب عليه السلام يابن رسول الله لِمَ داهنت معاوية وصالحته ، وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه ... قال عليه السلام: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي :الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ؟ قلت : بلى ، قال عليه السلام: فأنا إمام لو قمت، وأنا إمام إذا قعدت، يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة ، وبني أشجع ، ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبيّة ، أولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل))[١٤٣] ، (بني ضمرة بطن من كنانة : هم من المشركين وكانوا يسكنون في مناطق تمثل عمقا استراتيجيا للمدينة المنورة ، وتمثل مناطقها خطا عسكريا مهما لقوات المدينة إذا أرادت التحرك ؛ لذلك عقد الرسول صلى الله عليه وآله معهم معاهدة الصلح في السنة الثانية من الهجرة، وكان على رأسهم آنذاك مخشي بن عمرو الضمري ، وفيها أعطاهم المسلمون الأمن في المال والنفس ، والنصرة على من عاداهم ، مقابل ألاّ يحاربوا دين الله / انظر معجم البلدان،

الكامل في التاريخ لابن الأثير وغيرهما) ، (وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وآله مع بني أشجع وهم بطن من بطون غطفان ، إذ كانوا يسكنون بالقرب من الطرق الرئيسية للقوافل التجارية ، وظلوا في مناوشات مستمرة مع قوات المدينة المسلمة لتحالفهم مع قريش ، حتى سنة خمس هجرية حينما قدم وفد بني أشجع في سبعمئة ششخص بقيادة مسعود بن رخيلة ... إذ طلبوا الصلح من الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا : فجئنا نوادعك ، فانزلهم صلى الله عليه وآله شعب سلع ، ليمتاروا من المدينة/ انظر طبقات ابن سعد / ، السيرة النبوية / بن كثير ، غزوات الرسول) ، أمّا تفكير الامام عليه السلام بأصحابه والإبقاء عليهم فيظهر في اجابته عليه السلام عن سؤال أحدهم فقال عليه السلام : ((ما كلّ أحدٌ يحبّ ما تحبّ وما رأيه رأيك ، وإنّما فعلت ما فعلت ابقاء عليكم)) (١٤٤) وكانت هذه المسألة من أهم شروط الصلح ، فضلا عن التفكير في مصدر عيشٍ يحفظ لهم كرامتهم ، ويكون حلالا طيبا ؛ لذا اشترط الإمام عليه السلام على معاوية شروطا منها : ((أنْ لا يسميه أمير المؤمنين ، ولا يقيم عنده شهادة ، وعلى أنْ لا يتعقب على شيعة عليّ عليه السلام وعلى أنْ يفرق في أولاد من قُتِل مع أبيه يوم الجمل ، وأولاد من قُتِل مع أبيه بصفّين ألف ألف درهم وأنْ يجعل ذلك من خراج دار ابجرد ... فخصّ الحسن عليه السلام ما لعلّه كان عنده أعفّ وأنظف من مال أردشيرخره ، فاختار لهم أنظف ما عرف)) (١٤٥)

لعلّ بعض الذي ذكرنا يوضح اضطرار الإمام عليه السلام إلى الصلح الذي جاء بعد إلقاء الحجّة على جميع المسلمين أصحابه وخصومه ؛ لأنّ أكثر أصحابه لم يعينوه على قتال ، وخصومه ركبوا البغي والباطل في خصومته ، هذا الصراع بين النصّ الإلهي ، وتأويل المخالفين لإمامة أهل البيت عليهم السلام ، والجميع من المسلمين يعلم أين الحقّ وأين الباطل ، إذ بدأ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بين من نصّ الله ورسوله على تقديمهم لولاية المسلمين ، وبين من انقلب على هذا الترتيب بحجّة الحفاظ على الإسلام وكأنّهم يعلمون المصلحة في ذلك أحسن من الله والرسول صلى الله عليه وآله . فاختيار أهل البيت عليهم السلام كان للحفاظ على الدين من كلّ تأويل جاهل وغير عالم بأسرار القرآن، فقد علمهم الرسول صلى الله عليه وآله كلّ العلم الذي علمه الله عزّ وجلّ ، وهم بذلك علموا المجمل والخاص من القرآن ، فضلا عن علمهم السنّة بكلّ تفاصيلها عبر توجيه من الرسول صلى الله عليه وآله ،

فالصراع منذ أنْ بدأ هو صراع بين الحقّ الذي يدعمه النصّ الإلهي والمتمثل بأهل البيت ومن والاهم ، وبين الباطل المتمثل بمن دخلوا الإسلام خوفا وطمعا ، ولم يفهموا الدين الحقيقي حقّ الفهم، فأصبحوا بعد الفتح مع المنافقين ((فلم يكن النفاق في حقيقة الأمر سوى امتداد طبيعي ومنطقي للشرك . فهو حلقة من حلقاته التأريخيّة ظلّ بنو أميّة على امتداد أحفادهم يمثلونه . في حين استمرّ التوحيد مع محمد ﷺ وعليّ وبنيه))[١٤٦] فأساس القبول بالصلح كان للحفاظ على الدين وحمايته من أفكار المنافقين الذين أرادوا تشويهه ، ومن أبرزها عدم طاعة الرسول ﷺ في وصيته لاستخلاف أهل بيته عليهم السلام ، وكأنّهم لايقرأون قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾[١٤٧] فالإمام الحسن عليه السلام بعد كلّ هذا قد ((تنازل عن شخصه من أجل حفظ قضيته التي تعكس جوهر الإسلام))[١٤٨] والحفاظ على وجه الإسلام الحقيقيّ من الانحراف والتحريف هي قضية أهل البيت عليهم السلام في كلّ زمان ومكان أولا وأخيرا .

الخاتمة

أثبت البحث أنّ النصّ الإلهيّ أوجب طاعة الإمام الحسن عليه السلام ؛ لأنّها من طاعة الرسول صلى الله عليه وآله، والتي أمرنا بها الله سبحانه وتعالى في نصوص قرآنيّة كثيرة ، وأنّ الرسول صلى الله عليه وآله عندما أنزل أهل بيته وعترته عليهم السلام هذه المنزلة لم يتصرف على وفق رؤيته الخاصّة كما حاول أنْ يصورها بعض الصحابة ويسوقونها بين المسلمين ؛ لأهداف اتضح أولها بعد وفاته وقبل دفنه صلى الله عليه وآله عندما انقلبوا على وصيّه الإمام عليّ عليه السلام. فهذه المنزلة هي نصّ وأمر صريح من الله عزّ وجلّ ، وأورد البحث بعض الآيات التي تؤكد جهة النظر هذه ، وهي تقطع الطريق وتردّ على من أراد أن يتأولها ويجعل المسألة تدخل في عصبيّة القرابة والقبيلة ؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بُعِث بمكارم الأخلاق ، والمساواة بين الناس أجمعين ، ولكنّ الحزب المعارض لاستخلاف عليّ عليه السلام وبنيه بعد الرسول صلى الله عليه وآله ، قد تأوّل الآيات فعصى الله ورسوله ، فجعلها تصب في الاتجاه الذي يبلبل الناس ؛ ليهيأ الجو المناسب لتحقيق الانقلاب على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام الشرعيّة التي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وآله وأكّد عليها في أكثر من مناسبة . فقد نظروا إلى مسألة الخلافة على أنّها شرف في الرئاسة يجب أنْ يتشاركوه فيما بينهم وابعاد بني هاشم عنها بأي ثمن ، ولو تطلب تحقيق ذلك الأمر اغتصابها بالقوة ، وتناسوا أنها تكليف شرعيّ لأشخاص بعينهم مختارين بعناية إلهيّة ؛ ولم يهتموا لذلك لاسيما قد عرفوا أنّهم سيخسروا أعمالهم في الدنيا والآخرة ؛ لأنهم لم يطيعوا الله جلّ جلاله ورسوله صلى الله عليه وآله في قبول من اختار لهم .

وقد ظهرت ثمار تأسيس أصحاب الانقلاب وآثارها السلبيّة في توهين الاتجاه النبويّ في الصراع بين الحقّ الشرعيّ المتمثل بوصيّ الإمام عليّ عليه السلام الحسن عليه السلام، والبغي بالباطل المتمثل بمعاوية ، فتخاذل الناس عن نصرة الإمام الحسن عليه السلام مما دفعه إلى الصلح حفاظا على أنصار الدين الحقيقي ؛ ولو نصر الناس الحقّ الشرعيّ المدعوم بالنصّ القرآنيّ ؛ لأنّ العرب لو أطاعت الله ورسوله صلى الله عليه وآله واعترفت بخلافة أهل بيت النبوة الذين أنزلهم الله سبحانه وتعالى هذه المنزلة، لكان للدين شأنٌ وأي شأن .

الهوامش

١-سورة المائدة ، الآية : ٩٧ .
٢-سورة البقرة ، الآية : ١٣٢.
٣-سورة آل عمران ، الآية : ٣٣.
٤-سورة البقرة ، الآية : ٢٤٧.
٥-سورة آل عمران ،الآية :٤٢
٦-سورة النساء ،الآية :٦٩.
٧-المصدر نفسه، الآية :٣١ .
٨-سورة التوبة ، الآية: ٧١.
٩-سورة الأحزاب ، الآية :٧١.
١٠-سورة الفتح ، الآية :١٧ .
١١-سورة المجادلة ، الآية :١٣.
١٢-سورة التغابن ، الآية :١٢ .
١٣-سورة النور ، الآية : ٥٤ .
١٤-سورة محمد ، الآية : ٣٣ .
١٥-سورة آل عمران ، الآية : ٣٢ .
١٦-سورة النساء ، الآية :١٣.
١٧-المصدر نفسه ، الآية :٤٢.
١٨-سورة المائدة ، الآية :٩٢.
١٩-سورة الأنفال ، الآية ١٣.
٢٠-سورة التوبة ، الآية : ٦٣.
٢١-سورة النور ، الآية : ٤٧.
٢٢-سورة الجنّ ، الآية :٢٣.
٢٣-سورة المجادلة ، الآية : ٢٠.
٢٤-سورة الحشر ، الآية : ٤.
٢٥-أبو يحيى الأنصاريّ، تحفة الباري بشرح صحيح البخاريّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ٦/ ٢٣.
٢٦-سورة الحشر ، الآية : ٧٠.
٢٧-سورة يونس ، الآية : ١٥.
٢٨-سورة النجم ، الآيتان : ٣،٤.
٢٩-سورة الأحقاف ، الآية : ٩.
٣٠-سورة ص ، الآية : ٧٠.

٣١-سورة يونس ، الآية :١٠٩ .
٣٢-سورة آل عمران ، الآية :٣١.
٣٣-الحسكانيّ ، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تحقيق محمد باقر المحموديّ ، مؤسسة الأعلميّ بيروت ، ١٥٨/١.
٣٤- ابن بطريق ، خصائص الوحي المبين ، تحقيق مالك المحموديّ ، دار القرآن الكريم ، قم ، ١١٤٧، ٣١، ٣٠ .
٣٥- شهاب الدين الشافعيّ ، فضائل الثقلين ، تحقيق حسين البيرجندي ، مركز التحقيقات ، طهران ٢٠٠٧، ٤٢٦.
٣٦- أبو بكر العربيّ ، العواصم من القواصم ، تحقيق محي الدين الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ،١٢٣.
٣٧- التبريزيّ ، هدى الثقلين في أحاديث الثقلين ، حققه محمد لقمان ، دار الداعي ، الرياض ، ١٤٢١ ، ٦٨٥، ٦٨٦ .
٣٨- التبريزيّ ، المصدر السابق ، ٦٨٥.
٣٩- الحافظ إسماعيل بن زنجويه السمّان ، مختصر كتاب الموافقات بين أهل البيت والصحابة ، اختصره الزمخشريّ ، تحقيق السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ١٦، ١٧ .
٤٠-ينظر، أحمد مصطفى ، الأئمة الإثني عشر في بعض مصادر أهل العامّة ، مركز الإمام المهدي ،٢٠١٠ ، ٩ .
٤١-شهاب الدين الشافعيّ ، المصدر السابق ،٤٢٦.
٤٢-القندوزي ، ينابيع المودّة لذوي القربى، تحقيق علي جمال الحسيني ، دار الأسوة ، ٣٩٨ .
٤٣-القندوزي ، المصدر السابق ، الصفحة نفسها
٤٤- أحمد حسين يعقوب ، الاجتهاد بين الحقائق الشرعيّة والمهازل التأريخيّة أحمد حسين يعقوب ، الدار الإسلاميّة ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ٢٧٥
٤٥-إدريس الحسيني ، الخلافة المغتصبة ، دار الخليج ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ١٨، ١٩ .
٤٦-عبد الله الخنيزي ، أبو طالب مؤمن قريش، دار التعارف ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ١٨٩.
٤٧-أبو يحيى الأنصاريّ ، المصدر السابق ،٣/ ٥٥٩.
٤٨-أبو يحيى الأنصاريّ ، المصدر السابق، الصفحة نفسها.
٤٩-ينظر، جعفر السبحاني ، دور الشيعة في الحديث ، مؤسسة الامام الصادق ، قم ، ١٤٣١ ، ١١.
٥٠-ـ أحمد حسين يعقوب ، نظرية عدالة الصحابة ، مؤسسة أنصاريان ، قم ، ٢٠٠٣ ، ٢٨١.
٥١-سورة البقرة ، الآية :٢٥٣.
٥٢-سورة النساء ، الآية :٢٣.
٥٣-سورة النحل ، الآية :٧١.
٥٤-سورة الإسراء ، الآية :٢١.

٥٥- أحمد حسين يعقوب ، أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها ، الدار الإسلاميّة ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ١٣٠ .
٥٦- أبو بكر الجوهريّ ، السقيفة وفدك ، تحقيق محمد هادي الأمينيّ ، شركة الكتبي ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ٧٧ .
٥٧-ينظر، إدريس الحسيني ، الخلافة المغتصبة ، ٣١.
٥٨- أبو يحيى الأنصاريّ ، المصدر السابق ،٣/ ٥٦٨.
٥٩- محمود العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ ، تقديم محمد حلاق ، دار احياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٣ ١٨/ ٨٨ .
٦٠- محمد هادي الغروي ، موسوعة التأريخ الإسلاميّ ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم ، ١٤٢٣، ٣/ ٦٨٨ .
٦١-ينظر ، أحمد حسين يعقوب ، أين سنّة الرسول وماذا فعلوا بها ،١٣٢.
٦٢-ينظر، فاروق حمادة ، تطور دراسات السنّة النبويّة ، المجلس الوطنيّ للإعلام ، الإمارات ، ٢٠٠٩ ،١٦، ١٧.
٦٣- سورة الأنفال، الآية :٢٤.
٦٤-سورة البقرة ، الآية :١٥٧.
٦٥-سورة النساء ، الآية :٥٧.
٦٦-سورة المائدة ، الآيتان: ٥٥،٥٦.
٦٧-سورة النساء ،الآية :٨٣.
٦٨-الحسكانيّ ، المصدر السابق ،١/ ١٤٩،١٥٠.
٦٩- البلاذريّ ، أنساب الأشراف ، تحقيق فيرفد مادلونغ ، مؤسسة الريّان ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ق٢/ ١٤٠.
٧٠- المسعوديّ ، مروج الذهب ، تحقيق أمير مهنا ، مؤسسة الأعلميّ ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ٣/ ١١ .
٧١- محمد بيومي مهران ، الإمامة وأهل البيت ، مركز الغدير للدراسات ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ١/ ٢٤.
٧٢-سورة الواقعة ، الآيات :٧٧،٧٨،٧٩.
٧٣-سورة آل عمران ، الآية :٧.
٧٤-سورة النساء ، الآية :١٦٢.
٧٥- ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار، حققه مأمون الصاغرجي وآخرون ، مركز زايد للتراث الإمارات، ١/ ١٠.
٧٦- الكليني ، أصول الكافي، ضبط جعفر شمس الدين ، دار التعارف ، بيروت ، ١٩٩١ ،١/ ٢٦٩.
٧٧- الكليني ، المصدر السابق، ١/ ٢٨٥.
٧٨-ينظر، محمد علي الأنصاريّ ، أهل البيت إمامتهم وحياتهم ، مجمع الفكر الإسلاميّ ، قم ، ١٤٢٤ ، ٣٥٥ .
٧٩- حسام شحاته ، قريش وعليّ ، الدار الإسلاميّة ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ١.
٨٠-سورة النجم ، الآيتان : ٣،٤.
٨١-سورة الأحقاف ،الآية :٩.
٨٢- أبو بكر الجوهريّ ، المصدر السابق ،٨٠،٨١.
٨٣-ينظر ، عبد الفتاح لاشين ، المعاني في ضوء أساليب القرآن ، المكتبة الأمويّة ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ١٨٤ .

٨٤-سورة آل عمران ، الآية :١٥٤.
٨٥- محمد بن محمد الأشعث ، الجعفريات الأشعثيات ، تحقيق مشتاق صالح المظفر ، العتبة العباسيّة ، كربلاء ، ١٢٠١٣، ١/ ٧٣.
٨٦- زهير البيطار ، مجتمع الصحابة وظروفه الموضوعيّة ، دار الهدى ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ١٧٦.
٨٧- صدر الدين شرف الدين ، هاشم وأميّة في الجاهليّة ، دار القلم ، بيروت ، ٢٧٧ .
٨٨- أحمد حسين يعقوب ، الاجتهاد بين الحقائق الشرعيّة والمهازل التأريخيّة، مركز الغدير ، بيروت ، ٢٠١٠،٢٧٠ .
٨٩-سورة النساء ، الآيتان : ١٥١،١٥٠ .
٩٠- عباس العقاد ، عبقريّة الإمام عليّ ، دار الفكر ، بيروت ، ٨٦ .
٩١- ايرلنغ بترسن ، عليّ ومعاوية ، ترجمة عبد الجبار الناجي ، النجف ، دار المجتبى ، ٢٠٠٩ ، ٤٥،٤٤ .
٩٢- ابن أعثم الكوفيّ ، الفتوح ، تحقيق علي شيري ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩١ ، ٣/ ٢٨٣ .
٩٣- صالح الورداني ، السيف والسياسة ، مؤسسة المعارف الإسلاميّة ، قم ، ١٩٩٦ ، ١٥١ .
٩٤- إبراهيم بيضون ، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك ، شهاب الدين ، قم ، ٢٠٠٦ ، ٣٢٨.
٩٥-أبو بكر الجوهريّ ، المصدر السابق ،٥١.
٩٦- مرتضى العسكري ، أحاديث أم المؤمنين عائشة ، نشر كلية أصول الدين ، طهران ، ١٩٩٧، ١/ ٣٢٧.
٩٧- ابن كثير ، الكامل في التأريخ ، تحقيق خليل شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ٣/ ٣٥٧ .
٩٨- مرتضى العسكري ، المصدر السابق ، ١/ ٣٢٣.
٩٩-جعفر نقدي ، غزوات أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٩٢، ١٤١.
١٠٠-ينظر، كريم جهاد الحساني ، صلح الحسن في فكر المستشرقين ، العتبة العباسيّة ، كربلاء ، ٢٠١٤ ، ٣٠.
١٠١- سورة الأحزاب ، الآية :٣٦.
١٠٢-ينظر، جمال الحضري ، المقاييس الإسلوبيّة في الدراسات القرآنية ، مجد المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ٢٠١١ ٩.
١٠٣-للمزيد ينظر ، زهير البيطار ، المصدر السابق ، ١٨٨.
١٠٤-ـ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ٤/ ١٣٧.
١٠٥-ينظر، عبد الرحمن الشافعي ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، دار الاسراء ، عمّان ، ٢٠٠٤ ، ٣٤٠ .
١٠٦-تقي الدين المكيّ، العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب ، بيروت ، ٣/ ٣٦٩.
١٠٧-ترجمة الحسن عليه السلام من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبرى ، تحقيق عبد العزيز الطبطبائي، مؤسسة آل البيت ، قم ، ١٤١٦ ، ٧٢.
١٠٨-ينظر، علي نظري منفرد ، الصلح الدامي سيرة الإمام الحسن ، دار الرسول الأكرم ، بيروت ، ٢٠٠٨،٣٢٥.

١٠٩-لحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب ، بيروت ، ٣/ ٣٢٥.
١١٠- علي بن مهدي المامطيري ، نزهة الأبصار ومحاسن الآثار، تحقيق باقر المحمودي ، المجمع العالمي، طهران ٢٠٠٩، ٣٦٤ .
١١١-ينظر، عبد الله فيّاض ، تأريخ الامامية ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ٤٥.
١١٢-زهير البيطار ، المصدر السابق ، ١٩٢.
١١٣-ينظر، معتصم سيد أحمد ، الحقيقة الضائعة ، دار المحجّة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ١٨٤ .
١١٤-محمد الموسوي ، السياسة الملتزمة في نهج الإمام الحسن، دار المحجة البيضاء بيروت ، ١٩٩٩ ، ٣١.
١١٥-اليعقوبي ، تأريخ اليعقوبي ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ٢/ ١٢١،١٢٢.
١١٦- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ٢/ ١٢٢.
١١٧-عبد الفتاح مقصود ، السقيفة والخلافة ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ١٨.
١١٨-البلاذريّ ، أنساب الأشراف ، تحقيق فيرفد مادلونغ ، مؤسسة الريّان ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ق٢ / ٤٧٤.
١١٩-ينظر، عبد الوهاب طويلة ، الحسن بن علي وعام الجماعة ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ١٥٤.
١٢٠- ابن الأثير، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد وآخرون ، دار الكتب ، بيروت، ٢٠٠٢، ١/ ٤٣٨ .
١٢١-القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد ، وزارة الاعلام ، الكويت ١٩٨٥،١/ ١٠٨ .
١٢٢-ابن جرير ، تأريخ الطبري ، تحقيق عبد علي مهنا ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ٤ / ٤٠٥.
١٢٣-اليعقوبي ، المصدر السابق ، ٢/ ١٢١.
١٢٤-قصي حسن ، موسوعة الحضارة الاسلامية (الأموي) ، دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٤، ٢/ ٣٠ .
١٢٥-أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق أحمد صقر، مؤسسة النبراس ، النجف ، ٣٤.
١٢٦-نصر بن مزاحم ، وقعة صفّين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ١١٤.
١٢٧-ينظر ، إدريس الحسيني ، لقد شيعني الحسين ، دار النخيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٦، ٢١٨.
١٢٨-ابن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٨، ١، ٣٥٣.
١٢٩-كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الانصاري ، جنة البقيع ، اللجف، ٢٠١٤، ٣٩٠.
١٣٠-القميّ ، الإمامة والتبصرة من الحيرة ، تحقيق محمد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت ، بيروت ١٩٩٢، ١٨٣.
١٣١-البلاذري ، المصدر السابق ، ق٢/ ٤٦٨.
١٣٢- إبراهيم بيضون ، الحجاز والدولة الإسلامية ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ١/ ١٨ .
١٣٣-أبو مخنف ، نصوص من تأريخ أبي مخنف ، تحقيق كامل الجبوري ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ١٩٩٩،١/ ٣٥٠.

١٣٤-ينظر ، مرتضى العسكري ، المصدر السابق ، ١/ ٣٢٠.
١٣٥- عبد الستار الجابري ، تأريخ الشيعة السياسي ، العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، ٢٠١١ ، ١٤٧.
١٣٦- ابن عبد البر القرطبي ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق محمد عوض وآخرون ، دار الكتب ، بيروت ٢٠٠٣ ، ٢/ ١٩.
١٣٧-سبط بن الجوزي ،تذكرة الخواص ، دار العلوم ، بيروت ،٢٠٠٤ ،٢٥٩.
١٣٨- قطب الدين الراوندي ، مكارم أخلاق النبيّ والأئمة ، تحقيق حسين الموسوي ، العتبة العباسية كربلاء،٢٠٠٩ ٢١٦
١٣٩-ينظر ،ا بن كثير ، المصدر السابق ، ٣/ ٣٥٣ ، وينظر ، أبو مخنف ، المصدر السسابق ، ١/ ٣٤٩.
١٤٠- فؤاد الأحمد ، الحسن القائد والتأريخ ، دار البيان العربي ، بيروت ،١٩٩١ ،٨٧.
١٤١- ابراهيم بيضون ، المصدر السابق ، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك ،١٤٢.
١٤٢-أبو بكر الجوهري ، المصدر السابق ،٨٩.
١٤٣-المجلسي ، بحار الأنوار، تعليق علي الشاهرودي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، مج٢٢/ ج٤٤ ، ٢٧٣.
١٤٤-البلاذري ، المصدر السسابق ، ق٢ / ٤٧٧.
١٤٥-ينظر تفصيل هذه المسألة ، المجلسي ، المصدر السابق ، مج٢٢ ، ج٤٤ ،٢٧٣ وما بعدها.
١٤٦-إدريس الحسيني ، الخلافة المغتصبة ، دار الخليج ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ١٩.
١٤٧-سورة النساء ، الآيتان :١٥٠،١٥١.
١٤٨-صالح الورداني ، المصدر السابق ،٥٧.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*إبراهيم بيضون ، الحجاز والدولة الإسلامية ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٩٥ .إبراهيم بيضون ، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك ، شهاب الدين ، قم، ٢٠٠٦ .

*ابن أعثم الكوفيّ ، الفتوح ، تحقيق علي شيري ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩١ .

*ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار، حققه مأمون الصاغرجي وآخرون ، مركز زايد للتراث الإمارات .

*ابن الأثير، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد وآخرون ، دار الكتب ، بيروت، ٢٠٠٢.

*ابن بطريق ، خصائص الوحي المبين ، تحقيق مالك المحموديّ ، دار القرآن الكريم ، قم ، ١٤١٧ .

*ابن جرير ، تأريخ الطبري ، تحقيق عبد علي مهنا ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٩٨ .

*ابن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

*ابن عبد البر القرطبي ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق محمد عوض وآخرون ، دار الكتب،بيروت ،٢٠٠٣.

*ابن كثير ، الكامل في التأريخ ، تحقيق خليل شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

*أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق أحمد صقر، مؤسسة النبراس ، النجف.

*أبو بكر الجوهريّ ، السقيفة وفدك ، تحقيق محمد هادي الأمينيّ ، شركة الكتبي ، بيروت ، ١٩٩٣

*أبو بكر العربيّ ، العواصم من القواصم ، تحقيق محي الدين الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٤ .

*أبو مخنف ، نصوص من تأريخ أبي مخنف ، تحقيق كامل الجبوري ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ١٩٩٩.

*أبو يحيى الأنصاريّ ، تحفة الباريّ بشرح صحيح البخاريّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ٢٠٠٤.

*أحمد حسين يعقوب ، الاجتهاد بين الحقائق الشرعيّة والمهازل التأريخيّة، مركز الغدير ، بيروت ، ٢٠١٠ .

*أحمد حسين يعقوب ، أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها ، الدار الإسلاميّة ، بيروت ، ٢٠٠١ .

*أحمد حسين يعقوب ، نظرية عدالة الصحابة ، مؤسسة أنصاريان ، قم ، ٢٠٠٣ .

*أحمد مصطفى ، الأئمة الإثني عشر في بعض مصادر أهل العامّة ، مركز الإمام المهدي ،٢٠١٠ .

*إدريس الحسيني ، الخلافة المغتصبة ، دار الخليج ، بيروت ، ١٩٩٦.

*إدريس الحسيني ، لقد شيعني الحسين ، دار النخيل، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٦ .

*ايرلنغ بترسن ، عليّ ومعاوية ، ترجمة عبد الجبار الناجي ، النجف ، دار المجتبى ، ٢٠٠٩

*البلاذريّ ، أنساب الأشراف ، تحقيق فيرفد مادلونغ، مؤسسة الريّان ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

*التبريزيّ ، هدى الثقلين في أحاديث الثقلين ، حققه محمد لقمان ، دار الداعي ، الرياض ، ١٤٢١ .

*ترجمة الحسن عليه السلام من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبرى ، تحقيق عبد العزيز الطبطبائي، مؤسسة آل البيت ، قم ، ١٤١٦ .

*تقي الدين المكيّ، العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب ، بيروت.

*جعفر السبحاني ، دور الشيعة في الحديث ، مؤسسة الإمام الصادق ، قم ، ١٤٣١ .

*جعفر نقدي ، غزوات أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ،١٩٩٢ .
*جمال الحضري ، المقاييس الإسلوبيّة في الدراسات القرآنية ، مجد المؤسسة الجامعية ، بيروت ٢٠١٠.
*الحافظ إسماعيل بن زنجويه السمّان ، مختصر كتاب الموافقات بين أهل البيت والصحابة ، اختصره الزمخشريّ ، تحقيق السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلميّة،بيروت ، ١٩٩٩.
*الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب ، بيروت.
*حسام شحاته ، قريش وعليّ ، الدار الإسلاميّة- بيروت ، ٢٠٠٦ .
*الحسكانيّ ، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر المحموديّ ، مؤسسة الأعلميّ بيروت .
*الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
*زهير البيطار ، مجتمع الصحابة وظروفه الموضوعيّة ، دار الهدى ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
*سبط بن الجوزي ، تذكرة الخواص ، دار العلوم ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
*شهاب الدين الشافعيّ ، فضائل الثقلين ، تحقيق حسين البيرجندي ، مركز التحقيقات ، طهران ٢٠٠٧.
*صالح الورداني ، السيف والسياسة ، مؤسسة المعارف الإسلاميّة ، قم ، ١٩٩٦ .
*صدر الدين شرف الدين ، هاشم وأميّة في الجاهليّة، دار القلم ، بيروت.
*عباس العقاد ، عبقريّة الإمام عليّ ، دار الفكر ، بيروت.
*عبد الرحمن الشافعي ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، دار الاسراء ، عمّان ، ٢٠٠٤
*عبد الستار الجابري ، تأريخ الشيعة السياسي ، العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، ٢٠١١ .
*عبد الفتاح لاشين ، المعاني في ضوء أساليب القرآن، المكتبة الأمويّة ، دمشق ، ١٩٨٣
*عبد الفتاح مقصود ، السقيفة والخلافة ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٦ .
*عبد الله الخنيزي ، أبو طالب مؤمن قريش، دار التعارف ، بيروت ، ١٩٧٨ .
*عبد الله فيّاض ، تأريخ الامامية ، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، ١٩٨٦.
*عبد الوهاب طويلة ، الحسن بن علي وعام الجماعة، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .
*علي بن مهدي المامطيري ، نزهة الأبصار ومحاسن الآثار، تحقيق باقر المحمودي ، المجمع العالمي، طهران ، ٢٠٠٩.
*علي نظري منفرد ، الصلح الدامي سيرة الإمام الحسن ، دار الرسول الأكرم ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
*فاروق حمادة ، تطور دراسات السنّة النبويّة ، المجلس الوطنيّ للإعلام ، الإمارات ، ٢٠٠٩ .
*فؤاد الأحمد ، الحسن القائد والتأريخ ، دار البيان العربي ، بيروت ،١٩٩١ .
*قصي حسن ، موسوعة الحضارة الاسلامية (الأموي) ، دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
*قطب الدين الراوندي ، مكارم أخلاق النبيّ والأئمة ، تحقيق حسين الموسوي ، العتبة العباسية كربلاء ،٢٠٠٩ .
*القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد ، وزارة الاعلام ، الكويت ١٩٨٥ .
*القميّ ، الإمامة والتبصرة من الحيرة ، تحقيق محمد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت ، بيروت ١٩٩٢ .
*القندوزي ، ينابيع المودّة لذوي القربى، تحقيق علي جمال الحسيني ، دار الأسوة .

*كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري ، جنّة البقيع ، النجف ، ٢٠١٤ .
*كريم جهاد الحساني ، صلح الحسن في فكر المستشرقين ، العتبة العباسيّة ، كربلاء ، ٢٠١٤
*الكليني ، أصول الكافي، ضبط جعفر شمس الدين، دار التعارف ، بيروت ، ١٩٩١ .
*المجلسي ، بحار الأنوار، تعليق علي الشاهرودي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٨.
*محمد الموسوي ، السياسة الملنزمة في نهج الإمام الحسن عليه السلام، دار المحجة البيضاء بيروت ، ١٩٩٩ .
*محمد بن محمد الأشعث ، الجعفريات الأشعثيات، تحقيق مشتاق صالح المظفر ، العتبة العباسيّة ، كربلاء، ٢٠١٣.
*محمد بيومي مهران ، الإمامة وأهل البيت ، مركز الغدير للدراسات ، بيروت ، ١٩٩٥ .
*محمد علي الأنصاريّ ، أهل البيت إمامتهم وحياتهم، مجمع الفكر الإسلاميّ ، قم ، ١٤٢٤ .
*محمد هادي الغروي ، موسوعة التأريخ الإسلاميّ ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم ، ١٤٢٣.
*محمود العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ ، تقديم محمد حلاّق ، دار احياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٣.
*مرتضى العسكري ، أحاديث أم المؤمنين عائشة، كلية أصول الدين ، طهران ، ١٩٩٧.
*المسعوديّ ، مروج الذهب ، تحقيق أمير مهنا ، مؤسسة الأعلميّ ، بيروت ، ٢٠٠٠ .
*معتصم سيد أحمد ، الحقيقة الضائعة ، دار المحجّة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
*نصر بن مزاحم ، وقعة صفّين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠
*اليعقوبي ، تأريخ اليعقوبي ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٩٣ .

سياسةُ الإمام الحسن عليه السلام

وأثرُها في مواجهةِ الإرهابِ الأُموي

ا.م.د. احمد جاسم مطرود - ا.م.د. وسام صالح عبد الحسين

جامعة بابل / كلية الاداب / قسم علم الاجتماع.

ملخص البحث

تمثل الإمامة حقيقة إلهية ثابتة أوجدتها السماء لتطبيق متطلبات الشريعة السمحاء بالشكل الذي يضمن وجود المجتمع الاسلامي الأمثل، لذلك عُدت بأنها أصلا من أُصول الدين محكومة بلغة العقل ولا يجوز التقليد فيها، وهي منصب الهي يفوضه الله تعالى لخاصة عباده بغية إعداد مجتمع يأخذ على عاتقه تطبيق التعاليم الدينية الحقة ويتصدون من خلالها لأولئك الذين يرومون تجذير مسائل الظلم والفساد والانحراف بين أفراد المجتمع، من هنا مَثّلَ الإمام الحسن عليه السلام دليلاً واضحاً لتلك الثُّلة المختارة من قبل السماء لإظهار الدين بصورته الصحيحة القويمة على وفق إرادة الباري جلَّ وعلا إذ أنّهُ عليه السلام، وطوال مُدّة حياته، مارس أدواراً مهمةً في مواجهة أئمة الكفر وخاصة في فترة إمامته التي كشف فيها بأدلة لا تقبل الجدل زيف الأمويين وما يحمله هؤلاء من خطر على الرسالة المحمدية التي أُريد لها من قبلهم أنْ تُمحى بشعار خليفة المسلمين معاوية. وبذلك مثلت سياسة الامام الحسن عليه السلام مصداقاُ لأمام العدل الذي أخذ على عاتقه مسؤولية التصدي لخطر الارهاب الاموي ومن ثمَّ كشف حقيقتهم على أنّهم يمثلون أئمة كفر ويحملون فكراً ارهابياً هَدَّاماً غايته تغييب التعاليم الالهية الحقة.

Abstract

The Imamate represents a fixed divine reality created by heaven to implement the requirements of the tolerant Sharia in a manner that ensures the existence of the optimal Islamic society. Therefore, it is considered one of the principles of religion governed by the language of reason and it is not permissible to imitate it. By the true religious faith and through it they confront those who seek to root issues of injustice, corruption and deviation among the members of society. Hence, Imam Al-Hassan represented a clear evidence for that group chosen by the heavens to show the religion in its correct and upright image according to the will of the Almighty, as he, throughout his life, he played important roles in confronting the people of disbelief, especially during the period of his imamate , during which he exposed with indisputable evidence the falsehood and the danger they posed to the Muhammadan message . Thus, the policy of Imam al-Hassan (peace be upon him) represented a testament to the Imam of Justice, who took upon himself the responsibility of confronting the danger of Umayyad terrorism and thus unveiling their truth that they represent the pole of infidelity who carry a terrorist, destructive ideology whose goal is to obscure the heavenly teaching.

المقدمة

إن محاولة البحث والتدبر في سيرة الإمام الحسن بن علي عليه السلام تُنبئ عن اكتناز معرفي هائل يحمل بداخله دلالات ذات معاني سامية يمكن للبشرية ان تستنير بها بغية الولوج في مسار التقدم والتطور والتنمية. من هنا سيلحظ الباحث الموضوعي في تعامله مع المواقف والاحداث – على الرغم من ضراوتها وحجم الألم فيها – التي مر بها الامام عليه السلام أنّها مليئة بالعبر، ومن ثم استثمارها في تقويم الاعوجاجات التي ابتليت بها الامة، ومن باب الإفادة من ذلك علمياً وعملياً اضحت الضرورة لازمة للولوج في تحليل الدور السياسي للإمام الحسن عليه السلام، ومن ثم مسرحته وقراءة مضامين قراراته الاستراتيجية التي انبئتنا عن قيمة الدور الذي مارسه في حفظ مضامين شريعة السماء بالقدر الذي يتيح لنا في الافادة من مواقفه العظيمة التي لا حصر لها. وعليه ولأجل الانعتاق عن واقعنا المرير لابد لنا من الاحتكام سياسياً إلى حياة الأئمة عليهم السلام بشكل عام والامام الحسن عليه السلام بشكل خاص من خلال الاسترشاد بدلالات النصوص والمواقف والسلوكيات والتجارب التي وظفها الامام في حفظ مسار الأمة بالشكل الذي ارادهُ الباري جل وعلا لعباده وبذلك سنجد إنّ تلك الدلالات تمتاز بحركيتها وديناميتها التي تجعل منها ذا صفة حية تصلح لكل العصور، من هنا جاءت اهمية بحثنا لتحلل سياسة الامام عليه السلام في مدة امامته على اسس منزلة الامام ودوره السياسي واثر قراراته المهمة في تحييد خطر الارهاب الاموي، وسيتم تحقيق اهداف هذا البحث بثلاثة مباحث:

المبحث الأول – مكانة الامام الحسن عليه السلام في منظومة الإمامة العقائدية.

المبحث الثاني – دور الامام الحسن عليه السلام في الحد من الخطر الأموي.

المبحث الثالث – أثر سياسة الإمام الحسن عليه السلام في حفظ الرسالة المحمدية من خطر الارهاب الأموي.

المبحث الأول- مكانة الامام الحسن عليه السلام في منظومة الإمامة العقائدية.

ارتبطت الإمامة المعصومة بالشيعة الإمامية، والتي تُعدُّ ركناً من أركان المذهب ولا يصبح المسلم مؤمناً حتى يؤمن بها[١]. إنّ الإمامة منصوص عليها من الله تعالى وقد بَلّغ بها الرسول صلى الله عليه وآله في مواطن عدة وتقوم على أساس أنّ الإمام بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله هو ابن عمه علي ابن أبي طالب عليه السلام[٢]. وتسري في عقب الإمام علي عليه السلام، إذ ينص كل واحد على من بعده[٣]. فالله تعالى هو من نصب الإمام علي عليه السلام في منصب الولاية بإخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله وأن الولاية بعد الإمام علي عليه السلام هي للأئمة المعصومين عليهم السلام واحداً تلو الآخر[٤]. هذا يعني أنّ الولاية من جانب الله سبحانه على عباده ثابتة لرسوله وأوصيائه المعصومين عليهم السلام، أما غير الرسول وأوصيائه عليهم السلام فلاشك في أن الأصل عدم ثبوت ولاية أحد إلا من ولاه الله سبحانه ورسوله أو أحد أوصيائه، حينئذ يكون هو ولياً على من ولاه فيما ولاه فيه الأولياء الكثيرون، كالفقهاء والآباء والأجداد والأوصياء والأزواج، فإنهم الأولياء على العوام والأولاد الموصى له والزوجات والمماليك والموكلين، ولكن ولايتهم مقصورة على أمور خاصة[٥]. وهذا يُثبت أحقية أنّ الإمامة هي منصب إلهي مقدس، وأن الإمام يجب أنْ يتصف ببعض الصفات الفذّة، من قبيل: العصمة والعلم الكامل، ولا يمكن التعرف على مثل هذا الشخص وتنصيبه إلا من خلال الوحي عن طريق الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله[٦].

وتدخل الإمامة هنا في باب الولاية التي تعني الإمارة والحكومة والزعامة[٧] وولاية الإسلام بوصفها ديناً وخلافاً للأديان والمذاهب غير التوحيدية ، يدخل في جميع الشؤون الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية والثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ويشرف عليها، ولم يهمل أية ملاحظة ولو كانت بسيطة لها دور في تربية الإنسان والمجتمع وتقدمها المادي والمعنوي. وقد حذر من الموانع والمشكلات التي تقف في طريق تكامل المجتمع وسعى إلى إزالتها[٨]، لذلك سعى رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده إلى تربية المسلمين ورسم معالم الشخصية الإسلامية المؤمنة وتحديد أبعادها. لذا يتوجب على الانسان المسلم معرفة الامام معرفة حقيقية عن طريق العلم[٩]. من هنا اخذ الامام الحسن على عاتقه مهمة إرشاد الأمة إلى طريق الصواب، قائماً بحمل أعباء الرسالة المحمدية الحقة من خلال الدور الذي منحه الباري جلا وعلا له عليه السلام في هذا المجال.

أنّ الإمام الحسن هو الإمام الثاني من الأئمة الإثني عشر المعصومين، والده الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وامه فاطمة الزهراء عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله ولد في المدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة. بلغ عمره الشريف٤٧ سنة، وكانت مدة إمامته عشرة سنوات، وكانت تسميته عليه السلام من الله تعالى، وكان الرسول صلى الله عليه وآله قد اكد على: «..... ما كنت لأسبق ربي (عز و جل)» . قال: «فهبط جبرئيل . فقال : إن الله (عز و جل) يقرأ عليك السلام، و يقول لك يا محمد، علي منك بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدك، فسمِّ ابنك باسم ابن هارون. قال النبي صلى الله عليه وآله يا جبرئيل، و ما اسم ابن هارون؟ قال جبرئيل: شبر قال: و ما شبر قال: الحسن. قالت: أسماء فسمّاه الحسن»[١٠]. وروى ابن ابي الحديد المعتزلي: «أن الحسن كان اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخُلقاً»[١١]. فشبهه عليه السلام لجده في الخَلق هو امرٌ واضح من ناحية الملامح والمنطق أما شبهه في الخُلُق فيعدُ وسام الجدارة لذلك المنصب الالهي الذي هو خلافة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله من هنا نعرف السر والهدف الذي يرمي اليه النبي الاعظم صلى الله عليه وآله في تأكيداته المتكررة تصريحاً وتلميحاً على ذلك الدور الذي ينتظر الامام الحسن واخاه الحسين عليهما السلام والى المهام الجلية التي يتم اعدادهما لها، حتى يصرح صلى الله عليه وآله بانهما عليهما السلام امامان قاما او قعدا[١٢] وقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله على امامة الحسن عليه السلام بقوله: « **يا علي انا وأنت وابناك الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين أركان الدين ودعائم الاسلام، من تبعنا نجا، ومن تخلف عنّا فإلى النار**»[١٣] وينقل الشيخ الاجل المجلسي في(بحار الانوار) عن ثقة الإسلام الكليني (رحمه الله) في باب وصية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام عدّة نصوص تشهد بالوصية له وأنه هو الإمام بعده، نذكر منها[١٤]:

عن «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني وعمر بن اذينة ، عن أبان، عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين ع حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن عليه السلام : يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن

آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام، ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال، وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين عليه السلام، ثم قال لعلي بن الحسين: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي أقرأه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومني السلام».

عن «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر ع قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام لمّا حضره الذي حضره قال لابنه الحسن: أدن مني حتى أسر إليك ما أسر رسول الله صلى الله عليه وآله إلي، وائتمنك على ما ائتمنني عليه، ففعل» وعن ذلك السر يقول جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أوصى أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح ، ثم قال لابنه الحسن: يا بني أمرني رسول الله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله ودفع إلي كتبه وسلاحه ، وأمرني أن آمرك إذا حضرت الموت أن تدفع إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين وقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعه إلى ابنك هذا ، ثم أخذ بيد ابن ابنه علي بن الحسين، ثم قال لعلي بن الحسين : يا بني وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعه إلى ابنك محمد بن علي وأقرئه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومني السلام ، ثم أقبل على ابنه الحسن ، فقال: يا بني أنت وليّ الأمر وولي الدم ، فإن عفوت فلك وإن قتلت فضربة مكان ضربة ولا تأثم».

وبذلك تشير الكثير من الادلة - التي لا حصر لها - أنَّ الامام الحسن عليه السلام مُنصب من قبل الله تعالى كأمام مفترض الطاعة كما تؤكد بذلك مدرسة النص، اضف الى ذلك وبحكم مدرسة الشورى فقد عدَّ كثيرون ان الامام الحسن عليه السلام هو خامس الخلفاء ودليلهم على ذلك:

أولاً: ان البيعة كانت شرعية وصحيحة وعامة، تشبه بيعة المسلمين للخلفاء الاربعة الذين سبقوه طبعاً بغض النظر عن بعض التفاصيل التي ميزت المسلمين الى فرق ومذاهب.

ثانياً: استشهادهم بقول رسول الله صلى الله عليه وآله :«الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً» وان الثلاثين اختتمت بالأشهر الستة تحديداً التي قضاها الحسن السبط عليه السلام في الخلافة قبل ان يستولي معاوية على بلاد المسلمين بالكامل كنتيجة لخرق بنود الوثيقة(١٥). مما تقدم يمكن القول: ان الامام الحسن عليه السلام يمثل مصداقا لشخصيةٍ اختارتها السماء لتطبيق وحماية

الشرع المقدس من الانحراف، ودليل ذلك سياسته الحكيمة في مُدَّةِ امامته والتي انطبقت بالشكل والمضمون مع مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية وتعاليم ابيه عليه السلام ، وعليه فليس من الغريب ان نجد الجانب العقائدي الاصيل حاضرا في كل تحركاته الاجتماعية السياسية سواء في مُدَّةِ تسنمه لمنصب الخلافة او قبلها او مابعدها.

المبحث الثاني- دور الامام الحسن عليه السلام في الحد من الخطر الأموي.

مثلت سياسة الامام الحسن عليه السلام الامتداد الطبيعي لسياسة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وابيه امير المؤمنين عليه السلام، فحكم الامة الاسلامية على وفق مقتضى التعاليم الالهية الحقة مبينا على الدوام انّه عليه السلام يمثل الوريث الشرعي لتلك السلالة الطاهرة التي اختارتها السماء لبيان احكام الدين وتقويم الاعوجاج الذي يبثه حكام الجور بقصد اغواء الناس عن جادة الحق. لذلك نجد ان مُدَّةِ امامته وما قبلها قد حفلت بكثيرٍ من المواقف والاحداث التي بين فيها عليه السلام مشروعية الدور الذي يقوم به وانه كان الدرع الحصين لحماية الشرع المقدس وحفظ حقوق وارواح الناس في وجه الاخطار التي تظهر متى ما وجدت الفرصة سانحة لذلك. وقد اشارت الشواهد التاريخية الى جملة من الحقائق التي افصحت عن حجم وقيمة اثر الدور السياسي الذي كان يقوم به الامام عليه السلام في تثبيت مضامين رسالة السماء على وفق ما رُسمت له الارادة الالهية، وهنا يمكن لنا نوجز طبيعة ذلك الأثر بما يأتي :

١-بَيّنَّ الإمام عليه السلام انّ مهمته الدينية - السياسية إنّما هي حقيقة إلهية مستمرة قائمة على الحق ومبنية على أسس عقائدية لا تقبل الجدل، ودليل ذلك ما ذكره الامام عليه السلام - كما جاء في كتاب الارشاد للشيخ المفيد - في صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام عندما خطب بالناس في جملة ما قاله: « ... أنا ابن البشير أنا ابن النذير، انا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أنا من أهل بيت فرض الله مودتهم في كتابه فقال تعالى: « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا «فالحسنة مودتنا أهل البيت» فقام عبد الله بن العباس (رحمه الله) بين يديه فقال: معاشر الناس هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه، فاستجاب له الناس فقالوا: ما أحبه

إلينا وأوجب حَقَّهُ علينا، وبادروا إلى البيعة له بالخلافة وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتّب العمّال وأمّر الأمراء وأنفذ عبد الله بن العباس إلى البصرة ونظر في الأمور(١٦). من هنا نجد ان الامام عليه السلام اكتسب المشروعية كحاكم للناس على اسس البيعة العامة في المسجد كأبيه الامام علي عليه السلام الذي قال: « انما الشورى للمهاجرين والانصار، فاذا اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضا»(١٧). وبذلك نجد انّ الامام عليه السلام بويع من قبل الناس على حرب من حارب وسلم من سالم .وبذلك يتضح عدم المشروعية في تبوء معاوية بن ابي سفيان(لعنه الله) لمسند الخلافة خاصة وانه لم يكن من اهل البيت عليهم السلام الذين اختارتهم السماء لسياسة البلاد والعباد، ومن هنا تشير نتائج التحليل الى ان معاوية (لعنه الله) يمثل غاصبا للخلافة بحكم النص الالهي.

٢- لقد عمد الامام الحسن عليه السلام الى اتباع سياسة حكيمة ترتكز بكل مضامينها على الخطاب الالهي الداعي الى دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة. فنجده عليه السلام يعتمد خيار الدعوة الصريحة حينما سافر الى الشام كي يقر حقاً نذر له نفسه. ودليل ذلك تطالعنا به صفحات التاريخ بكثير من الخطب التي القاها على اهل الشام بالشكل الذي اثر في نفوسهم ابلغ تأثير، ولم يزل كذلك حتى اشتكاه انصار معاوية قائلين له ان الحسن قد احيا اباه وذكره، وقال فصدق، وامر فأطيع، وخفقت له النعال وان ذلك لرافعه الى ماهو اعظم منه وما يزال يبلغنا عنه مايسؤونا(١٨) وهنا نجد انّ الامام الحسن عليه السلام اتبع استراتيجية معلنة قوامها أنّه عليه السلام يمثل الاسلام الحقيقي ومن ثمَّ فك شفرة الكفر المبطن التي كان معاوية(لعنه الله) يعتمدها في دار الخلافة آنذاك وايهامه للناس بأنه خليفة المسلمين حقا. ومن هنا تشير نتيجة التحليل الى ان الامام الحسن عليه السلام اعتمد سياسة الدعوة الصريحة لتعريف اهل الشام المُضّلل بهم من انه يمثل فكر الاسلام المحمدي الاصيل في مقابل فكر الجاهلية الاموية المختبئة خلف ستار معاوية خليفة المسلمين.

٣-اتبع الامام الحسن عليه السلام منذ توليه الخلافة سياسة المواجهة مع معاوية (لعنه الله) الباغي على خليفة المسلمين. فنجده عليه السلام يجيش الجيوش والمقاتلين لقتال معاوية عندما سمحت له الظروف بذلك، لكن عامل المفاجأة الذي برز في صفوف جيشه عليه السلام كبروز حالات الخيانة والغدر دفعه

نحو الصلح مع معاوية(لعنه الله). ويؤكد الامام عليه السلام في معرض دفاعه عن سياسته العسكرية من خلال جوابه على أحد أصحابه الذين عاتبوه على الصلح:» والله لو وجدت انصارا لقاتلت معاوية ليلي ونهاري«(١٩).مع ذلك استمّر الامام عليه السلام في جهاده ضد نظام معاوية الذي كان يضمر العداء للرسالة المحمدية مشكلاً عاملاً للخوف والفزع للنظام الاموي ما دفع معاوية(لعنه الله) الى التفكير بقتل الامام عليه السلام وهو ما حدث بالفعل من خلال سم كانت به شهادته المباركة.

وتشير نتيجة التحليل على نحو ماتقدم الى ان الامام الحسن عليه السلام خلال مسيرته الجهادية مع النظام الاموي ابرز حجم الخطر الذي يشكله معاوية(لعنه الله) على المجتمع الاسلامي، وان فريضة الجهاد سواء بالسيف (المواجهة العسكرية) أم بالكلمة (المواجهة السياسية) مثلت حقيقة كان الامام عليه السلام دوماً ما يسعى لها لو أنّ الامة لم تتقاعس عن نصرته، لكن تخاذلها مكّن معاوية (لعنه الله) من حكمها بالإرهاب وهذا ما اتضح للأمة لاحقا.

٤-لقد افصحت اتفاقية الصلح التي وقعها الامام الحسن عليه السلام مع معاوية عن ثورة سياسية صامتة اتضح من خلالها غدر وخيانة معاوية بن ابي سفيان(لعنهما الله) وذلك عندما داس على بنود الصلح بقدميه ولم يعد يعني له ذلك شيئا ، فالناس ما قبل الصلح كانوا ينظرون الى معاوية(لعنه الله) على انه رجل طالب للحياة والسلطة لا أكثر ، بعد ذلك كشف الصلح حقيقة معاوية(لعنه الله) للناس على انه حاكم جائر(٢٠). ما تقدم يؤشر الى ان اتفاقية الصلح ببعدها بينت جملة من النقاط المهمة التي كشفت عن حنكة الامام السياسية في هذا المجال والتي تتمثل بالاتي:

أ-استطاع الامام الحسن عليه السلام من خلال اتفاقية الصلح من ان يحتفظ بمنزلتهِ كإمام للامة واهل بيته عليهم السلام وبقية اصحابه المخلصين والذين يتوقف على وجودهم أمر استمرار الرسالة الاسلامية.

ب-أفشل الامام عليه السلام من خلال اتفاقية الصلح الرغبة التي كان يبديها القادة المتخاذلين في جيشه من تسليم الامام عليه السلام الى معاوية(لعنه الله) او الفتك بالإمام وقتله، وكان هؤلاء القادة المتخاذلين قد كتبوا الى معاوية بالسمع والطاعة.

ج- اثمرت حكمة الامام الحسن عليه السلام السياسية في توقيع الاتفاقية عن بيان الوجه الحقيقي لتخاذل الامة عن نصرته ، فإذا ما اعتبرنا ان البيعة هي عقد اجتماعي - قانوني - شرعي بين

الامام عليه السلام من جهة والامة من جهة اخرى، فالدلائل تشير الى انّ الامة هي التي نقضت العقد وذلك لعدم نصرتها لإمامها وعدم تحملها المسؤولية الكاملة في الدفاع عن مصالحها بالقدر الذي اراده الامام عليه السلام. ومع ذلك فقد ضمن الامام عليه السلام ببنود الصلح الموقعة كل ما يتعلق بحق الامة قبل تسليمه الامر كاملا لمعاوية(لعنه الله) لكن الاخير نقضها تحت مرأى ومسمع الامة بأجمعها. ومن ثمَّ نجد أن الامام عليه السلام اراد ان يُنبِّه الأمة الاسلامية الى الخطأ الكبير الذي وقعت به جراء نقضها للبيعة من طرفها مع قائدها.

المبحث الثالث اثر سياسة الامام الحسن عليه السلام في حفظ الرسالة المحمدية من خطر الارهاب الاموي.

تشير الحقائق الموضوعية الى ان سياسة الامام الحسن عليه السلام اثمرت عن جملة من الاثار الايجابية التي حفظ من خلالها مبادئ الشرع الاسلامي المقدس الذي ارادت لها الجاهلية القديمة/ الجديدة التي اصبح معاوية بن ابي سفيان(لعنهما الله) رائدا ومنظرا لها – ان تُقوض وتموت وذلك من خلال قيامه بجملة من التغييرات والتبدلات في كثير من مضامين الدعوة الاسلامية الحقة. ومن هنا احدثت سياسة الامام الحسن عليه السلام ثورة ناعمة شملت جوانب الحياة كافة الاجتماعية السياسية كانت غايتها اثبات أحقية الدين الاسلامي، ومن ثم سعى الامام عليه السلام الى ذلك من خلال ما يأتي:

١-ألزم الامام الحسن عليه السلام في اتفاقية الصلح معاوية بضرورة العمل بكتاب اللهّ وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله كشرط لتسلمه أمر الخلافة. اضف الى ذلك الى ان معاوية قد الزم نفسه بكل ما يمليه الامام الحسن عليه السلام عليه وذلك حينما أرسل إلى الامام الحسن عليه السلام صحيفة بيضاء مختوماً على أسفلها بختمه، وكتب إليه:» أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت ، فهو لك». إلا ان الواقع التاريخي أكد ان معاوية (لعنه الله) لم يلتزم بشروط البند أولاً ، وبما جاء بهِ صحيفته ثانيا. ونتيجة لذلك فانه لم يعمل بكتاب الله وسنة رسوله. وهنا منح الامام عليه السلام المشروعية الكاملة للأمة ودعاة الحق للخروج والثورة عليه وهذا ما حدث بالفعل حينما جابهت الصفوة المؤمنة طغيانه والاعتراض على طريقته في الحكم.

٢- رسخ الامام الحسن عليه السلام بسياسته الناعمة أثراً كبيراً لبطلان الحكم الاموي ككل، وذلك من خلال البند الذي وضعه الامام عليه السلام في اتفاقية الصلح من أن يكون الأمر للحسن من بعده ،

فإنْ حَدَثٌ له حدث فلأخيه الحسين(عليه السلام)، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد، وهذا الامر غفل عنه المسلمون. إذ لم يكن مطروحا على بساط البحث بعد، الا ان الامام(عليه السلام) كان مطلعا على نوايا معاوية الذي كان يخطط بالسر لتعيين ابنه يزيد(لعنه الله) وليا للعهد وخليفة من بعده. وهنا اراد الامام(عليه السلام) ان يدق ناقوس الخطر قبل ان يقع بعشر سنين تقريبا وان التوريث في الحكم والسلطة ليس من الدين في شيء[٢١].

٣- تشير الدلائل الواقعية الى ان الامام الحسن(عليه السلام) سعى من وراء استراتيجيته السياسية الشاملة الى تحقيق جملة من الايجابيات التي أسهمت في عدم نجاح المشروع الاموي الذي سعى الى تبني سياسات جاهلية لتمزيق اوصال الامة الاسلامية من خلال التآمر وشن الحروب وتجييش الجيوش ، من هنا نجد ان الامام(عليه السلام) وبعد تخاذل الامة عن نصرته عمد الى تنفيذ استراتيجيته على وفق عدة تكتيكات تتمثل بالاتي:

أ-تجنب الفتنة والإحتراب في المجتمع الاسلامي. ولهذا عندما وجد(عليه السلام) انّ تصديه لقيادة المسلمين- بعد مبايعة اهل العراق ومخالفة أهل الشام التابعين لمعاوية(لعنه الله) - يؤدي الى صراع داخلي دموي بين المسلمين آثر الاعراض عن ذلك لعدم امكانية تطبيق العدالة بالقوة من دون توفر العوامل الاجتماعية والسياسية المهيأة لذلك[٢٢]. من هنا نجد ان الامام (عليه السلام) مثل دورَ المصلح السياسي من خلال تأكيده لمصالح الامة ككل بلغة العقل والحكمة والشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه بوصفهِ ضامناً لرسالة السماء بعيدا عن منطق القوة.

ب-لقد اثبتت اتفاقية الصلح ان الامام الحسن(عليه السلام) مثّل المصداق الحقيقي لقول الرسول الاكرم(صلى الله عليه وآله) لفاطمة الزهراء (عليها السلام) مشيرا به الى الامام(عليه السلام) :« ان الله تعالى سيصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين». وبذلك نجد ان الامام(عليه السلام) قد تنازل عن الخلافة وبشروطه على الرغم من انه صاحبها الشرعي سواء بالنص او البيعة، وكانت غايته في ذلك تفويت الفرصة على معاوية(لعنه الله) الذي لم يدخر جهدا في سبيل تقويض رسالة الاسلام.

ت-اثمرت سياسة الامام الحسن(عليه السلام) عن أثر سياسي بالغ الأهمية يتمثل بتوحيد شقي البلاد الاسلامية والتي أُريد لها من قبل معاوية(لعنه الله) تقسيمها سياسيا من خلال أطروحة الصلح التي قدمها معاوية وهو أن يبقى الإمام الحسن على حكم النصف الشرقي للبلاد الإسلامية، وأن يبقى معاوية على حكم النصف الغربي من البلاد الإسلامية، وهو الذي كان يطمح إليه معاوية ويرغب فيه وقد عرضه على الإمام علي(عليه السلام) أيام حكمه[٢٣] وقد اثمر ذلك التكتيك الحكيم للإمام(عليه السلام) عن اختلاط العراقيين مع الشاميين، الذين أخذوا ينظرون إلى العراقيين وإلى قائدهم الإمام الحسن(عليه السلام) نظرة محبة وإعجاب وإكبار، يستمعون إليهم، ويروون فيهم ثقافة الولاء للإمام علي(عليه السلام) التي تؤسسها أحاديث النبي وسيرة الإمام علي(عليه السلام) . كما ان هذا التكتيك أسهم في إرجاع هيبة الأمة في قلوب أعدائها – الروم الشرقيين- على الجبهة الشمالية الشرقية[٢٤] والذين كانت تربطهم بمعاوية روابط قوية، حيث انه صالحهم عام٤٢ هـ[٢٥]. إذ وكان له تنسيق سياسي معهم ومعجبا بهم[٢٦]،وتشير الروايات الى أنّ السُم الذي سقى به معاوية (لعنه الله) الامام الحسن(عليه السلام) كان من ملك الروم[٢٧].

٣٣٣

٤-أثمرت سياسة الامام الحسن(عليه السلام) عن تأمين الجبهة الداخلية، وذلك من خلال توقيعه اتفاقية الصلح التي نتج عنها تخليص الكوفة عاصمة مشروع النهضة الاحيائية للإمام علي(عليه السلام) ومركز رجالاتها من إرهاب داخلي كان على أبوابها قام به الخوارج التكفيريين، وقد نفذوه أولاً بالإمام علي(عليه السلام) ما ادى الى استشهاده، اضف الى ذلك ساد الأمان في الأمة كلها لعشر سنوات بعد توقيع وثيقة الصلح ، كما أنّ الإمام الحسن(عليه السلام) برز مرجعاً دينياً لمن كان يأخذ عنه معالم دينه ،كما وعرف الشاميون وغيرهم، من عبادته وعلمه وحسن خلقه وكرمه واهتمامه بقضاء حوائج الناس ما ذكّرهم بأبيه وبجده النبي(صلى الله عليه وآله).

٥- استطاع الامام الحسن(عليه السلام) فضح معاوية أمام الشاميين بأنه كان يطلب الملك بكل وسيلة، وهذا يتضح في خطبته بعد الصلح بالنخيلة:« **إِنِّي وَ اللهِ مَا قَاتَلْتُكُمْ لِتُصَلُّوا وَ لَا لِتَصُومُوا وَ لَا لِتَحِجُّوا وَلَا لِتزَكُّوا، إِنَّكُمْ لَتفْعلُونَ ذَلِكَ، وَ لَكِنِّي قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ، وَ قَدْ أَعطَانِي اللهُ ذَلِكَ وَ أَنْتُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، أَلَا وَ إِنِّي كُنْتُ مَنَّيْتُ الْحُسَنَ وَ أَعطَيْتُهُ أَشْيَاءَ وَ جَمِيعهَا تَحْتَ قَدَمَيَّ لَا أَفِي بِشَيْءٍ**

مِنْهَا لَه»[٢٨]. ومن هنا اتضحت لأهل الشام بشكل خاص والامة الاسلامية المتخاذلة بشكل عام أحقية الإمام علي وولده الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة ، وأنهما أئمة هداية منصوص عليهم بالقران والسنة النبوية الشريفة وليسا طلاب ملك.

٦-كان من اهم نتائج سياسة الامام الحسن عليه السلام اخذه المواثيق على معاوية(لعنه الله) «**بأن يكون الناس آمنون حيث كانوا من أرض اللهّ ، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وأن يؤمّنَ الأسود والاحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم ، وأن لا يتبع أحداً بما مضى ، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة** » « **وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول اللهّ ، غائلةً ، سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم ، في أفق من الآفاق، وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه ، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل إلى كل ذي حق حقه ، وعلى ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا**». وهنا نجد ان الامام الحسن عليه السلام يصرح لشيعته بأنه جنى من وراء سياسته جملة من المكاسب« **ما تدرون ما فعلت واللهّ للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس**» وما قاله مرّة أخرى لبشير الهمداني وهو أحد رؤساء شيعته في الكوفة :«**ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل**»[٢٩].

٧- الاهم في سياسة الامام الحسن عليه السلام بشكل عام انها تضمنت الاثر الايجابي الاكثر اهمية في طريق الاصلاح والمتمثل بتمهيده لثورة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام والذي قال: ما خرجت اشرا ولا بطرا ولا ظالما ولا مفسدا وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهنا يكون الصلح الحسني ممهداً للنهضة الحسينية، فنال الإمام ما أراد ومهد الأجواء والمكان لثورة الإمام الحسين ع بهذا الصلح . لقد نجح الإمام الحسن عليه السلام في تحقيق أهداف الصلح بعدما بين للمسلمين الفرق الكبير جداً بين المواجهتين ، أي مواجهة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية (لعنه الله) والتي كانت ملتبسة أيام حكومة الاخير ، وما بين مواجهة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد بن معاوية (لعنه الله) حيث لم تكن الأمور ملتبسة على الناس أيام حكومة يزيد ، خاصة مع تزايد معرفة الناس ان الاخير كان هدفه القضاء على الرسالة المحمدية والتي لم يكن يعترف بها اصلا[٣٠].

الخاتمة

اتضح من خلال القراءة المتأنية لمنزلة الامام الحسن عليه السلام ودوره واثره في السياسةِ عن وجود كثيرٍ من المكاسب التي افرزتها تجربته عليه السلام السياسية مع الامة المتخاذلة التي خذلته وتقاعست عن نصرته، فهو عليه السلام وعلى الرغم من ذلك ضمن حقوقها بالقدر التي اتيح له سواء في مُدَّة ما قبل الصلح او ما بعده سواء ما تعلق منها بأحقية الخروج على السلطان الظالم او تعريفها بالكيفية التي يتم بها قائد الامة على وفق ما يحدده الشرع المقدس.... والخ، فهذه المكاسب انما مثلت بوادر لحدوث انعطافات سياسية واجتماعية كثيرة قرأها الامام عليه السلام مستقبلا وهو ما حصل بالفعل مع انتشار ظلم الامويين للناس واعتمادهم سياسات القتل وانتهاك الحرمات وغيرها، ومن ثم وجدنا ان الامام كان السبب الرئيس في تمهيد الطريق لانطلاقة ثورة سيد الشهداء عليه السلام الاصلاحية بعد ان عَلِمَ بالانتهاكات التي سيرتكبها معاوية وابنه يزيد (لعنهما الله) في الرسالة السماوية ، من هنا وجدنا ان الاثر الذي نتج عن مواقفه سلوكياته السياسية عليه السلام انما مثل ثورة سياسية ناعمة غايتها دفع الامة الساكنة لأخذ دورها المنشود في حفظ رسالة السماء على وفق مقتربات وضعها عليه السلام في مناحي الحياة كافة؛ الاجتماعية و السياسية المختلفة.

الهوامش

١- عبد الله النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، ط١، المطبعة العربية ، الكويت،١٩٦٧، ص١٥- ٦٤ .

٢-محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام،ط٣، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم - ايران، ، ١٩٩٢، ص ٣٠١.

٣- محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة ، ج١، ط١ ، مطبعة زيدون ، دمشق-سوريا، ١٩٥٤، ص ٦ .

٤- الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)،ط٤، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط٤ ، طهران - ايران، ٢٠٠٣ ، ص ٧٢ .

٥- أحمد النراقي، عوائد الأيام، ط١ ، منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران- ايران، ١٩٩٠ ، ص ١٣ .

٦- محمد حسن قدردان قراملكي، الامامة، ترجمة حسن علي الهاشمي، ط١،دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء المقدسة- العراق، ٢٠١٦، ص١٧.

٧-.ابن منطور ، لسان العرب، المجلد الأول، ج١٦،ط٥، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥، ص٤٠٩ .

٨-الإمام الخميني، البيع، ، ج٢، ط٣ ، مؤسسة مطبوعاتي اسماعليان ، قم - ايران، ١٩٨٣ ، ص ٤٧٢

٩- سلمان هادي ال طعمة، **الحسن المجتبى** عليه السلام: **رسالة وجهاد**، ط١، الامانة العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء- العراق، ٢٠١٥، ص ١٠ .

١٠- ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، **الأمالي**، ج١، ط ١، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ، ص٤٢٥.

١١- ابن ابي الحديد المعتزلي ، **شرح نهج البلاغة** ، ج١٥،ط١، دار احياء الكتب العربية، القاهرة- مصر ، سنة الطبع بلا، ص٢٨٠.

١٢- محمد بن محمد بن النعمان المفيد، **الارشاد في معرفة حجج الله على العباد**،،ج٢، ط١، تحقيق مؤسسة ال البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، سنة الطبع بلا، ص٢٢.

١٣- محمد بن محمد بن النعمان المفيد، **آمالي الشيخ المفيد**، مطبعة دار التيار الجديد - دار المرتضى، بيروت، سنة الطبع بلا، ص٢١٧.

١٤- محمد باقر المجلسي، **بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار**، ج٣٦ ،ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣، ص٢٨٨.

١٥- نزار حيدر، الامام الحسن المجتبى عليه السلام لتحرير الارادة، **مجلة صدى المجتبى**، السنة الخامسة ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء ، ٢٠١٢، ص١١

١٦- ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، **الكافي** ، ج١، ط٣، دار الكتب الاسلامية، بيروت- لبنان، ١٣٨٨ ، ص ٢٩٧ .

١٧- نزار حيدر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦

١٨- منتظر الاسدي، الامام الحسن عليه السلام يجني ثمار الصلح، **مجلة صدى المجتبى**، السنة الخامسة، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء - للعراق ، ٢٠١٢، ص ٣٤

١٩- احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، **الاحتجاج** ، ج١، ط٢، منشورات الشريف الرضي، بيروت،- لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦، ص ١٥١

٢٠- فاضل عباس ، الامام الحسن عليه السلام رجل الثورة الصامتة، **مجلة صدى المجتبى**، السنة الخامسة، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء- العراق ، ٢٠١٢ ، ص ٤٨

٢١- نزار حيدر، مصدر سبق ذكره، ص ١٥

٢٢- سلمان هادي ال طعمة ، مصدر سبق ذكره ،ص١٥

٢٣- نسرين قاسم عبد الرضا، **صلح الامام الحسن عليه السلام رؤية جديدة**، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدول الثاني، للمدة ١٧-١٨/ ١١/ ٢٠١٥ كلية الدارسات القرآنية، جامعة بابل ، بابل - العراق ، ٢٠١٥ ، ص١٥

٢٤- نسرين قاسم عبد الرضا، مصدر سبق ذكره، المصدر سبق ذكره ، ص١٧

٢٥- جلال الدين السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ،ط١، دار ابن حزم، الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣، ص١٩٦.

٢٦- للمزيد انظر ، احمد ابن اسحاق اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**،ج٢، ط٣، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، سنة الطبع بلا، ص٢٣٢.

٢٧- هاشم معروف الحسني، **سيرة الائمة الاثنى عشر**، ج١ ، ط١ مكتبة الحيدرية - النجف الاشرف، ١٣٨٢هـ، ص٥٦٢.

٢٨- محمد باقر المجلسي ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٨.

٢٩- وسام صالح عبد الحسين، نسرين قاسم عبد الرضا، **البعد العقائدي في صلح الامام الحسن عليه السلام**، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثالث ، ١١/ ٢٠١٦ ، كلية الدارسات القرآنية، جامعة بابل ، بابل - العراق، ٢٠١٦، ص ١٠

المصادر والمراجع

*الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)،ط٤، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط٤ ، طهران - ايران، ٢٠٠٣ .
*ابن ابي الحديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة ، ج١٥ ،ط١، دار احياء الكتب العربية، القاهرة- مصر، سنة الطبع بلا.
*ابن منظور ، لسان العرب، المجلد الأول، ج١٦ ،ط٥، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥.
*ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، الأمالي، ج١، ط ١، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ.
*ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، الكافي، ج١، ط٣، دار الكتب الاسلامية، بيروت- لبنان، ١٣٨٨.
*احمد ابن اسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج٢ ، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، سنة الطبع بلا.
*أحمد النراقي، عوائد الأيام، ط١ ، منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران، ايران، ١٩٩٠.
*احمد بن علي بن ابي طالب الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ط٢، منشورات الشريف الرضي، بيروت- لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦.
*الإمام الخميني، البيع، ج٢، ط٣ ، مؤسسة مطبوعاتي اسماعليان ، قم- ايران، ١٩٨٣.
*جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ط١، دار ابن حزم، الرياض- المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣، ص١٩٦
*سلمان هادي ال طعمة، الحسن المجتبى عليه السلام: رسالة وجهاد، ط١، الامانة العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء- العراق، ٢٠١٥.
*عبد الله النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، ط١، المطبعة العربية ، الكويت،١٩٦٧ .
*فاضل عباس ، الامام الحسن عليه السلام رجل الثورة الصامتة، مجلة صدى المجتبى ، السنة الخامسة ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء- العراق، ٢٠١٢.
*محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة ، ج١، ط١ ، مطبعة زيدون ، دمشق- سوريا، ١٩٥٤.
*محمد باقر المجلسي ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، ج٣٦ ،ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.
*محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، آمالي الشيخ المفيد، مطبعة دار التيار الجديد - دار المرتضى، بيروت - لبنان، سنة الطبع بلا.
*محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد،،ج٢، ط١، تحقيق مؤسسة ال البيت لإحياء التراث، بيروت -لبنان، سنة الطبع بلا.
*محمد حسن قدردان قراملكي، الامامة، ترجمة حسن علي الهاشمي، ط١ ،دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء المقدسة-العراق، ٢٠١٦
*محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام،ط٣، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم - ايران،، ١٩٩٢.
*منتظر الاسدي ، الامام الحسن عليه السلام يجني ثمار الصلح، مجلة صدى المجتبى ، السنة الخامسة ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء ، ٢٠١٢ .
*نزار حيدر، الامام الحسن المجتبى عليه السلام لتحرير الارادة، مجلة صدى المجتبى ، السنة الخامسة ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء ، ٢٠١٢.

*نسرين قاسم عبد الرضا، صلح الامام الحسن عليه السلام رؤية جديدة ، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدول الثاني، للمدة ١٧-١٨/ ١١/ ٢٠١٥، كلية الدارسات القرآنية، جامعة بابل ، بابل - العراق، ٢٠١٥.
*هاشم معروف الحسني، سيرة الائمة الاثنى عشر، ج١، ط١، مكتبة الحيدرية - النجف الاشرف - العراق، ١٣٨٢هـ.
*وسام صالح عبد الحسين، نسرين قاسم عبد الرضا، البعد العقائدي في صلح الامام الحسن عليه السلام، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثالث ، ١١/٢٠١٦، كلية الدارسات القرآنية، جامعة بابل ، بابل - العراق ، ٢٠١٦.

الجوانبُ العلمّيةِ والأخلاقّيةِ في شخصّيةِ

الإمام الحسنِ المُجتبى عليه السلام

أ.م.د. حوراء عباس كرماش

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد(صل الله عليه وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين).

تناولت الباحثة في بحثها هذا المعاجز والجوانب العلمية والأخلاقية في شخصية الإمام الحسن المُجتبى عليه السلام. فقد كان سلام الله عليه أشبه الناس بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً وعِلماً ولم يكن أحد في زمانهِ أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله منه. وحين قامت الباحثة بالبحث عن الجوانب العلمية والأخلاقية في شخصية الإمام الحسن المُجتبى عليه السلام لم تكن لنقصد بحال أنَّ الأئمة الهُداة عليهم السلام يتباينون في هذهِ الجوانب أو سواها من عناصر الشخصية الإسلامية المُثلى، فهم سواء في ذلك. وعندما سلطنا الضوء على تلك الجوانب من شخصيتهِ عليه السلام فإنما نعني بذلك عرض نماذج من غزارة علمهِ وأخلاقهِ العالية، وإعدادهِ الأصيل، الذي وَفَرَ لكيانه الروحي سمواً عالياً فكان تقربهِ إلى الله وانشدادهِ إليهِ سبحانهُ أمراً يهز القلوب ويخشع له الوجدان.

يتناول البحث الحالي هوية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: اسمه، ألقابهِ، تأريخ ولادتهِ ووفاتهِ. والجوانب العلمية والأخلاقية من شخصيتهِ عليه السلام. ومن الله التوفيق.

Abstract

In the study , the researcher dealt with this miracle and the scientific and ethical aspects of the personality of Imam Al-Hassan Al-Mujtaba (peace be upon him). It is a kind of explication to trace the scientific and ethical aspects of the personality of Imam Al-Hassan and the ideal Islamic personality. In shedding light on those aspects of his personality the study is to show some examples of his abundant knowledge, high morals, and original preparation, which manifests his spiritual entity with a towering sublimity.

The current research deals with the identity of Imam Al-Hassan Al-Mujtaba (peace be upon him): his name, titles, date of birth and death and the scientific and moral aspects of his personality (peace be upon him).

الفصل الأول

هوية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

ولادة النور المُبارك:

مكث رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة المكرمة مُدَّةً من الوقت كان يواجه خلالها حرباً إعلامية من قبل رجال قريش، بهدف إقامة جدار بين رسول الله صلى الله عليه وآله والمجتمع كمحاولة لفصل رسول الله صلى الله عليه وآله اجتماعياً تحت مبررات مختلفة.

وكان من وسائل هذه الحرب بثّ الشائعات والأضاليل الباطلة والمزيفة في أوساط الرأي العام القرشي والمكّي منها: أنّ رسول الله أبتر لا عقب له ولا خلف. ولقد سرت هذه الشائعة بين المجتمع المكي ممّا ترك في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بعض الحزن والتأثر.

ولكن الله سبحانه وتعالى أبطل هذه الأكذوبة، وبشّر رسوله بأن أعطاه فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين وسيكون أبناؤه منها وهم الذين سيشكلون امتداد الرسالة من بعده. وفي السنة الثالثة للهجرة في ليلة النصف من شهر رمضان المبارك (الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) البقرة، الاية(١٨٥)، جاء الوعد الإلهي بأن ولد الإمام الحسن عليه السلام ممّا بعث في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله تباشير الفرح والسرور بأن حقق الله عز وجلّ وعده وبأن ردّ كيد الأعداء من مشركي مكة، ولذلك بقدر ما كان مولد الإمام الحسن عليه السلام يضفي على رسول الله صلى الله عليه وآله السعادة والبشرى، كانت زعامات قريش وأقطاب مكة تعض الأنامل وتتقطع من الغيظ والحقد لفشل المؤامرة الإعلامية ضد رسول الله صلى الله عليه وآله. (الحداد، ب:ت: ٢٣)

وكانت الولادة المباركة في المدينة المنورة إذ استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله سبطه الحسن سيد شباب أهل الجنة وبدى عليه الارتياح وقام من ساعته إلى بيت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ونادى يا أسماء أين ولدي؟ فأسرعت به أسماء بنت عميس إلى جده المصطفى صلى الله عليه وآله وقد لفّت الحسن عليه السلام في خرقة، وقدمته إلى جدّه صلى الله عليه وآله فاستقبله والبشرى تلوح على وجهه، فأخذ ابنه برفق، وضمه إليه وراح يلثمه بعطفهِ وحنانهِ، ثم بدأ يقطر أذنيه بالإيمان، ويعصر في روحه آيات التكبير والتهليل، فكان غذاؤه الأول: الله أكبر.. الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله.. أذّنَ

رسـول الله صلى الله عليه وآله في أذنـهِ اليُمنـى ثـم أقـام في اليسرى، لتكـون هـذه الكلـمات القصـار، الكثـيرة والكبـيرة بمحتوياتهـا أنشـودة الإمـام أبي محمـد الحسـن عليه السلام في كل مراحـل حياتـه يحـاول غرسـها بـكل مـا لديـه مـن جهـد في أعـماق النفـوس لتكـون أنشـودة الحيـاة جيـلاً بعـد جيـل. وجـاء الإمـام عـلي عليه السلام إلى فاطمـة وسـألها عـن اسـم المولـود، أجابتـه: مـا كنـت لأسـبقك، فـأردف عـليّ عليه السلام قائـلاً: ومـا كنـت لأسـبق رسـول الله صلى الله عليه وآله فجـاء الإمـام عـلي عليه السلام إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله فسـأله عـن اسـم المولـود، فأجـاب رسـول الله صلى الله عليه وآله ومـا كنـت لأسـبق ربّي. فنـزل جبرائيـل مـن السـماء عـلى رسـول الله صلى الله عليه وآله وقـال لـه: إن الجليـل يقـرؤك السـلام ويقـول لـك اسـمه حسـن، فـكان كذلـك. ثـم عـق عنـه وحلـق رأسـه وتصـدق بزنـة شـعره فضـةً فـكان وزنـهِ درهمـان وشـيئاً، وأمـر فطلي رأسـهُ طيبـاً، وسُـنّت بذلـك العقيقـة والتصـدّق بـوزن الشـعر وكنّـاه (أبـا محمـد). (الصـدوق: ص١٩٧) (المجلسي: ج٤٣، ص٢٣٨) (جـلاء العيـون: ج١، ٢٩٧).

وفي اصول الكافي: أنه ولد في السنة الثانية للهجرة.(الكليني: ج١، ص٢٩٧).

ألقابهِ عليه السلام

أشـهر ألقابـه هـي: التقـي والزكـي والسـبط. وعـرف غيرهـا كالسـيد والمجتبـى. والطيـب والـولي. (الصـدر، ٢٠١١: ٢)

نشأته

نشـأ الإمـام الحسـن عليه السلام في أجـواء خاصـة تملؤهـا المحبـة والحنـان والرعايـة الفائقـة مـن لـدن جـده المصطفـى صلى الله عليه وآله وسـلم.

ناهيـك عـن الاهتـمام الكبـير الـذي بذلـه أمـير المؤمنـين عـلي بـن ابي طالـب وفاطمـة الزهـراء عليهما السلام في تنشـئته ورعايتـه. وهـذا كلـه مـن سـابق لطـف الله وحكمتـه في اصطفـاء أوليائـه وحججـه عـلى خلقـه. (الطـبري، ب:ت: ١٢١-١٢٣)

فـما أن ترعـرع الإمـام الحسـن وأخـذت قدمـاه تدبـان عـلى الأرض حتـى وجـد مـن صـدر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم الحـب الـذي لم يلقـاه مولـود مـن قبـل فـكان يلاعبـه ويعلـن عـن حبـه ومنزلتـه للأمـة.

فعـن ابـن عبـاس قـال: إن النبـي صلى الله عليه وآله كان حامـلاً الحسـن بـن عـلي عـلى عاتقـه، فقـال رجـل: نعـم المركـب ركبـت يـا غـلام، فقـال النبـي صلى الله عليه وآله: ((ونعـم الراكـب هـو)).(سـنن الترمـذي: ج٥: ٦٦١)

وأخرج ابن سعد في طبقاته قائلاً: جاء الحسن يشتد فوقع في حجره ﷺ ثم أدخل يده في لحيته، ثم جعل رسول الله ﷺ يكفح (يفتح) فمه فيدخل فاه في فيه، ثم يقول: ((اللهم إني أحبه فأحبه، وأحبب من يحبه)). (مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٥٣٣، عن حماد الخياط)

زوجاته:

تزوج (أم إسحاق) بنت طلحة بن عبيد الله، و(حفصة) بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، و(هند) بنت سهيل بن عمرو، وجعدة بنت الأشعث بن قيس، وهي التي أغراها معاوية بقتله فقتلتهُ بالسم.

وقد تحدث المؤرخون عن زوجات الإمام الحسن عليه السلام وأكثروا ومال أكثرهم إلى المبالغة في تعدادهن مبالغة لا تعتمد على أساس معقول. (الأمين: ج٤: ١٤).

أولاده:

كان له خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم: زيد، أم الحسن، أم الحسين، أمهم أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية. الحسن، أمه خولة بنت منصور الفزارية. عمر والقاسم وعبد الله، أمهم أم أولد. عبد الرحمن، أمه أم ولد. الحسين الملقب بالأشرم وطلحة وفاطمة أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمي. أم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية، لأمهات شتى ولم يعقب منهم غير الحسن وزيد. (الأمين: ج٤: ١٤-١٥).

أوصافه:

(لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن عليّ عليهما السلام خلقاً وخُلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً).

بهذا وصفه واصفوه. وقالوا: (كان أبيض اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية، جعد الشعر ذا وفرة، كان عنقه إبريق فضة، حسن البدن، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الكراديس، دقيق المسربة، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً. أو كما قال الشاعر:

ما دب في فطن الأوهام من حسنٍ ... إلا وكان له الحظ الخصوصيّ
كأنّ جبهته من تحت طرّته ... بدر يتوجّه الليل البهيميّ
قد جلّ عن طيب أهل الأرض عنبره ... ومسكه فهو الطيب السماويّ

فالإمام الحسن عليه السلام حاز على صفات جده رسول الله صلى الله عليه وآله في خَلقِه وخُلُقِه حتى أن المسلمين إذا اشتاقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نظروا إلى ابنه الحسن عليه السلام يقول أبو جحيفة: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الحسن بن علي يشبهه) ويقول أنس: (لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليه السلام وقد أورد الشيخ المفيد (رحمه الله) في الإرشاد أنه: كان الحسن بن علي عليهما السلام يشبه النبي صلى الله عليه وآله من صدره إلى رأسه والحسين يشبهه صلى الله عليه وآله من صدره إلى رجليه. وقال أيضاً: (كان الحسن عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً). وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسن ذات مرة: (أشبهت خَلقي وخُلقي) وقال واصل بن عطاء: (كان الحسن بن علي عليهما السلام، عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك). (دخيل، ١٤٢٩: ١٧٧-١٧٨).

إمامته عليه السلام:

بعد فاجعة شهادة أمير المؤمنين عليه السلام تولَّى الإمام الحسن عليه السلام دفنه. وبعد أن انتهى المسلمون من مراسم العزاء قام الإمام الحسن عليه السلام في المسجد خطيباً، وقال: أيُّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبرائيل ينزل إلينا، ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطَهَّرهم تطهيراً. وأنا من أهل بيت افترض الله مودَّتهم على كلِّ مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيِّه صلى الله عليه وآله: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) ، فاقتراف الحسنة مَودَّتُنا أهل البيت. وهكذا انهالت الجماهير إلى بيعة الإمام الحسن عليه السلام، عن رضاً وطيب نفس، لأنهم رأوا فيه المثال الفاضل لمؤهلات الخليفة الحق. وعلى كلِّ حالٍ يجب أن يكون إمام المسلمين مختاراً من قبل الله تعالى، منصوصاً عن لسان النبي صلى الله عليه وآله. فيجب أن يكون قِمَّة في المكرمات والفضائل، أكفأ الناس وأورعهم وأعلمهم والحسن عليه السلام كذلك. (الأمين: ١٤٢٠: ١٤٠)

قد توافرت فيه شروط والي أمر المسلمين بأكمل وجه وأحسنه، وهو صاحب النص المأثور عن الرسول العظيم: (الحَسَن والحسين إمامان قَامَا أو قعدا). وبايعه الناس بعد أن حضَّهم عليها خيار الصحابة والأنصار، فقد قال في ذلك عبيد الله بن العباس: معاشر

الناس هذا ابن نبيّكم، ووصي إمامكم فبايعوه. وكان للإمام الحسن عليه السلام حُبٌّ في القلوب نابعٌ عن صميم قلوب المسلمين. وقد اتَّخذ أصله عن حُبِّ النبي صلى الله عليه وآله له، وحُبِّ الله تعالى لمن أَحَبه النبي صلى الله عليه وآله. (بحر العلوم، ١٤٢٨: ٦٧)

أضف إلى ذلك، ما كانت تقتضيه الظروف، من رجل يقابل معاوية ومن التفَّ حوله من الحزب الأموي الماكر، وله من كفاءة القيادة، وسداد الرأي، والمودة في قلوب المسلمين. لذلك أسرع المسلمون إلى بيعته قائلين: ما أَحَبُّه إلينا، وأوجب حقَّه علينا، وأحقه بالخلافة. وجاء في مقدمة الزعماء المجاهدين الأنصاري الثائر، قيس بن سعد، فبايعه وهو يقول: أبسط يدك أبايعك على كتاب الله وسُنَّة نبيه، وقتال المحلين. فقال له الإمام عليه السلام: عَلى كتاب الله وسنّة نبيه، فإنهما يأتيان على كلِّ شرط.

وكلما دخل فوج يبايعونه قال لهم: تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت. وتمَّت البيعة في العقد الثالث من شهر رمضان المبارك، بعد أربعين عاماً من الهجرة النبوية. (إبراهيم،١٩٦٧: ٧٨).

عبادته عليه السلام:

إن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم وكان إذا حجّ حجّ ماشياً وربما مشى حافياً، ولا يمر في شيءٍ من أحواله إلا ذكر الله سبحانه وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً وكان إذا بلغ المسجد رفع رأسه ويقول: الهي ضيفك ببابك يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم).

وقيل أنه حج خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتقاد معه، وإذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث بكى، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغش عليه منها، وإذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله تعالى الجنة وتعوذ بالله من النار. وكان إذا توضأ، أو إذا صلّى ارتعدت فرائصه واصفر لونه من خشية الله تعالى. وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات. وخرج من ماله لله تعالى مرتين. ثم لا يمر في شيء من أحواله إلا ذكر الله عز وجل. قيل: (وكان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم بالدنيا). (النوري، ١٤٢٦: ١٩٧- ١٩٩).

الفصل الثاني

شخصية الأمام الحسن المجتبى عليه السلام وصفته

خير ما يمكن أن يتعرف عليه القارئ الكريم في هذا البحث عن شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ويرى صفته هو أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه.

فمن حيث الشخصية فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم له: ((أشبهت خَلقي وخُلقي)). (آشوب: ج٣، ص١٨٥)

ومن كان خلقه كخلق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بالقلوب لا تحن إليه والنفوس لا تأنس بجواره حتى من خالفه وانصرف عنه إلى غيره. فقد عرف معاصروه ذلك فوصفوه بها استطاعوا ولكن لم يعرفوا حقه. قال عنه واصل بن عطاء (مؤسس مذهب الاعتزال وهو مذهب كلامي في أصول الدين، نشأ هذا المذهب مطلع القرن الثاني الهجري(الملل والنحل: ج١، ص٥٧ ــ ١١٢): كان الحسن بن علي ــ عليهما السلام ــ عليه سيماء الملوك وهيبة الأنبياء.

وقال محمد بن إسحاق: ما تكلم عندي أحد كان أحب إليّ، إن تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي عليهما السلام.

وقال الحافظ الذهبي: كان عليه السلام حليماً، ورعاً، فاضلاً، وكان عليه السلام سيداً، كريماً، ذا سكينةٍ ووقارٍ وحشمةٍ، جواداً ممدوحاً.(تاريخ الإسلام: ج٢، ص٢١٧)

وقيل له عليه السلام: ((فيك عظمة))، قال: ((في عزّة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)(سورة المنافقون، الآية: ٨).(آشوب: ج٣، ص١٧٦)

هيبته عليه السلام

قالت فاطمة عليها السلام: ((يا رسول الله هذان ابناك فأنحلهما))، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أما الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي)). (الصدوق: ص٧٧) (الطبري: ص٦٩). وهذه الهيبة كانت تدخل على نفس القريب والبعيد ممن عرفوا الإمام الحسن عليه السلام. قال عبد الله بن عروة بن الزبير: رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي عليهما السلام في غداة من الشتاء باردة، قال، فو الله ما قام حتى تفسخ جبينه عرقاً فغاضني ذلك فقمت إليه فقلت يا عم، قال ما تشاء؟ قال، فقلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي فأقمت حتى تفسخ جبينك عرقاً!؟.

قال: يا بن أخي أنه ابن فاطمة عليها السلام لا والله ما قامت النساء عن مثله.(تاريخ مدينة دمشق: ج١٣، ص٢٤٠؛ تهذيب الكمال: ج٦، ص٢٢٣).

مكانة الحسن عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله:

علاقة رسول الله صلى الله عليه وآله بابنه الحسن عليه السلام فاقت حدود العلاقة العائلية الموروثة كعلاقة الأب بابنه وما يصحب هذه العلاقة من انشدادات عاطفية وانجذاب مشترك بين الطرفين، بل كانت علاقة تتجاوز هذا الحد، لأنها متوجة بحب الله عز وجل وآمره وأن حب رسول الله صلى الله عليه وآله لابنه الحسن عليه السلام إنما هو - أيضاً - من حب الله له، وهذا ما دفع باتجاه تعزيز العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وآله وابنه الحسن عليه السلام، ولذلك كان المصطفى الأكرم صلى الله عليه وآله يرعى تربية الحسن عليه السلام رعاية مميزة وخاصة، فكان يغذيه بآدابه ومعارفه وكما كان يخشى عليه من كل مكروه لحبه له وخوفه عليه لأنه أمانة الله عنده ووصي من بعده والامتداد الطبيعي للرسالة الإسلامية.. ونجد هذا الانشداد الوثيق يتجسد في مواقف عديدة تعبر عن عمق العلاقة. ففي ذات يوم وبينما الإمام الحسن عليه السلام كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ عطش الحسن عليه السلام واشتد ظمأه فطلب له النبي صلى الله عليه وآله ماءً فلم يجد فأعطاه لسانه فمصه حتى روي..

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت الجنة يا رب زينتني فأحسنت زينتي، فأحسن أركاني فأوحى الله تبارك وتعالى إليها أني قد حشوت أركانك بالحسن والحسين وجنبيك بالسعود من الأنصار وعزتي وجلالي لا يدخلك مرائي ولا بخيل.

وعن مطالبة رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بحب ابنه الحسن عليه السلام يروي زهيد بن الأقمر هذه الحادثة يقول: بينما الحسن بن علي عليه السلام يخطب بعدما قتل عليّ عليه السلام إذا قام رجل من الأزد آدم طوال فقال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعه في حبوته يقول: (من أحبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب) ولولا عزمة رسول الله صلى الله عليه وآله ما حدثتكم. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً: (حسن مني وأنا منه، أحب الله من أحبه الحسن والحسين سبطان من الأسباط). (زاده، ١٤٢٧: ١١٢-١١٤)

الجانب العلمي في شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

امتازت السنوات القليلة التي عاشها الحسن عليه السلام في كنف جده المصطفى صلى الله عليه وآله قبل عروجه إلى الرفيق الأعلى، أنها كانت بمثابة حجر الأساس في بناء شخصيته كما أنها المُدّة المشرقة والذهبية في حياة الإمام الحسن عليه السلام في الالتصاق برسول الله صلى الله عليه وآله عن قرب. (زاده،١٤٢٧: ١٤٣)

فالحب المتميز لم يكن من جانب الرسول صلى الله عليه وآله فقط بل كان الإمام الحسن عليه السلام أشد حباً وتعلقاً بجده وهذا ما يظهر بوضوح في اهتمام الحسن عليه السلام في المداومة على رؤية جده المصطفى صلى الله عليه وآله والالتصاق به أكبر مدة فحينما كانت الزهراء عليها السلام تأخذ الحسنين عليهما السلام إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيأتياه وهما في شوق شديد إليه فيتسابقا في الوصول إليه، فإذا وصلا إليه ضمّهما وقبّلهما وأجلسهما في حجره فيجلس الحسن عليه السلام على فخذه الأيمن والحسين على فخذه الأيسر فيشعران بالأمان والحنان والعطف. بل إنه في بعض الليالي التي كانت تأتي بهما الزهراء عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيمكثان طويلاً فتضطر فاطمة عليها السلام إلى العودة إلى البيت وحدها، ويبقى الحسنان مع جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله فيتوسدا اليدين الكريمتين لرسول الله صلى الله عليه وآله ويناما إلى جنبه صلى الله عليه وآله.

أما عن الجانب العلمي في علاقة الحسن عليه السلام بجده صلى الله عليه وآله، فلقد كان عليه السلام وعلى صغر سنه، يأتي إلى مجلسه صلى الله عليه وآله فيصغي بسمعه إلى حديث جده صلى الله عليه وآله وهو يبث رسالة الله في الناس، وبعد أن يستمع الحسن عليه السلام إلى ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله ينطلق مسرعاً إلى أمه فاطمة عليها السلام فيخبرها بلسان فصيح صادق كلّ ما دار في حديث الرسول صلى الله عليه وآله مع الناس، فيأتي الإمام علي عليه السلام فتخبره فاطمة عليها السلام بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله في المجلس فيسأل الإمام علي عليه السلام عن الذي أخبرها بذلك، فتقول: ابنك الحسن عليه السلام. فتخفّى عليّ عليه السلام يوماً في الدار ليستمع إلى ما يقوله

الحسن عليه السلام من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل الحسن عليه السلام وقد جاء من مجلس الرسول صلى الله عليه وآله فأراد أن يلقي لوالدته الزهراء عليها السلام فارتج عليه الأمر، فعجبت أمه من ذلك فقال الحسن عليه السلام: لا تعجبي يا أماه فإن كبيراً يسمعني واستماعه قد أوقفني فخرج علي عليه السلام إليه فضمه وقبّله. (عماره، ١٤١٤: ١٩٠- ١٩٤)

ومن جهة ثانية نرى أن الإمام الحسن عليه السلام كان منذ صغره يتلقى علوم الوحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك من خلال الأسئلة عن أمور عديدة، منها ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام انه: (بينما الحسن عليه السلام يوماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ قال: يا بني من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة). (المدرسي،١٤٢٧: ٨٧-٨٨).

فالزائر الذي يستحق الجنة في هذه الأماكن الشريفة هو الذي يعمل بما أمر الله تعالى ويترك ما نهى الله عنه ويكون عارفاً بحق أهل البيت عليهم السلام، مؤمن بكل ما جاءوا به..

وهذا طرف آخر من الجانب العلمي الذي روته سيرة الإمام الحسن عليه السلام كأمثلة عن غزارة علم الإمام، أو اكتمال معرفته: كتب إليه الحسن البصري، يسأله عن القضاء والقدر، فأجابه الإمام السبط عليه السلام: (أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، إن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يطع مُكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يهمل العباد سدى من المملكة بل هو المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه اقدرهم، بل أمرهم تخييراً ونهاهم تحذيراً فإن ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً وان انتهوا إلى معصية فشاء أن يمن عليهم، بأن يحول بينه وبينها فعل، وان لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبرا ولا ألزموها كرها، بل مَنّ عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم وأمرهم ونهاهم لا جبرا لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبرا لهم على ما نهاهم عنه ولله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين..). (المؤيدي،ب:ت: ٩٦-٩٧)

وهكذا وبعبارة وجيزة يوضح الإمام عليه السلام قضية هي من اكثر قضايا الفكر تعقيدا وعمقا حتى أنها لشدة عمقها ضَلَّ فيها كثيرٌ من رجال الفكر، بل نشأت عنها تيارات متطرفة كالأشاعرة والمعتزلة حول التفسير العقائدي السليم والذي يكشف عنه قول الإمام

المعّبر عن العمق والأصالة في الفهم والمعرفة الإسلامية... الأمر الذي يُشعر بارتباط الإمام السبط عليه السلام بمنابع الرسالة الصافية وارتياده من مفاهيمها الأصيلة.

وقيل له: ما الزهد؟ قال: الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا.

قيل : فما الحلم؟

قال: كظم الغيظ وملك النفس.

قيل ما السداد؟

قال: دفع المنكر بالمعروف.

قيل فما الشرف؟

قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة.

قيل: فما النجدة؟

قال: الذب عن الجار والصبر في المواطن، والإقدام عند الكريهة.

قيل: فما المجد؟

قال: أن تعطي في الغرم، وان تعفو عن الجرم.

قيل: فما المروءة؟

قال: حفظ الدين وإعزاز النفس ولين الكنف وتعهد الصنيعة وأداء الحقوق والتحبب إلى الناس...

وقد سأل رجل شامي الإمام السبط عليه السلام: كم بين الحق والباطل؟

قال السبط عليه السلام: أربعة أصابع، فما رأيت بعينك فهو الحق وقد تسمع بأذنك باطلاً كثيراً.

قال الشامي: كم بين الإيمان واليقين؟

قال السبط عليه السلام: أربعة أصابع؟ الأيمان ما سمعناه واليقين ما رأيناه.

قال: كم بين السماء والأرض. قال عليه السلام: دعوة المظلوم.

قال: الشامي: كم بين المشرق والمغرب. قال عليه السلام:(مسيرة يوم للشمس). (الخامنئي، ب:ت، ٥٤-٥٧).

ومن تراثه الفكري الزاخر قوله عليه السلام: (أيها الناس انه من نصح لله واخذ قوله دليلا هدى للتي هي أقوم. ووفقه الله للرشاد وسدده للحسنى فإن جار الله آمن محفوظ وعدوه خائف مخذول، فاحترسوا من الله بكثر الذكر، واخشوا الله بالتقوى وتقربوا إلى الله بالطاعة، فإنه قريب مجيب، قال الله تبارك وتعالى: (... وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع اذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)، فاستجيبوا لله، وآمنوا به، فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاظم فان رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا والذين يعرفون ما جلال الله أن يتذللوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له، ولا ينكروا انفسهم بعد المعرفة، ولا يضلوا بعد الهدى، واعلموا علما يقينا أنكم لن تعرفوا التقى، حتى تعرفوا صفة الهدى ولن تمسكوا بميثاق الكتاب، حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف ورأيتم كيف يهوى من يهوى ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون التمسوا ذلك عند أهله فإنهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم، وحكم منطقهم عن صحتهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه وقد خلت لهم من الله سنة. ومضى فيهم من الله حكم، أن في ذلك لذكرى للذاكرين، واعقلوه اذا سمعتموه، عقل رعاية، ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رواة الكتاب كثيرة، رعاته قليل والله المستعان). (شرف الدين،ب:ت: ٨٨-٩٠). (المظفر، ب:ت: ١٦٥)

من وصاياه وأقواله الشريفة في العلم

« تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوا في بيوتكم».

«تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غدا».

«علم الناس علمك وتعلم علم غيرك فتكون قد أنفقت علمك وعلمت ما لم تعلم».

«حسن السؤال نصف العلم». (الخامنئي، ب:ت، ٥٩).

الجانب الأخلاقي في شخصية الأمام الحسن المُجتبى عليه السلام

كان في شمائله آية الإنسانية الفضلى، ما رآه أحد إلا هابه، ولا خالطه إنسان إلا أحبه، ولا

سمعه صديق أو عدو وهو يتحدث أو يخطب فهان عليه أن ينهي حديثه أو يسكت.

عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت الحسن عليه السلام يقول : « مكارم الأخلاق عشرة : صدق اللسان ، وصدق البأس ، وإعطاء السائل ، وحسن الخلق ، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، والتذمّم على الجار (أيّ : أخذه تحت حمايته) ، ومعرفة الحقّ للصاحب ، وقري الضيف ، ورأسهنّ الحياء » (القرشي،ب:ت:٣٥٣) .

وعرّف الإمام المجتبى عليه السلام مجموعة من « مكارم الأخلاق » في إجابته على أسئلة أبيه المرتضى عليه السلام نختار منها ما يأتي :

١ ـ السداد : دفع المنكر بالمعروف.

٢ ـ الشرف : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة « موافقة الإخوان ».

٣ ـ المروءة : العفاف وإصلاح المرء ماله « إصلاح الرجل أمر دينه ، وحسن قيامه على ماله، وإفشاء السلام والتحبّب إلى الناس ».

٤ ـ السماحة : البذل في العسر واليسر.

٥ ـ الإخاء : الوفاء في الشدّة والرخاء.

٦ ـ الغنيمة : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا.

٧ ـ الحلم : كظم الغيظ وملك النفس.

٨ ـ الغنى : رضى النفس بما قسم الله وإن قلّ ، فإنّما الغنى غنى النفس.

٩ ـ المنعة : شدّة البأس ومقارعة أشدّ الناس.

١٠ ـ الصمت : ستر العيب وزين العرض ، وفاعله في راحة ، وجليسه آمن.

١١ ـ المجد : أن تعطي في الغرم ، وأن تعفو عن الجرم.

١٢ ـ العقل : حفظ القلب كلّ ما استرعيته ـ استوعيته ـ أو حفظ القلب لكلّ ما استتر فيه.

١٣ ـ الثناء : إتيان الجميل وترك القبيح.

١٤ ـ الحزم : طول الأناة والرفق بالولاة والإحتراس من الناس بسوء الناس.

١٥ ـ الكرم : العطيّة قبل السؤال والتبرع بالمعروف والإطعام في المحلّ.

١٦ ـ النجدة : الذبّ عن الجار والمحاماة في الكريهة والصبر عند الشدائد (اليعقوبي، ٢٠٢).

وأجاب الإمام بكلّ إسترسال وعدم تكلّف على مجموعة أخرى من أسئلة أبيه فيما يخصّ « مساوئ الأخلاق » ونختار منها ما يلي :

١ ـ الدنيئة : النظر في اليسير ومنع الحقير.

٢ ـ اللؤم : احتراز المرء نفسه ـ ماله ـ وبذله عرسه ـ عرضه .

٣ ـ الشحّ : أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً.

٤ ـ الجبن : الجرأة على الصديق والنكول عن العدوّ.

٥ ـ الفقر : شرّه النفس في كلّ شيء.

٦ ـ الجرأة : موافقة الأقران.

٧ ـ الكلفة : كلامك فيما لا يعنيك.

٨ ـ الخُرْق : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك.

٩ ـ السفه : اتباع الدناة ومصاحبة الغواة.

١٠ ـ الغفلة : تركك المسجد وطاعتك المُفسِد.

١١ ـ الحرمان : تركك حظّك وقد عرض عليك.

١٢ ـ شرّ الناس : من لا يعيش في عيشه أحد (القرشي،ب:ت:٣٥٥).

وتحدّث الإمام عن أصول الجرائم الأخلاقيّة وأمّهات الرذائل قائلاً : هلاك الناس في ثلاث : الكبر ، الحرص ، الحسد الكبر : به هلاك الدين وبه لُعِن إبليس الحرص : عدوّ النفس وبه أُخرج آدم من الجنّة الحسد : رائد السوء وبه قتل هابيل قابيل (١٦).

وقال محمد بن إسحاق: (ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ما بلغ الحسن بن عليّ. كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فيمر الناس). ونزل عن راحلته في طريق مكة فمشى، فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى حتى سعد بن أبي وقاص، فقد نزل ومشى إلى جنبه. (الحسني،ب:ت، ١٩٩)

وروى المؤرخون عن تواضعه وكرم أخلاقه عشرات الروايات فمن ذلك انه اجتاز على جماعة من الفقراء وقد جلسوا على التراب يأكلون خبزاً كان معهم فدعوه

إلى مشاركتهم فجلس معهم وقال: (إن الله لا يحب المتكبرين، ولما فرغوا من الأكل دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم وأغدق عليهم من عطائه، ومرة أخرى مر على فقراء يأكلون فدعوه إلى مشاركتهم، فنزل عن راحلته وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وأعطاهم، وقال: (اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد ما أعطيناهم). وكان من كرمه أنه أتاه رجل في حاجة، فقال له: (أكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا). قال: فرفعها إليه فأضعفها له، فقال له بعض جلسائه: (ما كان أعظم بركة الرفعة عليه يا ابن رسول الله!). فقال: (بركتها علينا أعظم، حين جعلنا للمعروف أهلاً. أما علمتم أن المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة، فأما من أعطيته بعد مسألة، فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً يميل بين اليأس والرجاء لا يعلم بما يرجع من حاجته ابكآبة الرد، أم بسرور النجح، فيأتيك وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه، فإن ذلك أعظم ممّا نال من معروفك). (العاملي،١٤١٩: ١٢٩-١٣١).

وأعطى شاعراً فقال له رجل من جلسائه: (سبحان الله أتعطي شاعراً يعصى الرحمن ويقول البهتان!). فقال: (يا عبد الله إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر).

وسأله رجل فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال له: (ائت بحمال يحمل لك). فأتى بحمال، فأعطاه طيلسانه، وقال: هذا كرى الحمال).

وجاءه بعض الأعراب. فقال: (أعطوه ما في الخزانة!.. فوجد فيها عشرون ألف درهم. فدفعت إليه، فقال الإعرابي: (يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي، وأنشر مدحتي فقال الإمام الحسن عليه السلام:

نحن أناس نوالنا خضل ... يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا ... خوفاً على ماء وجه من يسل

ومرّ به رجل من أهل الشام ممن غذّاهم معاوية بالحقد والكراهية لعليّ وآل عليّ فجعل للإمام الحسن عليه السلام السب والشتم والإمام ساكت لا يتكلم وهو يعلم بأن الشامي لا يعرف

عليّا وآل عليّ إلا من خلال الصورة التي كان معاوية بن هند يصورهم بها وعندما انتهى الشامي من حديثه بما فيه من حلف وفظاظة ابتسم إليه وتكلم معه بأسلوب هادئ ينم عن سماحة وكرم متجاهلاً كل ما سمع وما رأى، وقال: (أيها الشامي أظنك غريباً فلو أنك سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، وإن كنت جائعاً أطعمناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، أو طريداً آويناك)، ومضى يتحدث إلى الشامي بهذا الأسلوب الذي يفيض بالعطف والرحمة حتى ذهل الشامي وسيطر عليه الحياء والخجل وجعل يتململ بين يديه يطلب عفوه وصفحه ويقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته. (البهيقي، ب:ت: ٢٠٨- ٢١٠).

وهكذا كان في جميع مواقفه مثالاً كريماً للخلق الإسلامي الرفيع الذي دعا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ). لقد قابل جميع ما كان يوجه إليه من الأذى والمكروه من أخصامه وحساده بالصبر والصفح الجميل حتى اعترف له ألد أخصامه وأنكرهم بذلك، فقد روى المؤرخون أن مروان بن الحكم أسرع إلى حمل جنازته ومشى مع المشيعين والكآبة بادية عليه، فقال له أبو عبد الله الحسين عليه السلام: (إنك لتحمل جنازته وقد كنت بالأمس تجرعه الغيظ، فقال: لقد كنت أفعل ذلك مع من يوازي حمله الجبال. ورأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة فقال له: (ما حملك على هذا؟) قال: (إني استحي منه أن آكل ولا أطعمه). فقال له الحسن عليه السلام: (لا تبرح مكانك حتى آتيك). فذهب إلى سيده، فاشتراه واشترى الحائط (البستان) الذي هو فيه، فأعتقه، وملّكه الحائط. وسأله رجل أن يعطيه شيئاً فقال له: (إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح أو فقر مدقع أو حمالة مفظعة)، فقال له: ما جئتك إلا في إحداهن فأعطاه مائة دينار، ثم اتجه الرجل إلى الحسين عليه السلام فأعطاه تسعة وتسعين ديناراً وكره أن يساوي أخاه في العطاء، ثم ذهب الرجل إلى عبد الله بن جعفر فأعطاه أقل منهما ولما قص عليه ما جرى معهما، قال له: ويحك أتريد أن تجعلني مثلهما إنهما غرا العلم والمال غراً. ويروي المؤرخون عن سخائه أيضاً أن جماعة من الأنصار كانوا يملكون بستاناً يتعايشون منه فاحتاجوا لبيعه فاشتراه منهم بأربعمائة ألف، ثم أصابتهم ضائقة بعد ذلك اضطرتهم لسؤال الناس، فرد عليهم البستان حتى لا يسألوا أحداً شيئاً. (المجلسي،١٤١٢: ٢٠-٢٢)

وروى المؤرخون صوراً كثيرة من ألوان بره وكرمه ومعروفه التي كان يغرق بها على السائلين والفقراء والمحرومين لإنقاذهم ممّا كانوا يعانون من آلام الحاجة والبؤس ابتغاء وجه الله وثوابه لا للجاه ولا للدنيا ولا تدعيم ملك وسلطان ولا لمكافأة على المديح والثناء كما كان يصنع معاوية وغيره من الأمويين والعباسيين، ومن يتلذذون بالمديح والإطراء والجاه والسلطان. وأخبار كرمه كثيرة لسنا بسبيل استقصائها، وهذا مقدار يسير من أحاديث الرواة عن كرمه ومعروفه وإن كان الكثير ممّا يرويه الرواة يخضع للنقد والحساب، إلا أن القليل المتفق عليه بينهم يكفي لأن يجعله في القمة بين أجواد العرب الذين لا يرون للمال وزناً ولا يحسبون له حساباً. (الآملي،ب:ت، ٢٠٩).

وتُعدُّ صفة الكرم و السخاء من أبرز الصفات الأخلاقية الحسنة التي تميَّز بها الإمام الحسن عليه السلام، فكان المال عنده غاية يسعى من خلالها إلى كسوة عريان، أو إغاثة ملهوف، أو وفاء دين غريم، أو إشباع جوع جائع ، وإلخ . هذا وعرف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بكريم أهل البيت، فهو الذي قاسم الله أمواله ثلاث مرّات، نصف يدفعه في سبيل الله و نصف يبقيه له، بل وصل إلى أبعد من ذلك، فقد أخرج ماله كلّه مرتين في سبيل الله ولا يبقي لنفسه شيء، فهو كجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، وهو سليل الأسرة التي قال فيها ربّنا وتعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، وآية أخرى تحكي لسان حالهم :(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وأسيرا إنما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا). (الصابري، ١٣٦٥: ١٠٥).

فهذا هو الأصل الكريم لإمامنا الحسن عليه السلام الزكي من الشجرة الطيّبة التي تؤتي أُكلها كل حين، فمن كريم طبعه عليه السلام أنّه لا ينتظر السائل حتّى يسأله، ويرى ذل المسألة في وجهه، بل يبادر إليه قبل المسألة فيعطيه. ومن الشواهد لهذه الصفة المتميِّزة عند الإمام عليه السلام هي:

١ـ روي أنَّ الإمام الحسن عليه السلام خرج مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر (رضوان الله عليه) حُجَّاجاً، فَجَاعوا وعطشوا في الطريق، فمرّوا بعجوز في خباء لها، فقالوا: (هَلْ مِن شراب) ؟

فقالت : نعم هذه شَاة احلبوها، واشربوا لبنها، ففعلوا ذلك ، ثمّ قالوا لها: (هلْ مِن طَعَام) ؟ فقالت: لا ، إلاّ هذه الشاة، فليذبحها أحدكم حتَّى أُهيئ لكم شيئاً تأكلون .

فقام إليها أحدهم فذبَحَها وكشطها، ثمّ هَيَّأت لهم طعاماً فأكلوا، فلمّا ارتحلوا قالوا لها: (نحن نَفَرٌ من قريش، نريد هذا الوجه، فإذَا رَجعنا سالمين فأَلِمِّي بنا فإنَّا صانعون إليكِ خيراً) ، ثمّ ارتحلوا.

وأقبل زوجُها، وأخبَرَتْه عن القوم والشاة ، فغضب الرجل وقال : وَيْحكِ ، تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم، ثمّ تقولين: نَفَرٌ من قريش.

ثمّ بعد مدَّة أَلجَأَتْهُم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها، فمرَّت العجوز في بعض سِكَك المدينة، فإذا بالحسن عليه السلام على باب داره، فَسَلَّمَت عليه، فعرفها الإمام عليه السلام، وأمر أن يُشتَرَى لها ألف شاة، وتُعطَى ألف دينار.

وأرسل معها غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام، فقال : (بِكَمْ وصلك أخي الحسن) ؟ فقالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر عليه السلام لها بمثل ذلك .

ثمّ بعثَ عليه السلام بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر، فقال : بكم وَصَلك الحسن والحسين عليهما السلام؟ فقالت: بألفي دينار وألفي شاة، فأمر لها عبد الله بن جعفر بمثل ذلك، فَرجِعَت العجوز إلى زوجها بذلك. (الذهبي،١٩٨٥: ٩٧-٩٨).

٢ـ روي أنَّ رجلاً جاء إلى الإمام الحسن عليه السلام وسأله حاجة، فقال عليه السلام له:

(يا هذا، حَقّ سؤالك إيّاي يعظم لديَّ، ومعرفتي بما يجب تكبر عليَّ، ويدي تعجز عن نَيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله عزَّ وجلَّ قليل ، وما في ملكي وفاء بشكرك ، فإن قبلت منّي الميسور ، ورفعت عنّي مؤونة الاحتيال والاهتمام ، لما أتكلّفه من واجبك فعلت).فقال : يا بن رسول الله ، أقبل القليل ، وأشكر العطية ، وأعذر على المنع ، فدعا الإمام عليه السلام بوكيله، وجعل يحاسبه على نفقاته حتّى استقصاها ، فقال عليه السلام : (هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم) .فأحضر خمسين ألفاً ، فقال عليه السلام: (فما فُعِل بالخمسمائة دينار)؟ قال : هي عندي ، فقال عليه السلام: (أحضِرها)، فأحضرها ، فدفع عليه السلام الدراهم والدنانير إلى الرجل ، وقال : (هَات من يَحملها) . فأتاهُ بِحمَّالين ، فدفع الإمام الحسن عليه السلام إليهم رداءه

كأجور الحمل ، فقال له مواليه : والله ما عندنا درهم ، فقال عليه السلام: (لِكَي أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم). (الجويني، ١٤١٠: ٥٤).

٣ـ روي أنّه عليه السلام اشترى بستاناً من قوم من الأنصار بأربعمائة ألف ، فبلغه أنهم احتاجوا ما في أيدي الناس ، فردَّه إليهم .

٤ـ روي أنّه عليه السلام سمع رجلاً يسأل رَبَّه أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف الإمام الحسن عليه السلام إلى منزله ، وبَعَثَ بها إليه .

٥ـ روي أنّه قيل ذات مرّة للإمام عليه السلام : لأيِّ شيء لا نراك تردُّ سائلاً ؟ فقال عليه السلام: (إنِّي لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا أستحي أن أكون سائلاً ، وأَرُدُّ سائلاً ، وإنَّ الله عَوَّدني عادة ، أن يفيض نعمه عليّ ، وعَوَّدتُه أن أفيض نِعَمه على الناس ، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة) . (شهري، ١٤١٩: ١١٢-١١٣).

٦ـ روي أنّه جاء أعرابي يوماً سائلاً الإمام عليه السلام، فقال عليه السلام : (أعطُوه ما في الخَزَانة) ، فَوُجِد فيها عشرون ألف دينار ، فدفعها عليه السلام إلى الأعرابي ، فقال الأعرابي : يا مولاي ، ألا تركتني أبوحُ بحاجتي ، وأنشر مِدحَتي . فأنشأ الإمام عليه السلام يقول :

نَحنُ أُناسٌ نَوالُنا خضل   يرتع فيه الرجاء والأمل
تَجودُ قبل السؤال أنفسنا   خوفاً على ماء وجه مَن يَسَلُ
لو علم البحرُ فَضلَ نائلنا   لغاصَ مِن بعد فيضِهِ خَجَلُ

٧ـ روي في (شرح نهج البلاغة) : أنّ الحسن عليه السلام أعطى شاعراً ، فقال له رجل من جُلَسائه : سبحان الله ، أتُعطِي شاعراً يعصي الرحمن ، ويقول البهتان ؟! فقال عليه السلام: (يا عبد الله ، إنَّ خير ما بذلتَ من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتِغاء الخير اتِّقاء الشر). (المعتزلي،ب:ت: ١٢٢).

٨ـ أتاه رَجُل يَطلب حاجَة وهو يَستَحيي مِن الحاضرين أن يفصح عنها ، فقال له الإمام عليه السلام: (اكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا) ، فكتب الرجل حاجته ورفعها ، فضاعفها له الإمام مرّتين ، وأعطاه في تواضع كبير. فقال له بعض الشاهدين ما كان أعظم بركة الرقعة عليه ، يا بن رسول الله ! فقال عليه السلام : (بركتها إلينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً ، أما علمت : إنّ المعروف

ما كان ابتداءً من غير مسألة ، فأمّا مَن أعطيته بعد مسألة فإنّما أعطيته بما بذل لك من وجهه . وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً ، يميل بين اليأس والرجاء ليعلم بما يرجع من حاجته أبكآبة ردّ ، أم بسرور النجح ، فيأتيك وفرائصه ترعد ، وقلبه خائف يخفق ، فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه ، فإنّ ذلك أعظم ممّا ناله من معروفك). (الكاشاني،ب:ت: ١٦٧)

٩ـ تنازع رجلان ، أحدهما أموي يقول : قومي أسمح ، والآخر هاشمي يقول : بل قومي أسمح ، فقال أحدهما : فاسألْ أنت عشرة من قومك ، وأنا أسأل عشرة من قومي ، يريد أن يسأل كلٌّ عطاء عشرة من قومه ، فينظروا أيّ القومين أسخى وأسمح يداً ، ثمّ إذا عرفوا ذلك أرجع كلّ منهما الأموال إلى أهلها ، كلّ ذلك شريطة أن لا يخبرا من يسألاه بالأمر .

فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة من قومه فأعطاه كلّ واحد منهم ألف درهم ، وانطلق صاحب بني هاشم إلى الإمام الحسن عليه السلام فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم ، ثمّ أتى إلى الإمام الحسين عليه السلام فقال : (هل بدأت بأحد قبلي) ؟ قال : بدأت بالحسن ، قال : (ما كنت أستطيع أن أزيد على سيّدي شيئاً) ، فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم .

فجاء صاحب بني أمية يحمل عشرة آلاف درهم من عشرة أنفس ، وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسَين ، فغضب صاحب بني أمية ، إذ رأى فشله في مبادراته القبلية ، فردّ الأوّل حسب الشرط ما كان قد أخذه من بني أمية فقبلوه فَرِحِين ، وجاء صاحب بني هاشم إلى الإمام الحسن والحسين عليهما السلام يردّ عليهما أموالهما فأبيا أن يقبلاهما قائلين : (ما نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق). (العاملي، ١٤٠٣: ٩٠-٩١).

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.
*الأمين، محسن(٢٠٠٠) أعيان الشيعة، ط٥، دار التعارف، بيروت، لبنان.
*الآملي، حيدر(ب:ت)، جامع اسرار ومنبع الأنوار، شركة المنشورات العلمية والثقافية، المركز الفرنسي للدراسات الاسلامية، فرنسا.
*ابراهيم، حسن(ب:ت) التاريخ الاسلامي والديني والثقافي والاجتماعي، بيروت.
*بحر العلوم، محمد(١٤٢٨)، لمحات من الصراع السياسي في الاسلام، دار الزهراء، بيروت.
*البهيقي(ب:ت) عز الدين محمود، محاسن الائمة الاطهار، دار الزهراء، بيروت.
*الجويني، ابراهيم سعد الدين(١٤١٠) فرائد السمطين، مؤسسة المحمودي، بيروت.
*الخامنئي(ب:ت) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت.
*دخيل، علي محمد(ب:ت) أئمتنا عليهم السلام، دار المرتضى، بيروت، لبنان.
*الذهبي، محمد أحمد(١٩٨٥)، سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، يبيروت، لبنان.
*زاده، سليمان(١٤٢٧)، ليالي بيشاور، طليعة النور، قم.
*شرف الدين، عبد الحسين(ب:ت)، صلح الإمام الحسن ، مطبعة راضي آل ياسين ، بيروت.
* شهري، محمد الري(١٤١٩)، ميزان الحمة، دار الحديث الثقافية، قم، ايران.
*القرشي، باقر شريف(ب:ت) حياة الامام الحسن المجتبى عليه السلام، ج١، دار البلاغة.
*الطهراني، آقابزرك(١٤٠٦) الذريعة في تصانيف الشيعة، دار الاضواء، بيروت.
* المجلسي، محمد باقر(١٤١٢)، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الاطهار،ط١، دار احياء التراث، بيروت، لبنان.
* العاملي، ابي عبد الله محمد بن مكي(١٣٦٥)، الدرر الطاهرة، ط١، مطبعة الحضرة الرضوية المقدسة، مشهد، ايران.
* ــــــــ(١٤٠٣)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، دار أحياء، بيروت، لبنان.
*العاملي، جعفر مرتضى، الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام، بيروت.
*عماره، محمد(١٤١٤) المعتزلة واصول الحكم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
*الكاشاني، محسن فيض(ب:ت)، كلمات مكنونة، المطبعة الحجرية، بيروت، لبنان.
* المؤيدي، مجد الدين(ب:ت) التحف الفاطمية في شرح الزلف الامامية، مؤسسة اهل البيت، صنعاء، اليمن.
*المدرسي/ محمد تقي(٢٠٠٤)، التاريخ الاسلامي دروس وعبر، دار الاساء، بيروت.
*المعتزلي، ابي حامد عزالدين(ب:ت)، شرح نهج البلاغة، ط٣، دار احياء التراث، بيروت، لبنان.
*المظفر، محمد حسين(ب:ت) تاريخ الشيعة، دار الزهراء، بيروت.

الشَّهيدُ الحي؛ تأمّلاتٌ في سيرةِ

الإمامِ الحسن عليه السلام

د. ناجي الحجلاوي

الجامعة الزيتونية / تونس.

ملخص البحث

إنّ إنتاج الاصطلاحات، وإعادة بناء المفاهيم يُعدّان مدخلين أساسين لإعادة بناء الصرح الحضاري للأمّة الإسلامية. وفي هذا الإطار يضع الدّارس إصبعه على مفهومين جوهريين في سيرة الإمام الحسن عليه السلام هما مفهوما الشهادة والشّجاعة.

إنّ فعل شهد يدلّ على الحياة، ومنه الحالة الشّهودية أي الحضورية التي يكتمل فيها الوعي والإدراك، ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**» (**البقرة ٢ الآية ١٨٥**) **وكذلك الآية:** «**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ** ﴾ (**البقرة ٢ الآية ٢٨٢**). **والإمام الحسن قد شهد بأم عينيه الأحداث السياسية والاجتماعية المتقلّبة. ولا أدلّ على معنى الحياة في الشّهادة من كلام الله الوارد في هذه الآية:** ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة ٥ الآية ١١٧). وما من شكّ في أنّ بذل الحياة والتّضحية بالنفس دليلان قاطعان على أنّ الإمام كان حاضرا بكلّيته في خضمّ الحركة الواقعيّة بل كان شاهدا عليها، وشهيدها في آن واحد. وأمّا فيما يتعلّق بالمصطلح الثّاني وهو الشّجاعة، فإنّ الإمام قد برهن على أنّ هذه الصفة ذات الرّصيد المعنوي الإنساني شرط أساسي في الولي، فهو القائل لأصحابه: «سالموا من سالمت وحاربوا من حاربت.» مبرهنا بذلك عن حبّه للسّلام في غير خوف وقادرا على الحرب في غير تنطّع لا سيّما وأنّه المشارك في حركة الفتح بشمال أفريقيا وبلاد فارس.

تِلكما صفتان في شخصية الإمام الحسن روت في الأولى دماؤه الزكيّة كلماته، فظلّت شاهدة على حياته الخالدة. ونبضت الصفة الثّانية بمعاني الجرأة ورباطة الجأش حتّى أضحت واهبة لمعاني الحياة. ولمزيد التّدقيق في أبعاد هذه الفرضية البحثية تروم هذه الورقة تقديم هذين المصطلحين بواسطة منهج استقرائي وتاريخيّ تحليليّ.

Abstract

The production of conventions and the reconstruction of concepts are considered as two basic entrances to rebuilding the civilized edifice of the Islamic nation. In this context, the student places his finger on two essential concepts in the chronicle of Imam Al-Hassan: the concepts of martyrdom and courage.

The act of witnessing indicates life, and it includes the state of witnessing, that is, the presence in which awareness is complete, and the evidence for this is the saying of God Almighty: “So whoever of you witnesses the month, let him fast” (Al-Baqarah 2 verse 185) as well as the verse: 282). Imam Hassan witnessed with his own eyes the volatile political and social events. It is more evident in : “I was a witness over them” , (Al - maida 5 verse 117) .

There is no doubt that giving life and self-sacrifice are conclusive evidence that the Imam was fully present in the midst of the real movement, rather he was a witness to it, with regard to the second term, which is courage, the imam has demonstrated that this quality with a human moral balance is an essential condition for guardianship. It is his love for peace without fear and his readiness for war without hesitation, especially since he participated in the conquest movement in North Africa and Persia.

These are two characteristics in the personality of Imam Hassan. In the first, his pure blood gives life to his words, so they remained a witness to his immortal life. The second characteristic unveils a kind of valour and sapience in time of hardship to set a meaning to life .

المقدمة

إنّ الزّمن الثّقافي الرّاهن المعيش محشوّ بمفاهيم ترسخت في الذّهن وترسّبت بمفعول الإعادة والتعوّد على امتداد أحقاب مديدة، ما جعلها من قبيل المسلّمات المُندرجة في فضاء المستحيل المفكّر فيه على حدّ عبارة محمّد أركون. وهو ما يدعو إلى مراجعة تاريخ الثّقافة وإعادة قراءته نزولا عند ما ذهب إليه الباحث المغربي محمد عابد الجابري من أنّ تاريخنا الثّقافي في حاجة إلى إعادة كتابة، لا، بل إلى قراءة جديدة تنظر إلى الأجزاء من خلال الكلّ، وتعمل على إبراز الوحدة من خلال التّعدّد، وتعتمد في التّصنيف البنيّة الدّاخليّة وليس المظاهر الخارجيّة وحدها.[1] وليس مفهوم الشّهادة في القرآن إلاّ نموذج ساطع الدّلالة على تشوه المفاهيم تحت وطأة العوامل الثّقافية المتوارثة الّتي غذّاها الاستبداد السّياسي الموروث خدمة لمصالحه الّتي تتعارض رأسا مع الدّقة العلمية المُفضية إلى وضوح الرّؤية.فضلاً عن ما فعلته الثّقافة الغازيّة من بلبلة الأفكار وزحزحة المفاهيم عن حقيقتها النّاصعة وقد زادها الاستشراق المغرض غموضا وتلبيسا.

إنّ هذا البحث سيعمد إلى توظيف هذه الأرضية النّظرية لفهم بعض الأبعاد الإنسانية في شخصية الإمام الحسن عليه السلام لا سيّما وهو الشّخص الذي عمل على منع تشتّت المسلمين وحرص على حفظ الذّمة وكفّ الأذى بالقتل والشّتم والإهانة والعيش في دركات الحضارة وحضيضها. والذي لا مراء فيه هو أنّ التّبصر في سِيَرِ العظماء يهَب العقول من العبر والمعاني ما يضيء الدروب المظلمة في كافة الأزمنة والأمكنة.

وفرضية هذا البحث تتمثّل في معالجة مفهوم الشّهادة الناهض على معنى الحياة، وبيان أنّ الشّجاعة قيمة جوهرية في شخصية الإمام الحسن عليه السلام. كلّ ذلك على وفق منهج استقرائيّ وتحليلي. فأيّ معنى للشّهادة، وماهي مظاهر الشّجاعة في سيرة الإمام؟

١ - مفهوم الشّهادة

يتّسم الخطاب القرآني بجلاء أفكاره ووضوح معانيه. وهو المجال المعرفي الذي يستقي منه المؤمن مصطلحاته ومفاهيمه وقد أشار الله تعالى إلى أنه سهّل فهمه ويسّر تناوله. ومصداق ذلك قوله عزّ وجلّ: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.»[٢] ولعلّ من أهمّ المصطلحات في هذا السياق هو مصطلح الشّهيد. إنّ الشهيد مأخوذ من فعل شهد ومعناه لاحظ، ومنه شاهد ورأى وحضر وعلم وأعلم. يقول ابن كثير في هذا الإطار: الشّهيد في الأصل من قُتل مجاهدا في سبيل الله، ثمّ اتّسع في التّسمية حتّى شملت كلّ من سمّاهم النبي شهداء مثل المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشّهيد في سبيل الله، ومن ذلك من قتل دون ماله أو عرضه أو دينه أو أرضه فهو شهيد.[٣] والشّهيد حسب السّيد الشريف الجرجاني هو كلّ مسلم طاهر بالغ قُتل ظُلما ولم يجب بقتلهِ مَال ولم يرتث[٤] وللشّهيد مكارم وفضائل كثيرة لأنه دفع حياته ضريبةً من أجل قضية عاش من أجلها. ويتّسع معنى الشّهادة ليشمل إقامة البيّنة في المسألة. وحينئذ تبدأ الشهادة أثناء حياة الشهيد بدليل أنّه هو الذي يؤدّي شهادته ويدلي بها متعلّقة بقضايا معيشة. قال تعالى: «وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ»[٥] وكذلك قوله تعالى: «وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا»[٦] ولا أدلّ على معنى الحياة في الشهادة من اتصاف الله تعالى باسم الشهيد: «وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد.»[٧] وقد ازداد ارتباط فكرة الشهادة بمعنى الحياة فيما رواه القرآن على لسان عيسى عليه السلام: «وكُنْتُ عَلَيْهِم شَهِيدًا مَا دُمت فِيهِم.»[٨]

ومـن هـذا المنطلـق، كانـت حيـاة الإمـام الحسـن عليه السلام بمثابـة المـرآة التـي يشـهد فيهـا عـلى تناقضـات عـصره، وتهافـت السّياسـة الاسـتبدادية، فهـو شـهيد في حياتـه بوصفـهِ قـد نطـق بكلمـة الحـق، وكشـفَ عـن زيـف الممارسـات السياسـيّة التـي غلّبـت المصلحـة الدنيويـة عـلى الأخرويـة والماديـة عـلى المعنويـة والفرديـة عـلى الجماعيـة، فـكان بذلـك شـاهدا عـلى عـصره وشـهيدا. إنّ معنـى الحيـاة المتجسّـد في الدنيـا، الـذي يحيـاه الشـهيد يـزداد رُقيّـا ورفعـة ومنزلـة عنـد الله تعـالى. وهـو القائـل عزّ وجـلّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»[٩] وكذلـك الآيـة: «وَلَا تَقُولُـوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[١٠]

إنّ الحضـور المـادي البـدني ليس شرطـا أساسيا لاستيعاب الواقـع. فالفكـر والسّـلوك اللـذان نبعـا مـن الإمـام الحسـن عليه السلام همـا بمثابـة النّـبراس الـذي يتوهّـج نـوره حضـورا وغيابـا. فكلمـة الحـق عنـد السّـلطان الجائـر تظـلّ تمـارس شـهادة حيّـة عـبر التّاريـخ تهـدي الأجيـال اللاحقـة إلى سـواء السـبيل وتشـهد لصاحبهـا بالديمومـة والحضـور. ذلـك أنّ الحيـاة نوعـان: ماديـة ومعنويـة. ولّمـا كانـت الحيـاة الماديّـة نسـبية مرتبطـة بالزمـان والمـكان، فـإنّ الحيـاة المعنويـة روحيـة ونفسـية لا تعـرف حـدودا زمانيـة أو مكانيـة. ومنهـا يتـمّ اسـتلهام الـدروس والعـبر مـن خـلال الإحاطـة ببعـض الخصـال والصفـات. ولعـلّ مـن أهـمّ صفـات الإمـام الحسـن عليه السلام هـي قيمـة الشـجاعة. فماهـي تجليّـات هـذه الصّفـة؟ وماهـي أهـم المواقـف الدّالـة عليهـا؟

٢- شجاعة الإمام الحسن عليه السلام

تعـود أفضـل الخصـال إلى أفضـل العنـاصر في الخلقـة البشريّـة، فطيـب الثّمـرة مـن طيـب الشّـجرة وكذلـك طيـب المحتـدم إنّـما هـو دليـل عـلى صفـاء العنـصر وسـلامة الطّبـع. وإعطـاء كل ذي حـق حقّـه مـن التّقديـر. والتّبجيـل إنّـما هـو مـن قبيـل وضـع الأمـور مواضيعهـا، وعلامـة العـدل في المعاملـة وإقامـة القِسـطاس المسـتقيم. بعيـدا عـن كلّ عبوديّـة وصنميّـة.

إنّ عظماء الإنسانيّة هـم بمثابـة العلامـات البـارزة عـلى طريـق الحيـاة يهبـون الإنسانيّة دلالات تفيض بالقيم والمُثل الّتي مـن شـأنها تجديـد معـاني الحيـاة ومدّهـا بطاقـات روحيّـة فيّاضـة، تعمّـق الإنسـانيّة في الإنسـان، وذلـك بتعميـق الوعـي بالـذّات والقُربـى مـن الحـقّ. وتعظيـم الرّجـال في حقيقـة الأمـر إنّـما هـو تعظيـم لشـهادتهم عـلى عصورهـم ولرسـالتهم الفكريّـة والأخلاقيّـة فالرّجـال

يُعرفون بالحقّ ولا يُعرف الحقّ بهم على حدّ عبارة الإمام الأعظم علي بن أبي طالب عليه السلام.(١١) وعليه فهؤلاء الرّجال الملتزمون بقيم الحقّ يمثّلون السّرديّة النّموذجيّة القائمة على قيم الحقّ والعدل، ذات الأبعاد المتعيّنة والمشخّصة في الواقع. فالنّص وحده يظلّ صيغة نظريّة، وأمّا تجسيده في شكلٍ حيٍّ فتلك كفاية من الدّرجة الثانيّة ما يجعل هؤلاء الرّجال حُججا على أقوامهم وشهداء عليهم، وأوتادا راسخة في الأرض. وهو ما يُذكّر بما قاله الإمام الباقر لقتادة:« ويحك يا قتادة إن الله عز وجل خلق خلقا فجعلهم حججا على خلقه فهم أوتاد في أرضه قوام أمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه. فسكت قتادة طويلا ثم قال : أصلحك الله والله لقد جلستُ بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك ، فقال له أبو جعفر أ تدري أين أنت ؟ أنت بين يدي ﴿ بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ❊ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾(١٢)فأنت ثم ونحن أولئك. فقال له قتادة صدقت والله جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين...».(١٣)

إنّ الفضائل الإنسانيّة الخالدة تدلّ بوضوح على إيمان توحيدي لأنّ الدّين في جوهره قيم وأخلاق فاضلة قال تعالى «دِينًا قِيَمًا».(١٤) وقد قال النّبي الكريم» إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».(١٥) وشهد اللهّ عزّ وجلّ له بقوله «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ».(١٦)وفي هذا الإطار العام من البيت النّبوي المطهّر، يحقّ للدّارس طرح السّؤال التّالي أين تتجلّى مظاهر الشّجاعة لدى الإمام الحسن عليه السلام من خلال سيرته الرّفيعة وسلوكه الحسن؟

لقد ورد عن النّبي الكريم قوله: «أمّا الحسن فإنّ له هيبتي وسؤددي».(١٧) وهما علامتان بارزتان على رباطة الجأش وقوة الشكيمة وعدم التّهيّب والخشيّة من غير اللهّ وهو ما يدّل على صدق التّوكل على اللهّ. وهذا الصّدق تجلّى في مواطن عديدة فالإمام، اعتورته السّهام من كلّ جانب من أربعة آلاف من الرّماة. وكلّما حققوه منه هو الفصل بينه ورحله.(١٨)وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى أنّ الأعداء لو لم يحولوا دونه والماء ما قدروا عليه.(١٩)ولا عجب في ذلك فهذا الشبل الشجاع من ذاك الأسد الجريء. والشّهادة تكون أبلغ وأصدق عندما تأتي من الخصوم والأعداء فقد صرّح معاوية أنّه قال عندما بلغه مقتل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين « إنّ الأسد الّذي كان يفترش ذراعيْه في الحرب قد قضى نحبه».(٢٠)

إنّ البطولات الّتي خاضها الإمام الحسن عليه السلام وجه من وجوه البطولات الّتي دشنها الإمام علي كرّم اللهّ وجهه. والبلاء الحسن الّذي أبلاه في كلّ غزوة وفي كلّ موقعة. ومصداق ذلك أنّه كان محلّ ثقة النّبي الكريم في كلّ المناسبات شدّة وعسرا يقول ابن هشام في السّيرة: ولّما انصرف المشركون أرسل النّبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام في آثارهم وقال له: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنّهم يريدون مكّة، وإنّ ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنّهم يريدون المدينة، والّذي نفسي بيده، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثمّ لأناجزنّهم. فقال علي عليه السلام: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكّة.(٢١)

إنّ ثقة الإمام الحسن عليه السلام بنفسه جعلته محلّ الثّقة من المسلمين أنصارا ومهاجرين إذْ كانت بيعته بعد مقتل أبيه بيوم وشجاعته رشّحته للخلافة الّتي ظلّ فيها ستة أشهر بالعراق.(٢٢) بمقتضى البيعة العامة. وعلى قصر هذه المدّة فقد رتّب فيها العمال وأمّر الأمراء وأنفذ عبد الله بن عباس إلى البصرة ونظر في الأمور. فما تهيّب عليه السلام من جسامة المسؤوليّة ولا خشي من تقلّب الأمور السّياسيّة والاجتماعيّة وعلى رأسها المؤامرات والدّسائس والاغتيالات. لقد أهّل الرّصيد المعنوي الرّفيع الإمام الحسن عليه السلام إلى أن يتصدّى للولاية الكبرى بكلّ رباطة جأش وبكلّ حزم(٢٣)

إنّ شجاعة الإمام الحسن عليه السلام الّتي تجسّدت في رجاحة العقل ورفعة الخُلق هي الّتي حدت بالمسلمين إلى أداء البيعة له بصفة طوعيّة. وقد بلغت صفة الشّجاعة في الإمام الحسن عليه السلام ذروتها عند عقد الهدنة مع معاوية بن أبي سفيان ومعنى ذلك السّعي إلى إحداث مدّة مسالمة تقف فيها الحرب حدًا من سيل الدّماء وسعيا إلى إقامة مدّة تعايش تدعو الظالم إلى مراجعة نفسه والعودة عن البغي وكلّ ذلك كان مع القدرة على المواجهة ومواصلة الحرب.

لقد أفضت القراءة الحصيفة المتأنّية والمتبصّرة من لدن الإمام إلى تقديم الأهمّ على المهمّ علما بأنّه كان واثقا من نُصرة طوائف عديدة من المسلمين له. والأكيد أنّ العوامل كلها كانت لصالح الإمام الحسن عليه السلام ولكن حكمته دعت إلى القبول بالهدنة تقديما للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة. ولكن دهاء عمرو بن العاص استمرّ بعد معركة صفين إلى عرض فكرة المصالحة على معاوية لا رغبه في الصلح ولكنّ لإحداث البلبلة والفتنة في

صفوف أنصار الحسن، وشقّ وحدتهم وإحداث الفتنة بينهم. ولكن الهدنة كانت محاولة جيّدة لقطع الطّريق أمام هذه المؤامرة على الرّغم مما فعله الخوارج من اعتداء مادّي سافر على الإمام على الرّغم من اشتراطه على معاوية أن يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله واتّباع نهج الخلفاء الرّاشدين، وأن يكون الأمر بعده للإمام الحسن، وأن لا يسُبّ الإمام علي على المنابر، وأنّ يُجازي من قاتل مع الإمام علي يوم الجمل وصفّين، وأن يُشيع الأمن بيْن النّاس، وأن لا يأخذ أهل العراق بذنب اقترفوه، وأن يعيد الحقوق لأصحابها، ولا أن يصل أهل البيت بشيء ضار أو إساءة. والملاحظ أنّ كلّ هذه البنود شروط لصالح أهل البيت ولصالح المسلمين. فهي تدلّ مرّة أخرى على أنّ جانب الإمام كان قويّا ومحميّا من عدد كبير من المسلمين وهو ما يخدم قدرته وشجاعته. فشجاعة الإمام لم تكن فجّة وإنّما كانت ترتكز على معطيات مهمّة وموضوعيّة من جهة ومعنويّة أدبيّة من جهة أخرى. وتلك هي مقوّمات شرعيته التي يفتقدها معاوية ورد عن الإمام الحسن عليه السلام قوله لمعاوية: أنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدك حرب، وجدي رسول الله، وأمك هند، وأمي فاطمة، وجدتي خديجة، وجدتك نثيلة، فلعن الله ألْأمنا حسبا وأقدمنا كفرا وأخملنا ذِكرا وأشدنا نفاقا.[٢٤]

إنّ المسالمة من جانب الإمام لمعاوية تنم عن قدرة على الحرب لأنّ الجنوح إلى السلم جزء من معادلة السيطرة على الأمور. والسلم هو الوجه الآخر من الحرب، وسمة بارزة من شجاعة المحارب وعمق تجربته في الحياة، والدليل على ذلك أنّ قيس بن سعد بن عبادة، وهو حامل لواء الحرب مع الإمام والذي امتنع عن مبايعة معاوية، طلب من الإمام أن يكون هذا الرفض شرطا من شروط الهدنة والصلح. فرذخ معاوية وقبل بالشرط. وهو ما يدلّ على خشيته من سطوة الإمام ودعم أهل الكوفة له.[٢٥]

إنّ نقض الهدنة كان سلاحا أشهره الإمام أكثر من مرّة في وجه معاوية وهو ما يدلّ مرة أخرى، على شجاعة بارزة لدى الإمام. وانطلاقا من هذه المعطيات الواقعية كان الحسن يمثل شوكة في حلق معاوية الذي قال ذات مرّة: «والله ما نزل الحسن حتّى أظلمت عليّ الأرض. وهممت أنّ أبطش به ثمّ علمت أنّ الإغضاء أقرب إلى العافية.»[٢٦] فالوزن الذي يحتله الإمام يجعل الحكم بينه وبين معاوية أقرب إلى التشارك إذْ الاحتكام إلى الشرعية

النابعة من البيعة. ولما كان معاوية أقل شرعية، فإنه طلب من الإمام مقاتلة الخوارج فكان ردّه: «أفا أقاتل عنك قوما أنت أولى بالقتال منهم.[٢٧]

ومن مظاهر الشجاعة الحسنية، مواجهة معاوية على رؤوس الملأ. تذكُر الرواية أن معاوية خطب ذات مرة في مسجد النبي بالمدينة، فقال: أنا خير منك يا حسن. فقال: «وكيف ذلك يا ابن هند؟ قال: لأن الناس قد أجمعوا علي ولم يجمعوا عليك. قال: هيهات هيهات، لشرّ ما غلوت يا ابن آكلة الأكباد. المجتمعون عليك رجلان: مطيع ومكره، الطائع لك عاص لله والمكره معذور بكتاب الله وحاش الله أن أقول: أنا خير منك. فلا خير فيك، ولكن الله برّأني من الرذائل، كما برّأك من الفضائل.[٢٨]ومنطوق هذا الخبر يشي بنصرة أهل المدينة لجانب الإمام، والحاصل أن الهُدنة فوّتت، بكل شجاعة، على بني أمية إبادة الطائفة المؤمنة من أتباع رسالة الإسلام، على الرغم من أن قصار النظر رأوا أنّ الإمام آثر الحل السهل حينما جنح إلى السلم.

إن الإجابة عن هذا الاعتراض يتمثل في أن الإمام الحسن عليه السلام أول المدركين لتاريخ العائلة الأموية التي كانت دخلت الإسلام على كره وهم الطلقاء يوم فتح مكة. والإمام إذ يسالم معاوية ويصالحه فإنه يكشف عن فضائع هذه العائلة الأموية مجسدة في سلوك معاوية علما بأن معاوية هو الذي كان يلح في طلب الصلح ما يدلّ على أن رحى الحرب لو دارت واستمرت لكانت نصرة للإمام، ولا سيما أن معاوية قد أعلن قبوله بكلّ الشروط الحسنية. لقد خاض الإمام ثورة السلم وهي أقوى وأشد من ثورة القتل. وهو أشبه ما يكون بصلح الحديبية الذي كان بمثابة الفتح.[٢٩]

لقد كان الصلح الذي أبرمه الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بمثابة الكمين سيتردّى فيه الاستبداد الأموي، فلم يطل الوقت حتى انفجرت أولى القنابل المغروسة في شروط الصلح إذ انفجرت أولاها في نفس معاوية إذ صرّح يوم نشوته بنصره إذ انظمّ جيش العراق إلى لوائه في النخيلة، إذ قال خطيبا: يا أهل العراق إني والله لم أقاتلكم لتصلوا وتصوموا ولا لتزكوا ولا لتحجّوا وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون ألا وإن كلّ شيء أعطيته للحسن بن علي جعلته تحت قدميّ هاتين.[٣٠]-إنّالحوادث التي تتالت عبر

الأيام فضحت ممارسات بني أميّة، وهو مقصد من أهم المقاصد التي رام الإمام الحسن عليه السلام بلوغها. وقد أفضت هذه السياسة المستبدّة إلى يوم الكربلاء وساباط. وقد كان الحسن حاضر فيهما حضور الشهيد الحي. وهو المصير الذي مهّد له اتّصافه بالشّجاعة والصّبر على أهل البغي. ولكن نكد الدهر تجلّى في مجابهة شجاعة المسالمة بالسّم والدّسيسة الجبانة. وقدكشف التّاريخ عن لؤم كبير تمثّل في عداوة البغاة للدّين وأهله.

إنّ السياسة لا تقاس بطول امتدادها في الزمن الموضوعي ولكنّها تقاس بفاعلية البرامج وحسن التفكير الذي يطبعها. والإمام الحسن عليه السلام يسجل له التاريخ، على الرّغم من قصر خلافته، أنه أدرك خصائص عصره وعرف نفسيات خصومه.

إنّ شجاعة الإمام حفظت الدّين وحقنت دماء المسلمين والتزمت بتعاليم الله تعالى وسيرة جدّه (عليه الصلاة والسّلام)، وكشفت المؤامرات وقطعت حجج المجادلين فلا غرابة أن يقول لأخيه الحسيْن: « إنّي مفارقك ولا حق بربي.. فلا تهرق في أمري محجمة من دم حتى نلقى رسول الله فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا.»[31] وما الفجائع التي لاحقت الإمام الحسن عليه السلام وغيره من صحبه وآله إلّا دليل على التزامهم جانب الحق. وما عدا ذلك، اعتزاز بمباهج الحكم ومزايا السلطان. يقول الإمام الحسن عليه السلام في هذا الإطار: « فلمّا صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم باعونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله فهو الولي النصير».[32] وقد دعته جرأته إلى مواجهة معاوية بالقول: « وأنت يا معاوية لا بفضل في الدين معروف ولا أثر وابن أعدى قريش لرسول الله ولكتابه والله حسيبك، فسترد عليه وتعلم لمن عقبى الدار.»[33]

ولكنّ شجاعة الإمام تعود إلى يوم قُتل أبوه إذْ قال: « لقد قُبض في هذه الآونة، لم يرحل ولم يسبقه الأولوان ولا يدركه الآخرون. لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، ولقد كان يواجه برابته فيكتنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه».[34] فهو تأبين دال بوضوح على قدرة كبيرة على تحمل المصائب والنوائب، وهي شجاعة تفوق حدود التّأثّر السالب الباعث على الضعف. إنّ حادثة التّسميم الجبانة دليل ساطع على خوف المخادع من شجاعة الإمام صاحب السلطة الأدبية الضّاربة.

ولعلّ من أبرز النتائج الحاصلة من هذه الشجاعة الأصيلة أنّ قلوب الناس تعلقت به. يقول ابن كثير في هذا الغرض: «وأحبّوه أشدّ من حبهم لأبيه»(٣٥) ومن مظاهر الشجاعة الحسنيّة اللافت نذكر أنّ الدسائس التي تعمّد معاوية إثارتها دعت إلى مجابهته قائلا: «أنت دسست إليّ الرجالَ كأنّك تحبّ اللّقاء. لا أشكّ في ذلك فتوقّعه إن شاء الله. وبلغني أنّك شمتّ بما لم يشمت ذو الحجى»(٣٦) ومازال الإمام الحسن عليه السلام يواجه معاوية بكلّ جرأة يقول كلمة الحقّ ولا يخشى في ذلك لومة لائم إذ قال له ذات يوم «دع التمادي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كلّ أوّاب حفيظ ومن له قلب منيب واتق بالله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منك ليطفئ الله النائر بذلك وتجمع الكلمة وتصلح ذات البين وإن أنت أبيت إلّا التمادي في غيّك، سرتُ إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا». (٣٧) فلا أدلّ على الاتّصاف بالقوة والشّجاعة من لغة هذا الخطاب الحَسني المفعم بالأمر والنّهي والوعظ والتّوبيخ والتّهديد والرّدع، ما يجعل معاوية بين عاقبتين أحلاهما مرّة: الخسارة في الدنيا حيث الحرب. والخسارة في الآخرة حيث سوء المصير.

إنّ بني أمية، وإن ركبوا صهوة المطالبة بدم عثمان، بوصفها كلمة حقّ وأريد بها باطل، فإنّ الفخري الطقطقي ذكر في تاريخه: «إنّ الإمام الحسن عليه السلام قاتَل عن عثمان قتالا شديدا حتّى كان يستكشفه، وهو يقاتل عنه ويبذل نفسه دونه.»(٣٨) وهو وجه أساسي من الوجوه الدالة على شجاعة الإمام في الحرب وعدم خشيته من بذل النّفس في سبيل الله وقد بذلها حقّا. فضرب بذلك أنصع الأمثلة على الجهاد والاستشهاد، فتخلّد ذكره في التاريخ وفي الذاكرة الحيّة. وساعةَ حُوصر عثمان في منزله بعث الإمام علي ابنيه ومعهما ثلاث قرب وقال لهما: «اذهبا بسيفيكما حتّى تقوما على بابه ولا تدعا أحدا يصيبه بمكروه، وكان أنّ خُضّب الإمام الحسن عليه السلام بالدماء وشجّ قنبرة مولاه.»(٣٩) والملاحظ أنّ معاوية كان مقتنعا تماما بأنّه غير كفء ولا معادل للإمام في مستوى هذه الصفة النبيلة بدليل مفاخرته بأمور

أخرى تندّ عن الشجاعة وذلك باد في كلامه الذي توّجه به للإمام قائلا: «إنّي أكبر منك سنّا وأطول منك ولاية، وأقدم منك في هذا الأمر تجربة.[٤٠] فشتّان بين صفة نبيلة داخلية طبيعيّة وصفة خارجية مكتسبة !

وعلى خلاف الاتصاف بالشّجاعة كان سلاح معاوية هو الخديعة ونشر الجواسيس وشراء الذمم بمال المسلمين، فكانت المقابلة صارخة بين قيم الحقّ وقيم الباطل. وقد انضاف إلى دهاء معاوية وخداعه انجذاب بعض أنصار الإمام بالكوفة إلى سياسة بني أميّة من أمثال الأشعث بن قيس[٤١] وعمرو بن حريث[٤٢] ومعاوية بن حديج[٤٣]، وأبي بردة الأشعري[٤٤] والمنذر بن الزبير[٤٥]. وهم الذين ما بايعوا الإمام إلّا ليكونوا عملاء لأعدائه عازمين على إثارة الفتن والتّربّص بالدوائر غير مكترثين بالعار والنّار، وأخطار المنافقين أشد وأنكى من الأعداء. لذلك مثّل التّمهّل والتّربّص من الإمام الحسن عليه السلام عين الحكمة والتّبصّر. وعلى الرغم ذلك خاض الحرب على رأس أربعين ألفا من المقاتلين بقيادة عُدي بن حاتم. وهو إجراء يعلن الجهاد رمز الشّجاعة. وكان يوم النّخيلة شبيها بيوم البيعة من حيث كثرة العدد. ولكنّ حكمة الإمام دعته إلى المكوث بالنّخيلة لتبين حقيقة الأمر. ولم ينضمّ إليه، في نهاية الأمر، إلّا أربعة آلاف. واتّخذ الإمام المدائن مقرّا لعسكره بصفتها موطنا استراتيجيا، وظهرت شجاعته من حيث اختياره للزمن والموقع الملائميْن لخوض المعركة، ولقد أورد الطبري في تاريخه أنّ معاوية، خلص حين فرغ من عبد الله بن عبّاس والإمام الحسن عليه السلام، إلى المكايدة ومعه أربعون ألفا، وقد نزل معاوية بهم وعمروا أهل الشّام.[٤٦]

ولكنّ هذا العدد والعتاد لم يدعوَا إلى اغترار الإمام، ولم يغرياه بالقتل، ولمّا سئل: أ معك أربعون ألفا وتُصالح؟ أجاب بقوله: «أجل ولكنّي خشيت أن تأتي يوم القيامة سبعون ألفا أو ثمانون ألفا، تشخب أوداجهم كلّهم يستدعي الله فيم هريق دمه.»(٤٧)

والعجيب أنّ الشّجاعة أحيطت بضروب الخذلان إذ عبّر عنها الإمام بقوله: « كنتم في مسيركم إلى صفّين ودينكم أمام دنياكم. وأصبحتم اليوم قتيلَيْن: قتيل بصفِّين تبكون عليه، وقتيل بالنّهروان تطلبون بثأره، وأمّا الباقي فخاذلٌ، وأمّا الباكي فثائرٌ.»(٤٨) وهي إشارة إلى الخليط المكوّن لجيشه الذي غابت فيه لُحمة المحاربين المنسجمين في الوسائل والغايات.

إنّ الجدير بالملاحظة هو أنّ شجاعة الإمام هي التي جعلته يحجم عن منع الجنود الذين يشكّ في صدقهم من مشاركتهم في الجهاد معه، إذ لا مبرّر لطرد البعض، وردّ البعض الآخر، إذ إنّ عقيدة الشّجاع تملي عليه إيمانه الرّاسخ أنّ النّصر من الله، إذا خلصت النّوايا. أمّا أصحاب الخذلان فسيجدون الخيبة والخسارة والقتل، علما بأنّ طرد بعض المقاتلين من صفوف الجيش هو جزء من برنامج معاوية، وأنّى للإمام ﵇، أنْ ينقاد إلى مخطّطات الخصم الباغي المتمرّد.

الخاتمة

على هذه الشّاكلة شغلت شخصية الإمام الحسيْن منزلة مرموقة. ومازالت جوانبها الثّريّة تستدعي المزيد من النّظر والمعالجة. فأيّام هذا الرّجل على قصرها في سُدّة الحكم قد أرست أسسا وزرعت بذورا على طريق المسلمين من بعده. وعلى المسلمين استنطاق العبر الثّاويّة في مواقف الإمام الحسن عليه السلام السياسيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة. وعندئذ سيحصلون على حلول ملائمة لمعضلات يعيشها العالم الإسلامي في الوقت الراهن.

لقد كانت الأحداث أيّام الإمام خضمّا متلاطم الأمواج من ولاء وبراء وخداع ونفاق واحتيال. وكل ذلك واجهه الإمام بالحكمة والتّمهّل. لقد استجاب إلى محاولات الصّلح المتعدّدة. وفرض شروطا تضمن نجاح ما أقدم عليه.

إنّ التّاريخ وإن جارت أيّامه تزويرا لبعض الأحداث وتشويها لبعض حقائقه، فإنّ من سُننه أنّ الحقّ يعلو ولا يُعلى عليه. وناكث العهد لا تُؤمن عواقبه. ولعلّ من أكبر النّكبات الّتي جرّها الظّلم والاستبداد هو خسارة الحضارة الإسلاميّة لمبدأ الحريّة المتجسّد في مبدأ الشّورى إذْ أصبح الحكم الرّاشد مُلكا عضوضا يقوم على الغدر والقتل والإجرام والتّنكيل بالسّجن والذّبح والتّشريد والغدر. وقد لخّص الإمام الحسن عليه السلام هذا اللّؤم وشر بني أمية في قوله: «لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته، والله ما وفى بما وعد، ولا صدق فيما قال»، كما أوردها المسعودي.(٤٩) ولكنّ ابن ابنة رسول الله وإن قُتل غيلةً وحيلةً، فإنّ شجاعته الّتي تجلّت في مواقفه وسلوكه وأقواله مازالت ضلالها تتفيّأ على أجيال المسلمين المتلاحقين. ومازال ذكره على ألسنة المسلمين مرفوعا رفعة الشّهيد وهو باق حيٌّ خالد الذّكر والمجد. وهذا المرام الّذي رغب هذا البحث بلوغه ونيْله.

الهوامش

١-محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز الدّراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط٨، سنة ٢٠٠٢، ص٣٣٣.
٢-سورة القمر، الآية ٢٢.
٣- ابن كثير، البداية والنّهاية، دار الكتب العلمية، ج١٠، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧١، ص٤٦٦.
٤-الجرجاني السّيد الشريف علي بن محمد، معجم التّعريفات، تحقيق محمّد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتصدير، القاهرة،٢٠٠٤، ص١١١.
٥-سورة البقرة، الآية ٢٨٢.
٦-سورة البقرة، الآية ٢٨١.
٧-سورة البروج، الآية ٩
٨-سورة المائدة، الآية ١١٧
٩-سورة آل عمران، الآية ١٦٩
١٠-سورة البقرة، الآية ١٥٤
١١-الجاحظ أبو عثمان، البيان والتّبيين، ج٣، دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة ١٤٢٣ هـ، ص٢١١.
١٢-سورة النور، الآيتان ٣٦-٣٧.
١٣- السيوطي جلال الدّين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٧١، ص٣٢. السيد الأمين محسن، أعيان الشيعة، مطبعة التعارف، لبنان، سنة ١٩٦٢، ص٤٩٧ .
١٤-الأنعام ٦، الآية ١٦١.
١٥-البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مكتبة الإيمان المنصورة، سنة ٢٠٠٣. والأدب المفرد،ج١، القاهرة، سنة ٢٠٠٣،عدد١٠٤، ص٢٧٣.
١٦-القلم ٦٨، الآية ٤.
١٧- الشيخ المفيد، الإرشاد، المطبعة الحيدرية ومكتبتها، النّجف الأشرف، العراق، ١٩٦٢، ص٧.
١٨-المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ٢٠٢٠، ص٥٠.
١٩-ابن حجر العسقلاني، الصّواعق المحرقة، ، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٧٩، ص ١٩٧.
٢٠- القمي الشّيخ عبّاس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، دار المصطفى العالمية، ط٣، بيروت، ٢٠١١، ص٢٥٨.
٢١-ابن هشام، السيرة النّبويّة، ج٣، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، دت. ص١٠٠.
٢٢-انظر ابنُ أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٨، ص٥٦٧.
٢٣-يأكد ابن الحجر العسقلاني أنّ الإيمامَيْن الحسن والحسين عليهما السلام قد استلهما قيمة الشّجاعة من أبيهما عليه السلام. انظر ابن حجر العسقلاني، الصواعق المحرقة، م ن، ص١٩٧.
٢٤-انظر الشيخ أبو جعفر محمد الطوسي، الآمالي، المكتبة الأهليّة، بيروت، ١٩٦٤، ص٨٢٤.

٢٥-انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، م ن، ص١٤ وما بعدها.
٢٦-الشيخ أبو جعفر محمد الطوسي، الآمالي، م ن، ص ن.
٢٧-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٥، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، إيران، ١٩٦٧، ص٩٨.
٢٨- محمّد بن علي ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النّجف الأشرف، سنة ١٩٥٦، ص١٨٦.
٢٩-ظاهر المعاهدتيْن لصالح الخصم : قريش في صلح الحديبيّة، ومعاوية في صلح الإمام الحسن(عليه السلام)، ولكنّ النتائج كانت على العكس من ذلك، انظر في هذا المجال، يحي عبد الحسن الدوخي، صلح الإمام الحسن، دار مشعر، تهران، ط١، سنة ١٤٢٤هـ، ص٧١ وما بعدها.
٣٠-انظر آل ياسين راضي ، صلح الحسن، منشورات الشريف الرّضي، بيروت، ط٤، ١٩٢٩، ص١١.
٣١-راضي آل ياس، ص٣٢.
٣٢-راضي آل ياس، ص٤٤.
٣٣-ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج٤، م ن، ص١٢.
٣٤-ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥،ج ٣، ص١٦.
٣٥-ابن كثير، البداية والنّهاية، ج٨، ص٤١.
٣٦-انظر أبا الفرج، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، سنة١٩٧١، ص٥١.
٣٧- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، م ن، ص١٢.
٣٨-الفخري الطقطقي، التّاريخ، دار الصدر، سنة ١٩٦٠، ص٧٤.
٣٩-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، م ن، ج٤، ١٥ وما بعدها.
٤٠-ابن أبي الحديد، ص١٣.
٤١- هو معديكرب بن قيس صحابي، أسلم عام الوفود، ت٤٠ه. انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج٢، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١١، سنة ١٩٩٦، ص ٣٧.
٤٢- هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشّي من بني مخزوم و يكنّى بأَبي سَعِيد، ت ٨٥هـ. انظر ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، ط١، سنة ٢٠١٢، ص٢٠٠.
٤٣- هوابن جفنة بن قتيرة التجيبي الكندي، يكنّى بأبي نعي وهو قائد عسكري حليف لبني أمية، ت٥٢ هـ بمصر. انظر ابن كثير البداية والنهاية، ج٨، مكتبة المعارف، بيروت، سنة١٩٩٢، ص٥٨.
٤٤-هو أبو بُردة بن أبي موسى الأشعري فقيه تابعي كوفي، وأحد رواة الحديث النبوي، وقاضي الكوفة في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، ت ١٠٣ هـ. انظر شمس الدّين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١١، سنة ١٩٩٦، ص٣٤٤.
٤٥- هو المنذر بن الزبير بن العوام ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، غزا القسطنطينية مع يزيد، ت٦٤هـ. انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، م ن، ص٢٧٠.

٤٦-الطّبري، تاريخ الأممّ والملوك، ج٦١، ص٩٤.
٤٧-ابن أبي الحديد، م ن، ج٧، م ن، ص٧.
٤٨-ابن طاووس علي بن موسى، الملاحم والفتن، المكتبة الحيدريّة، النجف، ط١، سنة١٩٤٨، ص١٤٢.

المصادر والمراجع

مرتّبة ترتيبا ألفبائيّا دون اعتبار «ال» و«أبو» و«ابن» المصادر

*القرآن الكريم
*ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥.
*السيد الأمين محسن، أعيان الشيعة، مطبعة التعارف، لبنان، سنة ١٩٦٢.
*البخاري محمد بن إسماعيل:- الجامع الصحيح، مكتبة الإيمان المنصورة، سنة ٢٠٠٣.
*الأدب المفرد،ج١، القاهرة، سنة ٢٠٠٣،عدد١٠٤.
* الجاحظ أبو عثمان، البيان والتّبيين، ج٣، دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة ١٤٢٣ هـ.
*الجرجاني السّيد الشريف علي بن محمد، معجم التّعريفات، تحقيق محمّد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتصدير، القاهرة،٢٠٠٤.
*الجزري ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، سنة ٢٠١٢.
*جلال الدّين السيوطي، در المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٧١.
*ابن حجر العسقلاني، الصّواعق المحرقة، دار الكتب العلميّة، بيروت ، ١٩٧٩.
*ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، إيران، ١٩٦٧.
*الحنفي ابنُ أبي العز، شرح الطحاوية، بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٨.
*الذهبي شمس الدّين، سير أعلام النبلاء، ج٢، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١١، سنة ١٩٩٦.
*الشيخ المفيد، الإرشاد، المطبعة الحيدرية ومكتبتها، النّجف الأشرف، العراق، ١٩٦٢.
*ابن طاووس علي بن موسى، الملاحم والفتن، المكتبة الحيدريّة، النجف، ط١، سنة١٩٤٨.
*الطّبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٧١.
*الشيخ الطوسي محمد أبو جعفر، الآمالي، المكتبة الأهليّة، بيروت، ١٩٦٤.
*الفخري الطقطقي، التّاريخ، دار الصدر، ١٩٦٠.
*أبا الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٧١.
*القمي الشّيخ عبّاس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، دار المصطفى العالمية، بيروت ، ط٣، ٢٠١١.
*ابن كثير، البداية والنّهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١.
*المجلسي، بحار الأنوار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٠.
*محمّد بن علي ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النّجف الأشرف،١٩٥٦.
*ابن هشام، السيرة النّبويّة، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، دت.

*** المراجع**

* آل ياسين راضي ، صلح الحسن، منشورات الشريف الرّضي، بيروت، ط٤، ١٩٢٩.
*البلداوي وئام برهان، القول الحسن في عدد زوجات الحسن، إصدار قسم الشؤون الثّقافية في العتبة الحسينيّة المقدّسة، الكربلاء المقدّسة، ط١، ٢٠٠٨.
*البغدادي ابراهيم حسين، الإمام الحسن بن علي: شجاعة، قيادة وحكمة سياسة، الأميرة للطّباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٢.
*الدوخي يحيى عبد الحسن الدوخي، صلح الامام الحسن ، دار مشعر، طهران، ط١، ١٤٣٤ هـ.
*عابد الجابري محمد، تكوين العقل العربي، مركز

الدّراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط٨، سنة ٢٠٠٢.
*القزويني أمير علي موسوي، الحسن والحسين أبناء رسول الله ﷺ، في الكتاب والسّنة، دار النشر غير مذكورة، ط١،٢٠٠٦.
*المصلي الشّيخ عبد العزيز بلحاج سعيّد، تمهيد الحسن وقيام الحسين عليهما السلام، انتشارات مكتب الحسين، اعتماد، القاهرة، ط١، ١٤٢٥ هـ.

تَجَلِّيات خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام فَرادَةُ السِّيْرةِ وردُّ تَضْلِيلِ المُناوِئِينَ (قِراءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)

أ.د. رحيم كريم عليّ الشَّرِيْفِيّ
جامعةُ بابلَ / كلِّيّةُ العُلُومِ الإسْلاميَّةِ.

ملخص البحث

الحمدُ لله جلَّ جلالُـهُ الَّـذي تجلَّى لِعبادِهِ في أَوْضحِ بُرْهانٍ وأَسْنى بَيانٍ وأَسْمى سُلْطانِ الفَرْدانيَّةِ فرَدَّ تَضْليلِ المُناوئِينَ وذَلَّ رِقابَ الجبارةِ، وصلَّى اللهُ تعالى على المُخاطَبِ بالقُرْآنِ محمَّدٍ ﷺ عبدِهِ ورسُوْلِهِ ذي الخُلُقِ العظيمِ والمَرْقاةِ المُنِيفةِ وعلى آلِهِ نُهُجِ الحَقِّ وسُبُلِ الهدايةِ والرَّشادِ.

لايَخْفى على كُلِّ ذي عينينِ أنَّ لكلِّ خطابٍ مَقاصِدَ ومَرامِيَ يَتَغيَّاها مُنْتِجُ الخِطابِ، وهاتِهِ المَقاصِدُ والمَرَامِي تتناغَمُ وتَتَساوَقُ بحَسَبِ جُمْهورِ المُتَلَقّينَ لهُ والمُسْتَقْبِلين تارةً، وبِحسبِ مَقاماتِ الأَحْوالِ وقرائِنِ السِّياقِ ومُلاطَفةِ الواقِعِ التَّداوُلِيّ تارةً أُخْرى.

تَنَوَّعتِ الخِطاباتُ في المَنْظُومةِ المَعْرِفيَّةِ الإنْسانيَّةِ عامّةً والمَنْظُومةِ الإسْلاميَّةِ خاصَّةً، وهذا التَّنوُّعُ والتَّلوُّنُ يُعْزى لِمُنْتِجِ الخِطابِ وقُدْرتِهِ على انتقاءِ الألفاظِ واخْتِيارِها وربْطِها وسَبْكِها في نَظْمٍ مُبْهِرٍ يَنْطَوي على جُمَلٍ وفِقَرٍ، التَّرتيبُ والتَّرابُطُ شِعارُها وتِبْيانُ الدَّلالاتِ واسْتِجلائِها دِثارُها.

من هنا انْعَقدَ هذا البحثُ للإبْراقِ والإصْحارِ بخِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام الَّذي يَمْتَحُ مِنَ الكلامِ الإلهيّ (القُرْآن الكريم) وكلامِ جَدِّهِ المُصْطفى محمَّدٍ ﷺ وكلامِ أَبيه أمير المؤْمنينَ عليٍّ عليه السلام وأُمِّهِ السَّيِّدةِ الزَّهراء عليها السلام والرَّغْبةِ في اسْتِظْهارِ تجَلِّياتِهِ وحَقائِقِهِ من جهة فَرادةِ سيرتِهِ العاطِرة الفَريدةِ، وردّ ضَلالاتِ خُصُومِهِ الَّذينَ لايرجونَ لله وَقارًا.

والحمدُ لله ربِّ العَالَمِينَ وصلَّى اللهُ تعالى على محمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرينَ

Abstract

It is not hidden that the speech of Imam Hussein, peace be upon him, contains graphic manifestations, argumentative directions, and indicators of achievement, of great content and high statement, in memorizing the facts and clarifying the facts honestly and truthfully.

Because these facts were many so that could not be controlled in his speech,” peace be upon him” , it is to state two central issues, namely:

The uniqueness of the biography and response of misleading of the opponents, so the research will mention the elements of this uniqueness, and the responses of the Imam” peace be upon him” misleading the opponents. From here the research came to clarify these two important issues in his speech” peace be upon him”.

المقدمة

لا مِراءَ في أنَّ لِخطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام بِوصْفِهِ مِنْ أهلِ البيتِ عليهم السلام الَّذينَ أذْهَبَ اللهُ تعالى عنهمُ الرِّجْسَ وطهَّرَهمْ تَطْهِيرًا لَمساتٍ بيانيَّةً ومُوجِهاتٍ حِجاجِيَّةً ومُؤَشِّراتٍ إنجازيَّةً وتأْثِيريَّةً عظيمةَ المَضْمُونِ، ساميةَ البَيانِ في اسْتِظْهارِ الحَقائِقِ واسْتِجلاءِ الوَقائعِ صِدْقًا وحقًّا .

ولَمَّا كانتْ تِلْكُمُ الحَقائِقُ والوَقائعُ المُتحصَّلةُ من خِطابِهِ الشَّريفِ عليه السلام كثيرةً لا يُمْكِنُ حَصْرُها وضَبْطُها ، اكْتَفَينا بِبيانِ قَضِيَّتَينِ مِحْوريَّتَينِ ، هما : فَرادةُ السِّيرةِ الحَسنيَّةِ المُباركَةِ ، وردُّ تَضْلِيلِ المُناوئِينَ .

و في ظلِّ القِراءةِ المُتأنيةِ الصَّبُورةِ والوَقْفةِ الفاحِصةِ لِخطابِهِ الشَّريفِ انْعَقَدَ هذا البحثُ لاسْتِظْهارِ مَعالِمِ فَرادَةِ السِّيرةِ العاطِرةِ للسِّبْطِ البِكْرِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام أوَّلًا ، ومَظاهِرِ رُدُودِهِ عليه السلام على تَضْلِيلِ المُناوئِينَ والمُنْحَرِفينَ الَّذينَ ما انْفكُّوا جاهدينَ - ظُلْمًا وحَيْفًا- أنْ يُلْصِقُوا بِهِ عليه السلام المَثالِبَ والمَطاعِنَ ، فجاءَ خِطابُهُ عليه السلام الَّذي يُمثِّلُ مَشْرُوعًا إعلاميًّا مُتميِّزًا ؛ من أَجلِ اسْتِلهامِ الجُمْهورِ هاتِهِ السِّيرةِ العُظْمى التي تسْتَقِي من نَميرِ النُّبُوَّةِ وتسْتَمدُّ من عَبَقِها ، ومِنِ إمامةِ أَبيهِ أَميرِ المُؤْمنينَ عليٍّ عليه السلام ، ومِنْ أُمِّهِ -كَوْثَرِ الرِّسالةِ - السَّيِّدةِ الزَّهْراءِ عليها السلام ، وكذلكَ فَضْحُ الجِهاتِ المُنْحرفةِ غيرِ الرَّشيدةِ المُناوئِةِ للإسْلامِ والرِّسالةِ في ضَوْءِ رُدُودِهِ الحَواسِمِ واحْتِجاجاتِهِ القَواصِمِ على تَضْلِيلِ المُناوئِينَ[1] .

انْعَقَدَ هذا البحثُ ؛ مِنْ أَجلِ الوُقوفِ على تَجلِّياتِ خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام الَّتي سَتكونُ المِحْورَ الرَّئِيسَ في تِبيانِ فَرادةِ هاتِهِ السِّيْرةِ ، وردِّ تَضْلِيلِ المُناوئِينَ .

جاءتْ خُطَّةُ البَحْثِ بِحَسَبِ المادَّةِ المَجْمُوعةِ ومَساراتِ المَوضوعِ على وَفْقِ تَمهيدٍ ومَبْحثينِ، انْعَقَدَ التَّمهيدُ بعنوانِ (خِطابُ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام المَنابِعُ والمُؤَثِّراتُ) ، وجاءَ المبحثُ الأول بعنوانِ (مَعالِمُ فَرادَةِ السِّيْرَةِ في خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام) ، وجاءَ الثَّاني بعنوانِ (مَظاهِرُ رُدُودِ تَضْلِيلِ المُناوئِينَ في خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام) ، وقَفَلْتُ البَحْثَ بمجموعةٍ مِنَ النَّتائِجِ المُتحصَّلةِ منهُ مآلُها في نِهايةِ البحثِ .

والحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ وصَلَّى اللهُ على مُحمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرينَ .

التمهيد

خِطَابُ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام المَنَابعُ والمُؤَثِّراتُ

لاجَرَمَ أَنَّ خِطابَ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام يَسْتَشْرِفُ الثَّراءَ الدَّلاليَّ والسِّياقاتِ البَليغَةَ والاسْتِثْمارَ البِنْيَوِيَّ من كلامِ اللهِ تعالى (القُرآن الكريم) ، وكلامِ خاتَمِ الأنبياءِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وكلامِ أبيهِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام ، وكلامِ أُمِّهِ – الكَوثر الفَيَّاض – السَّيِّدةِ الزَّهراء عليها السلام ، هذا الاسْتِشرافُ انْعَكسَ على تكامُلِهِ الإنسانيّ والمَعْرِفيّ والفِكْرِيّ والبَيانِيّ .

إنَّ النَّظَرَ في هذا الخِطابِ ليس بالأَمرِ الهيِّنِ ؛ لأنَّهُ يقْتَضِي وَقْفةً صبورَةً وقِراءةً مُتأنيةً باصِرةً ؛ للظَّفرِ بأجزاءِ هذا الخِطابِ ومُتضمّناتِهِ واسْتِلْزاماتِهِ ، إنَّهُ يُجسِّدُ مَشْروعًا إعلاميًّا حَضاريًّا في اسْتِعْراضِ معالِمِ السِّيْرةِ العَطرةِ الزَّكيّةِ لِبُرْعُمِ النَّبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ومَغْرَسِهُ وهي مَعالِمُ إنسانيَّةٌ عظيمةٌ ، وقيمٌ أَخلاقيّةٌ مَثاليّةٌ ، فضلًا عمَّا تَبرُقُ بهِ هاتِهِ السِّيرةُ في ظلِّ خِطابِ حامِلِها الإمامُ الحَسَنِ عليه السلام من مَقاصِدَ قُرآنيّةٍ جليلةٍ في التَّعايُشِ السِّلْمِيّ ونَشْرِ الفَضيلةِ وغَرْسِ الفَضائلِ والمَحامِدِ والمَراشِدِ ، إنَّهُ مَشْروعُ اسْتِحضارِ الأَبعادِ الإنسانيَّةِ والحضاريَّةِ بُعدِ التَّوحيدِ وبعدِ النُّبوَّةِ والشَّرائعِ وبُعدِ الأَخلاقِ والتَّربيةِ وبُعدِ ربطِ الإنسانِ بالمُقدّسِ ، الإنسانِ الخليفةِ الإئتِمانيّ الأمينِ ، إنَّهُ مَشْروعُ طَمُوحٌ يُمثِّلُ حَجَرَ أَساسٍ في صِناعةِ النُّخَبِ الفاعِلَةِ والشَّخْصِيَّاتِ المُؤَثِّرةِ الوَازنةِ وصِناعةِ الوَعْيِ الرِّساليِّ ، إنَّهُ مَشْرُوعُ الدِّفاعِ عنِ القِيمِ الإسْلاميَّةِ وردِّ الشُّبهات وفَضْحِ الجَبَهاتِ المُعاديةِ للإسْلامِ .

يقولُ يُوسُفُ مَدن : ((وتَقتضي الحاجةُ اليومَ إلى دِراسةِ تُراثِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام بأبحاثٍ ودِراساتٍ تحليليَّةٍ تَعْتَمِدُ المَناهِجَ التَّحليليَّةَ والتَّاريخيَّةَ واللُّغويَّةَ ، من هنا نرى أَنَّ عمليَّةَ جَمْعِ تُراثِهِ لا تكْفي لِمعرفةِ الأَبْعادِ الإنْسانيَّةِ في مُحْتواهُ ما لَمْ يَتُمُّ تحليلُ نُصُوصِ هذا التُّراثِ ومَظاهِرِهِ وصِياغَةِ رُؤاهُ بطرائِقِ الكِتابَةِ الجَديدةِ ؛ لاسْتِخْراجِ مَعانيهِ الإنْسانيَّةِ المُتعدِّدةِ في جوانِبِ الثَّقافَةِ والتَّربيةِ وعُلومٍ حياتيَّةٍ قائِمةٍ في عَصْرِنا ، فالدِّراساتُ التَّحليليَّةُ والكِتاباتُ التَّاريخيَّةُ تأْخُذُ بفِكْرِهِ عليه السلام إلى مَواقِعَ مُتقدِّمةٍ لسَبْرِ أَغْوارِهِ والتَّنْقيبِ في كُنُوزِهِ ، ويأْخُذُ مَوْقِعَهُ المُتأَلِّقَ في ثَقافَتِنا الجديدةِ الَّتي نَحتاجُها ؛ لِضَبْطِ حركَتِنا المَعْرِفيَّةِ والعَمليَّةِ على هُداها))[٢] .

وتتجلَّى مَنابعُ هاتِهِ السِّيْرةِ ومَطالِعِ الإحْياءِ في ظِلالِ ما يأْتِي :

أَوَّلًا : أَثَرُ رِعايةِ جَدِّهِ النَّبِيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله في خِطابِهِ عليه السلام البياني

إنَّ وُلادةَ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام في حِجْرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ، وتسميته إيَّاهُ وتدرُّجهُ في بيتِ النُّبوَّةِ مَحْضَنِ الطُّهْرِ والعِفَّةِ جعلتْهُ عليه السلام يَتقمَّصُ القِيمَ الأخلاقيَّةَ والتَّربويَّةَ الَّتي تتناغَمُ مع قِيمِ السَّماءِ والقُرْآنِ ، فكانتْ مَلامِحُهُ تَتشابَهُ معَ ملامِحِ جَدِّهِ صلى الله عليه وآله الخَلْقِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ ، فعن أَنسِ بنِ مالك (ت ٩٣هـ) أنَّهُ قالَ : ((لَمْ يكنْ أحدٌ أَشْبَهَ بالنَّبيِّ منَ الحَسَنِ بنِ عليٍّ)) .

كانَ عليه السلام يَحْضُرُ مَجْلِسَ جَدِّهِ صلى الله عليه وآله يَسْمَعُ الوَحْيَ يَتحفَّظُهُ فينطلِقُ إلى أُمِّهِ كَوثَرِ الرِّسالةِ الزَّهراءِ عليها السلام فَيُلْقِيهِ عليها ، فتُحدِّثُ به أَميرَ المؤْمنينَ عليه السلام ، ويقولُ : مِنْ أينَ لكِ هذا ؟! فتقولُ الزَّهْراءُ عليها السلام : مِنْ وَلَدِكَ الحَسَنِ ، وكانَ عليه السلام وهو يُقبِلُ على أُمِّهِ يَتْلُو عليها آيًا منَ القُرْآنِ الكريمِ فيُرْتَجُ عليهِ فيقولُ لأُمِّهِ عليها السلام : يا أُمَّاهُ ، لاتَعْجَبي مِمَّا عَراني ، فَإِنَّ كبيرًا يَرْعاني [٤] .

ونَرْقُبُ هذا الاتِّباعَ بِهَدْيِ جَدِّهِ صلى الله عليه وآله وسَمْتِهِ ومنْهجِهِ ، والفَخْرِ بنسبِهِ الشَّريفِ والارتباطِ الطَّاهِرِ بخاتَمِ الأنبياءِ صلى الله عليه وآله ، قولُهُ عليه السلام : ((إنَّ أَكْيَسَ الكَيْسِ التَّقيُّ ، وأَحْمَقَ الحُمْقِ الفَجُورُ ، وإنَّكمْ لَوْ طَلَبْتُم ما بَيْنَ جابَلْقَ وجابَرْسَ رَجُلًا جَدُّهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ما وَجَدْتمُوهُ غيري ، وغيرَ أخي الحُسَينِ ، وقدْ عَلِمْتُم أنَّ اللهَ هو هَداكُمْ بِجدِّي محمَّدٍ فَأَنْقَذكم بِهِ منَ الضَّلالَةِ ورَفَعَكمْ بِهِ مِنَ الجَهالَةِ ، وأَعزَّكم بِهِ بَعْدَ الذِّلَّةِ وكَثَّرَكم بِهِ بَعْدَ القِلَّةِ))[٥] .

وَتتجلَّى هاتِهِ الرِّعايةِ أنَّهُ انطَوى عليه السلام على المَوْروثِ الرُّوائِيِّ الَّذي سَمِعَهُ من جَدِّهِ صلى الله عليه وآله ، فقدْ وَرَدَ عنهُ وهو في عمرِ أَرْبعِ سِنينَ أنَّهُ قالَ عليه السلام : ((عَلَّمني رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله كلماتٍ أَقُولُهُنَّ في الوِتْرِ : اللَّهُمَّ ، اهْدِني فيما هَدَيْتَ ، وعافِني فِيمنْ عافَيتَ ، وتَوَلَّني فيما تولَّيْتَ ، وبارِكْ لي فِيما أَعْطيتَ ، وقِني شَرَّ ما قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي ولايُقْضَى عليكَ ، وإِنَّهُ لايُذَلُّ مَنْ واليتَ، تباركْتَ وتَعالَيْتَ))[٦] .

وتَتَعالَى تَرْنِيمَةُ الفَخْرِ بِجدِّهِ المُصْطفى صلى الله عليه وآله وكونُهُ من شجرةِ النُّبوَّةِ الطَّاهرةِ ذاتِ الفُروعِ الطَّيِّبةِ النَّاميةِ والثِّمارِ الزَّكيّةِ في ظلِ خطابهِ البَيانِيِّ ، قالَ عليه السلام : ((أَنا شُعْبَةٌ مِنْ خَيْرِ الشُّعَبِ، آبائِي أَكْرَمُ العربِ ، لنا الفَخْرُ والنَّسَبُ والسَّماحةُ عندَ الحَسَبِ ، مِنْ خَيْرِ شجرةٍ أَنْبَتْ فُرُوعًا ناميةً وأَثْمارًا زاكيةً وأَبْدانًا قائِمةً ، فيها أَصْلُ الإسْلامِ وعِلْمُ النُّبوّةِ ، فَعَلَونا حينَ شَمَخَ بِنا الفَخْرُ ، واسْتطَانا حينَ امْتنَعَ منَّا العِزُّ ، بُحورٌ زاخِرةٌ وجِبالٌ شامخةٌ لا تُقْهَرُ))[٧] .

إذ نَلْمحُ المُوجِّهاتِ الحِجاجيَّةَ المُؤدّاةَ بأُسْلوبِ التَّوكيدِ المُتلاحِقِ في النَّصِّ الحَسَنِيِّ ، إذْ بَدَأَ النَّصُّ بالضَّميرِ المُنْفَصلِ (أَنا) الدّالُّ على التَّوكيدِ غايتُهُ التَّأْثيرُ في المُتلقِّينَ وغَرْسُ الإقْرارِ في نُفُوسِهم والتَّثبيتُ ، فضْلًا عن تلاحُقِ النَّكراتِ الموصوفاتِ (المركبات الوصْفيَّة) وتعاقُبها الدّالةِ على التَّوكيدِ وإثباتِ الصِّفاتِ وثُبُوتِها ، وهي : فروعًا ناميةً ، وأَثْمارًا زاكيةً ، وأَبْدانًا قائمةً ، بحورٌ زاخرةٌ ، جبالٌ شامخةٌ . زِدْ على ذلك أُسْلوبَ التَّقديمِ الّذي وردَ مرَّتينِ في النَّصِّ الحَسَنِيّ : (لنا الفَخْرُ والنَّسَبُ والسَّماحة) ، (فيها أَصْلُ الإِسْلامِ) إِذْ تقدَّمَ الخبرُ (شبه الجملةِ) على المُبتدأ للتَّعيينِ والتَّخصيصِ .

ثانيًا : أَثَرُ خِطابِ أَبيه أَمير المؤمنينَ عليه السلام في خِطابِهِ عليه السلام البيانيِّ

لامِراءَ أنَّ كلامَ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليه السلام كما وصَفَهُ ابنُ أَبي الحديد المعتزليُّ (ت٦٥٦هـ) : بأَنَّهُ ((دونَ كلامِ الخالقِ وفوقَ كلامِ المَخْلُوقِينَ ، ومنه تعلَّمَ النَّاسُ الخِطابَةَ والفَصاحةَ))(٧) .

والنَّاظِرُ في نهجِهِ المُباركِ (نهج البلاغةِ) يَجِدُ الأَساليبَ العاليةَ والعباراتِ الطَّنَّانةَ الرَّنَّانةَ مع التَّخيُّرِ البيانيِّ للأَلفاظِ معَ جمالِ المُركَّباتِ الإضافيَّةِ والوصْفيَّةِ وتلاحُقِها ، فضْلًا عنِ حُضُورِ البلاغةِ وفُنُوِنها والأَجناسِ الأَدبيَّةِ ، قال الشَّريفُ الرَّضِيُّ (ت ٤٠٦هـ) : ((إنَّهُ لو كانَ كلامٌ يُلْحَقُ بغُبارِهِ أو يَجْري في مِضْمارِهِ ، بعدَ كلامِ رسولِ صلى الله عليه وآله ، لكانَ ذلكَ كلامُ أَميرِ المُؤمنينَ عليِّ بنِ أَبي طالب عليه السلام إذ كانَ مُنفردًا بطريقِ الفَصاحةِ لا تُزاحِمُهُ عليها المَناكِبُ، ولايَلْحَقُ بِعَقْوِهِ فيها الكادِحُ الجاهِدُ ، ومَنْ أَرادَ أنْ يَعْلَمَ بُرْهانَ ما أَشَرْنا إليهِ من ذلكَ ، فَلْيُنْعِمِ النَّظَرَ في كِتابِنا الَّذي أَلَّفناهُ وسَمْناهُ بـ (نهج البلاغة) ، وجعلناهُ يَشْتَمِلُ على مُخْتارِ جميعِ الواقعِ إلينا من كلامِ أَمير المؤمنينَ عليه السلام في جميعِ الأَنْحاءِ والأَغْراضِ والأَجْناسِ والأَنواعِ من خُطَبٍ وكُتُبٍ ومواعِظَ وحِكَمٍ ، وبوبناهُ أبوابًا ثلاثة ، لِتَشْمِلَ على هذه الأَقْسامِ مُمَيَّزَةً مفصَّلَةً ، وقد عَظُمَ الانتفاعُ به ، وكَثُرَ الطَّالِبون له ؛ لِعظيمِ قَدْرِ ما ضَمَّنَهُ من عَجائِبِ الفَصاحةِ وبدائِعه ، وشرائِفِ الكَلِمِ ونفائِسِها ، وجواهِرِ الفِقَرِ وفَرائِدِها)).

ونتأَمَّلُ بيانيَّةَ الخِطابِ الحَسَنِيِّ في خُطْبَةٍ له عليه السلام بعدَ اسْتشهادِ أَبيهِ أَمير المُؤْمنينَ عليه السلام ناثِرًا عليه الأَوصافَ والنُّعوتَ باسْتِعراضٍ لَمّاحٍ وتَكْشيفٍ كشَّافٍ ، بأَنه وحيد عصره لم يُسْبَقْ ولم يأْتِ رجلٌ بعدَهُ في هيمنتِهِ على مَكارمِ الأَخْلاقِ وانطوائِه على معالي الفضائِلِ من عدالةٍ

وجهاد وصدقٍ وعفَّةٍ وحفاظٍ على مالِ المسلمينَ ، قال عليه السلام : ((لقد قُبِضَ في هذه اللَّيلةِ رجلٌ لم يَسْبِقْهُ الأَوَّلونَ بعملٍ ، ولا يُدْرِكْهُ الآخرونَ بِعَملٍ ، ولقد كانَ يُجاهِدُ مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله فيقيهِ بنفسِهِ ، ولَقَدْ كان يوجِّهُهُ برايتِهِ فيكتنِفُهُ جِبْرئيلُ عن يمينِهِ وميكائيلُ عن يَسارِهِ، فلا يَرْجِعُ حتَّى يَفْتَحَ اللهُ عليهِ ، ولَقدْ عُرِجَ في هذهِ اللَّيلةِ فيها بعيسى بنِ مَرْيَمَ ، ولَقدْ تُوُفِّيَ فيها يُوشَعُ بنُ نونٍ وصيُّ موسى ، وما خلَّفَ صفراءَ ولا بيضاءَ إلَّا سَبْعمائةِ دِرْهَمٍ بَقِيتْ من عَطائِهِ أَرادَ أَن يَبْتاعَ بها خادمًا لأَهْلِهِ))(٩) .

توافرَ الإمامُ الحَسَنُ عليه السلام على عددٍ كبيرٍ منَ القِيمِ ومكارمِ الأَخلاقِ قد تَضَمَّنَتْها خطاباتُهُ كالزُّهْدِ والعِفَّةِ والقناعةِ والصَّبْرِ ومُعاشرةِ النَّاسِ بالحُسْنى وصُحبتِهم ، فضلًا عن الأَمانةِ والرِّضا والشُّكْرِ والحُلْمِ والشَّجاعةِ والنَّجْدةِ وغيرِها ، وهي من أَماراتِ فَرادةِ السِّيرةِ الزَّكيَّةِ للإمامِ الحسنِ عليه السلام وعلاماتِ سُمُّوِها المُتكامِلةِ .

ويُصرِّحُ عليه السلام بهاتِهِ الصِّفاتِ السَّاميةِ والنُّعوتِ النَّبيلةِ في وَصْفِ نفسِهِ : ((كلُّ ما في كِتابِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّ الأَبْرارَ ... ﴾ فوالله ، ما أَرادَ به إلَّا عليَّ بنَ أَبي طالِبٍ عليه السلام ، وفاطِمةَ عليها السلام ، وأَنا والحُسَينَ؛ لِأَنَّا نحنُ أَبرارٌ بِآبائِنا وأُمَّهاتِنا وقُلُوبنا عَلَتْ بالطَّاعاتِ والبرِّ ، وتبرَّأَتْ منَ الدُّنيا وحبِّها ، وأَطَعْنا اللهَ في جميعِ فرائِضِهِ ، وآمَنَّا بوَحْدانيتِهِ ، وصَدَّقْنا بِرَسُولِهِ))(١٠) .

وهذا التوافرُ الأَخلاقِيُّ والتَّلَبُّسُ القِيمِيُّ في خِطابِ الإمامِ الحسَنِ عليه السلام الَّذي كانَ مرْآةً ناصِعةً وصورةً طِبْقَ الأَصْلِ من خطابِ جَدِّهِ المُصْطفى صلى الله عليه وآله ، وخِطابِ أَبيهِ أَميرِ المُؤْمنينَ عليه السلام ارْتَسَمَ في خِطابِهِ عليه السلام ، فَقَدْ بَقِيَ هذا الخِطابُ البيانِيُّ في أَحْلَكِ الظُّرُوفِ وأَشدِ المَواقِفِ مع مُناوِئيهِ مُتَوازِنًا محافِظًا على قِيمِ الحُوارِ وأدبِ الجِدالِ ، فقدِ اسْتعملَ عليه السلام وسائِلَ قائِمةً على الحقيقةِ ، ومُراعاةِ القِيمِ الأَخلاقيَّةِ في حِجاجِهِ مع الخارجِ عنِ القانونِ معاويةَ بنِ أَبي سُفيانَ، فكانَ لِخطابِهِ الحِجاجِيِّ قِيمَتُهُ الكُبْرى ، ومِرْقاتُهُ العُليا ؛ بِخلافِ الوسائِلِ الحِجاجيَّةِ الَّتي اسْتعملَها المُناوِئونَ ولاسيَّما معاويةُ فكانتْ فاقدةً للحقيقةِ والصَّوابِ من جهةٍ ، وخاليةً مِنَ القِيمِ الأَخلاقيَّةِ من جِهةٍ أُخرى .

المَبْحَثُ الأَوّلُ : مَعالِمُ فَرادةِ السِّيْرةِ في خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام

رَسَمَ الإمامُ الحسنُ عليه السلام لِفَرادةِ سِيْرَتِهِ المِعْطاءِ مَعالِمَ مُفَصَّلةً في خِطابِهِ البَيانيّ الوازِنِ بِحسبِ الأَحداثِ والوقائِعِ ، وسَنُبْرِقُ بأَهمِّ هاتِهِ المَعالِمِ ؛ للوُصولِ إلى صُورةٍ واضِحةٍ ناصِعةٍ لسيرتِهِ الزَّكيَّةِ العاطِرةِ .

المَطْلَبُ الأَوّلُ : التَّلازُمُ المَعْرِفيُّ بينَ القُرآنِ الكريمِ وخِطابِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام

يتجلّى هذا التَلازُمُ الوثيقُ والتَّشابُكُ المَتينُ في ظلِّ ذوبانِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام وخِطابِهِ في كلامِ اللهِ تعالى (القُرآن الكريم) ، إذ نلحظُ الاسْتِثْمارَ القُرْآنِيَّ والثَّراءَ الدَّلاليَّ لتراكيبِ القُرآنِ الكريمِ إن أَلفاظًا وإنْ جُمَلًا ، وقد أَبانَ عليه السلام إلى هذا التَّمازُجِ والتَّعالُقِ بكتابِ الله تعالى ، قال في وَصْفِ القُرآنِ الكريم : ((إنَّ هذا القُرآنَ فيهِ مَصابيحُ النُّورِ ، وشِفاءُ الصُّدُورِ ، فَلْيَجْلُ جالٍ بِضَوْئِهِ ، ولْيَلْجِمِ الصِّفَةَ قلبَهُ ، فإنَّ التَّفكيرَ حياةُ القَلْبِ البَصِيرِ كما يَمْشِي المُسْتنيرُ في الظُّلُماتِ بالنُّورِ))(١٠) . فهو المِصْباحُ والنُّورُ والشِّفاءُ وسبيلُ الهدايةِ ، فالتَّفكيرُ في مفاهيمِهِ العظيمةِ والتَّدبُّرُ في آياتِهِ الشَّريفةِ مَنْجاةٌ وسعادةٌ في الدَّرينِ .

ويبدو أنَّ الإمامَ عليه السلام قدِ اسْتعانَ بـ (إنَّ) المؤكِّدةِ في النَّصِّ مرَّتين ، وهي أُمُّ أدواتِ التَّوكيدِ ؛ من أَجلِ إقرارِ هاتِهِ المفاهيمِ القُرآنيَّةِ الَّتي ساقها وأَثْبَتَها من جهةٍ ، وتقويةِ المَقاصِدِ القُرآنيَّةِ . ولابدَ أَنْ تكونَ المعاني في أَقْوى حالاتِها ؛ من أَجلِ أَنْ تنفذَ إلى ذِهْنِ السَّامِعِ (١١) .

ويرى الإمامُ الحسنُ عليه السلام أنَّ حقائِقَ القُرآنِ وأَسْرارَهُ ومَقاصِدَهُ تُسْتَقى مِنَ القُرآنِ بلاتعسُّفٍ في التَّأْويلِ ، قالعليه السلام: ((والتَالي كتابَ الله فيهِ تَفْصِيلُ كلِّ شيْءٍ لايأتيهِ الباطِلُ من بينِ يديهِ ولا مِنْ خلْفِهِ ، فالمُعَوَّلُ علينا في تفسيرِهِ ، لا نتظَنّى تأْويلَهُ ، بلْ نتيَقَّنُ حَقائِقَهُ))(١٢). ويُشِيرُ عليه السلام إلى حقيقةٍ قُرْآنيَّةٍ مفادُها : أنَّ طاعةَ أَهلِ البيتِ عليهم السلام وهو منهم مفروضةٌ ؛ لأَنَّها مقرونةٌ بطاعةِ اللهِ (جلَّ جلالُهُ) وطاعةِ الرّسولِ صلى الله عليه وآله : قال عليه السلام : ((فَأَطيعونا فإنَّ طاعتَنا مَفروضةٌ ، إذ كانَتْ بطاعةِ اللهِ (عزَّ وجلَّ) ورسولِهِ مقرونةً ، قال اللهُ (عزَّ وجلَّ) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(١٣) .

ولا يَخْفى أنَ هذا التّلازُمَ كانَ له أثَرٌ فاعلٌ في سيرةِ الإمامِ الحسنِ عليهِ السّلام فكان يُجسّدُ قِيمَ القُرْآنِ الكريمِ العالية ومفاهيمِهِ الشّريفة وحقائِقِهِ العاليةِ خير تَجْسيدٍ ، كلُّ هذا انْعَكسَ على سِيرتِهِ الزكيّةِ الّتي انْسَربتْ في خِطابِهِ الشّريف .

المَطْلَبُ الثّاني : السّيرةُ المُثْلَى لجِدّه صلى الله عليه وآله وأبيه وأمّه عليهما السلام

أَبرقَ الإمامُ الحسنُ عليه السلام في خِطابِهِ بالنَّسبِ الوضّاحِ والذِكرِ الزّكيّ والسّيرة المِثاليّة لجدِّه المُصْطفى صلى الله عليه وآله ، وسيرة العِتْرةِ الطّاهِرةِ عليهم السلام ، وانْعِكاسِ تلكمُ السِّيرِ العظيمة على سِيرتِهِ الوضّاءةِ ؛ رغبةً منه في تَبْصِرةِ الأَجيالِ بمحطّاتِ حيواتهم الجليلةِ ، ومواقف تعامُلِهم مع النّاسِ لكي تُسْتشرَفُ وتُحتَذى من لَدُنِ الناسِ ، وكان عليه السلام قارئًا واعيًا للمشْهَدِ التّداوُليِّ الّذي يَحْمِلُ حُزَمًا منَ الافْتراضاتِ المُسْبقةِ والمواقِفِ الخالدةِ الّتي لاتُنْسى منَ الذّاكرةِ ، معالم التّاريخِ الإسلاميِّ منذ بعثةِ جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله ، إذْ إنَّ اللهَ (جلَّ جلالُهُ) خَصَّهُ بالنُّبوّةِ والرِّسالةِ والشّهادةِ ، ويظهر هذا المَعْلَمُ في خِطابه عليه السلام، قالَ : ((نحنُ حِزْبُ الله الغالبونَ، وعِترةُ رَسُولِهِ الأقْرَبُونَ ، وأَهْلَ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ الطّاهِرونَ ، وأَحدُ الثّقَلَينِ اللّذينِ خَلفَهما رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله في أُمَّتِهِ فَأَطِيعونا فإنَّ طاعتَنا مَفْرُوضةٌ ، إذْ كانتْ بِطاعةِ الله (عزَّ وجلَّ) ورَسُولِهِ مَقْرُونةً))(١٣) .

ويُمْكِنُ فَرْشُ الصّفاتِ الّتي ساقَها الإمامُ الحسنُ عليه السلام لجدِّهِ صلى الله عليه وآله ، وللعترةِ الطّاهِرةِ ، وهي نفسُها مُنْطَبِقةٌ عليه ، وهي : (حِزْبُ الله) ، (الغالِبُونَ) ، (عِترةُ رَسُولِهِ) ، (االأقْرَبُونَ) ، (أَهلُ بيتِهِ) ، (الطَّيِّبونَ) ، (الطّاهِرونَ) ، (أَحدُ الثّقَلَينِ) ، (طاعتُنا مَفْرُوضةٌ) ، (اقْترانُ طاعتِنا بطاعةِ الله تعالى ورسولِهِ صلى الله عليه وآله).

مارسَ الإمامُ الحَسَنُ عليه السلام عمليّةَ التّطويعِ والتّأْثيرِ في النّصِّ آنفًا بوصفِهِ مُنْتِجًا للخطابِ الإعلاميِّ والإشْهاريِّ ، وهو خِطابٌ حِجاجيٌّ (الدِّعاية) الّتي من شَأْنِها تَرْسِيخِ الفِكرةِ في ذهنِ مُتلقِّيها (١٤) .

عرّفَ الإمامُ عليه السلام بنسبِهِ الطّاهِرِ الشّريفِ ، وهو نسبُ جدِّه عليه السلام وأبيه أمير المؤمنينَ عليه السلام، وأُمِّهِ السّيّدةِ الزّهراء عليها السلام، قالَ مخاطبًا النّاسَ بعدَ اسْتِشْهادِ أَبيه عليٍّ عليه السلام قالَ الدُّولابيُّ (ت٣١٠هـ) : ((خطَبَ الحَسَنُ بنُ عليٍّ النّاسَ حينَ قُتِلَ عليٌّ فَحمِدَ اللهَ وأَثْنى عليهِ ثُمَّ قالَ : أَيُّها النّاسُ مَنْ

عَرَفَنِي فقدْ عَرَفَنِي ، ومَنْ لمْ يَعْرِفْنِي ، فأَنا الحَسَنُ بنُ عليٍّ ، وأَنا ابنُ الوَصِيّ ، وأَنا ابنُ البَشِيرِ ، وأَنا ابنُ النَّذيرِ ، وأَنا ابنُ الدَّاعي إلى اللهِ والسِّراجِ المُنِيرِ ، وأَنا مِنْ أَهْلِ البيتِ الَّذي كانَ جِبْرِيلُ يتنزَّلُ فينا ، ويَصْعَدُ من عِنْدِنا))(١٥) .

نَبْصُرُ تلاحُقَ الضَّمائِرِ المُنْفصلة المؤدَّاةِ بـ (أَنا) إذ تكرَّرَ ستَّ مرَّاتٍ وفي التَّكْرارِ أَسْرارٌ ، للإشارةِ أَنَّهُ الإمامُ المَفروضُ الطَّاعةُ ، وأَنَّ هذا الاسْتِحْقاقَ هو عَهْدٌ معهودٌ، فأرادَ أنْ يُثْبِتَ هاتِهِ الصِّفاتِ ، لِيُعرِّفَ الجُمْهورَ بها من جهةٍ ، ويُحَذِّرَ الانْتهازيينَ والطارئِينَ الَّذينَ لاحظَّ لهم بسابقةِ الإسلامِ ، ولا منقبةٍ تُذْكَرُ لهم ، فهو : (الحسنُ بنُ عليّ) ، (ابنُ الوصيّ) ، (ابنُ البَشِيرِ) ، (ابنُ النَّذيرِ) ، (ابنُ الدَّاعِي غلى اللهِ)، (السِّراجُ المُنِيرُ) ، (من أَهْلِ البيتِ)، (جِبريلُ يَنْزِلُ ويَصْعَدُ في بُيُوتِنا) .

إنَّ الإمامَ الحسَنَ عليه السلام كانَ عارِفًا بتجارِبِ الجُمْهورِ فأرادَ أَنْ يَتفاعلَ معهم (المُتلقِّينَ) وبالمُحيطِ الخارجيّ ؛ من أَجْلِ الوُصُولِ إلى أَعْلى درجاتِ التَّواصُلِ ومَراقِي التَّفاعُلِ بالمُخاطَبِينَ ، وكلَّما أَفْلَحَ المُتكلِّمُ (مُنْتِجُ الخِطابِ) من اختِيارِ مايُناسِبُ هذهِ الأَحْداثُ ويُناغِمُ المَقامُ ، وَقَعَ على مُخاطبيهِ اسْتِمالةً وإقْناعًا وإمْتاعًا.(١٦)

المَطْلَبُ الثَّالِثُ : الأَقْوالُ الحِكَميَّةُ الحَسَنِيَّةِ الدَّالَّةُ على فَرادةِ سِيْرتِهِ الزَّكيَّةِ

قَدَّمَ الإمامُ الحسنُ عليه السلام خِطابًا أَخلاقِيًّا عاليًا مشُوبًا بمرتكزاتٍ وآليَّاتٍ ومُعْطياتٍ ، وأَكَّدَ على المَنْظومةِ الأَخلاقيةِ القُرْآنيَّةِ العظيمةِ والمتّحدةِ الأَجْزاءِ ، لأنها شَعارٌ للتقدُمِ والاسْتمرارِ في حفظِ الوجودِ الإنسانيّ تعايُشًا سلميًا وتعامُلًا صالحًا وتحقيقًا للسَّعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ .

تُشَكِلُ الخِطاباتُ الأخلاقيّةُ والحِكَميَّةُ الّتي قدَّمها الإمامُ الحسنُ عليه السلام ما يُسمَّى بـ(التُّراث الفِكريّ) في مجالاتٍ معرفيّةٍ وتربويّةٍ وأخلاقيّةٍ ، وهي وثائقُ ونماذجُ إرشاديَّةٌ ووعْظيَّةٌ وتوجيهيَّةٌ (١٧) .

وأَرى أَنَّ التَّقديمَ الأَخلاقِيَّ الحاضِرَ والزَّادَ التَّربويَّ الإرْشادِيّ الوازِنَ من لَدُنِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام غايتُهُ ربطُ الإنسانِ بالمُثُلِ الأخلاقيَّةِ والتربويَّةِ وغرسُها في نَفْسِهِ ؛ لأنَّه عليه السلام يَعي أنَّ الإنسانَ هو سِرُّ الوُجودِ فصِناعةُ الإنسانِ الفاعلِ الائتمانِيِّ المُنْتِج الّذي يَعْرِفُ الحقَّ والخيرَ والصّوابَ فيتمسكُ بها ويَنْشُرُها ، ويَعْرِفُ الباطلَ والشَّرَّ ويُحَذِّرُ النّاسَ منها .

ومن مواعِظِهِ ونصُوصِهِ الأخلاقيّةِ والإرشاديَّةِ، قال عليه السلام: ((يا ابنَ آدمَ، عِفْ عن محارمِ اللهِ تكُنْ عابِدًا، وأرضَ بما قَسَمَ اللهُ تكُنْ غنيًّا، وأَحْسِنْ جُوارَ مَنْ جاورَكَ تكُنْ مُسْلِمًا، وصَاحِبِ النَّاسَ بمثلِ ما تُحِبُّ أنْ يُصاحِبُوكَ به تكُنْ عادلًا، إنَّهُ كانَ بينَ أيديكم أقوامٌ يجمعونَ كثيرًا، ويبنونَ مشيدًا، ويأملونَ بعيدًا أصْبحَ جمعُهم بُورًا، وعملُهم غُرورًا، ومساكنُهم قُبُورًا، يا ابنَ آدمَ، لم تَزلْ في هَدْمِ عُمْرِكَ منذُ سقطْتَ من بَطْنِ أُمّكَ، فخذْ ممَّا في يديكَ، فإنَّ المؤمنَ يتزوَّدُ، والكافِرُ يتمتَّعُ))[18] .

وعند التَّأمُّلِ في خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام نلحظُ التَّلاحُقَ الإنْشائيَّ المؤدَّى بأسلوبِ النِّداءِ (يا ابنَ آدمَ) الّذي وردَ مرَّتينِ، والأُسلوب الأَمريّ المؤدَّى بفعلِ الأمرِ الصَّريح، وقد تكرَّرَ خمسَ مرَّاتٍ : عِفْ، ارْضَ، أَحْسِنْ، صاحِبْ، خُذْ .

وقد خرج النِّداءُ من الإقبالِ والدَّعوةِ إلى التَّنبيهِ وهو فعلٌ كلاميٌّ غيرُ مباشِرٍ لهُ دلالتُهُ الإنجازيَّةُ والتَّأثيريَّةُ في المُتلقِّي، والحالُ نفسُها في الأَفْعالِ الأَمريَّةِ الَّتي خرجتْ من دَلالاتِها الحقيقيَّةِ إلى الدَّلالاتِ المجازيَّةِ وهي تمثِّلُ أَفعالًا كلاميَّةً غيرَ مباشرةٍ ذاتِ قيمةٍ إنْجازيَّةٍ تأثيريَّةٍ.

وأَبانَ عليه السلام عن مكارمِ الأخلاقِ وحصَرَها في عشرةٍ، قال : ((مَكارمُ الأَخلاقِ عشرةٌ : صِدْقُ اللِّسانِ، وصِدْقُ البأسِ، وإعطاء السَّائلِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، والمكافأة بالصَّنائعِ، وصِلةُ الرَّحْمِ، والتَّذميمُ على الجارِ، ومعرفةُ الحقِّ للصَّاحِبِ، وقِرى الضَيْفِ، ورأْسُهنَّ الحَياءُ))[19]

ومنَ الأقوالِ الحِكميَّةِ والمواعظِ الإرشاديّةِ ما ندَّ من أدعيةٍ ومناجاةٍ واردةٍ منه عليه السلام، وفي ((الحقيقةِ إنَّ الأدعيةَ الواردةَ عن النَّبيِّ وآلِ بيتِهِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ خيرُ منهجٍ للمسلِمِ إذا تدبَّرَها تبعثُ في نفسِهِ قُوَّةَ الإيمانِ والعقيدةِ وروحِ التَّضْحيةِ في سبيلِ الحقِّ وتعرُّفِهِ ولذَّةِ مناجاةِ اللهِ تعالى والانقطاعِ إليهِ وتلقِّنُهُ ما يجبُ على الإنسانِ أن يعلمَهُ لدينِهِ وما يُقرِّبُهُ إلى اللهِ تعالى زُلْفى، ويُبْعِدَه عنِ المفاسِدِ والأهواءِ والبدعِ الباطلةِ))[20] .

ومن جانبٍ آخرَ فإنَّ القُرآنَ الكريمَ يُقرِّرُ حقيقةَ أنَّ الدُّعاءَ طريقُ ارتباطِ العبادِ باللهِ تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ ، فالدُّعاءُ سبيلٌ للنَّجاةِ زيادةً على أنَّهُ سبيلٌ إلى الوُصُولِ إلى المراتِبِ العليا منَ الكمالِ، كما وردَ عنِ الإمامِ الصَّادقِ عليه السلام: ((إنَّ عندَ اللهِ منزلةً لا تُنالُ إلَّا بمسألةٍ))[21].

ومن أدعيتِهِ عليه السلام: ((إلهي ضيفُكَ ببابكِ ، يا مُحْسِنُ قد أتاكَ المُسِيْءُ ، فتجاوزْ عن قبيحِ ما عندك بجميلِ ما عندكَ ياكريمُ))(٢٢)

وتتعالى الحِكَمُ الإنسانيَّةُ والتَّربويَّةُ والنَّظراتُ الصائِبةُ في السُّلُوكِ وحُسْنِ التَّعامُلِ مَعَ الآخرينَ ، وتبيانِ خِصالِ ممّنْ يُرادُ أنْ يكونَ خليلًا ، فالصُّحْبةُ حاجةٌ نفسيَّةٌ في حياةِ الأفرادِ وتكوينِهم الاجتماعيّ سواءٌ مَنْ أُمِرَ بالصُّحبةِ أو الشَّخْصُ الَّذي سيصاحِبُهُ ، ففي وصيتِهِ الأَخلاقيَّةِ والتَّربويَّةِ للصَّحابيِّ الجليلِ جُنادةَ بنِ أَبي أُميَّةَ الأَزْدِيِّ (ت ٨٠هـ) حينما عادهُ بعدَّ أن تجرَّعَ عليه السلام السُّمَّ ، فقالَ في نصٍّ مُطوَّلٍ ، نقتَطِعُ منهُ المُرادَ من تعليقِنا ، قالَ : ((يا جُنادةُ ، اسْتَعِدْ لِسفَرِكَ ، وحصِّلْ زادَكَ قبلَ حُلُولِ أَجلِكَ ، واعْلَمْ أَنَّكَ تَطْلُبُ الدُّنيا والمَوْتُ يَطْلُبُكَ واعْلَمْ أَنَّ في حَلالِها حِسابٌ ، وفي حَرامِها عِقابٌ ، وفي الشُّبُهاتِ عِتابٌ ، فأَنْزِلِ الدُّنيا بمنزلَةِ المَيْتَةِ وإذا نازَعَتْكَ إلى صُحْبَةِ الرِّجالِ حاجةٌ فاصْحَبْ مَنْ إذا صَحِبْتَهُ زانَكَ، وإذا أَخذْتَ منهُ صانَكَ ، وإذا أردْتَ منهُ مَعونةً أعانَكَ ، وإذا قُلْتَ صدَّقَ قَوْلَكَ ، وإنْ صُلْتَ شَدَّ صَوْلَتَكَ ، وإنْ مَددْتَ يَدَكَ بِفَضْلٍ مَدَّها ، وإنْ بَدَتْ مِنْكَ ثُلْمَةٌ سَدَّها ، وإنْ رأى منكَ حَسَنةً عَدَّها، وإنْ سأَلْتَهُ أَعطاكَ ، وإنْ سَكَتَّ عنْهُ ابْتَداكَ ، وإنْ نَزَلَتْ بِكَ إِحدى المُلِمّاتِ واساكَ، مَنْ لا تأْتيكَ مِنْهُ البوائِقُ ، ولا تَخْتَلِفُ عليكَ مِنْهُ الطَّرائِقُ ، ولا يَخْذُلُكَ عِنْدَ الحقائِقِ، وإنْ تَنازَعْتُما مُنْقَسِمًا آثَرَكَ))(٢٣) .

حقًّا وصِدْقًا رَسَمَ الإمامُ عليه السلام شُرُوطَ المُصاحَبةِ السَّليمةِ وطبيعتِها وفوائِدِها ؛ بوصْفِها حاجةً لازمةً طبيعيَّةً لايُمْكُنُ الاسْتِغناءُ عنها مِنَ المُصاحِبِ أو مَن الَّذينَ يُريدونَ مُصاحَبَتَهُ، فالنَّصُّ الحَسَنِيُّ مِيْزانٌ ومعيارٌ لِتَكْشيفِ خِصالِ الصَّاحِبِ أَوِ الصَّديقِ بنحوٍ يُزَيِّنُ صاحِبَهُ لا أَن يُشينُهُ ، يُجَمِّلُهُ لا أَنْ يُقبِّحُهُ .

ونَقْفِلُ هذا المَطْلَبَ برسالةٍ حَسَنيَّةٍ إنسانيَّةٍ عاليةَ المضمونِ والجَوْهَرِ عظيمةَ البيانِ والتَّفصيلِ في رَسْمِ مَساراتِ سياسةِ الإنسانِ مِنْ جهةِ الحُقُوقِ والواجِباتِ بوصْفِه الكائِنَ الخليفةَ الأَمينَ ، قالَ عليه السلام في سياسةِ الإنسانِ الإئتمانِيِّ : ((هي أَنْ تَرْعى حُقُوقَ الله ، وحُقُوقَ الأَحْياءِ ، وحُقُوقَ الأَمواتِ ، فأَمّا حُقُوقُ الله فأَداءُ ما طُلِبَ والاجْتِنابُعمّا نَهى ، وأَمّا حُقُوقُ الأَحْياءِ فهي أَنْ تَقُومَ بواجِبِكَنحْوَ إِخوانِكَ ، ولا تَتأَخرَ عن خِدمَةِ أُمَّتِكَ ، وأَنْ تَخْلُصَ لوليِّ

الأمْرِ ما أخْلَصَ لِأُمَّتِهِ ، وأنْ تَرْفَعَ عقيرَتَكَ في وَجْهِهِ إذا ما حادَ عنِ الطَّريقِ السَّويّ ، وأمَّا حُقُوقُ الأمواتِ فهي أنْ تَذْكُرَ خيراتِهم وتتغاضى عن مساوئِهِمْ فإنَّ لهم ربًّا يُحاسِبُهُمْ))[٢٤].

المَطْلَبُ الرَّابِعُ : الحُرِّيَّةُ الإنسانيَّةُ وضَبْطُ السُّلُوكِ التَّعْليمِيِّ

مِنَ المَعالِمِ الجليلةِ في فرادةِ سِيرةِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام فَهْمُهُ الباصِرُ لمَفهومِ الحُرِّيةِ الإنسانيّةِ ؛ في كونِ الإنسانِ خُلِقَ مُخيَّرًا ذا إرادةٍ وعَزْمٍ ، فَضْلًا عنْ ضَبْطِ السُّلُوكِ التَّعْليميِّ لدى الأفرادِ، وقُدرتِهِ على الحلِّ العِلْميِّ في التَّعامُلِ معَ مُشْكلاتِ الحَياةِ والقَضايا المُعقَّدةِ الّتي بِحاجةٍ إلى دراسةٍ ووضْعِ خُطَطٍ لحلِّها ؛ على وَفْقِ قواعدِ المَنْطِقِ العِلْميِّ الحّقِ المَعْقُولِ .

ويَظْهَرُ هذا التَّصَوُّرُ الباصِرُ والمُعْجِبُ في رسالةِ الجَبْرِ والتَّفْويضِ التي تُعَدُّ من الرَّسائِلِ البليغةِ في الحُرِّيةِ الإنسانيَّةِ وإرادةِ الإنسانِ ، وقد تَّضَمَّنَتْ مضامينَ إرْشاديَّةً في ضَبْطِ السُّلُوكِ التَّعْليميّ [٢٥] . فقد كَتَبَ الحَسنُ البَصْرِيُّ (ت ١١٠هـ) رسالةً مكتوبةً إلى الإمامِ الحسنِ الزَّكيّ عليه السلام يَسْألُهُ عنِ الرَّأْيِ الصَّحيحِ في مسألةِ حرّيةِ الإنسانِ من جهةِ الجَبْرِ والتَّفويضِ بوصفها مسألةً عَقديَّةً ، فقد أَبْطَلَ عليه السلام الجَبْرَ ، وكذلك التَّفويضَ ، وأبانَ عن المَنْزلةِ بين المَنزلتينِ ، بمعنى :أنَّ اللهَ تعالى خلقَ بقدرتِهِ ومُلْكِهِ الأعمالَ والأفعالَ فأمرهم ونهاهم ، يُجازي مَنْ اتبَعَهُ ، ويُعاقِبُ مَنْ عصاهُ ، قال عليه السلام على سؤالِ الحسنِ البصريّ : ((بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ وصَلَ إليَّ كِتابُكَ ، ولولا ما ذكرْتَهُ من حَيْرَتِكَ ، وحَيْرَةَ مَنْ مَضى قَبْلَكَ إذا ما أَخْبَرْتُكَ ، أمَّا بعدُ فمَنْ لمْ يُؤْمِنْ بالقَدَرِ خَيْرِهِ و شَرِّهِ إنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ فقد كفَرَ ، ومَنْ أحالَ المَعاصِي على اللهِ فقدْ هَجَرَ . إنَ اللهَ لمْ يُطَعْ مُكْرَهًا ولمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا ، ولمْ يُهْمِلِ العبادَ سُدًى منَ المملكَةِ ، بلْ هوَ المالِكُ لِما مَلَّكَهم ، والقادرُ على ما عليهِ أَقْدَرَهم ، بلْ أمرهم تَخَيُّرًا ، ونهاهم تَحْذيرًا))[٢٦].

وتظهرُ في سِيرتِهِ الزَّكيَةِ القِيمةِ الإنسانيَّةِ الكبرى وهي حفظ كرامةِ الإنسانِ ودَفْعُهُ لعملِ الخيرِ وتحريكُ هِمَّتِهِ ولُزُومُ التعايُشِ الرَّحيمِ بينَ أفرادِهِ ، وإبْعادِهِ عن الأنانيَّةِ وحبِّ النَّفْسِ المُفْرطِ ، بَلْ يدعو عليه السلام إلى حفظِ النَّفْسِ الإنسانيةِ وحقنِ الدِّماءِ ، قال في وصيَّتِهِ لأخيه الإمامِ الحُسينِ عليه السلام: ((إذا مُتُّ فَغَسِّلْني وحنِّطْني وكفِّنِّي وصَلِّ عليَّ واحْمِلْني إلى قَبْرِ جدِّي حتّى تَلْحَدني إلى جانبِهِ ، فإن مُنِعْتُ من ذلكَ فبِحقِّ جدِّكَ رسولِ اللهِ وأبيكَ أمير المؤمنينَ وأُمِّكَ فاطمةَ وبِحقّي عليك إنْ خاصمَكَ أحدٌ رُدَّني إلى البقيعِ، فادْفِنِّي فيه ولاتهْرِقْ فيَّ مِحْجَمَةَ دمٍ))[٢٧] .

المَطْلَبُ الخامِسُ : أَثَرُ خِطابِهِ عليه السلام في صِناعةِ النُّخَبِ والوَعْيِ الرِّساليِّ

كانَ لخطابِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام أَثرٌ في صِناعةِ النُّخَبِ الفاعِلةِ المؤثِّرةِ الوازنةِ ، وصِناعةِ الوعي الرِساليّ ، في ظلِ خُطَبِهِ ووصاياهُ للجمهور ولاسيَّما لأصحابِهِ الّتي حملتِ المواعظَ والعِبَرَ والإرشاداتِ ، فكانَ عليه السلام حريصًا على خلقِ أجيالٍ تنتهجُ منهجَ جدِّهِ صلى الله عليه وآله وأميرِ المؤمنينَ عليه السلام.

ونلمحُ هذا المَعْلَمَ في وداعِ أحد الأركانِ الأربعةِ ولاءً وجهادًا وعطاءً وهو أَبو ذرّ جُنْدب بنُ جَنادة الغفاريّ الّذي كانَ سُورًا للإسلامِ لمْ تأْخُذْهُ في الله تعالى لومةَ لائِمٍ، فحينما حَنَقَ عليه عثمانُ بنُ عفَّانَ ومُعاويةُ بعدَ مشاجرةٍ حصلتْ بينهُ وبينهما بخصوصِ الاستِئثارِ بالمالِ العامِ واتِّخاذِ مالِ الله تعالى دُوَلًا وعبادَ الله خُوَلًا ، فقالَ له الإمامُ الحسنُ عليه السلام: ((يا عمَّاهُ ، لولا أَنَهُ لا ينبغي للمودعِ أن يسكُتَ ، وللمُشَيِّعِ أن ينصرِفَ لَقَصُرَ الكلامُ وإنْ طالَ الأَسَفُ، وقد أتى القومُ إليكَ ما تَرى ، فَضَعْ عنكَ الدُّنيا بتذكُّرِ فراغِها ، وشِدَةِ ما اشْتَدَ منها بِرجاءِ ما بعدَها ، واصْبِرْ حتَّى تَلْقَى نبيَّكَ صلى الله عليه وآله وهو عنكَ راضٍ))[٢٨] .

إنَّ الإمامَ الحَسَنَ عليه السلام قد أَعْطى أبا ذرٍّ صفةً شرعيَّةً لعملِهِ ، وأَضْفَى عليه القَبُولَ والرِّضا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله على موقِفه الشّجاعِ الأَبِيّ الّذي لايقبلُ الهَوادةَ والمهادنةَ والمُداهنةَ، بَلْ رَضِيَ أن يُهاجِرَ إلى منْفاهُ رِضًى لله تعالى واحْتِسابَ الأجرِ عندهُ (جلَّ جلالُهُ)، فكانَ قُدوةً وأُسْوةً للثّائِرينَ والطَّالِبينَ الحقَ والعدالةَ ضِدَّ الحُكَّامِ الظَّلَمَةِ .

المَبْحَثُ الثَّاني : مَظاهِرُ رُدُودِ تَضْليلِ المُناوِئِينَ في خِطابِهِ عليه السلام

بدا لي في ظلِّ قراءةِ خطبِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام أنَّهُ قد حذَّرَ المسلمينَ ولاسيَّما أتباعَهُ في مواضِعَ كثيرةٍ ومواطنَ عدَّةٍ إلى أنَّ الفريقَ المُناوئَ والجبهةَ المُنحرفةَ سُتحاولُ بشتَّى الوسائِلِ أن تَلْوِيَ أعناقَ النُّصُوصِ وتُحرِّفَ الحقائِقَ وتُطْمِسَ الفَضائِلَ والمَناقِبَ للإسْلامِ والرِّسالة بَلْهَ حملَتَهُ وقادَتَهُ. فقدَّمتِ الجبهةُ المُناوئةُ والمُنْحرفةُ خِطابًا يَتعارَضُ مع الدِّينِ جملةً وتفصيلًا غابتِ الحُقُوق فيه وتلاشتِ المُقدَّساتُ وتزعزعتِ الأَخلاقُ وتهاوَتِ القيمُ ، إنَّهُ خِطابُ الخِداعِ الَّذي يُسْتعملُ ؛ من أجلِ الوُصُولِ إلى أَهدافٍ سياسيَّةٍ ومصالِحَ شَخصيَّةٍ إنهُ خِطابُ الشَّيْطانِ، قالَ عليه السلام : ((وأُحذِّرُكُمْ الإصْغاءَ لِهتافِ الشَّيْطانِ فإنَّهُ عدوٌّ مبينٌ فتكونوا كأَوليائِهِ الَّذينَ قال لهم : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا

تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، فتُلْقُونَ إلى الرِّماحِ وِزْرًا وإلى السُّيُوفِ حَرْزًا وللعَمْدِ حَطْمًا، وللسِّهامِ غَرَضًا، ثُمَّ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾(٢٩). فقدِ استَعملَ الإمامُ عليه السلام الفِعلَ المُضارعَ (أُحَذِّرُكم) الدَّالَّ على التّحْذيرِ والتَّنبيهِ منَ السَّماعِ والإصْغاءِ ليْسَ للشَّيْطانِ فحسبِ ، بَلْ لِصوْتِهِ ، فإنَّهُ عدوٌّ مبينٌ ، فتكونوا كأتباعِهِ في الانْحرافِ والسَّفاهةِ والضَّلالَةِ والعَمايَةِ ، فَبِئْسَ التَّابعُ وبِئْسَ المَتْبُوعُ ، فالعاقبةُ السُّوءُ والانتكاسُ والارْتِكاسُ . فضْلًا عن التَّحذيرِ والتَّنبيهِ من الأهوالِ القابلةِ والأَجْواءِ المُلبَّدةِ بالغُيُومِ وهي كالجَمْرَةِ على النَّاسِ ، فقد تَشْتَعِلُ وتُحْرِقُ كلَّ شيْءٍ . وغرضُه الإنْجازيُّ محاولتُهُ عليه السلام توجيه المُخاطَبينَ إلى فِعْلِ شيْءٍ ما وهذا الفِعْلُ يَدْخُلُ ضِمْنَ زُمْرَةِ التَّوجيهيَّاتِ (الأمْريَّات - الطَّلَبيَّات) ، وشرطُ الإخلاصِ فيه يتمثَّلُ في الإرادةِ والرَّغْبَةِ الصَّادقةِ ، والمُحتوى القَضَويُّ فيها هو دائمًا فِعْلُ السَّامعِ شيْئًا في المُسْتَقْبَلِ، ويَدْخُلُ في هذا الصِّنْفِ الأمرِ والاسْتِعطافِ والرَّجاءِ والاسْتِفهامِ والتَّشْجيعِ والدَّعوةِ والنُّصْحِ والتَّنبيهِ والتَّحذير(٣٠) .

وقدْ أَبانَ راضي آلُ ياسين إلى هاتِهِ القَضيَّةِ من قبلُ في أنّ سيرةَ الإمامِ الحسنِ عليه السلام تواجِهُ كثيراً منَ الهَذَرِ الظَّالِمِ الَّذي لايَسْتَنِدُ في حقائِقِهِ إلى منْطِقٍ ، ولا يَرْجِعُ في تحكُّماتِهِ إلى دليلٍ وبُرْهانٍ ، ولايَتَّصِفُ في نُقولاتِهِ بتحقيقٍ ولا توثيقٍ(٣٠) .

حقًّا وصدقًا قد واجهتْ سيرةَ الإمامِ الحسنِ عليه السلام ما لا تواجهُهُ أيُّ سيرةٍ ولاسيَّما سِيَرَ الأئمةِ عليهم السلام منَ التَّأويلاتِ الباطلةِ والتَّشْويهاتِ المَقْصُودةِ ، فقد عاشَ خمسةَ عُقُودٍ تقريبًا حياةً غنيَّةً بالأحداثِ والوقائعِ والخُطُوبِ والتَّحوّلاتِ ، وهذه الحياة المباركةُ على قِصَرِها نسبيًا صادفَ الإمامُ عِبْرَها جملةً منَ المُنْعَرجاتِ الحاسِمةِ في تاريخِ الأُمَّةِ الإسْلاميَّةِ في مصيرِها(٣١) .

يقولُ يُوسُف مدن : ((منَ المَلْحوظاتِ في تاريخِ سِبْطِ المُصْطَفى الإمام الحَسَنِ عليه السلام أنَّ الظُّلْمَ التّاريخيّ بمختلَفِ أَشْكالِهِ قدْ أَحاطَ بهذا الإمامِ العظيمِ سواءٌ في حياتِهِ الشَّريفةِ أو بعدَ مماتِهِ ، وما تزالُ مظلوميَّتِهِ نتلمَّسُها بعد مُضِي قرونٍ منَ الزَّمانِ فهو كسائِرِ عبادِ اللهِ الصَّالحينَ تُلاحِقُهُ أباطيلُ الطُّغاةِ وأراجيفِهم وتخرُّصاتِهم ، وقد لحِقَتْ آثارُ هذا الظُّلْمِ

بجوانِبَ عديدةٍ من حياتِهِ الشَّخْصِيّةِ ، ومعَ مُناوئيهِ ، وفي فِكْرِهِ السِّياسِيّ ولاسيَّما قضيَّةُ صُلْحِهِ معَ معاويةَ))(٣٢) .

ويظْهَرُ أنَّ الخِطابَ المُنْحَرِفَ الهابطَ الّذي توافرَ عليهِ المُناوِئُونَ قَدْ وفَّرَ لخِطابِ الإمامِ الحسَنِ عليه السلام فضلاً عن إلى أنَ خِطابَهُ هو خِطابُ جَدِّهِ صلى الله عليه وآله ، وخِطابِ أبيه عليه السلام وخِطابِ أمِّهِ الزَّهراءِ عليها السلام طاقةً توليديَّةً عاليةً في الردِّ على تَضْليلِ المُناوئينَ وأباطيلِ المُنْحَرِفينَ .

وهذا ما سنُصْحِرُ بهِ في ظلِّ تِبيانِ مَظاهِرِ رُدُودِهِ البَيانِيَّةِ الحَكِيمةِ الوازنَةِ الواثِقَةِ على تَضْليلِ المُناوئينَ وافْتِراءاتِهِم الهابِطةِ السَّاقِطةِ المُتهافِتةِ .

المَطْلَبُ الأَوَّلُ : سُلْطَةُ البَيانِ وحَرْبُ الكَلِماتِ

منَ الافْتراءاتِ الّتي أُلْصِقَتْ بالإمامِ الحسنِ عليه السلام وجودُ حُبْسَةٍ في لِسانِهِ (رُتَّةٌ) ، وكونُه غيرَ قادرٍ على البَيانِ والحِجاجِ ، ويبدو أنَّ الماكِنةَ الإعلاميَّةَ الأُمويَّةَ والعباسيَّةَ قدِ اضْطَلَعتْ بهذا العملِ المَشِينِ ظُلْمًا وحَيْفًا ، يقول منذر آلُ هربيد : ((ولم يَتْرُكِ الأَعداءُ مُتَّسَعًا للإمامِ الحُسَيْنِ الحَسَنِ عليه السلام واسْتمرَّ مُسَلْسَلُ الشُّبُهاتِ والطُّعُونِ حتَّى اصْطَنَعُوا لهُ عَيْبًا خَلْقِيًّا ، لا يَتَّفِقُ مَعَ إمامتِهِ الثَّابِتةِ بِلسانِ جّدِّهِ خاتَمِ الأنبياءِ والمُرْسَلِينَ صلى الله عليه وآله ، وهذا العيبُ هو ثُقْلٌ في اللِّسانِ عبَّروا عنهُ تارةً بـ(الفأفأةِ) ، وتارةً يُعَبِّرونَ عنهُ بـ(الرُّتَّةِ)))(٣٣) .

وهاتِهِ الشُبْهَةُ الواهِيةُ أَوَّلُ ما ظَهرتْ في نَصٍّ لأبي الفرج الأَصْفهانِيِّ (ت ٣٥٦هـ) ، قال:((كانتْ في لِسانِ الحَسَنِ رُتَّةٌ ، فقالَ سلمانُ الفارسيُّ أَتَتْهُ من قِبَلِ عمِّهِ موسَى بنِ عِمْرانَ عليه السلام))(٣٤) .

وهاتِهِ الفِريةُ مردودةٌ منِ قبلِ فهو من بيتٍ زُقُّوا العِلْمَ زَقًّا ورَضَعُوا الفصاحةَ والبلاغةَ ونَهلُوا مَناهِلَها ، وقدْ أَشارَ أَخوهُ الإمامُ الحسينُ عليه السلام إلى ملكَتِهِ البيانيّةِ وتَجَذُّرِها في خِطابِهِ ، قالَ وهو يُودِّعُهُ : ((رَحِمَكَ اللهُ أَبا مُحَمَّدٍ ، إنْ كُنْتَ لَتُباصِرَ الحقَّ مظانَّهُ (...) ولا غَرْوَ وأنتَ ابنُ سُلالَةِ النُّبُوَّةِ ، ورَضِيعِ لِبانِ الحِكْمَةِ فإلى رَوْحٍ ورَيْحانٍ وجَنَّةِ نعيمٍ)) (٣٥) .

وقالَ اليَعْقُوبِيُّ (ت بعد ٢٩٢هـ) : ((قالَ مُعاويةُ : ما تكلَّمَ عندي أَحَدٌ كانَ أَحَبَّ إليَّ إذا تكَلَّمَ أنْ لا يَسْكُتَ منَ الحَسَنِ بنِ عليٍّ))(٣٦) . وقالَ أَيضًا لـ(مروان بنِ الحكم) بَعْدَ أنْ بانَ ضُعْفُهُ الحِجاجِيّ والاسْتدلاليّ أَمامَ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام: ((لا تُجارِ البِحارَ فتَغْمُرَكَ ، ولا الجِبالَ فتُبْهِرَكَ ، واسْتَرِحْ منَ الأَعْذارِ))(٣٧) .

وصَرَّحَ أَبو هِلالٍ العَسْكرِيُّ (ت٣٩٥ هـ) بعدَ أنْ نَقَلَ نَصًّا للإمامِ الحَسَنِ عليه السلام بأَنَّ قولَهُ هو البلاغةُ التَّامَّةُ والبيانُ الكامل ، قال : ((إنَّ الحَسَنَ بنَ عليّ رَضِيَ اللهُ عنهما خَطَبَ فقالَ: اعْلَمُوا أَنَّ الحِكْمَةَ زَيْنٌ ، والوَقارَ مروءةٌ ، والصِّلَةَ نِعْمَةٌ ، والإكْثارَ صَلَفٌ ، والعَجَلَةُ سَفَهٌ، والسَّفَهُ ضَعْفٌ ، والغَلْقُ وِرْطَةٌ ، ومُجالَسَةُ أَهْلِ الدَّناءةِ شَيْنٌ ، ومُخالَطَةُ أَهْلِ الفُسُوقِ رِيبَةٌ))(٣٨) .وقريبٌ من هذا القولِ قَوْلُهُ عليه السلام: ((البلاغةُ تَقْرِيبُ بعيدِ الحِكْمَةِ بأَسْهَلِ العِبارَةِ))(٣٩) .

لارَيْبَ في أَنَّ الفَصاحةَ والبلاغةَ والبَيانَ كانتْ شِعارَهُ وسِرَّ بَيانِهِ الخالِدِ ، فقد رُوِيَ أَنَّ عليًّا عليه السلام اعْتَلَّ فأَمَرَ ابْنَهُ الحَسَنَ عليه السلام أَنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ يومَ الجُمُعَةِ ، فَصَعَدَ المِنْبَرَ فحَمِدَ اللهَ (جلَّ جلالُهُ) وأَثْنى عليهِ ، ثُمَّ قالَ : ((إنَّ اللهَ لمْ يَبْعَثْ نبيًّا إلَّا اخْتارَ لهُ نَقِيبًا ورَهْطًا وبيتًا ، فوالَّذي بَعَثَ مُحَمَّدًا بالحَقِّ نَبِيًّا لايَنْتَقِصُ من حَقِّنا أَهْلَ البيتِ أَحَدٌ إلا نَقَصَهُ اللهُ من عَمَلِهِ ، ولا تَكُونُ علينا دَوْلَةٌ إلَّا وتكونُ لنا العاقِبةُ ، ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حينٍ))(٤٠) .

ولايَخْفى أَنَّ هذا النَّصَّ جاءَ مشْحونًا بالمؤكِّداتِ المُتلاحِقةِ الَّتي تُعَدُّ مُوجِّهاتٍ حِجاجِيَّةً، وهي : إنَّ ، التوكيد بالنفي والاسْتِثْناء(وردَ مرَّتينِ) ، القَسَمُ (فوالَّذي) ، تقديم المتعلَّقِ (علينا – لنا) ، نون التوكيد الثَقيلةُ ، وهو تُزِيدُ منْ قُوّةِ الفِعْلِ الإنْجازِيِّ ، يقولُ الدُّكتور مسْعود صحْراوِيّ : ((إنَّ التَّوكيدَ يَزِيدُ دَرجَةَ الشِّدَّةِ للغَرَضِ المُتَضَمَّنِ في القَوْلِ عنها في الخَبَرِ العادي مُثْبَتًا كانَ أَو مَنْفِيًّا))(٤١) .

وثَمَّةَ قُدراتٌ عقليَّةٌ ومؤَهّلاتٌ تَفكِيرِيَّةٌ تُسْتَخْلَصُ من أَلفاظِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام وجُمَلِهِ وعِباراتِهِ ونُصُوصِهِ ، منها : القُدْرةُ على حلِّ المُشْكِلاتِ ، القُدْرةُ على الرَّبْطِ بينَ خِبْرَةٍ سابِقةٍ وخِبْرَةٍ ، القُدْرَةُ على التَّحْلِيلِ ، القُدْرةُ على العِظَةِ والاعْتِبارِ ، القُدْرةُ على نَقْدِ السُّلُوكِ ، القُدْرةُ على التَّفْكِيرِ والتَّفكُّرِ ، القُدرَةُ على التَّمييزِ بينَ الحقِّ والباطِلِ ، القُدْرةُ على تقْدِيمِ المَشورَةِ للآخَرِينَ ، القُدْرةُ على التَّفْسِيرِ ، القُدْرةُ على الخَطابَةِ ، القُدْرةُ على الحُوارِ ، القُدْرةُ على الاسْتِنْتاجِ ، القُدْرةُ على تَحْديدِ المَفاهِيم.(٤٢)

والمُتَأَمِّلُ في مُناظَراتِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام ورسائِلِهِ مع معاويةَ بنِ أَبي سُفيانَ يَجِدِ البيانَ العالِي المُبْهِرَ ، والمُوجهاتِ الحجاجيّةَ البيانيَّةَ المُتناسِبةَ ، فضْلًا عنِ الأُسْلُوبِ الرائِقِ والشَّائِقِ معَ جمالِ اخْتِيارِ الألفاظِ وحُسْنِها .

وسنَصْطَفِي مثالًا من مكاتباتِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام، يدعو فيه معاويةَ إلى البَيْعةِ، ولاسِيَّما بعدَ أنْ بايعَتْهُ البلدانُ والأمْصارُ أجمعُ إلّا الشّامُ وفي المُقدّمةِ معاويةُ، هذا الكِتابُ الّذي يُعدُّ من عُيُونِ المُكاتباتِ في الأدبِ العربيِّ؛ ومن أَجْلِ بيانِ سُلْطَةِ بيانِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام، وحَرْبِ كلماتِهِ، والإمْساكِ بمظاهِرِ بيانيَّةِ فِقْراتِهِ، وبلاغتِها نُوزِّعُ هذا الكِتابَ على هيأَةِ مَقاطِعَ.(٤٣)

المَقطَعُ الأَوَّلُ: قالَ عليه السلام: ((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، منْ عبدِ اللهِ الحسنِ أميرِ المُؤْمنينَ إلى معاويةَ بنِ أبي سُفْيانَ، فَإنِّي أَحْمَدُ اللهَ الَّذي لا إلهَ إلّا هُوَ. أمّا بَعْدُ: فَإنَّ اللهَ تعالى عزَّ وجلّ بَعَثَ محمَّدًا صلى الله عليه وآله رحْمَةً للعالَمِينَ، ومِنَّةً على المُؤْمِنينَ وكافَّةً إلى النَّاسِ أَجْمَعِينَ ((لِيُنْذرَ .... يس/ ٧٠ ....الكافرين))، فبلَّغَ رسالاتِ اللهِ وقامَ على أمْرِ اللهِ حتّى توفّاهُ اللهُ غيرُ مُقصِّرٍ ولا وانٍ، حتّى أَظْهَرَ اللهُ بِهِ الحقَّ، ومَحَقَ بِهِ الشِّرْكَ ونَصَرَ بِهِ المُؤْمنينَ، وأَعَزَّ به العربَ، وشَرَّفَ بِهِ قُرَيْشًا خاصّةً، فقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

أَشارَ الإمامُ عليه السلام إلى أنَّهُ الإمامُ المُفْتَرَضُ الطاعةَ والبيعةَ هُوَ هُوَ أميرُ المُؤْمنينَ، ثُمَّ أَبانَ عنْ بعثةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله مبيِّنًا مَقاصِدَ بِعْثَتِهِ ومرامِيها وأهْدافِها، وهي: الرَّحْمَةُ للعالَمِينَ، المِنّةُ على المُؤْمنينَ، الإنْذارُ، إظْهارُ الحَقِّ، مَحْقُ الشِّرْكِ، نَصْرُ المؤمنينَ، عِزَّةُ العربِ ولاسيَّما قُريشٌ. ونَبْصُرُ في المَقْطَعِ الاسْتِدْلالَ بالنُّصُوصِ القُرآنيَّةِ بوصْفِها شَواهِدَ قَطْعِيَّةً ذاتَ فاعليَّةٍ وحركيَّةٍ في النَّصِّ المُنْتَجِ؛ مِنْ أَجْلِ تَقْويةِ الحُجَةِ وإذْعانِ الخَصْمِ.

المَقطَعُ الثّاني: قالَ عليه السلام: ((فَلَمّا تُوُفِّي صلى الله عليه وآله تنازعَتْ سُطانَهُ العَرَبُ، فقالتْ قُرَيْشٌ: نَحْنُ قَبيلَتُهُ وأُسْرَتُهُ وأَوْلياؤُهُ، ولا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تُنازِعُونا سُلْطانَ مُحمَّدٍ في النَّاسِ وحَقَّهُ، فَرأَتِ العَرَبُ أنَّ القَوْلَ كما قالَتْ قُرَيْشٌ، وأَنَّ الحُجَّةَ لهم في ذلكَ على مَنْ نازَعَهم أَمْرَ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَأَذْعَتِ لهمُ العَرَبُ، وسلَّمت ذلكَ، ثُمَّ حاجَجْنا نحْنُ قُرَيْشًا بِمِثْلِ ما حاجَجَتِ بِهِ العربُ، فَلَمْ تُنْصِفْنا قريشٌ إنْصافَ العَرَبِ لها، إنّهم أَخَذُوا هذا الأَمْرَ دونَ العربِ بالانتِصافِ والاحْتِجاجِ، فَلَمّا صِرْنا أَهْلَ بيتِ مُحمَّدٍ وأَوْليائِهِ إلى مُحاجَّتِهم، وطَلَبَ النَّصْفِ منهم باعَدُونا واسْتَولَوا بالاجْتِماعِ على ظُلْمِنا ومُراغَمَتِنا والعَنَتِ منهم لنا فالموعدُ اللهُ وهو الوَلِيُّ النَّصِيرُ)).

أَبانَ الإمامُ عليه السلام عنِ الخِداعِ الحِجاجِيِّ والمُخاتَلَةِ والمُراوغَةِ في التَعامُلِ معَ القَضايا والمُجادلَةِ، ذاكَ أنّ قُرَيْشًا نازعتِ العَرَبَ بعدَ انتقالِ النبيِّ صلى الله عليه وآله إلى الرَّفيقِ الأَعْلى بأَنَّهُمْ قبيلتُهُ وأُسْرتُهُ

وأَولياؤُهُ فأَذْعنتِ العربُ . وبعدَ أَنْ نازَعْنا قُرَيْشًا بأَنَّنا عِتْرَتُهُ المُقَرَّبُونَ وأَهْلُ بيتِهِ بمثلِ ما حاجَجْتم العَربَ لم يُنْصِفونا ، ولم يكتفوا بذلكَ بل باعَدونا واسْتولَوا علينا ظُلْمًا وحيْفًا .

ولايَخْفَى التَّدرُّجُ الحِجاجِيُّ (السُّلَّمُ الحجاجِيّ) في خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام معَ معاينةِ الرَّوابطِ الحجاجيَّةِ ، وبمجموعها نتحصَّلُ على قُوَّةِ الحُجَّةِ من جهةٍ ، والإحاطةِ بالمجالِ التَّداوُليِّ والسِّياقاتِ وقرائِنِ الأَحوالِ الَّتي عاينَها الإمامُ عليه السلام.

المَقْطَعُ الثَّالِثُ : قالَ عليه السلام : ((وقَدْ تَعَجَّبْنا لِتَوثُّبِ المُتَوثِّبينَ علينا في حَقِّنا وسُلْطانِ نَبِيِّنا، وإنْ كانُوا ذوي فَضِيلةٍ وسابقةٍ في الإسْلامِ ، فأَمْسَكْنا عن مُنازَعَتِهم مَخافةً على الدِّينِ أَنْ يَجِدَ المُنافِقونَ والأَحْزابُ بذلِكَ مَغْمَزًا يَثْلِمُونَهُ بِهِ أَو يَكُونُ لَهم بذلكَ سببٌ لِما أَرادوا بِهِ من إفْسادِهِ . فاليومَ ، فَلْيَعْجَبِ المُتعجِّبُ من توثُّبِكَ يا مُعاويةُ على أَمْرٍ لستَ من أَهْلِهِ ، لا بِفَضْلٍ في الدِّينِ معروفٌ ، ولا أَثرٍ في الإسْلام محمودٌ ، وأَنْتَ ابنُ حِزْبٍ منَ الأَحْزابِ ، وابنُ أَعْدى قُرَيْشٍ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله ، ولكنَ اللهَ خيَّبَكَ ، وسَتُردُّ فَتَعْلَمُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ، و تالله ، لَتَلْقَيَنَّ عن قليلٍ ربَّكَ ، ثمَّ لَيَجْزِيَنَّكَ بما قَدَّمَتْ يَداكَ ، وما اللهُ بِظَلَّامٍ للعبيدِ)).

يَتعجَّبُ الإمامُ عليه السلام ويَنْدَهِشُ من تَوثُّبِ معاويةَ وإمساكِهِ بالسُّلْطةِ والظَّفَرِ بإمارةِ النَّاسِ، فبعدَ أَنْ تعجَّبْنا من قبلُ من توثُّبِ الآخرينَ على حقِّنا وسُلْطانِ نبيِّنا ،وإنْ كانوا ذوي فضيلةٍ وسابقةٍ في الإسْلام ، لكنَّكَ يامعاويةُ ، ليستْ لكَ فضيلةٌ ولا مَنْقَبةٌ تُفاخِرُ بها ، بلْ أَنْتَ وأبوكَ من أَلدِ أعداءِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، فسوءُ العاقبةِ والخيبةُ والعار والخسرانُ مَصيرُكَ .

ويَحْسُنُ أنْ نَقُولَ : إنَّ خِطابَ الإمامِ عليه السلام جاءَ بأبهى أُسْلُوبٍ وأَرْوَعِ بيانٍ ، فضلًا عن تِقْنِيَّةِ اخْتيارِ الأَلفاظِ وانْتقائِها وهي تُمَثِّلُ مَنْهجًا أَخلاقيًّا يُحاطُ بالصِّدقِ والنَّافعِ منَ القَوْلِ وجمالِ تَرتيبِها وتناسُقِها . هي مُقدماتٌ صُغْرى وكُبْرَى تَقُودُ إلى مَوْضُوعاتٍ كُبْرى [٤٤] .

المَقْطَعُ الرّابِعُ : قالَ الإمامُ عليه السلام : ((إنَّ عليًّا عليه السلام لَمَّا مَضى لِسَبيلِه – رَحِمَةُ الله عليهِ – يَومَ قُبِضَ ، ويومَ منَّ اللهُ عليهِ بالإسْلامِ ، ويومَ يُبْعَثُ حيًّا ولَّاني المُسْلِمُون الأَمرَ بَعْدَهُ ، فأَسأَلُ اللهَ أَن لا يُزيدُنا في الدُّنيا الزَّائِلِ شيْئًا يُنْقِصُنابه في الآخرةِ مما عِنْدَهُ من كرامَتِهِ، وإنَّما حَمَلَني على الكِتابِ إليكَ الإعْذارُ فيما بيني وبينَ الله سُبْحانَهُ وتعالى في أَمْرِكَ، ولكَ إنْ فَعَلْتَ الحظَّ الجَسِيمَ والصَّلاحَ للمُسْلِمينَ فدعِ التَّمادي في الباطِلِ وادْخُلْ فيما دَخَلَ فيهِ النَّاسُ من بَيْعَتي،

فإنَّكَ تَعْلَمُ أنّي أَحَقُّ بهذا الأمرِ منكَ عندَ اللهِ وعندَ كلِّ أوّابٍ حَفيظٍ ومَنْ لهُ قَلْبٌ مُنيبٌ، واتَّقِ اللهَ ودَعِ البَغْيَ، واحْقُنْ دِماءَ المُسْلِمينَ، فواللهِ، ما لكَ من خيرٍ في أنْ تَلْقَى اللهَ من دِمائِهم بأكْثَرِ ممّا أنْتَ لاقيهِ بهِ، فادْخُلْ في السَّلْمِ والطّاعةِ، ولا تُنازِعُ الأَمْرَ أَهْلَهُ))[٤٥] .

أَجْمِلْ بهذا الخِطابِ ! الّذي يُصوِّرُ الحقائقَ جَلِيَّةً واضِحةً، أنَّ إمامةَ المُسْلِمينَ هي لي بإجماعِ المُسْلِمينَ وبذلكَ أرادَ الإمامُ الحَسَنُ التّأكيدَ على (شَرْعيّةِ الوَلايةِ والإمامةِ) فهي وصيّةُ جدِهِ صلى الله عليه وآله، ووصيّةُ أبيهِ عليّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام[٤٥]، وقد أشارَ عليه السلام إلى مثالبَ ومفاسِدَ يتحتَّمُ على معاويةَ تركها، وهي : (دَعِ التّمادي في الباطِلِ)، (ادْخُلْ فيما دَخَلَ فيه النّاسُ بيعتي)، (اتَّقِ اللهَ تعالى)، (دَعِ البَغْيَ)، (احْقُنْ دِماءَ المُسْلِمينَ)، (لاتُنازِعِ الأمرَ أَهْلَهُ) .

منَ الواضِحِ الّذي لا لَبْسَ فيهِ أنَّ الإمامَ عليه السلام بِخِطابِهِ الإشْهاريِّ أَسْقَطَ سُلْطَةَ معاويةَ المَزْعومةَ المُلَفَّقةَ، وأنَّ معاويةَ قد تجاوزَ الخُطوطَ الحمراءَ، وضَرَبَ بِعَرْضِ الحائطِ كلَّ المبادئِ النَّبيلةِ والقِيَمِ السّاميةِ والأخْلاقيّاتِ المِثاليّةِ الّتي هي بمجموعِها من أساسيّاتِ المُجْتَمعِ، زِدْ على ذلكَ أرادَ الإمامُ عليه السلام أنْ يُنْتِجَ أدواتٍ ناشرةً للفضيلةِ بمُقابَلَةِ الأدواتِ القَلِقةِ الواهيةِ المُنْحرفةِ الّتي مارسها مُعاويةُ .

المَطْلَبُ الثّاني : القائِدُ المُخَطِّطُ

منَ الافْتراءاتِ الّتي أُلْصِقَتْ بالإمامِ الحَسَنِ عليه السلام أنَّهُ لمْ يَكُنْ شُجاعًا، فَقَدْ هادَنَ وصالَحَ معاويةَ، فلا يَكُنْ قادرًا على المواجهةِ والقِتالِ والجِهادِ، فهو أَقْرَبُ إلى الدِّعةِ والرّاحةِ وطلبِ العافيةِ وحُبِّ السَّلْمِ .

وهاتِهِ الفِرْيةُ لا تَصْمدُ أمامَ خِطابِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام إذِ اشْتَرَكَ مع أبيهِ عليّ عليه السلام في معاركِهِ كُلِّها ضِدَّ النّاكِثينَ والقاسِطينَ والبُغاةِ والمارِقينَ، ولاسيّما في معركةِ الجَمَلِ فأَسْنَدَ عليه السلام ((قِيادةَ مَيْمَنةِ جَيْشِهِ إلى الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام، وقِيادةِ مَيْسَرَتِهِ إلى الإمامِ الحُسَينِ عليه السلام))[٤٦] .

وكذلكَ يومَ نُشِرَ في الكُوفَةِ خَبرُ قُدُومِ معاويةَ إلى العراقِ، فعَمَّ الخَوْفُ والذُّعْرُ العراقيّينَ، فاسْتَنْفَرَ الإمامُ الحَسَنُ عليه السلام النّاسَ، فأمرَ بَعْضَ أَصْحابِهِ أنْ يُناديَ بـ (الصّلاة جامعة) ؛ من أَجْلِ إعلانِ الجِهادِ بينَ النّاسِ ، فنُودي بذلك فاكْتَظَ المَسْجِدِ بالجماهيرِ، فاعْتَلى عليه السلام المِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ تعالى وأثنى عليه، فقال : ((أمّا بَعْدُ، فإنَّ اللهَ كَتَبَ الجِهادَ على خَلْقِهِ

وسَمّاهُ كُرْهًا ، ثُمَّ قالَ لأَهْلِ الجِهادِ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، فلَسْتُمْ أَيُّها النَّاسُ نائِلِينَ ما تُحِبُّونَ إِلَّا بالصَّبْرِ على ما تكْرَهونَ . إنَّهُ بَلَغني أَنَّ معاويةَ بَلَغَهُ إِنَّا كُنَّا أَزْمَعْنا على المَسيرِ إليهِ ، فتحرَّكَ لذلِكَ، فاخْرُجُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - إلى مُعسكَرِكم بالنُّخَيلةِ حتَّى نَنْظُرَ وتنظُروا ونرى وتَروا))(٤٧).

في خِطابِ الإمامِ عليه السلام أَماراتٌ على تَثاقُلِ الجُمهورِ ، بُمعاينةِ الحَثِّ على الجِهادِ والتَّذكيرِ بهاتِهِ الفَريضةِ الَّتي تُعَدُّ منَ البَدَهيَّاتِ عندهم ، فضْلًا عن ذلكَ الاسْتِدلالِ بشاهِدٍ قُرآنيٍّ من أجْلِ التَّذكيرِ وشَحْذِ الهِمَمِ ، وأنَّ السَّعادةَ في الدُّنيا والآخرةَ لاتُنالُ إِلَّا بالصَّبْرِ والثَّباتِ والجِهادِ ، ويَتجلَّى التَّثاقُلُ بأَبْهى صُورِهِ في حثِّهم على الجِهادِ والذَهابِ إلى معسكرِ النُّخيلةِ تَوسُّلًا على سبيلِ التَّحْفيزِ والرَّجاء بالدَّعوةِ لهم بالرَّحْمةِ .

واسْتَشْعَرَ باقِرُ شريف القَرَشِيّ تخاذُلَ النَّاسِ وتَثاقُلَهم في ضَوْءِ خِطابِ الإمامِ عليه السلام ، قالَ (رَحِمَهُ اللهُ تعالى) : ((وكانَ هذا التَّخاذُلُ في بدايةِ الدَّعوةِ إلى جِهادِ العدُوِ يُنْذِرُ بالخَطَرِ ، ويدْعُو إلى التَّشاؤُمِ واليأْسِ من صلاحِهِمْ))(٤٨) .

يقولُ زُهيرُ الأَعْرَجِيُّ : ((يتبيَّنُ منَ القِراءةِ الدَّقيقةِ للنُّصُوصِ أَنَّ أَصْحابَ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام كانوا قِلَّةً قليلةً منَ المُؤْمنينَ ، منهم : عَدِيُّ بنُ حاتِم ، وقَيْسُ بنُ سعدٍ ، ومَعْقِلُ بنُ قَيْسٍ ، وزِيادُ بنُ صَعْصَعَةَ وغيرُهم ، أَمَا الأغلبيَّةُ منَ النَّاسِ فقد كانَ هواها معَ عَدمِ القِتالِ . كانَ موقفُ الإمامِ عليه السلام معَ النَّاسِ صَعْبًا للغايةِ ، فواجِبُهُ الشَّرْعِيُّ هو أن يُكلِّفَ النَّاسَ بالقِتالِ ، ولكنْ إذا تَثاقَلَ النَّاسُ عنِ الجِهادِ فما عَساهُ أَنْ يَفْعَلَ ؟!))(٤٩) .

لاريبَ في أَنَّ للشجاعةِ مفهومًا عظيمًا عند الإمامِ الحسنِ عليه السلام فقدْ تجَسَّدَ في قُوَّتِهِ البَدنيَّةِ ، وقُوَّتِهِ الحِكميَّةِ في مواجَهةِ الإعلامِ الأُمويِّ ، وصَبْرِهِ على أتباعِهِ وتخاذُلِهم وعلى أقربائِهِ وأتباعه الخُلَّصِ ممَّنْ التَحقَ بمعسكرِ معاويةَ ، وشجاعتِهِ في مواجهةِ ما تعَرَّضَ إليهِ من مُحاولاتِ قَتْلٍ وغيرها .

ويَرْسُمُ الإمامُ عليه السلام هذه الشَّجاعةَ في خُطْبَتِهِ الَّتي خطَبَها في القِلَّةِ الصَّابِرةِ المرابطةِ ، قال : ((أَمَا ، واللهِ ما ثَنانا عن قِتالِ أَهْلِ الشَّامِ ذِلَّةٌ ولا قِلَّةٌ ، ولكنْ كُنَّا نُقاتِلُهمْ بالسَّلامَةِ والصَّبْرِ فَشِيبَتِ السَّلامةُ بالعَداوةِ ، والصَّبْرُ بالجَزَعِ ، وكُنْتُمْ تتوجَّهونَ معنا ودِينُكم أمامَ دُنْياكم ، وقد أَصْبَحْتُمُ الآنَ ودُنياكمْ أَمامَ دِينِكم ، وكُنَّا لكم وكُنْتُمْ لنا لا، وقدْ صُرْتُم اليومَ علينا (٥٠).

٤٠٦

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الابْنُ الطَّائِعُ والأَخُ النَّاصِح

مِنَ الفِرى الَّتي أُلْصِقَتْ بالإمامِ الحسنِ عليه السلام إنَّهُ لم يكنْ على وفاقٍ مع أبيه عليه السلام وإخوتِهِ، وإنَّهُ كانَ يميلُ إلى الشَّهواتِ وهذا ما دعا المسْتشْرقَ البلجيكيّ (هنري لامنس) إلى القول: إنَّ الإمامَ الحسنَ عليه السلام لم يَكُنْ على وِفاقٍ مع أبيهِ عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وإخوتِهِ؛ بسبب ميلِهِ إلى الشَّهواتِ والرّاحةِ، وافتقاره إلى النَّشاطِ والذَّكاءِ، وقد أنفقَ سِني عُمْرِهِ في الزَّواجِ والطَّلاقِ[٥١].

ولا يخفى أَثَرُ الماكنةِ الإعلاميَّةِ الأُمويَّةِ والعبَّاسيَّةِ في كلامِ (لامنس)، إذ يبدو أنَّهُ لم يطَّلعْ على تُراثِ أهلِ البيت عليهم السلام الصحيحِ، فضلًا عن العصبيَّةِ وسوء النَّظَرِ وغياب التَّثبُّب والدّقّةِ في بياناتِهِ وبياناتِ غيرِهِ منَ المُسْتشْرِقينَ الَّتي انْتظَمتْ بحوثُ أَكْثَرِهم في (دائرةِ المعارفِ الإسْلاميَّةِ)، هاتِهِ الدَّائرةُ الَّتي وصفها باقرُ شريف القَرَشيّ بقولِهِ: ((وهذه الدَّائرةُ لمْ تَكُنْ إلَّا دائرةَ كَذِبٍ وافْتراءٍ، فقد حَفَلَتْ بالطَّعْنِ على الإسْلامِ والسَّبِّ لأَعلامِهِ، خُصُوصًا في بُحُوثِ (لامنس) عنِ الشِّيْعَةِ وعن أَئِمَّتِهم، فإنَّها مَليئةٌ بالبهتانِ والتَّهريجِ عليهم))[٥٢].

وقد ذَكَرْنا من قبلُ نُصُوصًا عظيمةَ المضمونِ ساميَةَ البيانِ في طَهارةِ الإمامِ الحَسَنِ وخُلُقِهِ العظيمِ، وكانَ جمَّاعَ الفضائِلِ ومُلْتقى الكمالاتِ وموئِلَ المراشدِ والمَحامِدِ، قال ابنُ الأثيرِ (ت ٦٣٠هـ): ((كانَ الحَسَنُ بن عليّ عليه السلام حليمًا كريمًا وَرِعًا دعاهُ ورعُهُ وفضْلُهُ إلى أن تَرَكَ المُلْكَ والدّنيا رغبةً فيما عندَ الله تعالى))[٥٣].

وبحَسَبِ مَنْهجِنا فقدَ أَبانَ الإمامُ عليه السلام في أَدبِهِ الموروثِ كلِّهِ عن مَنْبَتِه الزَّكيّ ومَغْرَسِهِ الطيِّبِ، وقد توافرْنا على ذكر جملةٍ كبيرة منها من قبلُ، ومن هاتِهِ النُّصُوصِ ذاتِ العُلْقَةِ والصِّلَةِ بهذا المطلَبِ، خُطْبَتُهُ عليه السلام إبَّانَ اسْتِشْهادِ أبيه أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في الكوفةِ أمامَ المسلمينَ، فحَمِدَ اللهُ وأثنى عليه، ثمَّ أَبَّنَ أَباهُ ذاكرًا فضائِلَهُ ومناقِبَهُ وقيمَهُ بكلامٍ يُعَدُّ من روائِعِ ذكرِ مَحاسِنِ العِظامِ وتِبيانِ كَمالاتِهم، وهذا البيانُ دليلٌ واضحٌ وبُرْهانٌ ساطعٌ على التّفاخُرِ بمنهجِ أبيه قولًا وعملًا وسُلُوكًا فهو الإمامُ المُطيعُ السَّائِرُ على الهَدْيِ المُحمَّدِيّ والهَدْي العَلَويّ والهَدْي الفاطِمِيّ، قالَ ((أَيُّها النَّاسُ، مَنْ عرفني فقد عرفني، ومن لمْ يَعْرفني فأنا الحسنُ بنُ عليّ، وأنا ابن النَّبيّ، وأنا ابنُ الوصيِّ، وأنا ابنُ البشيرُ النَّذيرُ، وأَنا أبنُ الدَّاعي إلى الله بإذْنِهِ، وأنا ابنُ السِّراجُ المُنيرُ، وأنا من أَهْلِ البيتِ الَّذينَ كانَ

جِبْريلُ يَنْزِلُ إلينا ، ويَصْعَدُ من عندنا ، وأَنا من أَهْلِ البيتِ الَّذينَ أذْهبَ اللهُ عنهُمُ الرِّجْسَ وطَهَّرَهم تَطْهيرًا ، وأَنا من أهلِ بيتٍ افْتَرَضَ اللهُ مودَّتَهم على كلِّ مُسْلِمٍ ، فقالَ تباركَ وتعالى: لنبيِّهِ صلى الله عليه وآله : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾، فاقْتِرافُ الحَسَنَةِ مودَّتُنا أَهْلَ البيتِ))[٥٤].

وهلْ بَعْدَ هذا السَّيْلِ الهادرِ من الأوصافِ العظيمةِ والكمالاتِ السَّاميةِ يُتَّهمُ عليه السلام بمخالَفتِه أباهُ ونفيِ إطاعتِهِ ؟!!! .

ومِنَ الشُّبَهِ تَشْويهُ العلاقةِ بينَ السِّبْطينِ العظيمينِ لخاتَمِ الأنبياءِ والمُرْسلينَ صلى الله عليه وآله ، وافْتِعالِ التَّخاصُمِ وافْتِراضِهِ ظُلْمًا وافْتِراءً بينهما ، قال ابنُ عساكر (ت ٥١٧ هـ) :((جرى بينَ الحسنِ بنِ عليّ وأخيهِ الحسينِ كلامٌ حتَّى تهاجَرا فلمّا أَتى على الحسنِ ثلاثةُ أيامٍ تأثَّمَ من هجْرِ أخيهِ ، فأقْبَلَ إلى الحُسينِ وهو جالسٌ فأَكبَّ على رأسِهِ فقبَّلَهُ فلمّا جلَسَ الحسنُ ، قالَ له الحُسينُ : إنَّ الَّذي منعني من ابْتِدائِكَ والقِيامِ إليكَ أَنَّكَ أحقُّ بالفضْلِ منِّي فكَرِهْتُ أن أُنازِعَكَ ما أنْتَ أَحقُّ بهِ))[٥٥] .

وهذه الفِرْيةُ من صَنيعِ الأُمويينَ والعبَّاسينَ بِلا مِراءَ ، وما يَدْفَعُها النُّصوصُ الحسنيَّةُ ، ولاسيَّما وصاياهُ لأَخيهِ الإمامِ الحُسينِ عليه السلام، قال عليه السلام: ((يا أَخي ، أُوصيكَ بوصيَّةٍ فاحْفَظْها، فإذا أَنا مُتُّ فهيِّئني ، ثمَّ وجِّهْني إلى رَسُولِ الله ؛ لأُجدِّدَ به عَهْدًا ثمَّ أَصْرِفْني إلى أُمِّي فاطمةَ ، ثُمَّ رُدَّني فادْفِنِّي بالبقيعِ ، واعلمْ : أَنَّهُ سَيُصيبُني منَ الحمراءِ ما يَعْلَمُ النَّاسُ صَنيعَها وعداوتَها للهِ ولرسولِهِ ، وعداوتَها لنا أَهْلَ البيتِ))[٥٦] .

وقال عليه السلام أيضًا : ((يا أخي ، إذا أَنا مُتُّ فغسِّلْني وحنِّطْني وكَفِّنِّي واحْمِلْني إلى جدِّي صلى الله عليه وآله ، حتَّى تَلْحَدَني إلى جانبِهِ ، فإنْ مُنِعْتُ من ذلكَ ، فبحقِّ جدِّكَ رسُولِ اللهِ وأبيكَ أمير المؤمنينَ وأُمِّكَ فاطمةَ الزَّهراء : أنْ لا تُخاصِمَ أحدًا ، واردُدْ جَنازَتي من فَوْرِكَ إلى البقيعِ ، حتَّى تدْفُنِّي معَ أُمِّي))[٥٧] .

وغيرُها منَ النُّصوصِ الَّتي تَصْدَحُ بالعلاقةِ الماسَّةِ والإخوّةِ الّتي تسْتَقي من كوثرِ الرِّسالةِ وخُلُقِ جدِّهما صلى الله عليه وآله ، وخُلُقِ أبيهما أميرِ المؤمنينَ عليه السلام، والكوثرِ الفياضِ الزَّهراءِ عليها السلام، حقًّا وصدقًا كان الإمامُ الحسنُ عليه السلام مهيبًا عظيمًا وَقُورَ المَحْضَرِ في مجْلِسِ جدِّهِ وأبيه وأمِّه .

المَطْلَبُ الرَّابِعُ : الطَّيِّبُ الزَّكِيُّ

مِنَ الافْتِراءاتِ والظُّلاماتِ الَّتي طالَتِ الإمامَ الحسنِ عليه السلام البُرْعمَ الزّكيَّ والغَرْسَ الطَّيبَ في حياتِهِ ومماتِهِ ما نُسِبَ إليهِ افْتِراءً وزورًا أنَّه كثيرُ الزَّوجاتِ ،وأنَّهُ مِزْواجٌ ومِطْلاقٌ، ويظهرُ في ظلِّ الرَّصْدِ التَّاريخيِّ أنَّ أبا جعفر العباسيّ الدَّوانيقِيّ هو أوّلَ منْ ابْتَدَعَ هاتِهِ الفِرْيةَ الواهيةَ بشخصِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام، بُغْضًا بأبيهِ أمير المؤمنينَ عليه السلام وبهِ عليه السلام، قالَ الطَّبريُّ (ت ٣١٠هـ) : ((فقامَ فيها عليُّ بنُ أبي طالب فتلطَّخ وحَكَمَ عليهِ الحَكَمينِ فافْتَرَقتْ عنهُ الأمَّةُ واخْتلفتْ عليه الكلمةُ ، ثُمَّ وثبَ عليهُ شِيعتُهُ أَنْصارُهُ وأصْحابُهُ وبطانَتُهُ وثُقاتُهُ ، ثُمَّ قامَ منْ بَعْدِهِ الحسنُ بنُ عليٍّ ، فواللهِ ما كانَ فيها بِرجلٍ قد عُرِضَتْ عليهِ الأموالُ فقَبِلَها ، فدَسَّ إليهِ معاويةُ : إنِّي أَجْعَلُكَ وليَّ عَهْدي من بَعْدي فخدَعَهُ ، فانْسَلَخَ لهُ ممَّا كانَ فيهِ وسَلمَهُ إليهِ ، فأَقْبَلَ على النِّساءِ يَتزوَّجُ في كُلِّ يومٍ واحدةً فيُطلِّقُها غدُ ، فلمْ يَزَلْ على ذلكَ حتَّى ماتَ على فِراشِهِ))[٥٧].

هذه الفريةُ الباطلةُ تلقَّفَها المسْتِرقونَ وبنَوا عليها كثيراً من النُّصُوصِ والأحكامِ المغلوطةِ الَّتي لاتمتُّ للحقيقةِ بطرفٍ.[٥٨] .

وفي ظلِّ النُّصُوصِ الحسنيَّةِ الَّتي سُقْنها فيما تقدَّمَ منَ البحثِ يظْهرُ تهافُتُ هاتِهِ الفِريةِ وبطلانُ ادِّعائِها ؛ لأنها لاتسْتَنِدُ إلى أدلَّةٍ وبراهينَ ، فضلًا عن ذلك فإنَّ مدّعيها لمْ يَقِفُوا على تُراثِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام، وأَدَبِهِ إن خُطَبًا وإنْ رسائِلَ ، إن وصايا وإن مكاتباتٍ وإنْ حِكَمًا الّتي جاءتْ بأبهى صُوَرِ الكمالاتِ وأسْمى معالِمِ الفضائِلِ والقِيمِ والمناقِبِ ، وهي كلُّها برهانٌ على تَسامِي المنظومةِ الأخلاقيَّةِ والتَّربويَّةِ عند الإمامِ الحسنِ عليه السلام ، الَّتي تَعدُّ مصداقًا من مصاديقِ قولِهِ تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

خاتمة البحث ونتائجه

نحمدُ اللهَ (جلّ جلالُهُ) أن أوصلنا إلى نهايةِ البحثِ عن تجلّياتِ خطابِ الإمام الحسن عليه السلام ؛فرادةُ السّيرةِ وورد تضليلِ المناوئينَ ، ولكلّ عملٍ ثمارٌ وقِطافٌ ، ومن أهمّها .

***الأولى** : بدا لنا أن خطابَ الإمامِ الحسنِ عليه السلام كان خطابًا واقعيًّا تداوليًّا ؛ لأنه كان واعيًا بالواقعِ من جهة تصوّرِ المفاهيمِ القرآنيّةِ العظيمةِ والإسلاميّة السّامية الّتي أرساها جدّه صلى الله عليه وآله وأبوه عليه السلام ، فبانت هاته المفاهيمُ وانسربتْ في خِطابِهِ البيانيّ

***الثانية** : أبانَ الإمامُ الحسنُ عليه السلام عن سيرتِهِ العاطرةِ الزّكيّةِ ؛ وذلك لأنّه يعلمُ أن الأمةَ فقدتِ البوصلةَ، وخلطتْ بينَ الحقِّ والباطلِ وبينَ الشّرِ والخيرِ، ومن أجلِ إرجاعِ الأمّةِ إلى عقلِها ورشدِها وهديها ، رسمَ عليه السلام معالمَ سيرتِهِ العاطرةِ الّتي هي تستقي من سيرةِ جدّهِ المصطفى صلى الله عليه وآله، وسيرة أبيه عليّ عليه السلام ، وأمّه السّيّدةِ الزهراء عليها السلام ، فهو البقيّةُ الباقيةُ هو وأخوه الإمام الحسينُ عليه السلام من شجرةِ النبوّةِ ومهبطِ الوحي والتّنزيلِ .

***الثالثةُ** : انتقدَ الإمامُ الحسن عليه السلام خطابَ المناوئينَ بوصفه خطابًا يخلو من القيم ، التّضليلُ والسّفاهةُ والمراوغةُ شعارُهُ ، هو خطابٌ لا معقول فوضوي بلا دليلٍ ذي صبغةٍ منحرفةٍ ، ويرى الإمامُ عليه السلام تهافتَهُ في مسالِك الاستدلالِ عند هؤلاءِ فضلًا عن ذلك انسرابُ الخداعِ والافتراءِ في التّواصُلِ من لَدُنْ الجبهةِ المناوئةِ رغبةً منهم في الوصولِ ألى أهدافٍ سياسيةٍ ومصالح شخصيّة .

***الرّابعةُ** : تركَ الإمامُ الحسنُ عليه السلام نصوصًا في فرادة سيرتِهِ العاطرةِ والردّ على تضليلِ المناوئينَ تتحدّى الزّمنَ زاخرةً بالحيوية والطّرافةِ والحفظِ وفي وعي الذّاكرةِ الإنسانيّة عامّةً ووعي المجتمعِ الإسلاميّ خاصّةً . في حين جاءَ خطابُ معاويةَ وملئِهِ باردًا سطحيًّا ساذَجًا مترهّلًا بالضّلالاتِ والسّفاهاتِ لايقبلُهُ العَقلُ البَشَريُّ .

***الخامسةُ** : في ظلّ هاتِه الجولةِ التحليليّةِ في خطابِ الإمام الحسن عليه السلام بدا أنّهُ يمثّلُ مجالًا خِصْبًا للدّرْسِ التّداوُلِيّ تتفرّعُ اتّجاهاتُهُ وتتنوّعُ أدواتُهُ وتتعدّدُ محاورُهُ ، من هنا فالحاجةُ قائمةٌ من أجلِ دراسةِ الخطابِ الأخلاقيِّ عندَهُ عليه السلام وأبعادِهِ وآلياتِهِ .

***السّادسةُ** : أرادَ الإمامُ الحسنُ عليه السلام في ظلّ خطابِهِ الدينيّ أن يُبَصّرَ المجتمعَ الإنسانيَّ عامةً والمجتمعَ الإسلاميَّ خاصّةً بالبعدِ الحضاريِّ والاستشرافِ المستقبليّ ؛ من أجلِ التّأثير في الإنسانِ روحًا وقلبًا وعقلًا ووجدانًا وسُلُوكًا واجْتماعًا وسياسةً .

والحمدُ لله ربّ العالمينَ وصلّى اللهُ على محمّدٍ وآله الطّاهرينَ

الهوامش

القُرآنُ الكريمُ

١-هذا البحثُ مُخطَّطٌ له ضمنَ مدونةٍ علميةٍ يَعْزِمُ الباحِثُ على إتمامِها إن شاء اللهُ تعالى والموسومة بـ (فَهْمُ الخِطابِ الدِّينيّ بينَ الإمامِ الحسنِ عليه السلام ومُناوئيهِ – دراسةٌ تحليليَّةٌ-) .

٢-دراساتٌ في الفِكرِ التربويّ عند الإمامِ الحسنِ عليه السلام : ١٢ .

٣- صحيح البخاري : البخاريّ ، ٤ / ٢١٧ .

٤- ينظر : مناقبُ آل أبي طالب : ابن شهر آشوب ، ٤ / ٢١٧ .

٥- كشف الغمةِ في معرفة الأئمة : الأربليّ : ١ / ٥٣٤ . (جابَلق : بالباء المفتوحةِ واللَّامِ السَّاكنةِ مدينةٌ بأقصى المغرب . جابَرْس بالباء المفتوحةِ والرَّاء السَّاكنة مدينةٌ بأقْصى الشَّرْقِ . (معجم البلدان : ياقوت الحمويّ : ٣ / ٣٢) .

٦- صحيحُ البخاريّ : ١/ ٩٣ .

٧- شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ١ / ٢٤ .

٨- حقائِقُ التَّأويلِ في متشابهِ التَّنزيلِ : ١٦٧ .

٩- مقاتِلُ الطَّالبينَ : أبو الفرجِ الأصْفهانيّ : ٥١ – ٥٢ . ويُنظر : كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام : ١ / ٥٠٥، والفصول المهمةُ في معرفة أحوالِ الأئمة عليهم السلام :ابن الصَّبَّاغ المالكيّ : ١٥٢ .

١٠-كشفُ الغمة في معرفة الأئمة : ١ / ٥٣٦ .

١١-ينظر : التَّداوليَّةُ بين النَّظريَّةِ والتَّطبيقِ : د أحمد كنون : ٤٢٥ – ٤٢٧ .

١٢-مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعوديّ : ٣ / ١٠ – ١١ .(النساء / ١٥٩) .

١٣- المصدر نفسه : ٣ / ١٠ – ١١ . وينظر : حياة الامام الحسن بن عليّ عليهما السلام (دراسةٌوتحليلٌ): ١ / ١٤٨ – ١٤٩ .

١٤-ينظر : الخِطاب الإشْهاريّ بين البعد التَّداوليّ وسلطة النَّصِّ ، خالد العيساويّ ، ١٨٥ .

١٥-الذُّريةُ الطاهرة : ١٠٨ .

١٦-ينظر : عندما نتواصل نغيِّر (مقاربة تداولية عرضٌ لآلياتِ التَّواصُلِ والحِجاجِ) ، ٨٨ .

١٧ينظر : دراساتٌ في الفكر التربويّ عند الإمام الحسن عليه السلام : ٢١ .

١٨- كشف الغمة في معرفة الأئمةِ : ٣/ ١٩٨ – ١٩٩ .

١٩ – تاريخ اليعقوبيّ ، اليعقوبيّ ، ١ / ٢٠١ .

٢٠- شذرات من حياة الإمامِ الحسن بن علي عليهما السلام ، إعداد شعبة التبليغ ، قسم الشُّؤون الدينية، العتبة العلوية المقدسة ، ٣٣ . وينظر : دراسات في الفكر التربوي عند الامام الحسن عليه السلام : ١٣٢ – ١٣٤ .

٢١- الكافي ، الكلينيّ : ٢ / ٤٦٦ .

٢٢- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ابن شهر آشوب : ٣ / ١٨٠ .

٢٣-أعيان الشِّيعة : ٤ / ٨٥ . وكلمةُ الإمام الحسن عليه السلام ، الشيرازيّ ، ٥٢ .

٢٤-الرَّوائِعُ المختارة من خطبِ الامام الحسنِ وكتبه ورسائله وكلماته القِصار ، مصطفى الموسويّ ، ١٣٤ .

٢٥-ينظر : دراسات في الفكر التربويّ عند الامام الحسن عليه السلام ، ١٤١ - ١٤٢ .
٢٦- تحف العقول عن آل الرسول : ابن شعبة الحرانيّ ، ١٦٦ .
٢٧-دلائل الإمامة : ابن رستم الطبريّ : ٦١ .
٢٨-شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ٨/ ١٥٣ .
٢٩-مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٣/ ١٠ -١١ .
٣٠-ينظر : صلح الامام الحسن عليه السلام (المقدمة) ، ٢٢ .
٣١- ينظر : التّداولية بين النظرية والتطبيق ، د احمد كنون ، ٣٨٤ .
٣٢- ينظر : شذرات من حياة الامام الحسن عليه السلام ، ٧-٨ .
٣٣- دراسات في الفكر االتربوي عند الامام الحسن عليه السلام : ٩ ، وينظر : الامام الحسن (عليه السلام) في مِحنةِ التاريخ، د عايدة عبد المنعم طالب ، ٧ .
٣٤-مقاتل الطالبيين : ٣١ .
٣٥-عيون الأخبار : ابن قتيبة ، ٢ / ٢٣٨ - ٢٣٩ .
٣٦- تاريخ اليعقوبيّ ، ٢ / ١٥٨ .
٣٧-صلح الإمام الحسن عليه السلام : ٢٠٣ .
٣٨-كتاب الصناعتينِ (الكتابة والشعر) : ٤٣ .
٣٩-المصدر نفسه : ٥٠ .
٤٠-مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٢ / ٤٣١ .
٤١-ينظر : التداوليّة عند العلماء العرب : ٢٠٦ .
٤٢-ينظر : دراسات في الفكر التربوي عند الامام الحسن عليه السلام ، ٢٠٤- ٢٢١ .
٤٣- ينظر : مقاتل الطالبيين : ٣٦ ، شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد :١٦ / ٣٣ .
٤٤-ينظر ، من الخطابةِ إلى تحليل الخطاب (مفاهيم خطابية من منظور جديد) ، حاتم عبيد ، ٦٥ .
٤٥-مقاتل الطالبيين : ٣٦ .
٤٦-حياة الإمام الحسن بنعلي عليهما السلام : باقر شريف القرشِيّ : ٢ / ٤٠ .
٤٧-شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، ١٦ / ٣٨ .
٤٨ - حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام ، ١ / ٧٤ ، وينظر ، صلح الحسن عليه السلام في فكر المستشرقين:كريم جهاد حساني ، ٣٢ - ٣٣ .
٤٩-الإمام الحسن بن علي عليهما السلام ، السبط المجتبى ،١٤٧ .
٥٠-أُسْدُ الغابة في معرفة الصَّحابة ، ابن الأثير / ٢ / ١٣-١٤.
٥١-ينظر : صلحُ الحسنِ عليه السلام في فكر المستشرقين : ٦٤ .
٥٢-موسوعة أهل البيت عليهم السلام الإمام الحسن بن عليّ : ١١ / ١١٨ .
٥٣-أُسْدُ الغابة في معرفة الصَّحابة : ٢ م ٢٨٤ .
٥٤-مناقب آل أبي طالب : ٣/ ١٧٠ .

٥٥- تاريخ ابن عساكر ، ١٤ / ١٨١ .

٥٦ - ينظر : صلح الحسنِ عليه السلام في فكر المسْتشرقينَ ، ٢٠ ، و تنزيه الإمام الحسن عليه السلام ومحاكمة النُّصُوص : ١٥٥ .

٥٧-تاريخ الطَّبريّ : الطبريّ ، ٦ / ٣٣٣ - ٣٣٤ .

٥٨-ينظر ، صلحُ الحسن عليه السلام في فكر المستشْرقينَ : ٢٠ - ٢٣ ، وتنزيه الإمام الحسن عليه السلام : ١٥٥ ، ١٥٧ .

المصادر والمراجع

*القرآنُ الكريم

*أُسْد الغابة في معرفةِ الصَّحابة ، عليّ بن أحمد بن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، بيروت ، ١٩٧٠م .

*أعيان الشّيعة ، السيد محسن الأمين ، حققهُ السيد حسن الأمين ، ط٥ ، دار التعارف ،بيروت ، ١٤١٨ - ١٩٩٨م .

*الإمامُ الحسن عليه السلام في محنة التاريخ ، عايدة عبد المنعم طالب ، ط١ ، دار الرسول الأعظم ، بيروت ن ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

*تاريخ ابن عساكر(تاريخ مدينة دمشق) : علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بـ (ابن عساكر) (ت٥١٧هـ) ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

*تاريخ الطَّبريّ (تاريخ الرسل والملوك) : أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبريّ (ت ٣١٠هـ) ، مؤسسة الأعلميّ ، بيروت - لبنان .

*تاريخ اليعقوبيّ : أحمد بن إسْحاق بن جعفر بن واضح اليعقوبيّ (ت بعد ٢٩٢هـ) ، وضع حواشيه خليل منصور ، دار الزهراء ، إيران ، ١٤٢٩هـ .

*تحف العقول عن آل الرسول : الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحرَّانيّ (ت ٣٨١هـ) ، تصحيح : علي أكبر الغفاريّ ،جماعة المدرسين قم المشرفة،١٤٠٤هـ .

*التَّداوليةُ بين النظريةِ والتَّطبيق : د أحمد كنُّون ، ط١ ، دار النابغة ، القاهرة ، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

*تنزيه الإمام الحسن عليه السلام ومحاكمة النصوص : منذر كاظم آل هربيد ، ط١ ، دار البرهان ، بيروت ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .

*حقائِقُ التأويل في متشابه التنزيل : محمد بن الحسين الشريف الرَّضيّ (ت ٤٠٦هـ) ، شرحه الاستاذ محمد رضا آل كاشف الغطاء ، دار المهاجر .

*حياة الإمام الحسن عليه السلام دراسة وتحليل : باقر شريف القرشيّ ، تحقيق : مهدي شريف القرشيّ ، ط١ ، مطبعة شريعة ، ايران ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

*دراسات في الفكر التربويّ عند الغمام الحسن عليه السلام ، يوسف مدن ، ط١ ، دار البرهان ، بيروت ، ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م .

*دلائلُ الإمامة : أبو جعفر بن رستم الطبريّ من علماء القرن الرابع الهجريّ ، ط٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

*الذرية الطاهرة : أبو البشر بن حماد الأنصاريّ الدُّولابيّ (ت ٣١٠هـ) ،تحقيق السيد محمد جواد الجلاليّ ، ط٨ ، مؤسسة الأعلميّ ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

*الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام وكتبه ورسائله وكلماته القصار ، تقديم : مؤسسة الغري للمطبوعات ،ط١ ، بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ،

*شذرات من حياة الإمام الحسن عليه السلام ، قسم الشؤون الدينية (شعبة التبليغ) ، ط١ ، النجف الأشرف ، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م .

*شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد المعتزليّ (ت ٦٥٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ .

*صحيح البخاريّ : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، دار الفكر ، استانبول ، ١٤٠١هـ .

*صلح الحسن عليه السلام في فِكر المستشرقينَ : كريم جهاد الحستنيّ ، ط١ ، دار البرهان ، بيروت ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .

*عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) ، عبد السلام عشير ، ط١ ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

*الفُصُولُ المهمةُ في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام : علي

بن محمد بن أحمد المالكيّ (ت ٨٥٥هـ) ، ط٢ ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٩ - ١٩٨٨م .
*الكافي : أبو جعفر محمد بن يعقوب الكُلينيّ (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاريّ ، ط٥ ، حيدري- إيران ، ١٣٦٣هـ .
*كشف الغُمّة في معرفة الأئمة : أبو الحسن علي بن عيسى الأربليّ (ت ٦٩٢هـ) ، قدم له : السيد أحمد الحسينيّ ،ط١ ، مطبعة شريعة ، قم المشرفة،١٤٢٧هـ.
*كلمة الإمام الحسن عليه السلام ، الشيد السيد حسن الشِّيرازيّ ، ط٦ ، دار الصادق للطباعة ، بيروت ، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م .
*مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ، ط١، دار القارئ ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م .
*مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهانيّ (ت ٣٥٦هـ) ، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (د.ت) .
*المناقب (مناقب آل أبي طالب) : محمد بن عليّ بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٥٦هـ .
*موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام الإمام الحسن عليه السلام : باقر شريف القرشيّ ، تحقيق : مهدي باقر القرشِيّ، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام لإحياء تراث أهلِ البيت عليهم السلام ، ط٢ ، مطبعة ستار ، النجف الأشرف، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م .

وَمضاتٌ مِنْ أَدَبِ الإمامِ الحسنِ المُجتبى عليه السلام

في أقوالِهِ وحِكَمِهِ

أ.م.د. حيدر عبد الحسين زوين

قسم اللغة العربية / كليّة الآداب / جامعة الكوفة

الباحثة رباب عبد الكريم جعفر

مديرية تربية محافظة ديالى.

ملخص البحث

تَمَخَّضَتْ بلاغة الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ في استشهاده بالأقوال السائرة من أبيات الشعراء القدامى أو الأمثال السائرة، في إفحام خصومه وتفنيد حججهم، بدقة وتكثيف وإيجاز، وبالدلائل والحجج المقنعة ، نظراً للظرف العصيب ألذي أحاط به بعد استشهاد والده ﴿عليهما السلام﴾ ولشراسة أعدائه من الأمويين وابتعادهم عن الإسلام المحمدي، من خلال شراء الذمم من ضعاف النفوس من الناس وتأليبهم وتجنيدهم لمحاربته والنيل من منزلتهِ الدينية التي سار فيها على خط أبيه، وقد اتضحت لغة خطاب الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ البلاغية في جميع مناحي تعبيره سواءً في الخطاب السياسي أم التعبُّدي أم الوعظي أم الإرشادي، فقد أكثر في خطبه من القدرة على الإيضاح من خلال القدرة الصوتية واستعمال المحسنات البديعية، التي استثمرها الإمام متمثلةً بالجانب التنغيمي عبر وسائل عديدة من أبرزها : (التكرار الصوتي ، واللفظي، والجُمَلي).

وقد قُسِّمَ هذا البحث على مبحثين سبقا بمقدمة وختما بخاتمة وقائمتين بهوامش البحث ومراجعه وقد دَرَس الباحثان الآتي :

المبحث الأول : النتاجات الأدبية للإمام الحسن المجتبى ﴿عليه السلام﴾ في مصادر التراث التاريخي

المبحث الثاني : دراسة تحليلية لنماذج من أدب الامام الحسن ﴿عليه السلام﴾ في الشكل والمضمون

وقد استعان الباحثان بمجموعة من المصادر والمراجع أذكر منها :

مصادر التاريخ ومراجعه

مصادر اللغة

مصادر العقيدة

مصادر الأدب

المصادر القرآنيّة

والباحثان لم يدخرا جهداً من أجل انجاز هذا البحث المتواضع الذي يضعانَهُ بين أيديكم؛خدمةً للدين والمذهب والعلم ،وهُما لا يَدعيان الكمال لأنه من صفات العزيز الحكيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه المُنتجبين

Abstract

The eloquence of Imam Al-Hassan lies his references to certaion quotes from the verses of ancient poets or common proverbs sets his opponents agitated and vexed . For the difficult circumstances encompass the imam after the martyrdom of his father and the ferocity of his enemies , the Umayyads and their distance from the. Muhammadan Islam . There were many acts of inciting the narrow-minded people to fight his line and undermine its religious position as he follows the path of its father. In his sermons, he relies on the ability to clarify his words with figure of speech : vocal, verbal, devices and sentence repetition.

This research was divided into two sections with an introduction and a conclusion . The researchers studied the following:

The first topic focuses on the literary products of Imam Hassan Al-Mujtaba , and the second topic does on an analytical study of models from the literature of Imam Hassan .

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين المبعوث رحمةً للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن والاهم الى يوم الدين وبعد، لقد كانت بلاغة أهل البيت عليهم السلام عالية جدا فقد تعلموا هذا الأدب وهذه البلاغة في مدرسة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان يمتلك الأسلوب المؤثر والصحيح لدى محاججة مناصريه وأعدائه أو سائليه؛ وقد تمثّلت تلك الأدلة في كونهِ كان يستعين دائما بتلك الحجج والأدلة والبراهين؛ لتوضيح وجهة نظره وتأييدها بالحجة القرآنية التي أفاد منها بطرق مختلفة وهي أقوى الحجج لديه، وهذا لا خلاف عليه بين المدارس البلاغية، وقد تمخضت بلاغة الإمام الحسن عليه السلام في استشهاده بالأقوال السائرة من أبيات الشعراء القدامى أو الأمثال السائرة، في إفحام خصومه وتفنيد حججهم، بدقة وتكثيف وإيجاز، وبالدلائل والحجج المقنعة، نظرا للظرف العصيب ألذي أحاط به بعد استشهاد والده عليه السلام ولشراسة أعدائه من الأمويين وابتعادهم عن الإسلام المحمدي، من خلال شراء الذمم من ضعاف النفوس من الناس وتأليبهم وتجنيدهم لمحاربته والنيل من منزلتهِ الدينية التي سار فيها على خط أبيه، وقد اتضحت لغة خطاب الإمام الحسن عليه السلام البلاغية في جميع مناحي تعبيره سواءً في الخطاب السياسي أم التعبُّدي أم الوعظي أم الإرشادي، فقد أكثر في خطبه من القدرة على الإيضاح من خلال القدرة الصوتية واستعمال المحسنات البديعية، التي استثمرها الإمام متمثلةً بالجانب التنغيمي عبر وسائل عديدة من أبرزها: (التكرار الصوتي، واللفظي، والجملي).

وقد قُسِّمَ هذا البحث على مبحثين سبقا بمقدمة وختِما بخاتمةٍ وقائمتين بهوامش البحث ومراجعه وقد درسَ الباحثان ما يأتي:

المبحث الأول: النتاجات الأدبية للإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مصادر التراث التاريخي

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لنماذج من أدب الامام الحسن عليه السلام في الشكل والمضمون

وقد استعان الباحثان بمجموعة من المصادر والمراجع أذكر منها:

مصادر التاريخ ومراجعه

مصادر اللغة

مصادر العقيدة

مصادر الأدب

المصادر القرآنيّة

والباحثان لم يدخرا جهداً من أجل انجاز هذا البحث المتواضع الذي يضعانه بين أيديكم؛خدمةً للدين والمذهب والعلم ،وهما لا يدّعيان الكمال، لأنه من صفات العزيز، الحكيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباحثان

المبحث الأول : النتاجات الأدبية للإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مصادر التراث التاريخي

١-لقد كانت بلاغة الامام الحسن بن علي عليه السلام، واسعة فقد تعلم في مدرسة ابيه عليه السلام إذ كان يمتلك الأدلة العقلية والنقلية عند محاججة مناصريه وأعدائه أو سائليه ؛ وقد تمثلت تلك الأدلة في كونهِ كان يستعين دائما بتلك الحجج والأدلة والبراهين ؛ لتوضيح وجهة نظره وتأييدها بالحجة القرآنية التي أفاد منها بطرق مختلفة وهي أقوى الحجج لديه، أو إيراد أقوال جده رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وآله ، التي لا خلاف عليها بين المدارس البلاغية، وكان يستشهد بالأقوال السائرة من أبيات الشعراء القدامى أو الأمثال السائرة، في إفحام خصومه وتفنيد حججهم، بدقة وتكثيف وإيجاز، وبالدلائل والحجج المقنعة ، نظرا للظرف العصيب ألذي أحاط به بعد استشهاد والده عليه السلام ولشراسة أعدائه من الأمويين وابتعادهم عن الإسلام المحمدي، من خلال شراء الذمم من ضعاف النفوس من الناس وتأليبهم وتجنيدهم لمحاربته والنيل من مكانته الدينية التي سار فيها على خط أبيه، وقد اتضحت لغة خطاب الإمام الحسن عليه السلام البلاغية في جميع مناحي تعبيره سواءً في الخطاب السياسي أم التعبُّدي أم الوعظي أم الإرشادي، فقد أكثر في خطبه من القدرة على الإيضاح من خلال القدرة الصوتية واستعمال المحسنات البديعية، التي استثمرها الإمام متمثلةً بالجانب

التنغيمي عبر وسائل عديدة من أبرزها : (التكرار الصوتي ، واللفظي ، والجملي) ؛ ليجعل التكرار وسيلة لترسيخ الفكرة التي يتحدث عنها ، وقد سخَّر الإمام قدرته البلاغية وسرعة بديهته ومبلغ علمه في كشف زيف إدعاءات خصومه و إظهار الحقائق التي حاول الأعداء تعميتها عليها وإزالة التعتيم الإعلامي عن شخصيته وإبداء صورتها الحقيقية للناس ليعرفوا معادن الموجودين على الساحة السياسية ؛ فقد استطاعوا التمييز بين الخبيث و الطيب ، وقد ذكر ابن عساكر بإسناده عن معمر بن يحيى بن سام قال الامام علي عليه السلام : ((قم فاخطب الناس يا حسن، قال: اني أهابك أن أخطب وأنا أراك، فتغيب أمير المؤمنين عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه، فقام الحسن، فحمد الله وأثنى عليه وتكلم[1]، ثم نزل فقال علي: ((ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْض وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) [2]

٢- أفاد الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام من طاقاته البلاغية واللغوية، ووسائلها : (الإقناعية ، والتركيبية ، والبيانية ، والبديعية) جاعلا ذلك متعاضداً مع المحسنات البديعية التي أدخل في بنائها تلك الوسائل، وكانت خطبه ذروة في البلاغة سواء أكان ذلك خطبه أم كلماته القصيرة، وقد رسم للمتلقي صورةً بلاغيةً إيجابيةً ناصعة التي تمثل خط الالتزام بالمبادئ والقيم، بمقابل الرد على خصومه، فكانت خطبه تظهر سمو الإمام موازنةً مع دنو خصمه نتيجة تلك الموازنة ، مستثمرا تقنية الجمال اللفظي ومطابقة كلامه لواقع الحال مع الايجاز، والتي أثارت عنصر الدهشة والمفاجأة لدى المتلقي، لتثيره في الإمعان في الاستماع والإنصات لحجج الإمام عليه السلام .

لقد اورد المسعودي في تاريخه :((قد كان علي عليه السلام اعتل، فأمر ابنه الحسن عليه السلام أن يصلي بالناس يوم الجمعة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ان الله لم يبعث نبياً إلاّ اختار له نقيباً ورهطاً وبيتاً، فو الذي بعث محمّداً بالحق نبياً لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلاّ نقصه الله من عمله مثله، ولا تكون علينا دولة إلاّ وتكون لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين)) [3]

٣-لقد كانت بلاغة الامام الحسن عليه السلام تمثل بلاغة جده وأبيه ، فقد تعلم في مدرستهما فنون البلاغة واللغة وأصول الخطابة، وكان يقول دائما : ((بلدي مكة ومنى، وأنا ابن المروة

والصفا وأنا ابن النبي المصطفى وأنا ابن من علا الجبال الرواسي، وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحياء، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب)) (٤)، وقد كان الامام الحسن عليه السلام يصعد المنبر بعد وفاة رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وآله ويتكلم على الناس وكان كلامه شبيهاً بكلام جده رسول الله صلى الله عليه وآله فكان أغلب الصحابة يجتمعون إليه للاستماع لكلامه ؛ فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه بحيث لا يراه ليستمع كلامه أيضاً. فقال الحسن عليه السلام: ((كل لساني وعسر بياني كأن علياً يراني.))(٥)

٤-ومن اروع خطب الامام الحسن المجتبى عليه السلام التي تجلت فيها البلاغة المشهودة الخطبة التي اوردها محب الدين الطبري في كتابه(ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) فقد روى بإسناده أن معاوية ابن ابي سفيان قال للإمام الحسن عليه السلام: قم فاخطب الناس إلى أن قال أبو سعيد: انه عليه السلام قال في خطبته: ((أيها الناس من عرفني ؛ فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أنا ابن البشير أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن مزنة السماء، أنا ابن من بعث رحمةً للعالمين، أنا ابن من بعث الى الجن والإنس أنا ابن من قاتلت معه الملائكة، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا ابن من كان مستجاب الدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من تنشق عنه الأرض ومن يقرع باب الجنة، أنا ابن أول من ينفض التراب عن رأسه، أنا ابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه سخط الرحمن، أنا ابن من لا يسامى كرماً. فقال معاوية: حسبك يا أبا محمّد، ما أعرفناه بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا معاوية، ان الخليفة من سار بسيرة رسول الله وعمل بطاعته، وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أماً وأباً)) (٦)

٥- ومن أدبه وبلاغته في خطبه ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة الجزء الثامن والعشرين إذ روي أنّ معاويّة سأل الإمام الحسن عليه السلام بعد الصلح أن يخطب بالناس فامتنع ، فناشده أن يفعل ، فوضع له كرسيّ ، فجلس عليه ، ثم قال : ((... وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أميّة ، ولقد وجّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا ؛ لطاعتكم طواغيتكم ، وانضوائكم إلى شياطينكم

، فعند الله أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دعتكم ، وحيف حكمكم ...)) [٧].

ومن رسائله النثرية التي رد فيها على معاويّة قال[٨] :((هيهات !! لشر ما علوت به يا ابن آكلة الأكباد ، المجتمعون عليك رجلان ، بين مطيع ومكره ، فالطائع لك عاص لله ، والمكره معذور بكتاب الله ، وحاشا لله أن أقول أنا خير منك لأنّك لا خير فيك ، فإنّ الله قد برّأني من الرذائل كما برأك من الفضائل))[٩].

٦- وذكر ابن شعبة الحراني في موسوعته الشهيرة (تحف العقول عن آل الرسول) ، رسالةً ، وقد طلب منه الإمام علي عليه السلام يوماً أن يكتب إلى جندب بن عبد الله [١٠] ، فكتب إليه:

((أنّ محمّداً كان أمين الله في أرضه ، فلمّا أن قبض محمّداً كنّا أهل بيته ، فنحن أمناء الله في عندنا علم البلايا والمنايا ، وأنساب العرب ، ومولد الإسلام ونحن أفراط الأنبياء وأبناء الأوصياء ونحن خلفاء الأرض ، وإنا لنعلم الرجل المؤمن من المنافق)) [١١]

المبحث الثاني : دراسة تحليلية لنماذج من أدب الامام الحسن عليه السلام في الشكل والمضمون

من الصفات المحبّبة لدى القائد أن يكون بليغاً وفصيحاً في أقواله وكلماته التي يخاطب بها العقول ، والمشاعر ؛ لتنفتح أمام الحقائق وأنوار الهدايّة. وهي ضروريّة في استجاشة عناصر الخير والصلاح ، ومطاردة عناصر الشر والانحراف ، واستثارة حالة الحذر من مزالق الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء ، وكان الإمام الحسن عليه السلام أفضل الناس بلاغة وفصاحة في زمانه ؛ يحث الناس من خلالها على تبني المفاهيم السليمة وممارسة القيّم الصالحة. وكان عليه السلام يمارس الخطاب البليغ والفصيح لتحريك العقل الجمعي وتوجيهه الوجهة الصالحة. وفي هذا يقول ابن كثير : ((وكان علي عليه السلام يكرم الحسن اكراماً زائداً ويعظمه ويبجله ، وقد قال له يوماً : يا بني ألا تخطب حتى أسمعك ؟ فقال: إنّي أستحي أن أخطب وأنا أراك ، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن ، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعليّ يسمع ، فأدّى خطبة بليغة فصيحة ، فلما انصرف جعل عليّ يقول: (ذُرِّيَّة بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عليم)[١٢]))[١٣]

ورُوي أنه : ((طعن أقوام من أهل الكوفة في الحسن بن علي عليهما السلام ، فقالوا : إنّه عيّ لا يقوم بحجّة ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعا الحسن فقال : يا بن رسول الله إنّ أهل الكوفة قد

قالوا فيك مقالة أكرهها ؟ قال : وما يقولون يا أمير المؤمنين ؟ قال: يقولون: إنّ الحسن بن علي عيّ اللسان لا يقوم بحجة ، وإن هذه الأعواد فاخبر الناس فقال : يا أمير المؤمنين لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إنّي متخلّف عنك، فناد أنّ الصلاة جامعة ، فاجتمع المسلمون فصعد (عليه السلام) المنبر ، فخطب خطبة بليغة وجيزة فضجّ المسلمون بالبكاء ثم قال : أيّها الناس اعقلوا عن ربّكم إنّ الله عزّوجلّ اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم ، فنحن الذريّة من آدم ، والأسرة من نوح ، والصفوة من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، وآل من محمد صلى الله عليه و آله نحن فيكم كالسماء المرفوعة ، والأرض المدحوة والشمس الضاحيّة ، وكالشجرة الزيتونة ، لا شرقيّة ولا غربيّة التي بورك زيتها، النبي أصلها ، وعلي فرعها ، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلف عنها فإلى النار هوى))[١٤] .

فقد تمكن الإمام (عليه السلام) من صياغة الآيات القرآنيّة ، والأحاديث النبويّة الشريفة التي تتحدث عن فضائل أهل البيت (عليهم السلام) صياغة بلاغيّة جميلة ، وتمثلت بلاغته بالخطاب النثري الذي نتلمسه من خلال استعماله لأساليب العرب وسننها في الخطابة إذ يتضح ذلك من خلال الآتي:

أولاً -استعمال الاقتباس القرآني من كتاب الله العزيز ، ومن الحديث النبوي الشريف ويشير الدارسون في حقل البلاغة أن الاقتباس يستعمل بطريقتين أولهما :

أ)المباشر : والمقصود به الاستشهاد بالآية القرآنية من دون أي تغيير كما جاءت في المصحف وهذا النمط قد استعمل في قوله (عليه السلام) : ((إنّ الله عزّوجلّ اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم)) وهي الآية الثالثة والثلاثين من سورة آل عمران .

ب-غير المباشر : وهو الأكثر ورودا في أقواله وحكمه (عليه السلام) وهذا النمط يجعله البلاغيون في المرتبة الأولى من الإقتباس من حيث المعيار الجمالي والأسلوبي ومن ذلك قوله (عليه السلام) :

((نحن فيكم كالسماء المرفوعة ، والأرض المدحوة والشمس الضاحيّة ، وكالشجرة الزيتونة، لا شرقيّة ولا غربيّة)) وهذه الفقرة الخطابية تمثل مجموعة من الآيات القرآنية في موارد مختلفة استطاع الإمام من خلال تقنياته الخطابية أن يختارها ويجمعها في مكان واحد وزمان واحد ؛

لأجل توظيفها في هذا المقام وقديما قالت العرب : ((البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال)) وفي مورد آخر ذكر البلاغيون والنقاد أن البلاغة تتمثل في قولهم : ((لكل مقام مقال)) ، ولو عدنا الى خطبته عليه السلام سنجد أن الآيات المتفرقة المختارة جاءت من السور الآتية :

١-الآية السابعة من سورة الرحمن فقد استحضر الإمام منها السماء من قوله تعالى: ﴿ والسماء رفعها ، ووضع الميزان ﴾

٢- في الآية الثانية من سورة الرعد في قوله تعالى : ﴿ **اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** ﴾ .

٣-الآية الثلاثون من سورة النازعات : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ .

٤-الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور : ﴿ الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾

وتشير بعض كتب التفسير إلى أن لفظة الكوكب تمثل صورة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أخرج بموجبها العرب من دياجير الظلمات وأدخلهم في رحمة الله الواسعة التي تتمثل بالإسلام المحمدي الأصيل(١٥) .

٥-تضمين الخطابة بأسماء الأنبياء السابقين عليهم السلام كقوله عليه السلام : ((فنحن الذريّة من آدم ، والأسرة من نوح ، والصفوة من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، وآل من محمد صلى الله عليه و آله نحن)) ، فقد تضمنت هذه الخطبة ذكره لهؤلاء الأنبياء السابقين الذين تحدث عنهم القرآن الكريم وعن قصصهم السابقة.

لقد تمثلت بلاغة الإمام في هذه الفقرة من الخطابة بتوظيف أسلوب الإيجاز بعد أن استطاع الجمع بين كل هذه الآيات المتفرقة من جمل شتى والتي حملت أغراض مختلفة واستطاع الإمام من أن يصهرها في بوتقة واحدة .

ثانياً: الجناس الناقص : ويتمثل ذلك في قوله عليه السلام : ((النبي أصلها ، وعلي فرعها ، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن تخلف عنها فإلى النار هوى))

يعرف هذا النمط البديعي بأنه تشابه لفظتين بالشكل واختلافهما بالمعنى وتشابه الشكل يشمل بعض حروف اللفظتين كما في قوله : (أصلها وفرعها ، وغصن وأغصانها ، ونجا وهوى).

ووظيفة الجناس أنه يمنح العبارة بعداً صوتياً وجرساً موسيقياً يتماهى مع أذن المتلقي فيحدث هذا العنصر نغماً خاصاً يوظفه المنشئ لإدخال لغة الإقناع في أذهان المتلقي.

ثالثا : أسلوب التقابل الدلالي / وهو من أساليب تحسين الكلام المعنوية البديعية ، ويقتضي وجود جملتين متقابلتين يشكل الطباق فيه تضاداً جدلياً يتمثل ذلك في قوله عليه السلام :

((فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا ، ومن تخلف عنها فإلى النار هوى))

يتمثل التقابل في وجود هذين الضدين النوعيين في سياق واحد في الأفعال : (تعلّق وتخلّف) و (نجا ، وهوى) .

ومن فنون النثر الفني الحكم والوصايا يقول الإمام الحسن في إحدى وصاياه الى جنادة بن أبي أمية[١٦] قبيل وفاته عليه السلام سنة ٦٠ : ((يا جنادة : استعد لسفرك ، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك ، ولا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه ، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك. واعلم أن في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك ، فان كان ذلك حلالا كنت قد زهدت فيها ، وإن كان حراما لم يكن فيه وزر ، فأخذت كما أخذت من الميتة ، وإن كان العتاب فان العتاب يسير. واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، وإذا أردت عزا بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان ، فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك ، وإذا خدمته صانك ، وإذا أردت منه معونة أعانك ، وإن قلت صدق قولك وإن صلت شد صولك؛ وإن مددت يدك بفضل مدها ، وإن بدت عنك ثلمة سدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك وإن نزلت إحدى الملمات به ساءك. من لا تأتيك منه البوائق ، ولا يختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق ، وإن تنازعتما منقسما آثرك))[١٧]

من أهم الأساليب التي استعملها الإمام في هذه الوصية :

١-الأمر الحقيقي الذي يتمثل في استعمال أفعال الأمر التي جاءت متسلسلة في الجمل الآتية :

(استعد لسفرك ، وحصل زادك ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة ، خذ منها ما يكفيك ، فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل ، فاصحب من إذا صحبته زانك ، وإذا خدمته صانك).

٢-الأمر المؤكد بتكرار الفعل الذي يشير الى أهمية الفعل المؤكد الذي جاء في الجمل الآتية: واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك ، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك، واعلم أن في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب ، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)

فقد تكررت أفعال الأمر في أعلاه دلالة على أهمية التزام الجمهور بهذه الأفعال المكررة كونها تمثل بوصلة طريق للأجيال اللاحقة التي ستأتي تباعاً .

٣- السجع بأنواعه : ويتمثل هذا الأسلوب في قوله عليه السلام :

(لسفرك ، و أجلك) ، (حساب ، وعقاب ، وعتاب) ، (أبدا ، غدا) . (زانك ، و صانك، وأعانك) ، (قلت ، وصلت) (مدها ، وسدها ،وعدها)، (أعطاك ،و ابتداك) ، (البوائق ،و الطرائق ، والحقائق) . ووظيفة السجع بأنواعه هي أنه يحل محل جرس الصوت الموسيقي في استجلاب المعنى المناسب للنص النثري مع ما يمنحه هذا المحسن المعنوي في تركيز المعني لدى المتلقي للنص النثري وهذا بدوره يؤدي الى زيادة الإقناع وكما نعلم أن علم البلاغة العربية كانت نشأته القديمة من أجل تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة :

١-الإمتاع .

٢-الكسب .

٣-الإقناع .

وغالبا ما يتركز الهدفان الأول والثاني في الشعر من خلال المديح والفن فيما يتركز الهدف الثالث في النثر الفني بكل أشكاله : (الخطابة والرسائل ، والوصايا والحكم) .

٤-التكرار الصوتي :

أ-تكرار الأفعال الماضية كما في قوله عليه السلام : (فأخذت كما أخذت من الميتة).

، وقوله : (واعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك. واعلم أن في حلالها حساب).

ت)تكرار أفعال الأمر : كما في قوله : ((واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)).

ث) تكرار الحروف : ويتمثل ذلك في تكرار إذا وهو حرف شرط غير جازم في قوله ((وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك ، وإذا خدمته صانك ، وإذا أردت منه معونة أعانك .))

وتكرار إن وهي حرف شرط جازم في قوله : ((وإن قلت صدق قولك وإن صلت شد صولك؛ وإن مددت يدك بفضل مدها ، وإن بدت عنك ثلمة سدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن سألته أعطاك ، وإن سكت عنه ابتداك ، وإن نزلت إحدى الملمات به ساءك؛ فإن كان ذلك حلالا كنت قد زهدت فيها ، وإن كان حراما لم يكن فيه وزر ، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير.))

ويرى الدارسون في حقل اللغة أن استعمال إن الشرطية يختلف عن استعمال إذا من حيث الدلالة فيكون استعمال إن في حالات عدم التيقن من حدوث الشيء في حين تستعمل إذا في حالات الحصول اليقيني للشيء .

ج) تكرار الاسم : (ولا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه)

٥) النفي بأداة النفي والفعل المضارع في قوله : ((من لا تأتيك منه البوائق ، ولا يختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق))

٦) النهي : من خلال استعمال الفعل المضارع المسبوق بحرف النهي لا ويتمثل ذلك في قوله : (ولا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه) .

الخاتمة

١-لقد كانت بلاغة الامام الحسن بن علي (عليه السلام)، واسعة فقد تعلم في مدرسة ابيه (عليه السلام) إذ كان يمتلك الأدلة العقلية والنقلية عند محاججة مناصريه وأعدائه أو سائليه .

٢- وقد تمثلت الأدلة العقلية والنقلية في كونهِ كان يستعين دائما بالحجج والعلامات والبراهين؛ لتوضيح وجهة نظره وتأييدها بالحجة القرآنية التي أفاد منها بطرق مختلفة وهي أقوى الحجج لديه ، أو إيراد أقوال جده رسول الانسانية محمد (صلى الله عليه وآله).

٣-وكان يستشهد (عليه السلام) بالأقوال السائرة من أبيات الشعراء القدامى أو الأمثال السائرة، في إفحام خصومه وتفنيد حججهم، بدقة وتكثيف وإيجاز؛ نظرا للظرف العصيب ألذي أحاط به بعد استشهاد والده (عليه السلام) ولشراسة أعدائه من الأمويين وابتعادهم عن الإسلام المحمدي الحنيف .

٤-اتضحت لغة خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) البلاغية في جميع مناحي تعبيره سواءً في الخطاب السياسي أم التعبُّدي أم الوعظي أم الإرشادي.

٥- تمكَنَ الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبه من الإيضاح من خلال قدرته الصوتية واستعمال المحسنات البديعية، التي استثمرها في هذا الجانب متمثلةً بالجانب التنغيمي عبر وسائل عديدة من أبرزها : (التكرار الصوتي ، واللفظي ، والجملي) ؛ ليجعل التكرار وسيلة لترسيخ الفكرة التي يتحدث عنها .

٦- سخَّر الإمام قدرته البلاغية وسرعة بديهته ومبلغ علمه في كشف زيف إدعاءات خصومه و إظهار الحقائق التي حاول الأعداء التعمية عليها .

٧-وتمخضت قدرته الأدبية في إزالة التعتيم الإعلامي عن شخصيته وإبداء صورتها الحقيقية للناس ليعرفوا معادن الموجودين على الساحة السياسية ؛ فقد استطاعوا التمييز بين الخبيث و الطيب.

٨-صاغ الإمام الحسن آثاره الأدبيّة والتي تنقسم على صنفين هما : (الشعر والنثر) صياغة أدبيّة عاليّة قلّ نظيرها .

٩-الآثار النثريّة التي تمثلت بالرسائل الأدبيّة وظفها الإمام الحسن عليه السلام توظيفاً فعالاً للإبلاغ عن المقصود بالدلالة فهي تمثل قمة الفصاحة والبلاغة .

١٠-احتوت الخطب التي ألقاها الإمام الحسن على آيات من القرآن الكريم والتي كانت تشير الى فضائل آل البيت ومنزلتهم ومناقبهم ومآثرهم الخالدة فضلاً عن الصفات التي ورثوها عن سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله .

الهوامش

١- ينظر : تاريخ مدينة دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي(ت٥٧١هـ) ، ٤/ ١٤٤.

٢- (سورة ال عمران ، الآية ٣٤)

٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي٣٤٦هـ ، ج٣،ص٩

٤- مناقب ال أبي طالب : ٣/ ١٧٨ .

٥- التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ) ،ج٣، ٧١٥.

٦- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت٦٩٤هـ) ، ص١٤٠

٧- شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٨ .

٨- ينظر : المصدر نفسه ١٦/ ١٠

٩- حياة الإمام الحسن ٢/ ٣٠٦.

١٠- جندب بن عبد الله بن الأرقم بن ضب بن مسغب الغامدي أو البجلي تارةَ قاتل مع أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين وشهد النهروان ، وترى بعض المصادر أنه كان رسولاً لأبي محمد الحسن عليه السلام ، ينظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٤٥.

١١- معاني الأخبار:(٢٤٣ – ٢٤٥) ، وتحف العقول ١٥٨ .

١٢- (سورة آل عمران : الآية ٣٤)

١٣- البداية والنهاية : ابن كثير ، ٨/ ١٤٤ .

١٤- بحار الأنوار : ٣٤٢/ ٤٣ .

١٥- تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي ، ١٠٣/ ٢ .

١٦- جنادة بن أبي أمية الأزدي توفي سنة ٨٠ للهجرة ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وقال سكن مصر ، وفي تاريخ ابن الأثير: جنادة بن أبي أمية توفي سنة ٨٠ وكان على غزو البحر أيام معاوية كلها وله صحبة ، وفي المستدرك للحاكم: جنادة بن أبي أمية الأزدي أعيان الشيعة ، محسن الأمين ، ٤/ ٢٢٤ .

١٧- المصدر نفسه : ٣٨/ ١٤٤ .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم .
*أعيان الشيعة : المؤلف: السيد محسن الأمين الجزء: ٩ الوفاة: ١٣٧١هـ ، المجموعة: مصادر التاريخ ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م
*بحار الأنوار لجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، الكاتب: مجلسي، محمد باقر بن محمد تقي حمودي، مكان النشر : طهران ، الناشر: وزارة الارشاد الاسلامي، تاريخ النشر: ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .
*البداية والنهاية : المؤلف: ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، الناشر: مكتبة المعارف بيروت، سنة النشر: ١٤١٠ - ١٩٩٠م .
*تاريخ مدينة دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ت٥٧١هـ، الجزء الرابع ، منشورات : دار الفكر،بيروت،٢٠٠٦م.
***تحف العقول** عن آل الرسول الكاتب ابن شعبة الحسن بن علي الحراني ، مكان النشر النجف الناشر المطبعة الحيدرية ومكتبتها تاريخ النشر ١٩٦٣م.
***تفسير القمي** المؤلف: علي بن إبراهيم الجزائري الموسوي القمي الجزء: الثاني ، الوفاة: (٣٢٩هـ) ، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم : السيد طيب الموسوي، مكان النشر النجف الناشر مكتبة الهدى تاريخ النشر ١٩٦٧.
*التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ت٨٠٤هـ ، الجزء الثالث ، منشورات : دار النوادر، دمشق ١٤٢٩هـ ،
*حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام دراسة وتحليل الجزء الأول. المؤلف: الشيخ باقر شريف القرشي، الطبعة الأولى ، الناشر: دار البلاغة، بيروت-لبنان
*ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت٦٩٤هـ)، دار الكتب المصرية،١٣٥٩هـ ، ص١٤٠
*سير أعلام النبلاء: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، عدد الأجزاء: ١٨
*شرح نهج البلاغة المؤلف: ابن ابي الحديد المعتزلي; الناشر: دار **الكتاب** العربي - دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة: الاولى ٢٠٠٧- التحقيق: محمد ابراهيم.
*مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي (ت : ٣٤٦هـ)، دار الأندلس للطباعة والنشر ، والتوزيع ،بيروت، ١٤١٦هـ، ج ٣، ص ٩
*معاني الأخبار : المؤلف: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ١٩٨٠م
*مناقب ال أبي طالب الكاتب ابن شهراشوب محمد بن علي(ت: ١١٩٢ هـ) ، الجزء الثالث ، مكان النشر : النجف، الناشر : المطبعة الحيدرية، تاريخ النشر: ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م

البنية اللغوية في مناظرات الإمام الحسن عليه السلام

دراسة تحليلية

أ.د. فضيلة عبوسي محسن العامري
كلية الفقه / جامعة الكوفة.

ملخص البحث

من المعروف أن البنية اللغوية تشتمل كل مايندرج في اطار اللغة مما له دلالة من النفي والاستفهام ، والتوكيد، والعدول ،وحروف العطف، والتصريح والتلميح ، ولمعرفة هذه البنية اللغوية في مناظرات الإمام الحسن عليه السلام ،لابد من التعريف بالمناظرة فهي تعني : ((المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله،وابطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق)) ،وعند التأمل في مناظرات الإمام الحسن عليه السلام نجد أنها لم تقتصر على شخصين بل تضمنت طرفين أحدهما يمثل الإمام الحسن عليه السلام منفردًا ،في حين مثل الطرف الثاني أربعة أشخاص مجتمعين وهم كل من عمرو بن العاص ،والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة من جهة ، وهذا خارج عن المألوف مما يوحي بخوف المناظرين من سرعة البديهة، وقوة الملكة والقدرة التي يمتلكها الإمام الحسن عليه السلام ،وهذا ماجعل الخصم يزداد عددهم خوفًا من قوة شخصية الإمام الحسن عليه السلام،وفوق ذلك كلّه فهم مَن بدأوا المناظرة، والحسن عليه السلام ردّ عليهم أجمعين بالبلاغة، والفصاحة ، والبيان الذي أفحهم على السكوت والهزيمة بشهادة معاوية الذي وجه اللوم لفريقه المناظر، والدعاء عليهم بالنقمة لعدم تصديقهم له بأنهم غير قادرين على مناظرته مما أوقعهم في العار، والهزيمة المعززة بالأدلة ،والبرهين التي تستند الى القرآن الكريم ،والسنة النبوية ،والشعر،والحوادث التاريخية،ومن أجل الوقوف على البنية اللغوية لهذه المناظرات فقد جاء البحث بعنوان (**البنية اللغوية في مناظرات الإمام الحسن عليه السلام دراسة تحليلية**) ، وكانت مشكلة البحث تدور حول الصيغ التركيبية لبنية تلك المناظرات ،وأما فرضية البحث فقد حاولت الإجابة عن بعض الأسئلة منها كيف تمت تلك المناظرات؟ ،وماالأجواء السائدة فيها؟، ومَن هم المناظرون؟، وماسرّ تلك المناظرات؟ ،وماأهدافها؟،وأما المنهج المعتمد عليه في الدراسة فهو المنهج التحليلي، وأما خطة البحث فقد اشتملت على تمهيد ومبحثين ؛ تضمن التمهيد التعريف بالمناظرة في اللغة والاصطلاح ،ولآلئ من سيرة الإمام الحسن عليه السلام،وتناول المبحث الأول كلام المناظرين الأربعة عمرو بن العاص ،والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة من ،و واشتمل المبحث الثاني على ردّ الإمام الحسن عليه السلام عليهم جميعًا،ثم

جاءت الخاتمة مشفوعة بالمصادر ومسبوقة بالهوامش،واعتمدت الدراسة عددًا من المصادر في التاريخ والسيرة واللغة،وكتب التفسير التي ذكرت في مظانها.

وأخيرًا أرجو أن وفقت في بيان ومضة من نور الحسن عليه السلام وهو يناظر الخادعين والمارقين والمناقين،وأثبت للتاريخ كشف زيفهم وعداوتهم البغضاء له ولأبيه عليهما السلام بل لبني هاشم جمعاء.

Abstract

It is known that the linguistic structure includes everything within the framework of the language, including negation, questioning, affirmation, equivalence, conjunctions, declaring and allusion. The debate between two different people, each of them intends to correct his saying, and invalidate the saying of the other, with the desire of each of them for the emergence of the truth. While the second party of the debate represents four people together, namely Amr bin Al-Aas, Al-Waleed bin Uqbah, Utbah bin Abi Sufyan bin Harb, and Al-Mughirah bin Shuba on the one hand . There is a sensed of fear of the debaters from the ability possessed by Imam Hassan that makes the opponents increase . Then all of them defeated by the Imam Al-Hassan for his augmentative devices and such is based on the testimony of Muawiyah, who blamed his opponents, and prayed for them to be cursed for not believing him that they were unable to debate the imam who cast . As the imam depends mainly upon the Glorious Quran , the traditions of the prophet , poetry, and historical incidents .For these debates, the research came under the title : " Linguistic Structure in the debates of Imam Hassan , (Analytical study), to revolve around the structural formulas of the structure of these debates and to answer some questions, including how did these debates take place? And what is the prevailing atmosphere of it? Who are the debaters? And the reason for those debates? And what are its objectives? As for the research plan, it includes a preface , two chapters and conclusion .

التمهيد

أولًا: المناظرة في اللغة والاصطلاح

المناظرة على زنة مفاعلة تصاغ من الفعل الرباعي المزيد(ناظر) الذي يدل على المشاركة عند الصرفيين ،والجذر اللغوي له الفعل نظر : من النظر بالعين ، أو من النظر بالبصيرة، ، ويتغير معناه بحسب حرف الجر الذي يتعدى به ،وقد يكون النظر بالعين أو النظر بالبصيرة فقد جاء في معجم العين[1] :نَظَرَ إليه ينظرُ نَظَراً، ويجوز التخفيف في المصدر تحمله على لفظ العامّة في المصادر، وتقول: نَظَرتُ إلى كذا وكذا من نَظَر العين ونَظَر القلب.وقوله تعالى: « ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، أي لا يَرحمُهم».

وقد تقول العرب: نَظَرْت لكَ، أي عطفت عليك بما عندي، وقال الله – عزّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾سورة آل عمران/ ٧٧ ، ولم يَقُلْ: لا ينظُرُ لهم فيكون بمعنى التَّعطُّف. ورجلٌ نَظُورٌ: لا يغفَلُ عن النظر إلى ما أَهَمَّه، واشتريته بنَظِرةٍ أي بانتظار، وقوله – جلَّ وعزَّ –﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة/ ٢٨٠ ، أي إِنظار.والمناظَرَة: أن تُناظِرَ أخاكَ في أمرٍ إذا نَظَرْتُما في مَعاً كيف تَأْتيانِه؟، والمعنى الأخير قريب من المعنى الاصطلاحي.

فالمناظرة اصطلاحًا هي : هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب[2]،وفرق الكفوي بين المناظرة والمجادلة ،بأن الأولى قد تكون مع نفس الانسان،والمجادلة مع الخصم في مسألة علمية إذ قال : ((المناظرة هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب وقد يكون مع نفسه والمجادلة هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسدا أو لا وإذا علم بفساد كلامه وصحة كلام خصمه فنازعه فهي المكابرة ومع عدم العلم بكلامه وكلام صاحبه فنازعه فهي المعاندة))[3]، وعرفت بأنها : ((المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله ،وابطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق))[4]، والمناظرة بوصفها فناً فأن موضوعها الأبحاث الكلية المشتملة على الأبحاث الجزئية من حيث إنها

موجهة مقبولة ،أو غير موجهة ولا مقبولة؛ فالأبحاث الكلية: كالمناقضة والنقض والمعارضة الكليات،والأبحاث الجزئية المندرجة تحت هذه :كمعارضة دليل بعينه ،وكنقض دليل خاص(٥)، وذكر أبو هلال العسكري(٦) أن المخاصمة والمجادلة والمناظرة هي نظائر،وإن كان بينها فرق؛ فإن المجادلة: هي المخاصمة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين.والمخاصمة: منازعة المخالفة بين اثنين على وجه الغلظة.والمناظرة: ما يقع بين النظيرين.

ثانياً:شذرات من حياة الإمام الحسن عليه السلام

لقد ولد الإمام الحسن عليه الصلاة والسلام في حياة جده الرّسول الأكرم، محمد صلى الله عليه وآله، في النصف من شهر رمضان المبارك، من السنة الثالثة للهجرة النبوية، على المشهور.. وعاش في كنف جده المصطفى صلى الله عليه وآله سبع سنوات من عمره الشريف، وكانت تلك السنوات على قلتها، كافية لأن تجعل منه الصورة المصغرة عن شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، حتى ليصبح جديراً بذلك الوسام العظيم، الذي حباه به جده، حينما قال له حسبما روي:((أشبهت خلْقي وَخُلُقي)) (٧)،ونقل عن المحقق العلامة الأحمدي قوله أضف إلى ذلك ما لصحبة العظماء من الأثر الروحي على الإنسان، فمن عاشر كبيراً، وصاحب عظيماً، فيشرق عليه من نوره، ويلفح عليه من عطره المعنوي ما تَغْنى به نفسه، وتسمو به ذاته.. وقد ألمحت الأحاديث الكثيرة الورادة في العِشْرة، واختيار الصديق إلى هذا فقد روي أن فاطمة عليها السلام أتت بابنيها الحسن و الحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواها التي توفي فيها فقال يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا فقال أما الحسن فله هيبتي و سؤددي و أما الحسين فله جرأتي و جودي(٨)

والإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو أحد أهل البيت المطهّرين من الرجس بلا ريب، بل هو ابن رسول الله بنصِّ آية المباهلة التي جاءت في حادثة المباهلة مع نصارى نجران، وقد خلّد القرآن الكريم هذا الحدث في سورة آل عمران في الآية ٦١ قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾،وروى جمهور المحدِّثين بطرق مستفيضة أنّها نزلت في أهل البيت عليهم السلام وهم: رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، والأبناء هنا هما الحسنان بلا ريب .

وتضمّن هذا الحدث تصريحاً من الرسول (صلى الله عليه وآله) بأنّهم خير أهل الأرض وأكرمهم على الله، ولهذا فهو يباهل بهم، واعترف أسقف نجران أيضاً قائلاً : ((يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه الصلاة والسلام : والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم عليهم الوادي نارا ولأستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر)) وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته[٩]، وتظهر دلالتا الآية والقصة على عظيم منزلتهم وسموّ مكانتهم وأفضليتهم، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله ورسوله، وأنّهم لا يدانيهم في فضلهم أحد من العالمين[١٠] .

المبحث الأول

البنية اللغوية في حوار المناظرين

أجواء المناظرة

ذكر ابن أبي الحديد[11]أن هذه المناظرة كانت في مجلس معاوية واجتمع عنده عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي عليه السلام قوارص، وبلغه عنهم مثل ذلك، فقالوا (لمعاوية): يا أمير المؤمنين إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصدق، وأمر فأطيع، وخفقت له النعال، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا. قال معاوية: فما تريدون ؟ قالوا: ابعث إليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيره ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئا.

١-التوكيد بـ (إن)[12]، وتكرار النفي بـ (لا)[13] جاء ذلك في رد معاوية على أصحابه مما يكشف خوف الأعداء من المناظر لهم ،ويدل على قوة شخصيته مما حدا بهم التخوف منه قبل مناظرته والجدل مع اصحابه حين اشاروا عليه بدعوة الإمام الحسن عليه السلام والتناظر معه ورفضه لذلك قائلًا: ((إني لا أرى ذلك ولا أفعله))، ثم جاء عزم القوم بالقسم (لتفعلن) بعقد المناظرة إذ قالوا: ((عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن))

٢- التهديد الصريح والنهي والقسم

اجمتع لفظ التهديد الصريح بـ (ويحكم) والنهي بـ (لا) يخلص الفعل المضارع للاستقبال[14]، والقسم الذي يوحي بالتعجب[15]، فقال: ((ويحكم لا تفعلوا ! فو الله ما رأيته قط جالسا عندي إلا خفت مقامه وعيبه لي))[16]

٣- فعل الأمر (ابعث) الذي يدل على الطلب [17] جاء في قول اصحابه حين ((قالوا: ابعث إليه على كل حال. قال: إن بعثت إليه لانصفنه منكم.)) [18]، وجوابه لهم بـ (إن) الشرطية التي تشتمل على فعل الشرط (بعثت) وجوابه المضارع المقترن بـ (اللام) لانصفنه) لتأكيد ماتؤول إليه المناظرة مع الإمام الحسن عليه السلام من خسارتهم[19].

٤-الاستفهام بالهمزة التي تفيد التصور والتصديق، فقد جاء في كتاب (الجنى الداني في

حروف المعاني) ،وهي أصل أدوات الاستفهام[٢٠]فقال عمرو بن العاص: ((أتخشى أن يأتي باطله على حقنا، أو يربى قوله عليه قولنا ؟)) قال معاوية: ((أما إني إن بعثت إليه لامرنه أن يتكلم بلسانه كله، قالوا: مره بذلك. قال: أما إذ عصيتموني، وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يلصق بهم العار)) [٢١]

٥- الاستدراك بـ (لكن) ويصحبها معنى التوكيد دائماً[٢٢] لبيان الخديعة التي يستعملها الخصم مع الإمام الحسن عليه السلام إذ قال ((ولكن اقذفوه بحجره، تقولون له: إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله))[٢٣].

٦-جواب الإمام الحسن عليه السلام في الاستفهام عن الحضور بـ(مَن)[٢٤]في مجلس معاوية بعد أن وصل اليه رسول الخصم فذكرهم باسمائهم إذ قال له : إن أمير المؤمنين يدعوك. قال: مَن عنده ؟ فسماهم له))[٢٥]

٧-التضمين[٢٦]من القرآن الكريم حين قال الحسن عليه السلام: ((ما لهم خر عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)) فهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ النحل/ ٢٦ ،

٨-النداء بـ (يا) للتنبيه[٢٧]مع الدعاء بـ (اللهم)[٢٨] في قول الإمام الحسن عليه السلام ((يا جارية، ابغيني ثيابي، اللهم إني اعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك من نحورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأنى شئت، بحول منك وقوة، يا أرحم الراحمين))[٢٩].

٩-استعمال الفعل المزيد بالهمزة للتعدية للدلالة على أن الفاعل قد صار صاحب، ما اشتق منه الفعل[٣٠]بصيغة(أفعل) المسندة الى ضمير الغائب لبيان مكانة الإمام الحسن عليه السلام إذ (اعظمه وأكرمه وأجلسه) فقد اجتمع في هذه الحوارية التي وقعت من معاوية عند دخول الإمام الحسن عليه السلام، فلما دخل على معاوية، أعظمه وأكرمه، وأجلسه إلى جانبه، وقد ارتاد القوم، وخطروا خطران الفحول، بغيا في أنفسهم وعلوا [٣١]

١٠-النداء باستعمال الكنية تعظيماً[٣٢] للامام عليه السلام أو التظاهر بالتعظيم له أمام الحاضرين،وعصيان الآخرين له الذين أشار اليهم قائلًا: ((يا أبا محمد، إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني))[٣٣].

١١-التعجب بـ (سبحان الله) وهو نوع من التعجب السماعي الذي يدل على المتعجب منه بالقرينة لا بالوضع[٣٤] في وصف معاوية لأصحابه بالعصيان إذ قال له الحسن عليه السلام:((سبحان الله، الدار دارك، والاذن فيها إليك، والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم، إني لاستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على رأيك، إني لاستحيي لك من الضعف، فأيتهما تقرر، وأيهما تنكر، أما إني لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب، ومالي أن أكون مستوحشا منك ولا منهم، إن وليي الله، وهو يتولى الصالحين))[٣٥].

١٢-النداء بـ (يا) النداء واسم الاشارة (هذا)[٣٦] مع معرفته بالإمام الحسن عليه السلام محاولًا التقليل من شأن الإمام الحسن عليه السلام مع كونه معروفًا عند الجميع فصار النداء وصفًا له حين قال معاوية: ((يا هذا: إنى كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإن لك منهم النصف ومني، وإنما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما، وأن أباك قتله، فاستمع منهم ثم أجبهم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك))[٣٧].

المبحث الثاني

كلام المناظرين مع الإمام الحسن عليه السلام

١-كلام المناظر الأول عمرو بن العاص[٣٨]

فتكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله، ثم ذكر عليا عليه السلام، فلم يترك شيئا يعيبه به إلا قاله، وقال: إنه شتم أبا بكر وكره خلافته، وامتنع من بيعته، ثم بايعه مكرها، وشرك في دم عمر، وقتل عثمان ظلما، وادعى من الخلافة ما ليس له. ثم ذكر الفتنة يعيره بها، وأضاف إليه مساوئ، وقال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحل، ثم إنك يا حسن، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش، يسخر منك ويهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنما دعوناك لنسبك وأباك فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ؟ فإن كنت ترى أنا كذبنا في شئ فاردده علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان[٣٩].

٢-كلام المناظر الثاني الوليد بن عقبة

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان بن عفان لأمه[٤٠]، فقال: يا بني هاشم، إنكم كنتم أخوال عثمان، فنعم الولد كان لكم، فعرف حقكم، وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم، فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظلما، لا عذر له ولا حجة، فكيف ترون الله طلب بدمه، وأنزلكم منزلتكم، والله إن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، وإن معاوية خير لك من نفسك[٤١].

٣-كلام المناظر الثالث عتبة بن أبي سفيان

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية أخو معاوية بن أبي سفيان بن حرب،و يكنى أبا الوليد ولاه عمر بن الخطاب الطائف وصدقاتها ثم ولاه معاوية مصر حين مات عمرو بن العاص فأقام عليها سنة[٤٢]، فقال: يا حسن، كان أبوك شر قريش لقريش، أسفكها

لدمائها، وأقطعها لارحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وإنك ممن قتل عثمان،ونحن قاتلوك به، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا، ولا في ميراثها راجحا،وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان، وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه، وأما أنت، فو الله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان(٤٣).

٤-كلام المناظر الرابع المغيرة بن شعبة

ثم تكلم المغيرة بن شعبة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف. وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو ، ويكنى المغيرة بن شعبة أبا عبد الله، وكان يقال له مغيرة الرأي، وكان داهية لا يشتجر في صدره أمران إلا وجد في أحدهما مخرجًا، فشتم عليا، وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان، ثم سكتوا(٤٤)، ومما يلاحظ عليه بدء الكلام بالسب والشتم مما يعكس الخلق الذي كان عليه المغيرة وضعف شخصيته أمام شخص الإمام الحسن (عليه السلام) على الرغم من وصف التاريخ له بالداهية ، فهو داهية بالنفاق والشقاق.

المبحث الثالث

البنية اللغوية في رد الإمام الحسن عليه السلام على المناظرين

قبل الغوص في رد الإمام الحسن عليه السلام يظهر لمن يدقق النظر مدى الحقد والكراهية التي تحمد في قلوب المناظرين فقد تنوعت أقوالهم وكلها تصب في بودق واحد يعكس الرذيلة والعداوة البغضاء للامام علي عليه السلام ،فقد بدأ عمرو بن العاص بحمد الله وصلى على رسوله ،وهو يناقض نفسه بهذه الصلوات حين اتهم الإمام علي عليه السلام بقتل عثمان وانه ادعى الخلافة،وكلهم يعلمون أن الرسول صلى الله عليه وآله هو من بين الولاية بعده لعلي بن أبي طالب في غدير خم على مرأى ومسمع الجميع وبشهادة الخلفاء أنفسهم حين قال عمر بن الخطاب مهنئًا له ((بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)) [٤٥]،بعد قول الرسول صلى الله عليه وآله: ((اللهم وال من والاه ،وعاد من عاداه ،وانصر من نصره،واخذل من خذل)) [٤٦]،ونزل قوله تعالى : ﴿اليومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأتمَمتُ عَليكُمْ نِعمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإسلامَ ديناً﴾ سورة المائدة/ ٣، ثم جاء قول المناظر الثاني الذي يذكر بقرب عثمان من علي عليه السلام،وانه نعم الصهر لبني هاشم ونعم الولد ثم توجيه التهمة لهم بالحسد لعثمان وقتله ظلمًا من قبل أبي الحسن عليه السلام على حد تعبيره بقوله : ((فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظلما، ثم عقد التفضيل بين بني امية وبني هاشم مفضلًا بني امية ومعاوية عليهم بالقسم على ذلك: ((والله إن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، وإن معاوية خير لك من نفسك)) [٤٧]، وجار كلام المناظر الثالث عتبة بن أبي سفيان ليس بعيدًا عن كلام سابقيه في البذاءة والسب والشتم وتوجيه التهمة للحسن عليه السلام هذه المرة بقتل عثمان وأنهم قاتلوه به ،وأنه لايستحق الخلافة وليس وارثًا لها ثم عاد لتجديد التهمة لبني هاشم بقتل عثمان،مصرحًا باسم الحسن عليه السلام وواصفًا عليًا عليه السلام بشر وصف يليق بالمتكلم نفسه،وبعيدًا عن الموصوف بعد السماء عن الأرض بقوله: ((يا حسن، كان أبوك شر قريش لقريش، أسفكها لدمائها، وأقطعها لارحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وإنك ممن قتل عثمان، ونحن قاتلوك به، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا، ولا في ميراثها راجحا، وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان)) [٤٨]،ثم جاء المناظر الرابع مصرحًا بالشتم، ثم ناقض نفسه بالقسم على عدالة علي عليه السلام ،والعدول

عن ذلك الوصف بتجديد التهمة له عليه السلام بقتل عثمان ، اذ نقل عنه ذلك ((فشتم عليا، وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان، ثم سكتوا))[٤٩]، ثم سكت المناظرون بعد أن أدلى كل بما عنده من السب والشتم والتهم الباطلة التي تفتقر الى الدليل ،والتي قامت على العدوان واالحقد والضغينة،فنراهم قد أخلوا بالحوار ،وناقضوا أنفسهم بأنفسهم ،بوصف علي عليه السلام بالعدل في الحكم والبعد عن الخيانة ثم بعد ذلك توجيه التهمة له بقتل عثمان وهذه مفارقة عجيبة تفصح عن مدى التعسف والظلم الذي ناله أهل البيت عليهم السلام من بني أمية،مع علمهم بمنزلة أهل البيت عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله عامة ومن علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة فهو المخصوص ببيعة الغدير وهو صاحب الولاية ،وهو من نزل في حقه قوله تعالى : ﴿اليومَ أكملْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأتممتُ عَليكُمْ نِعمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإسلامَ ديناً﴾سورة المائدة/ ٣،فأمر الإمامة من تمام الدين[٥٠]،،وهو من نزلت فيه سورة الانسان،ومن نزلت فيه آية المباهلة،وآية التطهير وغيرها من النصوص القرآنية ،والروايات المتعددة من المصادر المهمة على وفق المذاهب المختلفة.

بعد هذا الاستعراض لكلام المناظرين جاء رد الإمام الحسن عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله، ثم قال:

١-الخطاب المباشر في التصريح باسم معاوية والعدول في الخطاب من الجمع الغائب (شتموني) الى المفرد المخاطب (شتمتني) ؛للدلالة على مكر وخديعة معاوية ،وأن مايجري معه من فعله وتدبيره،وسوء رأيه وخلق وبغي عرف فيه بالعداوة والبغضاء لمحمد وآل محمد عليهم السلام،ومن ثم العدول في فعل الأمر من المفرد (اسمع) الى الجمع (اسمعوا) الذي يدل على الوجوب والأمر بطلب الاستماع والاصغاء لقوله الذي سيقوله فيك وفيهم التي فيها عدول من المخاطب المفرد (فيك) الى الجمع الغائب (فيهم)،والى الجمع المخاطب (فيكم) للتأكيد على تخصيصهم بالخطاب دون غيرهم في ردّه عليه السلام: ((أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشا ألفته وسوء رأي عرفت به، وخلقا سيئا ثبت عليه، وبغيا علينا، عداوة منك لمحمد وأهله،ولكن اسمع يا معاوية، واسمعوا فلا قولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم)).

٢- تكرار الاستفهام بالهمزة الداخلة على القسم الصريح بلفظ الجلالة (أنشدكم الله)

أي استحلفك بالله[٥١]،ومن ثم عقد مقارنة بين مَن شتموه بالضمير الغائب لبيان مكانته عند الله تعالى فالمدح في الغيب أبلغ منه في الحضور بأنه صلى القبلتين ، ومن ثم العدول بالخطاب المباشر لمعاوية (وأنت معاوية) كافر بالقبلتين وتعبد اللات والعزى غواية في ردّه ﵇:((أنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم، صلى القبلتين كلتيهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية !))[٥٢].

٣- تكرار القسم الصريح بلفظ الجلالة مع الاستفهام بـ (هل) للجميع (تعلمون) فعل مضارع من الافعال الخمسة ومن ثم التأكيد على بيان الصفات التي امتاز بها الإمام علي ﵇ ولكن ليس تصريحًا باسمه بل بضمير الغائب (بأنه) بايع البيعتين ،ومن ثم التفصيل في بيان البيعتين وهما الفتح والرضوان فالاولى كفر بها معاوية ،والثانية نكثها، ثم تكرار القسم الصريح بالعطف على الأول (وأنشدكم الله) والاستفهام بـ (هل تعلمون) ،وعقد المقارنة بين الغائب (أنه)،و المخاطب (أنك يامعاوية وأباك) ؛لكشف ماوصف بهما من سمات الكفر ،والنفاق، وعدم صفاء نيتهم فهم يستمالون بالأموال كناية عن ضعف الايمان والنفاق في قوله ﵇:((وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحدهما كافر، وبالاخرى ناكث ! وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر، وتظهرون الاسلام، وتستمالون بالاموال !))[٥٣].

٤- تكرار الحلف لبيان الفرق بين الرايتين المحمولتين راية رسول الله ﷺ يحملها علي بن أبي طالب ﵇ في بدر ،وراية الشرك يحملها معاوية وأبيه ، ومن ثم ذكر معركة أحد والأحزاب ،والراية (معه) يعني علي ﵇،و جاء بضمير الخطاب الكاف (معك ومع أبيك) لمعاوية للتقليل من شأنه أمام الحاضرين والكشف عن كفره ونفاقه السابق ،وتاريخه الحافل بالمخازي ،وأن تاريخ علي ﵇ مشرف ورسول الله ﷺ عنه راضٍ، وعنك يا معاوية وأبيك ساخط ،وشتان مابين الرضا والسخط في ردّه ﵇: ((وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله ﷺ يوم بدر، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الاحزاب، ومعه راية رسول الله ﷺ، ومعك ومع أبيك راية الشرك،

وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته وينصر دعوته، ويصدق حديثه، ورسول الله ﷺ في تلك المواطن كلها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط !))[٥٤].

٥- تكرار الحلف الصريح والاستفهام بالهمزة والخطاب المباشر لمعاوية (أتذكر) ومن ثم التفصيل بالحادثة التي تحكي قصة الجمل المركوب من قبل الأب أبي سفيان، والسائق معاوية ،والقائد عتبة ،ومن ثم اجمال ذلك في التضمين لحديث الرسول ﷺ في ردّه عليه السلام:

((وأنشدك الله يا معاوية، أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر، وأنت تسوقه، وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله ﷺ، فقال: « اللهم العن الراكب والقائد والسائق !))[٥٥]

٦- التضمين من الشعر مع الاستفهام بالهمزة ،ثم العودة الى القسم الصريح بلفظ الجلالة لبيان أن المخفي من العيوب أكبر مما ذكره الإمام الحسن عليه السلام في ردّه: ((أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبه إلى أبيك لما هم أن يسلم، تنهاه عن ذلك:

يا صَخْرُ لا تُسْلِمَنْ يوماً فتفضَحَنا
بعد الذين بِبَدْرٍ أصبَحُوا فِرَقا
خَالي وعَمّي وعَمُّ الأمّ ثالِثُهُمْ
وحَنْظَلُ الخيرِ قد أهدى لي الأَرَقَا
لا تَرْكَنَنَّ إلى أَمْرٍ تُكَلّفُنا
والراقصاتِ به في مكّةَ الخُرُقا
فالموتُ أهونُ من قَولِ العداةِ لَقَدْ
حَادَ ابنُ حَرْبٍ عن العُزّى إذاً فَرَقا))[٥٦]

ثم قال الإمام الحسن عليه السلام : ((والله لما اخفيت من أمرك أكبر مما أبديت))[٥٧].

وعلق الشيخ علي الكوراني قائلًا : ((على أنا لا نقبل أصل وجود معاوية مع النبي صلى الله عليه وآله في حرب حنين! فقد ورد في مناظرة الإمام الحسن عليه السلام أن معاوية عندما بلغه فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة واستسلام أبي سفيان والمشركين وإعلانهم الإسلام، أرسل إلى أبيه أبياتا يستنكر إسلامه! ومعناه أنه كان غائبا عن مكة!))(٥٨)

٧- الاقتباس من القرآن الكريم بالتذكير في مناقي علي بن أبي طالب عليه السلام في تحريم الشهوات على نفسه فأنزلت في حقه (لاتحرموا طيبات...)،وهو الذي فتح باب خيبر كناية عن قوته عليه السلام بعد أن هزموا أكابر الصحابة من قبل بني قريظة،وتحقق النصر على يده وهو يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء في ردّه عليه السلام مسبوقًا بالقسم الصريح مخاطبًا الرهط الحاضرين لشد انتباههم ولفت انتباههم الى الفوارق الكبيرة بينهما بالدليل القرآني الذي لايقبل الرد أو الشك: ((وأنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل فيه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾سورة المائدة/ ٨٧، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث عليا بالراية، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها !))(٥٩).

٨- الرواية التاريخية التي تذكر دعاء الرسول صلى الله عليه وآله على معاوية بالجوع فهو يأكل ولن يشبع ونهم بالأكل حتى مات ،وجاء ذلك كلّه بالخطاب المباشر بـ (يا) النداء مع تخصيص الاسم (معاوية) في قوله عليه السلام: ((ثم قال: يا معاوية أظنك لا تعلم أني أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد أن يكتب كتابا إلى بني خزيمة، فبعث إليك (ابن عباس، فوجدك تأكل، ثم بعثه إليك مرة أخرى فوجدك تأكل، فدعا عليك الرسول بجوعك ونهمك إلى أن تموت))(٦٠)

٩- العدول من استحلاف المفرد وخطابه الى خطاب الجمع(واستحلافهم) لبيان مكانة معاوية من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه ملعون في سبعة مواطن ذاكرًا التفصيل فيها حتى يكون الجميع على بينة بما يتصف به معاوية عند رسول الله وسرّ اللعن الذي صرح به في حقّه رادًا على معاوية ما زعمه أمام الرهط قائلًا: ((وأنتم أيها الرهط: نشدتكم الله، ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها: أولها: يوم لقى رسول الله صلى الله عليه وآله خارجا من مكة إلى الطائف، يدعو ثقيفا إلى الدين، فوقع به وسبه وسفهه وشتمه

وكذبه وتوعده، وهم أن يبطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه. والثانية يوم العير، إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جائية من الشام، فطردها أبو سفيان، وساحل بها، فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لاجلها. والثالثة يوم أحد، حيث وقعت تحت الجبل، ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه، وهو ينادي: هبل ! مرارا، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات، ولعنه المسلمون ،والرابعة يوم جاء بالاحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله وابتهل، والخامسة يوم جاء أبو سفيان فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله، ذلك يوم الحديبية، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان، ولعن القادة والاتباع، وقال: « ملعونون كلهم، وليس فيهم من يؤمن »، فقيل: يا رسول الله، أفما يرجى الاسلام لاحد منهم فكيف باللعنة ؟ فقال: « لا تصيب اللعنة أحدا من الاتباع، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد ». والسادسة يوم الجمل الاحمر. والسابعة يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته، وكانوا اثنى عشر رجلا، منهم أبو سفيان، فهذا لك يا معاوية))[٦١]. ثم خصصت هذه اللعائن بمعاوية مشيرًا إليه باسم الاشارة المفرد وكاف الخطاب للتخصيص به دون غيره من المناظرين قائلًا (فهذا لك يامعاوية). وهذا نوع من القدرة البلاغية التي تعكس قدرته على التحول في الخطاب الى مناظرة شخص آخر وهو ابن العاص كما سيأتي.

ردّ الإمام الحسن عليه السلام على عمرو بن العاص

١- ثم توجه الإمام الحسن عليه السلام في الرد على ابن العاص بالخطاب المباشر المصرّح به باسمه وضمير المخاطب المنفصل للتخصيص، في بيان نسبه المجهول مما يدل على العُهرِ والسفاح الذي نشأ فيه ،وأن ابن العاص هو شانئ على حد قوله : أنا شانئ محمد الأبتر فجاء الرد من القرآن عليه ، وقد سبق ذلك حرف الشرط والتفصيل الذي أقترن جوابه بالفاء في ردّه عليه السلام: ((٠٠٠ وأما أنت يابن العاص، فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولا، من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزارها الأمهم حسباً وأخبثهم منصبا، ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الابتر فأنزل الله فيه ما أنزل))[٦٢].

٢-ثم بيّن عليه السلام مواقفه الدنيئة من رسول الله صلى الله عليه وآله من التقاتل معه ،والهجاء ،والايذاء

والعداوة والكيد له في ردّه عليه السلام : ((وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكة وكدته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكذيبا وعداوة)).

٣- ثم فصّل القول في بيان مواقفه معززًا ذلك بالحوادث التاريخية التي تحكي قصته مع النجاشي للاطاحة بجعفر وأصحابه والاتيان به الى أهل مكة لكن الله أرجعه خائبًا،وصار كاذباً واشيًا على صاحبة عمارة بن الوليد لما ارتكبه مع حليلته ،ففضحهما الله معًا هو وصاحبه ، فهو عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام ،ونلحظ دقة التعبير في استعمال حرف العطف ثم الذي يدل على الترتيب والتراخي في ردّه عليه السلام : ((... ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة، لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائبا، وأكذبك واشيا، جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي، حسدا لما ارتكب مع حليلتك، ففضحك الله وفضح صاحبك. فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام))

٤- استعمل عليه السلام الدليل القاطع في التضمين من الشعر(٦٣) الذي هجا به ابن العاص رسول الله صلى الله عليه وآله لفضح موقفه العدائي للرسول صلى الله عليه وآله ،ورد عليه الرسول باللعن عليه من الله تعالى بكل حرف هجاه حين ردّ عليه الحسن عليه السلام بقوله: ((...ثم إنك تعلم، وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتا من الشعر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله « اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة «، فعليك إذا من الله ما لا يحصى من اللعن!))(٦٤) ،ثم التفت الى ابن العاص وخصصه بالخطاب بالتصريح باسمه مسبوقة بكلمة (ويح) التي تقال في الترحم والتوجع(٦٥) ،وأعقبها بالاستفهام الانكاري بالهمزة الذي خرج لغرض التعجب من كذبه وخديعته مع أنه هو الناشد شعرًا يحكي غدره وخيانته كما جاء في رد الإمام الحسن عليه السلام ((ويحك يا ابن العاص ! ألست القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي(٦٦):

تقول ابنتي أين هذا الرحيل وما السير مني بمستنكر

فقلت: ذريني فإني امرؤ أريد النجاشي في جعفر

لاكويه عنده كية أقيم بها نخوة الاصعر

وشانئ أحمد من بينهم وأقولهم فيه بالمنكر

وأجرى إلى عتبة جاهدا ولو كان كالذهب الاحمر

ولا انثني عن بني هاشم وما اسطعت في الغيب والمحضر

هذا دليل على كذب ما اختلقه حفاظ بني أمية ظلما وعدوانا

فإن قبل العتب مني له وإلا لويت له مشقري

فهذا جوابك، هل سمعته !))(٦٧).

٥-رد الحسن عليه السلام بالحوادث التاريخية التي نثبت بأنه من المبغضين لعثمان فهو لم ينصره حيًا ولم يغضب عليه مقتولًا بل حبس نفسه لمعاوية وباع دينه بدنياه ،ومن هنا فضح أمره في مايتعلق بتهمة الحسن وأبيه عليهما السلام بقتل عثمان قائلًا: ((وأما ما ذكرت من أمر عثمان، فأنت سعرت عليه الدنيا نارا، ثم لحقت بفلسطين، فما أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها، ثم حبست نفسك إلى معاوية، وبعت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ود، وبالله ما نصرت عثمان حيا ولا غضبت له مقتولا))(٦٨)

رد الإمام الحسن عليه السلام على الوليد بن المغيرة

ثم توجه الإمام الحسن عليه السلام بالرد على الوليد بن المغيرة وقد امتاز الرد بما يأتي:

١-الاقتباس من القرآن الكريم في اثبات السمات الذميمة التي تميز فيها الوليد بن المغيرة وهي كثيرة ولكن أهمها ماذكر في القرآن وهو الفسق حين نزلت ردًا على تفاخره هو وأبيه بأنهما الأشجع جنانًا ،والأطول لسنًا ، فرد علي عليه السلام بفعل الأمر الذي يدل على الوجوب (اسكت)،ثم استدل بالقرآن الكريم ،والإمام الحسن عليه السلام ذكر الحوار الذي وقع بينهما في مناظرة الوليد بن المغيرة مخاطبً إياه بالضمير المنفصل (أنت) وبالنداء الصريح (يا) النداء واسمه قائلًا عليه السلام: ((وأما أنت يا وليد، فو الله ما ألومك على بغض علي، وقد جلدك ثمانين في الخمر، وقتل أباك بين يدي رسول الله صبرا، وأنت الذي سماه الله الفاسق، وسمى عليا المؤمن، حيث تفاخرتما فقلت له: اسكت يا علي فأنا أشجع منك جنانا، واطول منك لسانا، فقال لك علي: اسكت، يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق. فأنزل الله تعالى في موافقة قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ سورة السجدة/ ١٨، ثم أنزل فيك

على موافقة قوله أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ سورة الحجرات/ ٦))

٢- التضمين من الشعر في بيان فسق الوليد وأبيه على ألسن الشعراء فضلًا على القرآن الكريم حين ردّ عليه السلام: ((ويحك يا وليد ! مهما نسيت، فلا تنس قول الشاعر[٦٩] فيك وفيه:

أنزل الله والكتاب عزيز في علي وفي الوليد قرانا

فتبوى الوليد من ذاك فسقا وعلي مبوأ إيمانا

ليس من كان مؤمنا عرف الله كمن كان فاسقا خوانا

سوف يجزي الوليد خزيًا ونارًا وعلي لاشك يجزى جنانا))[٧٠].

رد الإمام الحسن عليه السلام على عتبة

ثم صرّح الإمام الحسن عليه السلام في مناظرة عتبة بما يأتي:

١-اجتماع القسم والنفي بأن عتبة لايستحق المحاورة معه والاجابة عنه فهو ليس فيه خير يرجى ،ولاعقل ،ولايضر سبه للامام علي عليه السلام فهو معروف بالعداوة والبغضاءله لقتل خاله في بدر، وشرك حمزة في قتل جده عتبة و أخيه حنظلة ،وأما وعده للحسن عليه السلام فأولى له أن يقتل اللحياني صاحب الفضيحة المشهورة،فضلًا عن ذلك أيد كلامه بقول نصر بن الحجاج مذكراً إيّاه بفضيحة الأزمان حين قال عليه السلام: ((وأما أنت يا عتبة، فو الله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك، وما عندك خير يرجى، ولا شر يتقى، وما عقلك وعقل أمتك إلا سواء، وما يضر عليا لو سببته على رؤس الاشهاد ! ، وأما وعيدك إياي بالقتل، فهلا قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك ! أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك: يا للرجال وحادث الازمان ولسبة تخزى أبا سفيان نبئت عتبة خانه في عرسه جبس لئيم الاصل من لحيان وبعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه، فكيف يخاف أحد سيفك، ولم يقتل فاضحك ؟ وكيف ألومك على بغض علي، وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر، وشرك حمزة في قتل جدك عتبة، وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد !))[٧١]

رَدُّ الإمام الحسن عليه السلام على المغيرة

ثم توجه الإمام الحسن عليه السلام بالرَّدِ على المغيرة بما يأتي

١- استعمل الإمام الحسن عليه السلام التشبيه التمثيلي الحسي في تشبيه المغير بالبعوضة التي وقفت على النخلة فبقاؤها وطيرانها لايضر شيئًا،أي أن وجود المغيرة وعدمه سواء كناية لفسقه وثبوت حد الزنا عليه فهو ليس بخليق وهذا يكفي لتجاهله وعدم الاهتمام بقوله ،و وردّ الحسن عليه السلام عليه قائلًا: ((وأما أنت يا مغيرة، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه، وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي، فإني طائرة عنك، فقالت النخلة: وهل علمت بك واقعة علي فأعلم بك طائرة عني ! والله ما نشعر بعداوتك إيانا ولا اغتممنا إذ علمنا بها، ولا يشق علينا كلامُك وإن حد الله في الزنا لثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقا الله سائله عنه. ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله: هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال: « لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا » لعلمه بأنك زان ! !))(٧٢)

٢- **الاقتباس من القرآن الكريم في الرد على فخرهم بالإمارة فهي مدمرة بفسوق مترفيها كما جاء في قوله عليه السلام:** ((وأما فخركم علينا بالامارة فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١٦ / الاسراء).))(٧٣)

وبهذه الآية انهى الإمام الحسن عليه السلام المناظرة معهم .**ثم قام الحسن فنفض ثوبه وانصرف.**

نهاية المطاف

وفي نهاية المناظرة انقلب السحر على الساحر فأراد عمرو بن العاص أن يقيم حد القذف على الإمام الحسن عليه السلام ،و أن يستر على فضائحه فتعلق بثوب الإمام الحسن عليه السلام مطالبًا معاوية بأخذ حقه ،واقامة حد القذف عليه قائلًا ((: يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله في وقذفه أمي بالزنا، وأنا مطالب له بحد القذف)) ،ولكن كان الرد حاسمًا بالدعاء عليه (لاجزاك الله خيرًا)، ثم اللوم عليهم بأنه نهاهم عن ذلك وانهم عصوه ،ثم التصريح بفضيحة الله لهم والخزي والعار الذي لحقهم من مناظرة الإمام الحسن عليه السلام حين قال معاوية لعمرو عندما تعلق بثوب الإمام الحسن عليه السلام : ((خل عنه لا جزاك الله خيرا. فتركه (عمرو). فقال معاوية: قد أنبأتكم ممن لا تطاق عارضته ونهيتكم أن تسبوه فعصيتموني

والله ما قام حتى أظلم علي البيت قوموا عني فقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم، وعدولكم عن رأي الناصح المشفق)) (٧٤)

الخاتمة ونتائج البحث

١-قوة وفصاحة وبلاغة التعبير عند الإمام الحسن عليه السلام،فقد جمعت مناظراته بين الاقتباس من القرآن الكريم ، والتضمين من الحديث النبوي الشريف ،ومن الشعر، فضلًا على ذلك سرد عدداً من الحوادث التاريخية التي وثقها كلام العرب من الشعر ، مما زاد في قوة الاحتجاج والرّد عليهم،واخرصهم عن التعبير، واقرارهم بالهزيمة على لسان معاوية أميرهم كما يدعون هم.

٢-عدم التكافؤ العددي في أجواء المناظرة،فالمعروف أن تكون المناظرة بين شخصين في الغالب للمناقشة والحوار والرد ،ولكن مامرّ علينا أنها جرت بين أربعة وهم كل من عمرو بن العاص ،والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة من جهة ،وبين شخص واحد هو الإمام الحسن عليه السلام.وهذا خارج عن المألوف مما يوحي بخوف المناظرين من سرعة البديهة وقوة الملكة والقدرة التي يمتلكها الإمام الحسن عليه السلام ،وهذا ماجعل الخصم يزداد عددهم خوفًا من قوة شخصية الإمام الحسن عليه السلام،وفوق ذلك هم من بدأوا المناظرة، والحسن عليه السلام ردّ عليهم أجمعين بالبلاغة والفصاحة والبيان التي أفحمهم على السكوت والهزيمة بشهادة معاوية الذي وجه اللوم لهم والدعاء عليهم بالنقمة لعدم تصديقهم له بعدم قدرتهم على واجهته مما أوقعهم في العار والهزيمة المعززة بالأدلة والبرهين.

٣-لاحظنا أن الإمام الحسن عليه السلام يتمتع باسلوب لغوي بليغ جمع بين بنية النداء والاستفهام،والأمر والنهي والنفي، والتصريح حينًا ،والتلميح حينًا آخر،والعدول بحسب مايقتضيه المقام.

٤- حسن التنسيق والترتيب والانتقال في المناظرة عند الردّ عليهم بما يناسب كلّ واحد منهم على الرغم من عدم التكافؤ العددي بينهم وبين الحسن عليه السلام.

٥- الخلق الرفيع الذي انماز به الإمام الحسن عليه السلام فهو كريم أهل البيت عليهم السلام ،وقد تجلّى ذلك واضحًا في الرد على المناظرين الذين اتسمت عباراتهم بالشتم والسب والمطالبة بقتل الإمام الحسن عليه السلام والاقتصاص منه من غير دليل يستندون إليه في مناظراتهم عدا البذاء والادعاء

الكاذب الذي أدّى بفضيحتهم وهزيمهتم في نهاية المناظرة،وهذا ماتحقق بشهادة معاوية الذي توجه لهم باللوم والدعاء عليهم لعدم اخذهم بنصحه ،ومعرفة الهزيمة التي سوف تلحق بهم من جراء مناظرة الإمام الحسن عليه السلام.

٦- تضمنت مناظرات الإمام الحسن عليه السلام الاقتباس من القرآن الكريم،والتضمين من الحديث النبوي ،والشعر الذي في كثير منه عكس سيرتهم التي ملؤها الخيانة والغدر والرذيلة في حين خلت مناظراتهم من أي دليل عدا الكلام البذيء المعزز بالشتم والسب والمطالبة بالقصاص غير العادل لدم عثمان.

٧-كشفت المناظرة معهم عن زيفهم، وخداعهم، ومكرهم ،ونفاقهم في الدفاع عن دم عثمان كما يدعون هم.

٨-انتصر الحق في هذه المناظرة وهو الحسن عليه السلام على الباطل وهو معاوية وأعوانه بشهادة الحاضرين والمناظرين له.

الهوامش

١-معجم العين،الفراهيدي: ٢/ ١٤٦
٢-التعريفات ،الجرجاني: ٧٦
٣ الكليات ، الكفوي: ١٣٦٩
٤-آداب البحث والمناظرة،محمد الأمين الشنقيطي: ١٣٩
٥-ينظر: آداب البحث والمناظرة،محمد الأمين الشنقيطي: ١٤١
٦-معجم الفروق اللغوية،أبو هلال العسكري: ٤٨٨
٧-ينظر:الحياة السياسية للإمام الحسن ﷺ ،جعفر مرتضى الحسيني العاملي:٣/ ٢
٨- ينظر: كشف الغمة، المحقق الاربلي: ٢/ ١٧،حياة الإمام الحسن ﷺدراسة وتحليل،باقر شريف القرشي:٣٥١، الحياة السياسية للأمام الحسن ﷺ
٩-ينظر:الكشاف،الزمخشري:١/ ١٨٣، تفسير البيضاوي،البيضاوي:١/ ٤٦،تفسير البغوي:١/ ٤٨
١٠-ينظر:أعلام الهداية،لجنة من المؤلفين: ٤/ ١٤
١١-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ﷺ،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩
١٢-ينظر: كتاب سيبويه،سيبويه:١/ ٢٢٢
١٣-ينظر: الجتى الداني في حروف المعاني،المرادي: ٤٩
١٤-ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني،المرادي: ٥٠
١٥-ينظر: المقتضب ،المبرد: ١٣٣
١٦-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ﷺ،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩
١٧-ينظر: شرح قطر الندى، ابن هشام الأنصاري: ٣٠
١٨-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ﷺ،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩
١٩-ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني،المرادي: ٢٢
٢٠-ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني،المرادي: ٣
٢١-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ﷺ،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩
٢٢-ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني،المرادي: ١٠١
٢٣-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ﷺ،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩
٢٤-ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني، الصبان: ٣٩٢
٢٥-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ﷺ،الباعوني

الدمشقي: ٢/ ٢٨٩

٢٦-ينظر: التعريفات، الجرجاني:١٩

٢٧-ينظر: حروف المعاني،الزجاجي: ١٩

٢٨-ينظر: المقتضب،المبرد: ٢٥٥

٢٩-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩

٣٠-ينظر: شرح ابن عقيل،ابن عقيل: ٢/ ٦٠١

٣١-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩

٣٢-ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني،الصبان: ٢٧١

٣٣-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩

٣٤-ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي: ٤/ ٢٧٨

٣٥-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٢/ ١، وينظر: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٨٩

٣٦-ينظر: كتاب سيبويه،سيبويه:١/ ١٣٩

٣٧-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام) ،الباعوني الدمشقي: ٢/ ٢٩١

٣٨-ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٤/ ٢٥٦ومابعدها؛ للاطلاع على تفاصيل مواقف عمرو بن العاص من الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٣٩-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)، الباعوني الدمشقي : ٢/ ٢٩١

٤٠-ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦/ ٢٤

٤١-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)، الباعوني الدمشقي : ٢/ ٢٩٢

٤٢-ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر: ١/ ٣١٤

٤٣-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام) ، الباعوني الدمشقي : ٢/ ٢٩٢

٤٤-المصدر نفسه

٤٥-كشف اليقين، العلامة الحلي: ١٢/ ١٢

٤٦-المصدر نفسه

٤٧-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام) ، الباعوني الدمشقي : ٢/ ٢٩٢

٤٨-المصدر نفسه

٤٩-المصدر نفسه

٥٠-ينظر: غاية المرام، السيد هاشم البحراني:٣/ ٣٣٢

٥١-لسان العرب،ابن منظور:١٤/ ٢٥٦

٥٢-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ، الباعوني الدمشقي : ٢/ ٢٩٢
٥٣-المصدر نفسه
٥٤-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ، الباعوني الدمشقي : ٢/ ٢٩٣
٥٥-المصدر نفسه
٥٦-جمهرة خطب العرب،أحمد زكي صفوت: ٢/ ٢٤
٥٧-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ، الباعوني الدمشقي : ٢/ ٢٩٣، جمهرة خطب العرب،أحمد زكي صفوت: ٢/ ٢٢،شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: ٦/ ٢٨٩
٥٨-جواهر التاريخ، الشيخ علي الكوراني: ٢/ ٧٣
٥٩-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ، الباعوني الدمشقي : ٢/ ٢٩٣
٦٠-المصدر نفسه
٦١-المصدر نفسه
٦٢-المصدر نفسه
٦٣-ينظر : التعريفات، الجرجاني:١٩
٦٤-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام،الباعوني الدمشقي :٢/ ٢٩٧
٦٥-لسان العرب،ابن منظور: ١٥/ ٢٩٥
٦٦-ينظر: جمهرة خطب العرب،أحمد زكي صفوت:٢/ ٢٧
٦٧-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام،الباعوني الدمشقي :٢/ ٢٩٧
٦٨-المصدر نفسه
٦٩-الشاعر حسان بن ثابت نقلاً عن كتاب الغدير ،العلامة الأميني: ٢/ ٤٥
٧٠-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام،الباعوني الدمشقي :٢/ ٢٩٧
٧١-المصدر نفسه
٧٢-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام :٢/ ٢٩٧
٧٣-المصدر نفسه
٧٤-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام،الباعوني الدمشقي :٢/ ٢٩٧

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*آداب البحث والمناظرة: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، مجمع الفقه، ٢٠٠٩م.

*الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد؛ يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي المالكي، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط١، دار الجيل، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

*أعلام الهداية: جمع من المؤلفين، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٣٨١هـ.ش.

*بحار الأنوار: محمدباقر المجلسي (ت ١١١١هـ، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

*التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، (ت ٨١٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

*تفسير البغوي (معالم التنزيل): أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

*تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد محيي الدين الأصغر، ود. محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٦م.

*حروف المعاني: ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الامل، الاردن، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

*جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان. ط١، ٢٠٠٩م.

*الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

*جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني العاملي، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

*جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: شمس الدين أبو البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، مجمع إحياء الثقافة الاسلامية، ١٤١٦هـ.

* حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام دراسة وتحليل: باقر شريف القرشي، ط٣، مط. الآداب، النجف، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م.

*شرح قطر الندى وبل الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ): تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة شريعة، طهران، ١٣٨٦ هـ

*شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

*العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.

*غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام: السيد هاشم البحراني، تحقيق: السيد علي عاشور، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي.

*الغدير : عبد الحسين أحمدا الأميني(١٣٩٢هـ)، ط٤، الناشر : دار الكتاب العربي -

بيروت – لبنان،١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م.
*الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني(٣٢٩هـ)، تحقيق : علي أكبر الغفاري،ط٥،مطبعة :حيدري،دار الكتب الاسلامية،طهران،١٣٦٣ ش.
*كتاب الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الزهري،تحقيق: علي محمد عمر،مكتبة الخانجي،القاهرة،٢٠٠٦م.
*كتاب سيبويه: ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ«سيبويه» (ت١٨٠هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب ،ط١،منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.
*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.
*كشف الغُمّة في معرفة الأئمة عليهم السلام : بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي،ط٢،دار الإضواء،١٩٨٥م.
*كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: حسن بن يوسف بن مطهر المعروف بـ (العلامة الحلي)،تحقيق:حسين دركاهي،طهران،٧٢٦ق.
الكليات:أبو البقاء الكفوي،ط٢،مؤسسة الرسالة ،١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
* لسان العرب: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب،ومحمد الصادق العبيديّ ،دار صادر ، بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨.
*معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ط٢، شركة العاتك، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م.
*معجم الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري،تحقيق:محمد ابراهيم سليم،ط١،دار العلم والثقافة.
*المقتضب: ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، القاهرة، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م.

الماكِنةُ الإعلاميّةُ وإنتاج الإشاعة وتسويقها – قراءة في عصر الإمام الحسن عليه السلام في ضوء النقد الثقافي

م.م. هند كامل خضير
كلية التربية للبنات / الشطرة

ملخص البحث

بغض النظر عن اقتران (الإشاعات) في سياقات القول بالدرس الإعلامي،فقد شكلت فصيلة الإشاعة بوصفها وظيفة إعلامية مفهوماً محورياً في فهم أدبيات الواقع والمكونات السردية لتاريخ ما أو ثقافة ما، إذ تختزل الإشاعات لمتلقيها رسالة حرب باردة؛ لذا يُلزم عن الإشاعات،سلطة فكرية يحدثُ عنها مسارٌ تكمن عنده صناعة وعي مستوعب لنسقها، بل ثقافة قادرة على تغيير آيديولوجيا كاملة أو قانون سارٍ تعتد به جماعة ما،يتخذ هذا المسار خطوطاً اجتماعية لأغراض سياسية أو تجارية في بعضها، وفي أحيان أُخر مذهبية أو طائفية،وهذا ما جرى عند تسنّم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام خط أبيه وجدّه عليهما السلام فتصدّى الطرف الأموي المتزعّم لأمر الخلافة بإعلام معادٍ دار بين تسقيط وتشهير وتشويه من خلال بثّ الإشاعات بطرق مباشرة و غير مباشرة، وبين هذه الطريقة وتلك صنعت له وعياً، وروّجت عنه أفكاراً أخلّت بالوئام الاجتماعي والوحدة الإسلامية، وعليه انتعشت الفتن وتفكّكت الآصرة المؤمنة به والمُسَلَّمة له عليه السلام فَجُوبِهَ الإمام على أثرها بالغدر والخيانة في صفوف جيشه،اضطر من خلال هذا الأمر إلى إبرام عقد مع ألدِّ أعدائه (معاوية) لأجل حماية كلمة الإسلام ووحدته.

وأخيراً أخذت حرب الإشاعات مأخذها ؛بوصفها حرباً نكراء اتّجاه الإمام الحسن عليه السلام، وعليه واجه الإمام هذه الحرب من محاور عدة،من جهة الخوارج،ومن جهة معاوية العدو الأكبر واستمرت هذه الحرب حتى عصر بني العباس الذين تولوا المهمة من خلال تحريف الحقائق وتزويرها،إذْ كُتبت كثيرٌ من الروايات والإحاديث المصطنعة بشأنه .

Abstract

Regardless of the coincidence of rumours with the contexts of saying in the media lesson, the issue of rumor as a media function forms a central concept in understanding the literature of reality and the narrative components of a history or culture . As rumors reduce to the recipient a message of cold war; therefore, rumors require an intellectual authority that speaks of a path to create an understanding and consciousness of their roots , but a culture capable of changing a complete ideology or a valid law adopted by a group, takes social lines for political or commercial purposes. In some of them, sectarian or non-sectarian, and this happens when Imam Hassan Al-Mujtaba (pbuh) took the line of his father and grandfather (pbut), and the leading Umayyad party confronted the order of the caliphate with hostile media with defamation and distortion through the dissemination of rumors in direct and indirect ways, and between this and that method made him aware of the ideas that disturbed social harmony and Islamic unity . Therefore the strife revives and the Imam confronts all acts of treachery and betrayal in his surroundings , under such circumstances the Imam was forced to set a contract of reconciliation with his worst enemy, Mu›awiya, to protect the word and unity of Islam.

Finally, the war of rumors is a heinous war towards Imam Hassan (pbuh) and therefore the Imam faced this war from several axes, on the one hand the Kharijites and on the other hand Muawiyah the greatest enemy, and this war continued until the era of the Bani al-Abbas, who took over the task by distorting and falsifying facts, as many narratives and artificial hadiths were forged about him.

المقدمة

تتصدر الإشاعات تاريخ الإمام الحسن عليه السلام تحديداً، أكثر بكثير من بقية أهل البيت عليهم السلام، فأي باحث أو دارس يترجم لهذهِ الشخصية العظيمة سيجد أن طاحونة الشائعات نسجت توليفات من الصور والأفكار، تفتح أمام القارئ لتراث الإمام أبواباً من الفتن والشبهات،ترسم شخصية مضطربة اجتماعياً وسياسياً؛ لكن وجدنا في مقابل هذا مرآة كاشفة، كشفت الذات الداخلية لكلّ شخوص بني أمية،وهي ذات ورّثها الأجداد لخلفهم معاوية ومن تبعه لهذهِ السنَّة.

ففي ثقافة عصر الإمام الحسن خطايا كثيرة ،وآثام محرجة،وليس للنقد إلا أن يتصدّى لها كشافاً عيوبها النسقية . وسنبيّن من خلال البحث إلى أي حدّ تستوحي ظاهرة الإشاعات ثيمة الصراع بين دالة مجتمع ذات تقاليد مختلطة للعرف والمذهب، وبين إرادة المتحابين المتطلعين إلى معانقة السلطة والحكم غصباً . وهنا سيقف أمامنا سؤال يُجسّد رؤية البحث: هل استطاعت سرود الإشاعات أن تقارب الواقع لها كما يريد مؤسّسوها من خلال صنع متخيّل يقف بوجه من له الشرعية في زعامة الأمة الإسلامية ؟ وانطلاقاً من ذلك سوف يُسلط البحثُ الضوء على موضوعة الإشاعة من خلال صورتين :

الأولى :- وَتَرٌ من الإشاعات لعب عليه الطرف الأموي وقصد تشويه صورة الإمام الحسن في نظر الناس،وأُخذت هنا الإشاعة بوصفها سلاحاً عملوا من خلاله بناء حطام ٍمن القهر الذي نال حياة الإمام عليه السلام .

الثانية :- كان هناك خطٌّ يسير باتّجاه معاوية؛ وذلك ببث الشائعات التي تَصبُّ في خدمته شخصياً بصورةٍ خاصّة،وبني أمية بصورة عامّة من خلال إذاعته للناس بأن العلاقة مع بني هاشم صفا لُونها،وحاول تثبيت ذلك بقيامه بممارسات تؤكد للناس إنهاء العداوة بينه وبين البيت العلوي.

التمهيد

إنَّ للثقافة أوساطاً مُحدّدة بأفعال وسلوكيات متنوّعة، وهذهِ الأخيرة تُسيرها أنساق أزلية مجهولة الهوية تتنقل بلا وعي للإنسان، إذْ تتناقلها الأجيال عبر توالي الازمان .وهنا تأخذ هذهِ الأنساق بالطوفان على سطح كل ثقافة(١)، وتكون لها إسهامات مهمّة وقوية في بنية المجتمع خاصة والعصر عامّة؛ بوصفها فكراً قاهراً،يُظهر هيمنته في كل عصر من خلال الكيفية التي يحيا عليها الإنسان ويفكّر بها،وعليه يقوم الإنسان الممتثل لثقافته ،بوصفه متلقياً مطيعاً بإعادة إنتاج هذه الثقافة وتوزيعها ومن ثم استهلاكها . من هنا تتحرّك أداة النقد الثقافي باتّجاه((فعل الكشف عن الأنساق،وتعرية الخطابات المؤسساتية، والتعرّف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة))(٢)، وبما أن الإشاعات هي موضوعة إعلامية، من هنا تأتي أهمية دراستها في ضوء النقد الثقافي ؛ بوصف أنّ سياقات الإعلام- الإشاعة- تقع من ضمن المقاربات التي تهتم بها حقول النقد الثقافي كخطابات مؤسساتية .

وكما أنّ الملاحظ في الاستخدام اللغوي والعلمي للفظ(إشاعة) أنّه يُطلق على الكلام أو الخبر المشاع بهدف القصد والتعمد، من حيث أنّ مصدر الفعل هو (أشاع) أي أذاع الخبر بين الناس(٣)، ومن اللافت للنظر أن هناك خصيصة أسلوبية في مدلول(الإشاعة) اللغوي جدير بأن يدرس في أدبيات هذا النقد ولاسيما أن العصر المراد البحث به (عصر الإمام الحسن ﷺ، إذْ إنّه يحمل من الإشاعات ظاهرة خرجت عن الإطّراد الاعتيادي أو التصرّف الشخصي أو الفردي،بل تعدت و تجاوزت إعلاماً مؤسساتياً يديره جهاز دولة كاملة ،وأصبحت هناك حملة ممنهجة تولى شأنها رأس الهرم الأموي (معاوية) إذْ منهجها بأساليب متعددة (منها اللعن والبراءة والتشويه للبيت العلوي) وكلّها تصب في خدمة بلاطه الأموي . وقد فصّل الإمام الباقر ﷺ القول في رواية عنه، عدوان بني أمية للبيت العلوي، قائلاً : ((**... ثمّ لم نزل أهل البيت، نُستَذَلُ ونُستضامُ، ونُنقَص ونُمتَهن، ونُحْرَم، ونُقتل، ولا نأمن على دمائنا ودماء موالينا، ووَجد الكاذبون الجاحدون، لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء، وعمّال السوء، في كلّ بلدة، فحدَّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا**

عنّا ما لم نقله، وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاويّة بعد موت الحسن ﵇، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يُذَكّر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ﵇ ...))(٤).

فبينما نستعرض ظاهرة الإشاعات التي طرحها عصر الإمام الحسن أمام الأدوات الإجرائية لوظيفة النقد الثقافي، إذ نأخذ على عاتقنا تفحص نصّ الإشاعة من حيث إظهار النسق العام والخاص الذي اختبأت وراءه قبحائح السلطان الأموي، فسوف نجدها عرضت وتعرض لقضايا فكرية وسياسية ومجتمعيّة . فالبنية التحتية لعرش بني أُمية يضرب في جذوره إلى أعماق سحيقة حيث ذلك العداء الأزلي للبيت الهاشمي،ففكرة الخلاف أو الصراع بين البيت الهاشمي والأموي كان متوارثاً. إذْ يذكر العلايني في كتابه بيت من القصيد لجذور عداوة أمية لبني هاشم وكيف كانت منذ زمان الرسول،فيقول لله در من قال :

عبدُ شمسٍ قد أضرمَت لبني هـا ... شمِ حرباً يشيب منها الوليــدُ

فابنُ حربٍ للمصطفى وابنُ هندٍ ... لعليٍّ والحسين يــزيــدُ

ثم يسلسلُ، العلايني ،عهد صراعهم لأخذ الخلافة، فيعلق على أول خيوط التخطيط الأموي قائلاً: ((قد كان من الأمويين عمال في زمن أبي بكر وعمر ولم يُولَ أحدٌ من بني هاشم . فهذا وشبهه هو الذي حدّد أنياب بني أمية وفتح أبوابهم وأترع كأسهم وقتل امراسهم حتى لقد وقف أبو سفيان بن حرب على قبر حمزة فقال « رحمك الله أبا عمارة قاتلتنا على أمر صار إلينا »))(٥)،والأهم من ذلك أن سياسة معاوية كانت تطبيقاً أو استكمالاً لـ((ترسيخ فقه الشيخين ونشر فضائل عثمان والصحابة الأولين ويمنع من التحدّث بفضائل علي . وهذا النهج القاسي اللامتوازن أثّر سلبياً على الأحكام لا محالة))(٦) .

ثم استقوت عصا الأمويين وكبرت في زمن عثمان حتى تفوقوا تفوقاً مطلقاً، اتسع لهم المجال أكثر بفوز عظيم – كما يعبّر العلايني – عند صلح الإمام الحسن﵇، وهنا أخذ معاوية بالسعي لتثبيت أوتاده للملك من جهة أولى،والقضاء على خصمه – بني هاشم– من جهة أهم،إذْ لم يغفل لحظة واحدة عن محوهم(٧) .

الإمام الحسن عليه السلام يمثّل لمعاوية العدو الأول بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، إذ بعد حرب النهروان، كانت الخطوة القادمة عند الإمام علي عليه السلام، هي قتال معاوية ؛ بوصفه من الفئة الباغية،لذا كان مجيء الإمام الحسن عازماً لقتال معاوية بوصفه باغياً ؛ لكن خيانات القادة وقفت من تلك العزيمة،ولمصلحة الوحدة الإسلامية، صار الأمر إلى عقد ما يشبه الصلح - بحسب ما نقل- بين الطرفين.

أظهرت إمامة الحسن عليه السلام لمعاوية الوجه الأبرز في قائمة الأسماء التي تعترض طريقه نحو تزّعم الخلافة للأمة، حتى شكّل ذلك التوّجس صراعاً له، وما زال الصراع قائماً بينه وبين الإمام الحسن حتى انتهى بإعلان حرب واستعد الطرفان لها ،وبما أن الظروف في طرف الإمام لم تكن مؤاتية للدخول في حرب ما . وعليه آل به الحال بالاتفاق مع الطرف الآخر على هدنة أو صلح، ولقد ((آثر الحسن الاتفاق مع معاوية لإدراكه أن موازين القوى لم تكن متكافئة بين القوّتين العسكريتين.فاستبعد من رأسه فكرة المخاطرة ببقايا الملتزمين بالخط السياسي الإصلاحي الذين صمدوا في وجه الخوف والإغراء))[٨]. لكن توقف هذهِ الحرب عند طرف (معاوية) كان مجرد إعلان انتهاء لمواجهة مباشرة،بينما استدرك هذا الإعلان خلفه حرباً أُخرى غير معلنة يمكن تسميتها بالحرب الباردة .

ولابدّ من مفاد جدير بالذكر هنا، يكمن في قضية الصلح أعلاه، وبنوده التي ستأتي لاحقاً، لاعتقادنا بأنّها هي المرتكز الأساس الذي أدّعته جهة معاوية في حربها غير المباشرة ضد الإمام عليه السلام، أو كما سميناها بالباردة، بوصفها ردة فعل لخيبة أمل، بأنّ نقض أحدُ بنود الصلح يُعَدُّ في نظر الأمة خرقاً قبلياً ومن ثم تتبعه معيبة اجتماعية ؛ لذا تملص معاوية لطريق آخر للتخلص من خصمه فبدأ بحرب الإشاعات لتشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام،وعليه سوف يتعرّض البحث تحديداً لهذهِ المرحلة ، ما بعد الصلح- وهي ما تقارب العشر أو التسع سنوات الأخيرة من حياة الإمام عليه السلام لسببين : أحدهما لكونها المرحلة الأشرس التي تعرّض لها الإمام عمّا سبقها من مراحل حياته، وثانيهما؛ لكون ظاهرة الإشاعات تركّزت في هذه المرحلة تحديداً، ومن ثم فهي ترتيب لمقدمات الصلح .

من هنا عُدّت الإشاعة من العتبات المركزية التي حفلت بها حقبة إمامة الحسن عليه السلام شهرة، ولُونت بها شخصيته الشريفة، فالإمام الحسن أكثر شخصية من البيت العلوي ظلم في عصره،وناله الحيف من جراء الإشاعات، إذْ شُنَّت عليه حرب من الإشاعات لحقت بكلّ مفاصل حياته على المستوى الشخصي والسياسي والاجتماعي ،واستمر ذلك حتى بعد وفاته فنال منه التاريخ ما نال من التشويه والتمزيق .

المبحث الأول

الإشاعـــة

فن توظيف الأكذوبة في تشويه صورة الواقع

كما يقال في عصرنا الحالي إنَّ الإعلام سلطة رابعة،والإشاعة هي أحدى الوسائل في توظيف السياق الإعلامي، وعليه تُشكّل المزاوجة بينه وبين الإشاعة خصيصة أسلوبية جديرة في اختزال الرسالة الإعلامية ؛بوصف أنّ الإشاعة مكوّن مركزي عند أهمّ أطراف العملية الإعلامية ولاسيّما : **المرسل -المرسل إليه**، إذْ تلتقي فيها كثيرٌ من المهام والصور،من هنا فمن سمات الشائعات أنّها تخلق وظائف تفاعلية بين قطبي الرسالة الإخبارية بحسب ثنائيات التأثر والمؤثّر أو سياستي الترغيب والترهيب من حيث أداة المقصود،كما تكرّس من جانب ثان الحضور المُطَّرد لهما في الثقافات العربية الذي يشبه في كثير من مناحيه النفور بين البيت الهاشمي والبيت الأموي بحيث نشأت أفكارا منحرفة في مقابل التصدي للخلافة الذي شغل باستمرار مناحي حياة الجزيرة العربية ،بل التراث الإسلامي عامة .

نحن نعتقد أنّ أهل البيت عليهم السلام قاموا بدور لم يتسنَ أو يتيسر لأحدٍ من معاصريهم على الإطلاق، وانطلاقاً من الحاجة الشرعية،لحاجة الأمة الإسلامية لهم بدليل قول جدهم الأعظم صلى الله عليه وآله:((**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**)) (٩)،فلأهل البيت دور رسالي تتم به رسالة السماء من بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. والمعروف بكل ثقافة أو أمة لكل طرف ندّ، من هنا اتّخذ معاوية أهل البيت عليهم السلام طرفاً معادياً له،ترصّد بهم على مديات دورهم الرسالي بالريبة والعدوان والجحود ومن ثمّ القتل، إذْ تبلور هذا الطرف إلى تيار مضاد كانت بوادره الأولى منذ زمان الرسول صلى الله عليه وآله وتبلور أكثر بعد وفاته واشتد معارضة بحيث أصبحت له رؤية وفلسفة فكرية، وأصبح فيما بعد الاتّجاه الرسمي الغالب لكلّ الحكومات التي حكمت بلاد المسلمين ومنها أيّام الأمويين والعباسيين، وينقلنا إلى هذا المعنى ما رواه الإمام زين العابدين عن آبائه عن رسول الله،إنّه قال: ((**ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم عليه السلام فرحوا واستبشروا، وإذا ذكر عندهم آل محمد عليهم السلام اشمأزت قلوبهم**))(١٠)، النصّ يحيل بصورة مباشرة على التناقض العاطفي والمفارقة

بين النوازع الاجتماعية الحاصلة آنذاك اتجاه البيت الهاشمي. فمتخيّل الجزيرة العربية أدلجته خفائر قريش بمعتقدات أخذت تُعيدُ حَبْكَ النصّ الشرعي بطقوس معينة - تخدم مصالحها بالمرتبة الأولى - من قبيل الشورى،ورفع المصاحف فضلاً عن الشائعات التي حبكت منها قريش مكرها للعترة الطاهرة .

وتعدى التيار المضاد للعترة في عداوته المسافات العاطفية والمشاعر، إذْ تطوّر وأصبح جزءاً من النظرية السياسية،وذلك عندما تمّ إشاعة فكرة : أن النبوة والخلافة لا تجتمع في بيت واحد،استمر هذا الفصل بين رسول الله والنبوة من جهة،وبين الرسول والعترة الطاهرة من جهة أخرى بحيث صارت فكرة الحسن والحسين عليهما السلام أنهما ليسا ابني رسول الله واستمر ذلك الفكر منهجاً رسمياً للبلاط الأموي من حيث بثّ الإشاعات،وحكومة العباسيين من خلال تلفيق الأحاديث المفتعلة والكاذبة والموضوعة .

وتدارك معاوية ذلك العداء في خصامه للإمام الحسن بأسلوب الشائعات التي وزعها بين الناس، إذْ وصل به الأمر إلى أن يصرح في قول له لعائشة :((**يا ابنة أخي، إن الناس أعطونا سلطاننا، فأظهرنا لهم حلما تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا بهذا، وباعونا هذا بهذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم...**))[١١]،وأعقب ذلك برسالة أُخرى مباشرة في إعلانه مهاجمته بني هاشم ،ومواجهتهم ،قائلاً إلى عماله في جميع البلدان: ((**انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا رزقه وعطاءه ..**)) [١٢]، فإشاعة معاوية لهذا النمط من السلوك له دلالة واضحة ومعلومة،فما نقلناه يُعدُّ نصاً ذا ((خطاب ثقافي ينطوي دائماً على مفهوم الثقافة كسياق دلالي وشكل رمزي))[١٣]، وفضلًا عن هذه التصريحات، كان هناك الجيل الأموي في الشام الذي تربى على يد معاوية وترعرع على تلك الأفكار كان عاملاً مساعداً على إرساء نظام معاوية،كما كانت الذات الاجتماعية في الكوفة وغيرها في وضع الاستهلاك لتلك الأفكار والشائعات التي يبثها البلاط الأموي، إذْ((كانت الكوفة في زمان الإمام الحسن بلداً متفرقاً مشتتاً تتقاسمه صنوف التيارات والعقائد المختلفة . وكان حالها قد بدأ في التردي منذ الأيام الأخيرة لعهد أمير المؤمنين ...))[١٤]، كانت تتجمهر فيها عدّة

فرق وأحزاب شغلت بمكوّناتها طابوراً مسانداً لمعاوية في مواجهة الإمام الحسن، فضلاً عن القومية ودواها الغالبة على جو المدينة التي اشتغل عليها معاوية وسخرها خدمة له ضدّ الإمام،فقدّمت تلك العوامل خدمة للعرش الأموي من حيث إرسال جواسيسه وعملائه المحملين بالمسكوكات الطائلة لبث الشائعات المغرضة بغية تدمير الروح المعنوية للناس وشراء ذممهم،من حيث إنّ الإعلام هو عماد انتاج الآيديولوجيا في كل زمان، فبدلاً من ((مشاكلة الجمهور في العملية السياسية من خلال التصويت الحرّ غير المُوجَّه،يقوم الإعلام بتوجيه الجمهور إلى ما تريده النُّخبة القليلة الحاكمة، والمسيطرة بالفعل على كُلِّ الميادين الفكرية عن طريق رؤوس الأموال))[١٥]، وهنا أصبح مفهوم الشائعات من هذا المنظور يفرض نفسه على الخطاب اليومي في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والإنسانية .

أهل البيت عليهم السلام هم الحقيقة الناصعة التي حفظها التاريخ، ولكن عندما نمرّ على هذا التاريخ نجد بعضه مدوّناً، وبعضه يعيش على ألسنة الناس، وامتلكت شخصيات أهل البيت عليهم السلام أمكنة عاشت بها على الألسن؛ لذا فكلّ لسان يحمل شخصية علي وأهل بيته يبعد عن الساحة أما أن يُسكّت بالضغط أو يهجّر، والغالب يُبعد بالقتل، وهذا له شواهده الكثيرة على صفحات التاريخ.

لن يهدأ لمعاوية البال ما دام خصمه الإمام الحسن عليه السلام موجوداً ؛ لذا أخذ ينسج خيوط المكر لينال منه، في البدء لم تسعفه خدمة العسل ((**أن لله جنوداً من العسل**)) [١٦]؛ للقضاء على الإمام كما يقول الإمام الحسن لأخيه الحسين في لحظات احتضاره: ((**لقد سقيت السم مراراً ما سقيته مثل هذه المرة، لقد تقطعت قطعة قطعة...**)) [١٧] ؛ بوصفه أسلوباً اتبعه في تصفية خصومه أو كل من يقف في طريقه نحو كرسي الحكم أو حتى من يستشعر في وجوده خطراً عليه من نظير (سعد بن أبي وقاص،وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد ومالك الأشتر، وأخيراً نالت خدمة السم الإمام الحسن عليه السلام) .

أعد معاوية طوقاً إعلامياً، فبدأ أوّلاً ببثّ الإشاعات بين صفوف جيش الإمام الحسن،ولاسيما قائد مقدمة الجيش(قيس بن سعد) الذي تعرّض لحملة نفسية فما أُشيع من خبر مقتله قد بدد أركان الجيش،وأخذ الخوف ينعكس على معنويات الجيش؛ لأنّ قيس بن سعد كان مهاباً في

الطرف الأموي ولاسيّما معاوية[١٨]،وإشاعة مقتله لها من الأثر الكبير في نفوس الجيش ؛ لذا كان اختيار قيس بن سعد في إشاعة مقتله مدروساً بعناية في حرب معاوية الإعلامية . فضلاً عن الإشاعات التي أثيرت بشأن مصالحة قيس لمعاوية،كما دس الخبر في ((عسكر الحسن من يتحدّث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه،ويوجّه إلى عسكر قيس من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية))[١٩]، ولم تكن الإشاعات وحدها في ساحة حرب معاوية الإعلامية،فلعبت الأكاذيب دوراً أيضاً، وأسلوب استمالة القادة بالأموال من نظير عبيد الله بن العباس[٢٠] وغيره .

وأصعب من ذلك كله الاختلاف الذي يتشكّل منه جيش الإمام الحسن، إذْ كان الجيش خليطاً مختلفاً دينياً وعرقياً ومذهبياً، فمن جهة المذهب – على سبيل التحديد- الخوارج كانوا معروفين بعدائهم للإمام علي عليه السلام،وجاء انضمامهم لجيش الإمام الحسن بغضاً لمعاوية، فضلاً عن خيانات بعض القادة الذين سحبهم معاوية إلى جانبه بحيلٍ مدروسة،وخير ما وصف به جيش الإمام الحسن عليه السلام ما نقله الشيخ المفيد، قائلاً : ((**ثمَّ خَفَّ مَعَهُ أَخْلَاطٌ مِنَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ شِيعَةٌ لَهُ وَ لِأَبِيهِ عليه السلام وَبَعْضُهُمْ مُحَكِّمَةٌ يُؤْثِرُونَ قِتَالَ مُعَاوِيَةَ بِكُلِّ حِيلَةٍ وَ بَعْضُهُمْ أَصْحَابُ فِتَنٍ وَ طَمَعٍ فِي الْغَنَائِمِ وَ بَعْضُهُمْ شُكَّاكٌ وَ بَعْضُهُمْ أَصْحَابُ عَصَبِيَّةٍ اتَّبَعُوا رُؤَسَاءَ قَبَائِلِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى دِينٍ**))[٢١]. فالمحركات الاجتماعية والنفسية للشائعات التي انتهجت غالباً في عصر الإمام الحسن مشروطة بشكل كبير بالرموز والوعود المرضية ،وبتعويض مغري لمكبوتات الطرف المعادي، وعليه كانت الأرضية أمام معاوية رخوة، وسهلة الامتطاء، وسمحت له بالظهور أمام الإمام الحسن بجيش جرار لمحاربته حرباً مصيرية في وقت حدّده هو نفسه،إذ كان ((نظام معاوية في الشام يقوى ويزداد تماسكاً يوماً بعد يوم،وكان جيشه على العكس من جيش الإمام الحسن تام الطاعة والولاء وعلى أتمّ الاستعداد لتنفيذ أوامر قيادته))[٢٢]، فانهيار الجيش،واشتغال معاوية على تمزيق وحدته وكلمته هو ما كان مقدمات الصلح، وبما أن الإمام الحسن هو((العارف بحكمة الحرب والصلح في دين جده صلى الله عليه وآله أدرك أن خيار الحرب ليس بصالح مشروع أبيه علي عليه السلام والسر في ذلك هو أن الحرب بين علي ومعاوية قد أفرزت إعلاماً أموياً كاذباً في حقّ علي عليه السلام تحوّل إلى معتقد لدى أهل الشام ومن ثم خيار الحرب لن يؤدي إلا إلى المزيد من الإعلام الكاذب في حق الإمام علي عليه السلام ثم إلى المزيد من التكريس لمعتقد أهل

الشام الخاطئ باتّجاه الإمام علي، ومن ثم مزيد من الحجب عن مشروع علي الإحيائي للسنة النبوية))[٢٣]، فعدل الإمام الحسن عليه السلام إلى مهادنة معاوية في سبيل حفظ مشروع أبيه ولاسيّما أن الإمام في كلّ خطوة له قد سار على خطى أبيه في سياسته وحكمته ونظراته إلى الأمر، وصدق أمير المؤمنين عندما قال في حقه من وصيته له : ((ووَجَدْتُك **بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي** ...))[٢٤]، وبما أن تشكيل الثقافة رهين بظهور وعي لخصوصيتها فإنّ الأمام الحسن عليه السلام قد سعى إلى إلغاء ثقافة سنّها الأمويون تقضي سبّ الإمام علي عليه السلام،وعليه قد ضمّن الحسن عليه السلام شرطاً يخصّ ذلك في بنود الصلح ((**أن يترك سب أمير المؤمنين، وأن لا يذكر علياً إلا بخير**))[٢٥]، وعليه كانت سيرة الإمام علي خلال العشر سنوات من الصلح محفوظة بوصفها نتيجةً مهمة حفظها الحسن من خلال الصلح،وعليه أتاح هذا الأمر الفرصة أمام الموالين لعلي عليه السلام لـ((ما وعوه وحملوه عن علي من علم وسيرة مشرقة بين أهل الشام)) [٢٦].

حتى قضية الصلح لم تمرّ أمام معاوية بسلام،ولم يترك الصلح يمرّ من دون مصلحة له ولعرشه،إذ ألقى ظلال الإشاعات ثانية،، إذْ إنَّ معاوية ((كان يهاب موقع الحسن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس ومقامه الروحي الفريد في العقيدة الإسلامية فيتقي حربه بالصلح)) [٢٧]، وهنا بدأ دأبه الغاشم،إذْ كسر كل بند من بنود الصلح بطوق إعلامي جديداً تتخلله صور من الإدّعاءات والشك والكذب . ووأهمّها ما يخص البند الرابع: ((**استثناء ما في بيت مال الكوفة فلا يشمله تسليم الأمر ... وأن يحمل معاوية إلى الحسن ألفي ألف درهم ... وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجر ....**)) [٢٨]، واستغل معاوية هذا البند في مصلحته،فاشتغل إعلامه وأجهزته بنشر تفاصيله والزيادة عليه على سبيل التهمة للإمام الحسن،وصلاح التصرف اتّجاه المسلمين من جنبة معاوية من باب أنّ الإمام الحسن عليه السلام قبلَ الصلح عن ضعف وتراجع عن الحرب،وجاء صنيع معاوية بأن الله حقن الدماء بابن رسول الله فسكن به الفتنة[٢٩]، ولعل هذا البند من أكثر الفقرات التي حصل فيها من لغط الإشاعات والتشويه لسيرة الإمام الحسن عليه السلام عند الأمويين،واستغلت أيضاً أيّام العباسيين[٣٠]، ويؤيد هذهِ الأقوال ابن أبي الحديد رواه عن ابن عرفة، قال : ((إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون بها أنوف بني هاشم)) [٣١]

٤٧٧

المبحث الثاني

الإشاعة : فن توظيف الصورة المزيفة

لم يترك معاوية الساحة من دون أنْ يهمس فيها شائعاته،إذْ يأخذ بمعاودتها متى ما أحس بحاجتها،فالحرب ما تزال قائمة بينه وبين من ينازعه الحكم،وجو الحرب هو المناخ المناسب لبث الإشاعة وتكاثرها انطلاقاً من أن الحروب هي الأرض الصالحة لزراعة الإشاعات وترويجها، وبما أنّ ما تميّزت بيه شائعات عصر الإمام الحسن عليه السلام هو انسجام موضوع الإشاعة مع الوسط القائم ؛ بوصف أن الانسجام أكثر ما يتوافّر فيه عندما يكون موضوع الإشاعات مهمّاً في الوسط،وفي هذا السياق يجدر التمييز بين مستويين للإشاعات في النصوص الإعلانية،الأول يتصل بعوالم الذات الأموية الفاعلة في علاقاتها مع مجتمع النصّ (الشائعات)، والثاني ينصرف إلى نسج احتمالات التحاكي أو التماهي بين علائق الإشاعة ومرجعياتها الغائبة والموجّهة،من حيث إنَّ المرجعية في مستوى الإشاعات تمثل عدواناً آخر يكثّف دلالات الخصام وقيم الجدل .

فعلى المستوى الأول، أجهد معاوية نفسه بخلق تراث صوريّ حسن عنه،فأخذ يجسّد للناس صوراً من الود والتآلف وغيرها من معاني السلام مع البيت العلوي،وأن الصراعات والأحقاد بين الطرفين زالت وتلاشت بعد الصلح، وبلاشك فإنّ هذا التراث الصوري بطبيعته هو انجاز جمعي تخطّى الأفراد الشاميين في دلالاته ورمزيته كشأن المتخيّل الثقافي الذي لا يمكن أن يحيل إلى نصّ أو بناء فكري مفرد وإنما يتصل بآليات وعي وتشخيص تتواتر بين المجتمع بنسب متفاوتة بحسب ما تقتضيه المناسبة،وتطبعها في العادة سمات بلاغية في مكرها وخداعها،وتتجلى هذه في إجراءات من نظير التكيف،والاستمالة،والتجريد للواقع الموضوعي.

فبدأ بخطوة ممنهجة على سبيل الوعي النظري لصنع صورته الحسنة من خلال استمالة الوجوه الولائية في اعتقادها للبيت العلوي يستدعهم إلى بلاطه ويغدق عليهم بالعطايا ؛ ليدفع بذلك صورة من الانسجام اتّجاه العلويين،ولا سيّما الشخصيات العراقية فخطط معاوية لـ ((كسب ثقة وجوه العراقيين حين كان يستقدمهم مكرمين معززين يستمع إلى أحاديثهم وفي كثير من الأحيان كان يستثيرهم ويسألهم عن سيرة علي عليه السلام ثم يرجعهم إلى بلادهم مع

عطاء وفير ليتقرّب من قلوبهم وكان يتحمّل منهم خشونة كلامهم أحياناً...))[٣٢]، ولا سيما الشخصيات التي تقطن الكوفة،بوصف أن الحسابات اليقينية لمعاوية والمعوّلة عنده أن الشام هي حاضنة له ولأجداده، كسب إيمانهم به متيقن على أرض الواقع،بل مؤمن آل أمية عند الشاميين هو معاوية، هذا الإيمان محور مهم في حسبانه نحو نزع الخلافة من أهلها المستحقين لها. فبقيت الكوفة البقعة التي شغلت باله ؛بوصفها الموطن الخاص لجمهور الإمام علي وفيها القاعدة الشيعية المخلصة للبيت العلوي، إذْ يروى ((كان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام ...))[٣٣] وهذا ما يترجم عنه وعي معاوية إلى إجراءات تحسبية تمكّنه بوصفه منشغلاً بأنساق الإشاعة من استثمار طرف من الودِّ المخادع؛ ليطردَ بها حالة الإعلام السلبي عنه وعن عداونه المعروف لهذا البيت، وحتى يتبيّن للمتلقي وضوح انتمائه إلى البيت العلوي،فسعى إلى تحقيق ((طموح جديد باللين وإظهار الانفتاح على علي وشيعته والوفاء بالعهود ليتم له حكم البلاد))[٣٤].

والأغرب من ذلك أن معاوية سعى في خطواته إلى تحسين صورته في مزاج الناس أكثر جرأة عندما ضمّنها لفكرة المصاهرة من بني هاشم،فشتان ما بين أفكاره وأفعاله،فقد أراد من ذلك ؛ ليحوز الشرف والمجد،فقد روي أنه كتب ((**إلى عامله على المدينة مروان بن الحكم أن يخطب ليزيد زينب بنت عبد الله ابن جعفر على حكم أبيها في الصداق، وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيّين بني هاشم وبني أمية، فبعث مروان خلف عبد الله، فلمّا حضر عنده فاوضه في أمر كريمته، فأجابه عبد الله : إنّ أمر نسائنا بيد الحسن بن علي فاخطب منه، فأقبل مروان إلى الإمام فخطب منه ابنة عبد الله، فقال** عليه السلام : **«اجمع مَن أردت» فانطلق مروان فجمع الهاشميّين والأُمويين في صعيد واحد وقام فيهم خطيباً، وبيّن أمر معاوية له ...**))[٣٥]، وأن مراماً من هذا القبيل سيفضي عند الإمام الحسن إدراك مضامينه الحقودة التي توّسل بها معاوية لقلب موازين الكفة لجنبه عند الأمة خاصة والتاريخ عموماً؛ ليظهر معاوية للناس بأنه المصلح والمسالم والحافظ لدماء المسلمين، لكن الإمام الحسن فند مخططه عندما حجّم موقفه ومكانته عند أهل البيت عليهم السلام، أمام الملأ من الناس في الموقف نفسه من اجتماع معاوية بالحسن طلباً للمصاهرة،قال الإمام له : ((**وأمّا صلح الحيّين فإنّا عاديناكم لله وفي الله فلا نصالحكم للدنيا ...**))[٣٦].

وليس من الغريب أن تظل صورة آل البيت مغيبّة مهما حاول الخصم تشويهها، بل هي ناصعة ظاهرة بينة على مدى السنين، وعليه فما نُشر من ثقافة أهل البيت،وثقافة الولاء ممّا أغاظ ذلك معاوية، وهذا ما اقترن به المستوى الثاني من الحسابات غير المتوقعة عند الجانب الاموي . فبما أنَّ الناس قد التفوا متأخراً حول البيت الهاشمي متمثلاً بالإمام الحسن،فأضحى ذلك ملمحاً ناصعاً للاختلاف عن معاوية بحيازة الإمام الحسن عليه السلام للأغلبية،ومن باب افتقاد معاوية لشرط الانتماء الثقافي للمشتركات الإسلامية بعد ما فضح الصلح مؤامراته اتّجاه الأمة الإسلامية،فعندما انتشرت ثقافة الولاء لأهل البيت عليهم السلام،وانفتح ((أهل البلاد شرقاً وغرباً بعضهم على بعض وصاروا أمة واحدة وعلى مستوى واحد من المعرفة بحديث الغدير وحديث الثقلين وحديث المنزلة وغيرها من النصوص التي تؤسس الإمامة الأهلية لأهل البيت وأولهم علي عليه السلام ... وعرف أهل الشام أنَّ معاوية كان ظالماً لعلي وأن الحق مع علي في حروبه وأن علياً امتداد للنبي في إمامته الهادية ...))[٣٧]، وبالتأكيد لقضية الصلح فضل كبير في ذلك ولعله شرط الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية في أحد البنود بـ(أن لا يتعرّض لذكر علي إلا بخير) كان مصداقاً بيانياً لنشر ثقافة الولاء للبيت العلوي،من هنا تشابهت مرحلة إمامة الحسن لحين وفاته بمرحلة أبيه علي عليه السلام في عطائها المكافح من حيث إحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله والحفاظ على مسارها وفي الوقت نفسه تناظر دورهما على مدى خلافتهما من (٢٧ هـ حتى ٥٠ هـ) نظير المدة التي استغرقتها مهمة الرسول الأعظم في نشر رسالة الإسلام وأحكامه من بعثته وحتى حجة الوداع[٣٨] .

الخاتمة

من النتائج التي توصّل لها البحث :

١-إنّ الإشاعات مدينة للتاريخ بتحريفها إيّاه ، ومدينة له بامتداد وعي خدم مؤسساتها، فإن حقيقة الإشاعات في بثِّ رسالتها لا تدرك واقعاً حقيقياً ، بل واقعاً مزيفاً مصطنعاً ورمزياً في اختياراته فهو لا يَمُتُّ بصلةٍ إلى القيم الاجتماعية والدينية والثقافية حتى الأخلاقية.

٢-كان للإشاعات أثر من الاهتزازات والتحولات في عصر الإمام الحسن ﵇ بفعل اختراق تاريخه المشرق وتمكنت الاشاعات في الوقت نفسه من صناعة متخيل من الفكر المنحرف وثقافة رسمها الأرباب الأمويون.

٣-كان انطلاق حرب الإشاعات في وقت عجز فيه معاوية عن مواجهة الإمام الحسن﵇ ولا سيما في مرحلة عقد الاتفاق بين الإمام ومعاوية، فلجأ لهذا الاسلوب ليقع فيه ما يقع من تشويه سياسة الإمام وما يتعلق بالجوانب الأخرى من حياته.

٤-جسّدت مرحلة الإمام الحسن﵇ ، أثراً رسالياً في بيان خط جده وأبيه ، ومن ثم جاءت حكمته مؤاتية لدور أخيه الإمام الحسين﵇ في سلسلة الدور والهدف من قتال الفئة الباغية،فاستدراجه لمعاوية على أن يوقع على ما لا يستطيع الإيفاء به، ومن ثم لم ينفذ معاوية بإجماع المسلمين بنداً ممّا عاهد عليه الإمام الحسن ﵇ .

الهوامش

١-الأنساق : مفرده النسق،وهو ((ما كان على نظام واحد عام في الأشياء)) معجم العين ،الخليل بن أحمد الفراهيدي :٤/ ٢١٨ .

٢-النقد الثقافي-قراءة في الأنساق الثقافية العربية -،عبد الله الغذّامي : ١٥ .

٣-يُنظر : لسان العرب،ابن منظور،مادّة (أشاع) .

٤-شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : ١١/ ٤٣ .

٥-الإمام الحسين،عبد الله العلايني : ٥٦ .

٦-التسميات بين التسامح العلوي والتوظيف الأموي-دراسة تحليلية،السيد علي الشهرستاني : ١١٢ .

٧-يُنظر : المصدر نفسه : ٥٨ .

٨-ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ،الدكتور : إبراهيم بيضون : ١٤٢،١٤٣ .

٩-وسائل الشيعة،الحر العاملي : ٣٤/ ٢٧ .

١٠-الأمالي،الشيخ الطوسي : ١٤٠ .

١١-العقد الفريد،ابن عبد ربه الأندلسي : ٥/ ١١٣ .

١٢-شرح نهج البلاغة : ١١/ ٤٥ .

١٣-نقد الثقافة،فتحي أبو رفيعة : ٨ .

١٤-الأئمة عليهم السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،مرتضى المطهّري : ٦٦ .

ولكن في الوقت نفسه،ان الكوفة تمثل لمعاوية المركز المعارض له من دون بقية الأمصار والمناطق التي ضمن ولاءها له من نظير الشام التي تمثل قطب الرحى لسياسته . وسيأتي بيان ذلك لاحقاً

١٥-صناعة الواقع الإعلام وضبط المجتمع،محمد علي فرح : ١٠١ .

١٦-الكنى والألقاب،المحدث القمي: ٢/ ٣١ .

١٧-إذْ كان معاوية يصّر على بيعة قيس بن سعد إلا هذا الأخير رفض ،وعليه أصر معاوية أن يقتله،لكن الإمام الحسن هدده بنقض المعاهدة إن لم يكن قيس آمناً ... ينظر : الإمام الحسن بن علي عليه السلام شجاعة،قيادة،وحكمة سياسية،إبراهيم حسن البغدادي : ٣٨ .

١٨-بحار الأنوار،المجلسي : ٤٤/ ١٥٨ .

١٩-تاريخ اليعقوبي،أحمد اليعقوبي :٢/ ٢١٤ .

٢٠-((أن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس أنّ الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلّم الأمر إلي،فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً .... ولك إنْ جئتني الآن أن اعطيك الف الف درهم يعجّل لك في هذا الوقت النصف،وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر،فانسل عبيد الله ليلاً فدخل عسكر معاوية ...)) . مقاتل الطالبيين،أبي فرج الاصفهاني : ٤٢.

٢١-الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد،الشيخ المفيد : ٢/ ١٠ .

٢٢-الأئمة عليهم السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،مرتضى المطهّري : ٦١ .

٢٣-الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي،السيد سامي البدري : ٣٤ .

٢٤-قصص العرب،إبراهيم شمس الدين : ١/ ٩٢ .
٢٥-نهج البلاغة
٢٦-وللصلح أهمية في مرويات أهل البيت ،فقد ذكر الإمام الباقر صلح الحسن وقال فيه : ((والله للذي صنعه الحسن بن علي كان خيراً لهذه الأمة مّما طلعت عليه الشمس والقمر)) .
٢٧-صلح الحسن عليه السلام،راضي آل ياسين : ٢٥٣ .
٢٨-أعلام الهداية – الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ٤/ ١٤٧ .
٢٩-يُنظر : آثار أهل البيت عليهم السلام في تطوّر المجتمع الإنساني : ١١٥ .
٣٠-يُنظر : أعلام الهداية – الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ٤/ ١٤٧ .
٣١-شرح نهج البلاغة : ١١/ ٤٦.

٣٣-المصدر نفسه : ١١/ ٤٤ .
ومن الجدير بالذكر هنا، أنّ معاوية بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام،عندما قام بتصفية الشيعة ولاسيما القواعد الرئيسة منها أبتدأ بالكوفة، وأرسل لها تحديداً زياد ابن أبيه واستعمله على الكوفيين بعدما استماله معاوية إلى جانبهِ معاوية بالمنصب والمال، فقام زياد بن أبيه ((يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كلِّ حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم عى جذوع النخل وطرفهم وشرّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف .....)) شرح نهج البلاغة : ١١/ ٤٤ .
وهذا ما يقع من ضمن الخطة التي مهّد لها معاوية من تهيئة الطريق لخلافة ابنه يزيد للحكم بعده وكان في ذلك أيضاً تمهيد لثورة عاشوراء عندما خذل الحسين من أهل الكوفة، كان نتيجة ما صنعه معاوية من أعمال التهجير والنفي والقتل لشيعة علي عليه السلام، إذ غلب على جو الكوفة آنذاك أي في أيام معاوية النفس الشامي الذي كان يجهل شخصيات البيت العلوي ومكانتهم، فضلاً عن ذلك فقد تربى على أفكار وعقائد معاوية في خصامه مع هذا البيت الطاهر
٣٤-الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة الانشقاق الأموي : ١١٦ .
٣٥-أعلام الهداية - الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ،المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام : ٤/ ١٧٠ . كان ذلك في رواية طويلة أخذنا موضع الشاهد لطلب معاوية المصاهرة
٣٦-المصدر نفسه .
٣٧-الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي : ١١٣ و٤٠ .
٣٨-يُنظر : الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي : ١١٣ .

المصادر والمراجع

*آثار أهل البيت ﷺ في تطوّر المجتمع الإنساني،الناشر : مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر،ط١، بيروت- لبنان، ١٤٢٢ هـ.

*الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد،الشيخ المفيد تحقيق : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث،دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢،بيروت - لبنان،١٩٩٣ .

*أعلام الهداية - الإمام الحسن المجتبى ﷺ،المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، الناشر : مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت ﷺ،ط١، إيران- قم،١٤٢٢ هـ .

*الأمالي،أبي جعفر محمد بن احسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)،تحقيق :قسم الدراسات الإسلامية -مؤسسة البعثة،دار الثقافة للطباعة والنشر،ط ١، إيران-قم،١٤١٤ هـ.

*الإمام الحسن بن علي ﷺ شجاعة،قيادة،وحكمة سياسية،إبراهيم حسن البغدادي،الناشر ك الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،ط١،بيروت-لبنان،٢٠١٢ .

*الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي،السيد سامي البدري،مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني- العراق-النجف،دار الفقه للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، قم،٢٠١٢.

*الإمام الحسين،عبد الله العلايني ،دار مكتبة التربية،بيروت،(ب.ط)،(ب. ت) .

*الأئمة ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،مرتضى المطهّري ،دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت- لبنان،ط١،٢٠١١ م .

* بحار الأنوار-الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار-محمد باقر المجلسي،دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي -،ط٣،بيروت - لبنان،١٩٨٣ .

*تاريخ اليعقوبي،أحمد اليعقوبي،دار صادر للطباعة والنشر،(ب.ط)،بيروت- لبنان،(ب.ت) .

*التسميات بين التسامح العلوي والتوظيف الأموي- دراسة تحليلية،السيد علي الشهرستاني،الناشر : مؤسّسة الرافد للمطبوعات،ط٢،إيران - مشهد،(ب. ت) .

*شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار أحياء الكتب العربية،ط١ . ١٩٥٩ .

*صلح الحسن ﷺ،راضي آل ياسين ،الناشر : انتشارات الشريف الرضي،ط١،إيران - قم،١٤١٤ هـ .

*صناعة الواقع - الإعلام وضبط المجتمع،محمد علي فرح،مركز نماء للبحوث والدراسات،بيروت-لبنان،ط١، ٢٠١٤.

*العقد الفريد،ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق : د. عبد المجيد الترحيني،دار الكتب العلمية،بيروت - لبنان ،ط١، ١٩٨٣ .

*العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت،٢٠٠٣.ط٢، دار الكتب المصرية ـ القاهرة،١٩٩٦ .

*قصص العرب،إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،ط١،بيروت-لبنان، ٢٠٠٢ .

*الكنى والألقاب،المحدث عباس القمي(ت: ١٣٥٩ هـ)،مكتبة الصدر،إيران-طهران،(ب.ت) .

*مقاتل الطالبيين،أبو فرج الأصفهاني،مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات،ط١،بيروت- لبنان،١٩٨٧ .

*ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري،الدكتور : إبراهيم بيضون،الناشر : دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت- لبنان،(ب.ط)،١٩٧٩ .

*نقد الثقافة،فتحي أبو رفيعة ،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،ط ١،٢٠٠٦ .

*النقد الثقافي-قراءة في الأنساق الثقافية العربية -،عبد الله الغذّامي،المركز الثقافي العربي، الناشر : المملكة المغربية- الدار البيضاء،ط٣،٢٠٠٥ .

*وسائل الشيعة (آل البيت) ،الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث،الناشر : ردمك،ط٢، ١٤١٤ هـ.

أهلُ البيتِ عليهم السلام في خُطَبِ

الإمامِ الحسن عليه السلام وأحاديثِه - قراءة تأويلية

أ.د. حاكم حبيب الكريطي

الجامعة الإسلامية / النجف الأشرف.

ملخص البحث

كان أهلُ البيتِ عليهم السلام حاضرين في خطبِ الإمام الحسن عليه السلام وأحاديثه بوصفهم الصفوة التي اختارها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وطهّرها تطهيرا ليكونوا قدوة للمسلمين وأسوة حسنة لهم . وكانت اشارات الإمام الحسن عليه السلام الى أهل البيت عليهم السلام ، وسيلة من وسائل ردّه على الخصوم الذين نازعوه حقّه في الخلافة ، كما نازعوا أباه عليه السلام من قبل ، وأراد من خلال ذلك كلّه ، أنْ يعيد من التبس عليه الحق الى جادة الصواب ، ويبصّر من أخذته أطماع الدنيا الى غير السبيل الذي سنّه الله تعالى ، فجاءت تلك الاشارات مكتنزة بالمعاني والدلالات التي يمكن أن نتأولها من قراءتنا على وفق منهج يتلمس ما وراء المعاني الظاهرة ، من خلال الاستعانة بالدلالات التي تحملها الألفاظ المركزية في النصوص بما يؤدّيه الاستعمال الاجتماعي وعلى وفقِ ما يتناغم مع السياق الذي ترد فيه، من دون الميل بتلك النصوص الى ما لا يسمح به السياق الذي ترد فيه .

واستناداً الى هذا ، سينتظم البحث في مباحث صغيرة ، تبسطها أمامنا القراءة التأويلية التي نتبناها هنا ، إذ ستفتح أمامنا وجوها معرفية نعتقد بجدّتها ورصانتها ، ولا نظنّها تكون على هذا النحو لو أخذنا بظاهر النصوص فقط ، لأنّ أهل البيت أمرونا بتدبّر دلالات أقوالهم ، فهم أمراء الكلام . يقولُ أميرُ المؤمنين عليه السلام : ((وإنّا لأمراء الكلام ، وفينا تنشّبت عروقه ، وعلينا تهدّلت غصونه))[1] .

Abstract

Ahalalbayt are present in the sermons and hadiths of Imam Al-Hassan, peace be upon him, as they were the elite chosen people . The Ahalalbayt references of Imam Al-Hassan were one of the means of his response to the opponents who disputed his right to the caliphate, as they had disputed his father, peace be upon him, before, and through all of that, he wanted to set the truth in its real place and to guide man to the path of righteousness and sight to those who blink their eyes to the facts .

Thus, these references with meanings and indications are traceable in the surface meanings, through the use of the connotations is found in the central words in harmony with the context . Based on this, the research will be organized into small sections to discuss the aspects of knowledge , seriousness and authenticity . As the Ahalalbayt ordered us to reflect on the implications of their sayings, for they are the masters of eloquence :the Commander of the Faithful, peace be upon him, says: “We are the princes of eloquence , in us its roots strike and on us its branches dandle”

مودة أهل البيت عليهم السلام :

فرض الله مودة أهل البيت عليهم السلام على المسلمين في كتابه الكريم ، وأحاديث نبيّه صلى الله عليه وآله، وجعلهم الأساس المتين الذي يستند إليه إسلام المسلم ، ومن لا يتحقق فيه هذا الشرط ، يكون بعيدا عما يريده الله تعالى منه.

وقد أشار الإمام الحسن عليه السلام الى هذه المودة في خطبه وأحاديثه ، بعد أن رأى في أصحابه تخاذلا عن نصرته ، وشرط المودة بالمفهوم الذي يبيّنه عليه السلام كان ليحملهم على نصرته ، والجهاد معه . فكيف نتبيّن المفهوم الذي يريده الإمام لمودة أهل البيت عليهم السلام ؟ هذا ما سيبسطه أمامنا نظرنا في أقوال الإمام عليه السلام .

قال عليه السلام في صبيحة الليلة التي نال فيها أمير المؤمنين عليه السلام الشهادة ((إنّا من أهلِ بيت ، افترض الله تعالى حبّهم في كتابه ، فقال عزَّ من قائل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ، والحسنة مودتنا أهل البيت))(٢).

يُذكّر الإمام عليه السلام هنا ، المسلمين عامة ، وأهل الكوفة خاصة ـ بوصفهم المتلقين المباشرين لهذا الكلام ، بحق أهل البيت عليهم السلام الراسخ في وجوب محبتهم ، وهذا أمر افترضه الله تعالى على عباده والزمهم العمل به ، وقد استعمل الإمام الفعل (افترض) بما يحمله من معنى الوجوب ، جاء في لسان العرب ((وافترض أي أوجب ... وفرائض الله حدوده التي أمر بها))(٣) ، والإمام عليه السلام بهذا يُبعد أي توجيه آخر لمودة أهل البيت عليهم السلام يخرجها من الوجوب، ويزحزها عن هذه الدائرة الربانية ، وهذه المسألة العقلية ستتلبس بشعور الإنسان المسلم، فيتحد العقل والقلب من أجل التمسك بها ، ومن هنا جاء الإمام عليه السلام بآية المودة دليلاً على دقة استعماله للفعل (افترض) كما مرّ ، إذ صار وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام يقينا لا شك فيه ، وهناك ما يقرب من الإجماع بين علماء المسلمين ، على أنّ(المودة) في هذه الآية الكريمة تفصح عن أنّ الله عز وجل ، أمر نبيّه صلى الله عليه وآله، بأن يقول للمشركين من قريش وغيرهم عصرئذ وما بعده ، إنه صلى الله عليه وآله لا يسألهم أيّ أجر على دعوته لهم الى الإسلام ، وابلاغهم عمّا يريده الله تعالى منهم ، ونصحه بما جاء من عند الله تعالى ، إلّا المودة في القربى.

وسنستعين هنا بالنحو العربي لبيان الاستثناء في الآية المباركة ، فتقول : إنَّ (المودة) في الآية منتصبة على الاستثناء ، ولكنّ هنا الاستثناء ليس من الأجر ((لأنَّ المودةَ في القُربى ليست بأجرٍ))[٤] ، هذا فضلاً عن أنّ الله عز وجل ، نفى في آيات أخر ، سؤال الأجر على تبليغ الدعوة من لدن الأنبياء ، مثل قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥] ، واستناداً الى هذا ، يتوافق التوجيه الذي قال بها أهل النحو للاستثناء في (إلّا المودة ...) مع الدلالة التي قال بها المفسرون[٦] ، والتي وصلت إليهم حتما من بيان الإمام الحسن عليه السلام الذي بسطناه قبل قليل ، والذي جاء به شاهدا على فرض مودة أهل البيت عليهم السلام من الله عز وجل .

وتأسيساً على ما مرّ نقول : إنّ قول الإمام الحسن عليه السلام هذا يُبعد ما قال به بعضُ المفسرين من أنّ المراد بالقربى قريش[٧]، والأجر المشار إليه في الآية يكون منهم - أي من قريش للنبي صلى الله عليه وآله[٨] ، وهذا خلط عجيب في قربى النبي صلى الله عليه وآله على الرغم من وضوح المراد حقا ، بل إنّ بعض المفسرين قد يورد أحياناً أقوالاً متنافرة في بيان هذه القضية من دون أن يرجّح أحدها على الآخر ، على سهولة المطلوب ويسره ، كما في الدر المنثور مثلا[٩] .

ولكي نثبت ما قدمناه من إنّ قول الإمام عليه السلام أَبعَدَ ما قال به هؤلاء المفسرون ، نعود الى اللغة مرة أخرى لنستبطِنَ تأويليا ما يُعطينا المعجم بشأن دلالة القربى . جاء في لسان العرب[١٠]:

١ـ القرابة والقربى : الدنوّ في النسب والقربى في الرحم .

٢ـ ذوو الرحم هم الأقارب .

وهذه المعاني لا تنطبق على قريش أو أقل منها من بطونها ، بدلالة القرآن الكريم نفسه، إذ استعمل لفظة (العشيرة) للأقربين منها في قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء٢١٤، فجمع النبي صلى الله عليه وآله ((أهله ، فقال : يا بني عبد مناف انقذوا أنفسكم))[١١] ، وبنو عبد مناف بطن من قريش ، وسمّاهم القرآن عشيرة ، لأنهم الأقارب بالنسب. واستنادا الى هذه القولة ، لم يبق أمامنا من دلالة القربى في الآية المباركة إلّا (أهل البيت عليهم السلام) وهذا هو لبّ قول الإمام الحسن عليه السلام في إشارته السابقة الى فرض مودة أهل البيت عليهم السلام .

أما الجزء الآخر من الآية التي ذكره الإمام الحسن عليه السلام ((ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً)) ففسّره بقوله ((والحسنةُ مودتُنا أهل البيت)) .

وتفسير الإمام هذا يتوافق تماما مع سياق الآية المباركة ، الذي يُظهر التلازم الدلالي بين المودة واقتراف الحسنة ، فمن يودّ أهل البيت عليهم السلام ويحبّهم ، يقترف بهذا الود حَسَنةً ، تعهّد الله تعالى بزيادتها حسنا وبهاء . والآن كيف نتأوّل زيادة الحسن المشار إليها .

إنّ مرويات أهل البيت عليهم السلام تكشف لنا دلالة الاقتراف هنا ، فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال : ((الاقتراف : التسليم لنا ، والصدق علينا ، ولا يكذب علينا))(١٢) ، وهذا التوجيه يفسر لنا ـ حقا ـ قوله تعالى: ﴿ ... نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً . ﴾ (١٣) إذ أنّ التسليم قد لا يكون تاما، والصدق قد يشوبه شيء من الارتياب ، فجاء هذا القول ليظهر ، إنّ الله تعالى يُتّم التسليم ، فيصبح أكثر حسنا وجمالا ، ومتى يكون هذا ؟ يكون حينما تكون مودة أهل البيت عليهم السلام غير تامة على وفق هذا التوجيه ، أما إذا كانت تامة ، فإنّ زيادة الحسن المشار إليها قد تعني زيادة الأمر منه جلّ شأنه فتزداد الحسنة هنا أيضاً حسناً وبهاءً ، والى قريب من هذا ذهب السيد الطباطبائي في الميزان حين قال : ((ومن يكتسب حسنة نزد له في تلك الحسنة حسناً ـ برفع نقائصها وزيادة أجرها ، إنّ الله غفور يمحو السيئات ، شكور ينظر محاسن العمل من عامله))(١٤).

ولعل من المناسب أن نشير هنا الى أنّ قول الإمام الحسن عليه السلام جاء في سياق خطبة خطبها صبيحة الليلة التي قُبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام وأراد فيها ـ فضلا عما ذكرناه من قبل ـ التوكيد على وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام ، ليدفع المسلمين الى المحافظة على هذه الفريضة التي تبعدهم عن الخضوع لسلطان الجاه والمال الذي يُلوّح به الخصوم .

ويستند الإمام الحسن عليه السلام الى آية المودة ـ أيضاً ـ في حديث آخر عن محبة أهل البيت عليهم السلام، فيقول بعد أن يقرأ الآية المباركة ((واعلموا انّ من يبخل المودة فإنّما يبخل عن نفسه ، إنّ الله هو الغنيّ وأنتم الفقراء إليه ، فاعملوا من بعد ما شئتم ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، ثم تُردون الى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلّا على الظالمين))(١٥) .

يبسط الإمام الحسن عليه السلام الاستدلال على مودة أهل البيت عليهم السلام هنا ، باسلوب حجاجي، يتمظهر في هذا التوليد الدلالي إذ يُولد البخل بمودة أهل البيت عليهم السلام ، من بخل الانسان الذي يصدر من نفسه ، وهذا ضرب من البخل غير مألوف ، جسّده الإمام الحسن عليه السلام في قوله هذا . ويمكن أنْ ندرك هذا من القول : إنّ مودة أهل البيت فرض من الله تعالى ، ومن لا يتمسك بهذه المودة يخالف ما أمر به تعالى من اجتناب البخل(١٦) .

وعلى هذا الوجه جاءت أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي تَذمَ البخل وتدعو الى اجتنابه، كما في قول الإمام علي عليه السلام : ((اذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالبخل))(١٧) .

إنّ البخل الذي يجلّي معناه الإمام هنا ، هو غير البخل الذي يقابل الكرم ، وإنما البخل الذي يمنع ما يأمر به الله تعالى ، إذ أنه سيدفع صاحبه الى منع الحقوق المفروضة ، وفي مقدمة هذه الحقوق ، حق المودة .

وقد يعترض هنا ، ويقال : إن المودة قضية ترتبط بعواطف الانسان ، التي قد لا يقوى على التحكّم بها أحياناً . والجواب عن هذا يكشفه ما يأتي : إنّ سيرة أهل البيت عليهم السلام العادلة، وسلوكهم المستقيم على منهج الله تعالى ، جعلهم مهوى أفئدة الناس في العصور كلّها ، وهذا وعدٌ من الله تعالى جاء استجابة لدعوة النبي ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى ﴿ ... فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾(١٨) ، هذا فضلاً عن أنّ أهل البيت عليهم السلام معصومون من الخطأ، والانسان المسلم وغير المسلم يحبهم بفطرته اذا اطلع على سيرتهم ، إلّا أنْ ينحو منحى آخر بفعل المؤثرات العدائية التي يكنّها بعض الخصوم لهم .. وهنا يدخل هذا الانسان في سجن البخل المشار إليه في حديث الإمام عليه السلام .

وفي الرواية الآتية بيان أكثر لما بسطناه ، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه سمع رجلاًيقول ((الشحيح أعذر من الظالم ، فقال له كذبت ، إنّ الظالم قد يتوب ويستغفر ويرد ظلامته على أهلها ، والشحيح اذا شحَّ منع الزكاة ، والصدقة ، وصلة الرحم واقراء الضيف والنفقة في سبيل الله عز وجل وأبواب البرّ ، وحرام على الجنة أنْ يدخلها شحيح))(١٩) .

وقد يقال هنا ، إنّ الأبواب الواردة في قول الإمام علي عليه السلام هذا ، تنطوي على بخل مادي، وعدم مودة أهل البيت عليهم السلام بخل معنوي ، فكيف يتوافق الأمران على بُعد ما بينهما .

إنّ الإجابة عن هذا تستدعي البيان الآتي : إنّ من يبخل بمودته لأهل البيت ﭺ، يهدم الأس الذي تقوم عليه العبادات الأخرى ـ وبضمنها ما ورد في حديث الإمام علي ﭺ المشار إليه قبل قليل . فلا يعبأ بأي شيء بعد ذلك . وبذا يقود البخل المعنوي الى البخل المادي . ويُولد الثاني من الأول ولادة طبيعية ، وسيتبيّن في ما يرد من حديث الإمام الحسن ﭺ هذا المعنى بعد قليل .

ويقفّي الإمام الحسن ﭺ استثماره للآية السابقة ، باستثمار آية أخرى ، حينما قال ((إنّ الله هو الغنيّ وأنتم الفقراء إليه)) ، وهذا القول يُهيّء المتلقي لاستحضار قوله تعالى في الآية السابقة نفسها ﴿ ... وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[٢٠]، ويقوده الى تأمّل الدلالات التي تنطوي عليها الآية الكريمة، من أنّ مودةَ أهل البيت ﭺ ، هي تقرّب الى الله تعالى ، ومن يبخل بها ، فإنّ الله تعالى ، هو الغنيّ الذي لا يحتاج الى أحد ، وهؤلاء البخلاء بالمودة هم الفقراء الى الله (وكل الناس فقراء الى الله) ، وعلى الرغم من ان الإمام الحسن ﭺ اكتفى بالجزء الأول من الآية ، فإنّ المتلقي سيستحضر الجزء الثاني منها استحضاراً معرفياً ، وهذا سيكون شهادة عليه يستقدمها بنفسه ، فتكون أكثر تأثيراً ، وأشدّ وقعاً في نفسه .

ثم يأتي قوله ﭺ : ((فاعلموا ما شئتم ، فسيرى اللهُ عملكم ورسولُه والمؤمنون ثم تُردّون الى علم الغيب والشهادة)) .

لا بد من الإشارة أولا الى أنّ قوله ﭺ (اعملوا ما شئتم ، مستمد من قوله تعالى: ﴿ ... اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢١] وسياق هذه الآية المباركة سياق تهديد بل تشديد في التهديد[٢٢] ، وسياق كلام الإمام ﭺ سياق تهديد أيضا على وفق ما بيّناه ، فالتقى قوله ﭺ مع ما تبرّزه الآية الكريمة . وهنا أيضاً ترك الإمام ﭺ للمتلقي استحضار الآية بتمامها للتدبر في ما فيها من تهديد ظاهر و وعيد بيّن ، للبخل بمودة أهل البيت ﭺ، وجاء بشهادة أخرى من آية قرآنية أخرى ، تسير في اتجاه التهديد المشار إليه ، وهي قوله ((فسيرى الله عملكم ...)) .. ولعلّ الإمام هنا يريد أنْ يقطع على من يبخل بالمودة سبل التسلل من محاصرة الحق له ، اذا أراد أن لا يشهر بعدائه لأهل البيت ﭺ في القول ، من خلال رؤية الله

عز وجل والرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنون لحمله أي لعدم مودته لأهل البيت عليهم السلام وبغضه لهم ، على وفق السياق الذي سيّج به الإمام عليه السلام هذه الآية .

وثمة أمر يُفصح عن نفسه هنا ، وهو: من هؤلاء المؤمنون الذين يروا أعمال العباد بعد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، والذين ذكرتهم الآية المباركة ، وذكرهم الإمام الحسن عليه السلام من خلال ذكرها ؟ .

إنّ الوقوف العقلي على هذا الأمر ، يشير الى أنّ (الرؤية) المشار اليها في الآية تكوون في الدنيا(٢٣) ، بدلالة بقية الآية ((وستردون الى عالم ...)) وهذا الرد سيكون في الآخرة ، من حيث المنطق العقلي ، ومن حيث دلالة الصياغة اللغوية في الاستقبال ((وستردون)).

واستنادا الى هذا ، فإننا نُبعد هنا ما ذهب اليه بعض المفسرين من أنَّ هذه الرؤية تكون في يوم القيامة(٢٤) ، لأنّ السياق يرفض هذا التوجيه ، واذا أضعفت اللغة أمرا ، لا تقوّيه الرواية ، لأنّ القرآن عربي نزل بلغةِ العربِ ، والمرويات لها ما لها وعليها ما عليها .

فالرؤية اذاً تكون في الحياةِ الدنيا على وفق ما تؤديه دلالة الآية المباركة ، وقد أمدتنا المصادر الروائية بهذا المضمون ، فقد ذهب كثير من المفسرين الى ان أعمال العباد تعرض على النبي صلى الله عليه وآله وعلى أئمة الهدى كل يوم اثنين وخميس فيرونها ، وهذا ما أراده الله تعالى في قوله ((والمؤمنون))(٢٥) .

وثمة رواية أخرى تغرينا أكثر بالتشبث بهذه الدلالة ، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال بشأن (المؤمنون) في الآية ليس هكذا ، إنّما هي والمأمونون ، فنحن المأمونون))(٢٦).

إنّ هذا التحليل المفهومي لدلالة الآية ، يضعنا الى حد معقول تماما أمام ما أراده الإمام الحسن عليه السلام في قولته السابقة ، إذ تناغمت هذه الدلالة مع (التهديد) الذي أشرنا إليه . وهذا كلّه آتٍ من مجافاة مودة أهل البيت عليهم السلام والبخل بها .

إنّ توجيه الإمام الحسن عليه السلام لدلالة البخل هنا ، يُنتج لنا دلالة لم نقف عليها في المعاجم اللغوية ، باستثناء اشارة مُقتضبة ، وردت في تاج العروس ، حينما فسّر حدّ البخل بقوله ((إمساك المقتنيات عمّا لا يحلّ حسبها عنه ، وشرعاً منع الواجب))(٢٧) ، ومن هنا يكون هذا المعنى إضافة معرفية من الإمام الحسن عليه السلام الى اللغة بأنْ يكون هذا المعنى مجازيا، وفي

الوقت نفسه هو معنى حقيقي أيضا بدلالته التي بسطها الإمام الحسن (عليه السلام) ، وأخذها صاحب تاج العروس من قوله هذا في أغلبِ الظنِّ .

فضائل أهل البيت (عليهم السلام)

على الرغم من معرفة المسلمين بفضائل أهل البيت (عليهم السلام) وخصالهم وسجاياهم التي خصّهم الله تعالى بها ، إذ كانوا يتمثّلونها في حياتهم في كلِّ حين ، إلّا أنّ القليل منهم خالف ما أجمع عليه المسلمون ، وراح ينسب اليهم صفاتٍ ، أو ينسبهم الى صفات ليست من شأنهم ، بعد أن طهرهم الله تعالى من كل رجس ، وصيّرهم قدوة وأسوة لعباده .

وقد استشعر الإمام الحسن (عليه السلام) ما يكنّه بعض خصومه لهم من بغض خفيّ أو معلن ، فراح بحكم واجبه الربّاني ـ ينبّه الناس ويُبصّرهم بحقيقة أهل البيت الإلهية ، لا من أجل تحقيق شيء ذاتي له ، وهذا مستبعد تماماً ـ ، وإنّما من أجل إبعاد المسلمين عن الانزلاق الى مهاوي عصيان الله تعالى ، بعد أن فرض حب أهل البيت (عليهم السلام) ومودتهم ، على النحو الذي رأيناه في الصفحات السابقة ، ولعلّ في ذكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، ما يمكن أنْ يكون حاجزاً دينيا وأخلاقيا يردع المبغضين من أنْ ينالوا منهم ، لأنّ هذه الفضائل تثبت بما لا يُبقي شكاً لمرتابأنّ أهل هذا البيت مسدّدون من اللهِ تعالى ، ونحن هنا لا نقول هذا الكلام بدافع قبلياتنا العقائدية وهو حقّ ، ولكن ما بسطناه فيما مضى وما سنبسطه الآن هو ما أعاننا على استنباطه المنهج التأويلي الذي تبنيناه في قراءة أحاديث الإمام الحسن (عليه السلام) وخطبه وأقواله .

يقول الإمام (عليه السلام) ((يا أيها الناس اعقلوا عن ربّكم ، إنّ الله عز وجل اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض))[٢٨].

تتضمن عتبة هذا النص (اعقلوا عن ربكم) ، دلالات تأويلية ، ستفتح أمامنا سبل الغور في أعماق النص للوصول الى المعاني الذي نعتقد بجدّتها ونحن نستقرئ قول الإمام (عليه السلام) وسنقف هنا على دلالات الاستعمال الاجتماعي لجذري مفردتي هذا الجزء (عقل ورب).

جاء في لسان العرب تحت الجذر (عقل) ما يأتي[٢٩] :-

١ـ رجل عاقل : جامع لأمره ورأيه ، مأخوذ عن عقلت البعير اذا جمعت قوائمه .

٢ـ العاقل : الذي حبس نفسه ويردّها عن هواها .

٣ـ المعقول : ما تعقله بقلبك .

٤- العقل : التشبث في الأمور .

ومن معاني الجذر (ربب) في لسان العرب ما يأتي(٣٠) :-

١ـ رب كل شيء : مالكه ومستحقه .

٢ـ رب هذا الشيء : أيْ ملكه له ، ولكل من ملك شيئاً فهو ربّه .

٣ـ الرب : المالك والسيد والمدبر والمربّي والقيم والمنعم .

إنّ إجالة النظر في هذه المعاني ، وشدّها الى بعضها على النحو الذي جاء في كلام الإمام الحسن عليه السلام ، تظهر لنا أنّه عليه السلام أراد من المسلمين ، أنْ يتعقّلوا بقلوبهم وعقولهم ، ويتثبتوا في أمورهم بما يُبعدهم عن السير خلف هوى النفس ، والامتثال لأوامر الله تعالى ، لأنّه مالكهم وسيدهم والمدبر لأمورهم والمربّي لهم والقيم عليهم والمنعم بنعمه التي لا تحصى على الخلق أجمعين .

إنّ هذا المحتوى المعرفي الذي تلمسناه تأويليا من كلام الإمام عليه السلام والذي نعتقد تماماًأنّ المتلقي عصرئذ تلمّسه قبلنا استنادا الى معرفته العميقة بسبل التعبير بلغته(٣١) ، سيدفع المسلمين الى التأمل فيما ينطوي عليه الحدث ، وتدبر الكلام الذي سيقوله على وفق ما جاء في معاني (الجذرين)، إذ تظهر ضروب من رحمة الله تعالى بعباده ممثلة بأهل البيت عليهم السلام .

لقد دعا الإمام عليه السلام الناس الى هذا الضربِ من التدبّر والتأمل في نعم الله كلّها ، وفي دلالة آيتي سورة (آل عمران) اللتين استعان بهما في قوله ، لأنّهما المحور الذي يدور حوله حجاجه مع من يخاطبهم ، فالله عليه السلام اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ؟ فما الذي يريده الإمام عليه السلام من الاستشهاد بهذا النص القرآني ؟ .

لا شك إنّ هذا الجزء من آية سورة (آل عمران) ينطوي على دلالات تتعلق بأهل البيت عليهم السلام، وهي تكمن خلف المعنى الظاهري ، أراد الإمام عليه السلام أن يلوّح بها من خلال الآية ، ويلفت نظر السامعين اليها ، بعد أن بصّرهم بأهمية التعقل والتدبّر والرويّة والتأمل من أجل تلمس ذلك كلّه . ثم يأتي التفصيل المبين في بقية الحديث ـ بعد أسطر إن شاء الله

إنّ الدلالات التي تعنينا هنا ، اصطفاء الله ـ عز وجل ـ لمن ورد ذكره من الأنبياء وآلهم ، وتفضيلهم على العالمين جميعا ، وليس من بين العالمين بدلالة حرف الجر (على) الذي يفيد الاستعلاء[٣٢] . فالمعنى الأول اذا ، إنّ هؤلاء جميعاً مقدمون على خلق الله بمشيئته هو جلّ شأنه ، ولا دخل لبشر بهذا الاختيار ، فهو اختيار ربّاني محض .

وقد مهّد الإمام عليه السلام بهذا كلّه لما يأتي من قوله وهو ((فنحن الذرية من آدم والأسرة من نوح والصفوة من ابراهيم والسلالة من اسماعيل وآل محمد نحن))[٣٣] .

إنّ ذكر آدم عليه السلام هنا ، جاء بوصفه أبا البشر وبوصفه نبيا وبوصفه يحمل صفة ثالثة ستتكشف لنا بعد حين .

فالصفة الأولى يشترك فيها أهل البيت عليهم السلام مع غيرهم ، لأنّ الجميع من ذرية آدم عليه السلام . وهنا نقول إنّ هذا المعنى يبدو تقريريا ، لأنّ ورود ((ذرية بعضها من بعض)) في الآية الكريمة ـ والتي يستحضرها المسلم ليتم بها الآية التي استشهد بها الإمام عليه السلام تمنع من أن يكون المراد هنا هذا المعنى فقط ، لأنّ قول الإمام عليه السلام ينحو منحى قرآنياً تماما، ويستشهد بجزء من الآية ، ليمنحَ المتلقي فرصة مشاركته في استحضار تتمتها ، لأنّ ذلك أكثر تأثيراً في نفسه ، وأقدر على توجيهه الى ما يريده الإمام عليه السلام .

واستناداً الى هذا لا بد من التفكير في الدلالة التي تختبئ خلف النص ، والتي سيقودنا اليها النص حتما ، وهذا يستدعي أنْ نعطف بصرنا على الصفة الثانية لآدم عليه السلام ، وهي صفة النبوة ، فنقول :ـ

إنّ الإمام عليه السلام ، يشير هنا الى فضاء معرفي آخر يتسع للتوجيه الذي نريده ، والمتمثل في أنّ أهل البيت عليهم السلام ، يحملون من آدم عليه السلام صفات النبوّة ، ومرّت من خلاله صفاتُهم بمشيئة الله تعالى ، فصاروا مصداقا لدلالة قوله تعالى:(ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٣٤]، فالاشتراك يجعل آدم عليه السلام من أهل البيت عليهم السلام ويجعلهم عليهم السلام منه ، وهذا الامتزاج الدلالي يحمله والله تعالى أعلم هذا المقطع من الآية الكريمة ، يؤيد هذا ويقوّيه ويزيده بيانا ما جاء في قول للنبي صلى الله عليه وآله ((كنت أنا وعلي نوراً في جهة آدم عليه السلام فانتقلنا من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام المطهّرة ، حتى صرنا الى الأرحام المطهّرة الزاكية ، حتى صرنا في صُلب عبد المطلب، فانقسم النور قسمين ، فصار قسم في عبد الله وقسم في أبي طالب ، فخرجت أنا من عبد الله وخرج عليٌّ من أبي طالب))[٣٥] .

إنَّ قول الإمام الحسن عليه السلام مولودٌ من هذا الحديث النبوي الشريف ، واستناداً اليه ، لا يمكن أن تكون دلالة (فنحن الذرية من آدم) إلّا بهذا التوجيه الذي تأّولناه من البيان الحسني استنادا الى الآية المباركة والبيان النبوي في هذا الحديث .

أما قوله عليه السلام ((والأسرة من نوح)) ، فيستدعي أيضا أنْ نلتفت الى لسان العرب لنقف على دلالة جذر المفردة المركزية فيه (الأسرة) . جاء في لسان العرب[٣٦] :-

١ـ الأسر : الشدّ والعصب .

٢ـ الأسر : القوة والحبس .

٣ـ الأسرة : الدرع الحصينة .

٤ـ أسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون ، لأنه يتقوى بهم .

فنوحٌ هو الأب الثاني للبشرية بعد آدم عليه السلام ، إذ لم ينجُ معه من الطوفان الى من ركب معه في السفينة ، وحينما يقول الإمام الحسن عليه السلام ((نحن الأسرة من نوح)) ، وبدلالة المعاني التي أمدّنا بها الاستعمال الاجتماعي للجذر (أسر) في أعلاه ، يكون أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، الشدّ والعصب والقوة والبأس والدرع الحصينة التي تقوّى بها نوح عليه السلام وهو يواجه أهوال الطوفان ، فكيف تحقق هذا ؟ .

إن العودة الى الحديث الشريف الذي أثبتناه قبل قليل عن (نور النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام) ، يجعل هذه المقاربة المعرفية أمراً معقولا ، إذ أنّ ذلك النور كان مع نوح عليه السلام بالصفات المشار إليها التي أمدّنا بها الجذر (أسر) كما رأينا ذلك .

وحديث آخر للنبي صلى الله عليه وآله ، يجلّي هذه الحقيقة ، ويزيدها بيانا يقول منه ((إني وأهل بيتي كنا نوراً يسعى بين يدي الله تبارك وتعالى قبل أنْ يخلق الله عز وجل آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف سنة ، فلما خلق آدم عليه السلام وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه الى الأرض ثم حمله في السفينة في صُلب نوح عليه السلام))[٣٧] .

فهذا النور المشار إليه هو الدرع التي تدرع بها نوح عليه السلام بمشيئة الله ، وهو في سفينته التي يقلّبها موج كالجبال ، قبل أنْ ترسو على الجودي .

أما قوله عليه السلام ((والصفوة من ابراهيم)) ، فينطوي على بيان للمراد بآل ابراهيم في الآية المباركة التي مرت (آية الاصطفاء) ، إذ خصّ بعضا من ذريته وليس كلّهم ، وهذا البعض همُ الذين صاروا سلالةً من اسماعيل في المقطع الآخر من كلام الإمام عليه السلام ، وهم أهل البيت عليهم السلام فهو الصفوة من هذا النسب الطاهر ، والصفوة ((خيار الشيء ، وخلاصته وما صفا منه))[٣٨]، وهذا المعنى يتوافق مع ما ميّز الله تعالى به أهل البيت عليهم السلام من حيث سموّ النسب ونقائه وطهارته وتفرّده .

أما قوله عليه السلام ((والسلالة من اسماعيل ، فإنه خصّ اسماعيل عليه السلام بهذه الإشارة لأنّ أهل البيت عليهم السلام من سلالته ثم من سلالة ابراهيم ، ولأنهم عليهم السلام دعوتُه حينما دعا ربه بقوله تعالى (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)[٣٩]، إذ أراد اسماعيل عليه السلام بدعوته أنْ يمنَّ الله تعالى عليه بشريعة ربانية تبقى الى يوم القيامة[٤٠] ، وهي شريعة النبي محمد صلى الله عليه وآله ، هذا فضلاً عن أنّ هناك من فسّر لسان الصدق هذا الذي أراده اسماعيل عليه السلام بدعوته ، بالإمام علي بن أبي طالب[٤١] . واستناداً الى هذا تتضح دلالة هذه السلالة المباركة من ولد اسماعيل .

ويبقى من هذا الجزء من قول الإمام الحسن عليه السلام ((وآل محمد نحنُ)) . فآل محمد عليهم السلام، هم الخلاصة النقية التي شاء الله تعالى أن يجعلها بداية لخلقه وخاتمة له ، وهم الامتداد الرباني من الأنبياء السابقين الذي ذكره الإمام عليه السلام. وهذا الامتداد ليس نسبيّاً فقط ، إذ قد يدعيه غيرهم من بني هاشم ، ولكنّه امتداد رسالي ، ومن هنا نفهم تماماً مراد الإمام عليه السلام من قوله ((وآل محمد نحن)) . وهذا الفهم غالباً ما كان يثير ضغائن خصوم أهل البيت عليهم السلام ، فقد قال محمد بن الأشعث بن قيس الكندي للحسين عليه السلام يوم الطف ((يا حسين أية حرمة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ليست لغيرك ، فتلا الحسين هذه الآية (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ، ثم قال : والله إنّ محمداً لمن آل ابراهيم ، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد))[٤٢] .

فابن الأشعث ــ هنا ــ أراد أنْ يقصر صلة الحسين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله على النسب، فيصبح قتله قتل فرد من المسلمين ، لم يرض عنه الوالي أو صاحب الأمر ، ولكنّ الحسين عليه السلام أجابه بمضمون كلام أخيه الإمام الحسن عليه السلام ، إذ وجّه الصلة الى ما يريده الله عز وجل على وفق ما قدمناه.

وثمة أمر هنا يستدعي أنْ نقف عنده ، وهو قوله تعالى (ذرية بعضها من بعض) الذي ورد في قول الإمام الحسن عليه السلام فنقول :-

إنّ بعض الشيء طائفة منه ، فآل محمد عليهم السلام بعض من ذرية اسماعيل عليه السلام ، فهل اسماعيل بعض من ذرية محمد صلى الله عليه وآله وهو جدّه ؟ .

إنّ نور النبي صلى الله عليه وآله ونور علي عليه السلام ، وهما النور الواحد الذي مرّ ذكره قبل قليل ، أخذ منه الأنبياء والمرسلون الذين سبقوا ، بل إنّ كلَّ خلقِ الله عز وجل أخذ من نور الخمسة (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) لأنّ الله تعالى خلق نورهم قبل خلق آدم عليه السلام (٤٣). واستناداً الى هذا التوصيف المعرفي ، نفهم الآن دلالة الآية المباركة في انّ هذه الذرية بعضها من بعض(٤٤) .

وينتقل الإمام الحسن عليه السلام بعد قوله السابق الى ذكر بعض صفات أهل البيت عليهم السلام ، بعد أنْ بيّن صلتهم بالأنبياء السابقين كما مرّ بنا فيقول ذاكراً بعض صفاتهم :- ((نحن فيكم كالسماء المرفوعة ، والأرض المدحوّة ، والشمس الضاحية ، وكالشجرة الزيتونة ، لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها ، النبي أصلها وعلي نوعها ، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة ، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا ، ومن تخلّف عنها ، فإلى النار هوى))(٤٥) .

إنّ هذه التشبيهات التي استعان بها الإمام الحسن عليه السلام لبيان بعض صفات أهل البيت عليهم السلام، جاءت زاخرة بالمعاني التي سعى الإمام الى بيانها ، من خلال هذا البسط البياني لما يريد بيانه ، فقد شبه أهل البيت عليهم السلام بالسماء المرفوعة ؟ فما الذي يريده الإمام عليه السلام من هذا التشبيه ؟ .

إن الوُصُول المطمئن لما يبتغيه عليه السلام ، يستدعي أنْ ننظر في دلالات الاستعمال الاجتماعي لمفردتي النصّ . جاء في لسان العرب تحت الجذر (سما)(٤٦) .

١ـ السماء : سقف كل شيء وكل بيت .

٢ـ السماء : يقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو .

٣ـ والسماء : ما علاك وأظلك .

وجاء تحت الجذر (رفع) ما يأتي(٤٧) :-

١ـ ارتفع الشيء بنفسه ارتفاعاً اذا علا .

٢ـ ارتفع الشيء اذا تقدم .

٣ـ رفع يرفع رفاعة ، فهو رفيع اذا شرف .

إنّ مزاوجة هذه الدلالات التي أمدنا بها الاستعمال الاجتماعي وربطها بأهل البيت عليهم السلام على وفق وصف الإمام الحسن عليه السلام تُفضي بنا الى ما يأتي :-

إنّ أهل البيت عليهم السلام ، عَلَوا على جميع الناس فأظلوهم بظلّهم ، ولم يقتصر ظلّهم على المسلمين فقط ، لأن السماء سقف لكل شيء ، وعلوّهم عليهم السلام وارتفاعهم جاء بمشيئة الله عز وجل ، إذ سبقوا غيرهم وتقدّموا عليهم بما حباهم الله تعالى به من شرف وعزّ وكمال وسموّ، واستناداً الى هذا ، فليس بمقدور أي انسان أنْ يستغني عن وجودهم في حياته،أرغب في ذلك أم رغب عنه .

وقد يقال هنا ، إنّ هذا الذي نقوله قد يبدو غير متحقق الآن عند المسلمين جميعا ، فما بالك بالأمم الاخرى والديانات المختلفة ، والإجابة عن هذا تقتضي أن نقول : إنّ هذا الذي قد لا يبدو متحققا هو واقع الآن وفي كلّ حين الى أن يرث الأرض عباد الله الصالحون ، فأهل البيت عليهم السلام هم أوتاد الأرض التي شاء الله أن يثبّتها بهم ، ولولاهم لساخت بأهلها ، يقول النبي صلى الله عليه وآله باسطاً هذه الحقيقة ((... بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها))[٤٨] ومن هنا تتبين لنا دلالة (السماء المرفوعة) التي ذكرها الإمام الحسن عليه السلام.

بيد أننا نلحظ ممايزة أخرى ، يمكن أنْ نستنبطها من قول الإمام عليه السلام ـ هذا ، وهي إنّ (السماء المرفوعة) تستدعي تدبراً وتأملا وإجالة نظر في قدرة الله تعالى ، والناظر في سيرة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم ، يحتاج الى تأمل وتدبّر في تلك السيرة ، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ((إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يقرُّ به إلّا ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان))[٤٩] وهذا يعني من جملة ما يعنيه ، إنّ كلامهم ذو وجوه كثيرة، ومن بين هذه الوجوه وأظهرها أثرهم عليهم السلام في نظام الوجود بمشيئة الله تعالى ، ودلالة (السماء المرفوعة) تستوعب هذا المعنى كما رأينا .

وثمة أمر ثالث ، يلوح لنا في القراءة التأويلية لـ (السماء المرفوعة) ، يتمثل في اقتران ذكر الغيث بالسماء في القرآن الكريم ، في آيات كثيرة(٥٠) ، كما في قوله تعالى ((وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، واذا سقط الغيث فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون))(٥١)، وإذا سقط الغيث ربت الأرض وجادت بثمارها ، وعلى هذا النحو التكويني ، تكون بركة أهل البيت عليهم السلام لأهل الأرض جميعاً ، لأنّ (السماء) هي التي تغطّي هذه الأرض وتمنحها غيثها . وهذا التوجيه المجازي ، يقابله توجيه حقيقي لبركة (السماء المرفوعة) ، نتلمسه في قول النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام ((... الأئمة من ولدك ، بهم تُسقى أمتي الغيث وبهم يستجاب دعاؤهم ، وبهم يصرف الله عنهم البلاء ، وبهم تتنزل الرحمة من السماء))(٥٢).

ويأتي الجزء الثاني من قول الإمام الحسن عليه السلام السابق ، ((والأرض المدحوّة)) متعانقا مع ((السماء المرفوعة)) في الإشارة الى مواطن الخير والنماء التي يمثلها أهل البيت عليهم السلام ، ولبيان هذا التعانق الدلالي نلتفت مرة أخرى الى لسان العرب ، لنقرأ دلالة المدحوة(٥٣):-

١ـ الدحو : البسط ، دحا الأرض دحواً بسطها .

٢ـ الدحو : دحا الأرض أوسعها .

٣ـ الدحية : رئيس الجند ومقدمهم ، وكأنه من دحاه يدحوه ، إذا بسطه ومهّده ، لأن الرئيس له البسط والتمهيد .

إن أهل البيت عليهم السلام على وفق ما يقدمه هذا الجذر من معان في قول الإمام الحسن عليه السلام هُمُ الأرض التي يعيش عليها بنو الانسان ، ولولاها لانعدمت الحياة ، فهم عليهم السلام سرّ الحياة فيها، لأنّ بركاتها متعلقة بهم عليهم السلام يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام ((... ونحن الذين بنا يُمسك الله السماء أنْ تقع على الأرض إلّا بأذنه ... ويخرج بركات الأرض ، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها))(٥٤) .

وأهل البيت عليهم السلام أيضا لهم البسط والتمهيد في هذه الأرض لأنهم رؤساؤها والمقدمون فيها ، وهم الباب الذي يصل من خلاله المسلم الى ربّه . ويجسّد هذه الرئاسة ما جاء في حديث للإمام أبي عبد الله الصادق يصف فيه الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده يقول فيه

((كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتي إلّا منه ، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد))[٥٥] .

أما الدلالات التأويلية لقول الإمام الحسن عليه السلام ((والشمس الضاحية)) ، فتحتم علينا العودة الى الاستعمال الاجتماعي لجذر (الضاحية) ضحا ، وفيه[٥٦] :-

١ـ الضحى : اذا امتد النهار ، وتبيّض فيه الشمس جداً .

٢ـ اذا ارتفع النهار واشتد وقع الشمس ، وصفا ضوئها .

إنّ هذه المعاني راكزةٌ عند المتلقي ، ولكنّها ترتدي ثوبا دلاليا، في كلام الإمام عليه السلام ، إذ تصبح دلالة الشمس معنوية لها دلالات ماديته ، فالشمس مصدر الضياء الذي تقوم الحياة به ، ولعل في هذا استحضار لقوله تعالى ((هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً))، فأهل البيت عليهم السلام هم الذين يجودون بنورهم على الخلائق ، فتبصر به ، ويعطون للأفلاك والأرضين ما تُعطيه الشمس من سُبل دوام الحياة . وهنا قد يُعيننا إذا أخذنا بقراءة أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى ((والشمس تجري لمستقر لها))[٥٧] على وضع اليد على معنى تأويلي يفضي الى أنّ نظام الدنيا يبقى منتظما على حاله ، ثم ينقضي أجله بسكون الشمس ، ومن هنا يكون الكون مرتبطا بوجود أهل البيت عليهم السلام وحركتهم ، فاذا سكنوا بعد ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف انتهت الدنيا في اليوم الموعود .

ويبقى من قوله عليه السلام : ((وكالشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها)) .

لعلّ بنا حاجة هنا الى التعليق على المعنى الظاهري للنّص ، وأول ما يبرز أمامنا هو اقتباس الإمام عليه السلام بعض قوله من قوله تعالى ((الله نور السماوات والأرض ...))[٥٨]، فاقتباس الإمام الحسن عليه السلام بعض ألفاظ هذه الآية ، يأخذ المتلقي الى استحضار الآية كلّها، ليتأمل في معانيها ، ويتدبر دلالاتها ، وهي عن مثل نور الله عليه السلام، ومثل هذا التدبر ، يُبعد المعنى الظاهري الذي قال به كثير من المفسرين[٥٩]، لأنّ نور السماوات والأرض ، قد لا يكون محصورا بهذا التشبيه ، وعلى الرغم من هذا كلّه ، فلا بأس من أن تنظر في المعنى الظاهري الذي يتشكل من جزئيات النص .

فالإمام يتبع أوصافه السابقة لأهل البيت عليهم السلام بهذا الوصف ، إذ يشبههم بالشجرة المذكورة في الآية السابقة ، فهي زيتونة مباركة ، والمراد بكونها ((لا شرقية ولا غربية ، إنّها ليست ثابتة في الجانب الشرقي ولا في الجانب الغربي حتى تقع الشمس عليها في أحد طرفي النهار ، ويفيء الظلُّ عليها في الطرف الآخر ، فلا تنضج ثمرتها ... بل هي ضاحية تأخذ من الشمس حظها طول النهار فيجود دهنها لكمال نضج ثمرتها))(٦٠) ، ومن هنا يظهر التجانس الدلالي بين الشمس الضاحية ، وبين هذه الشجرة الضاحية أيضاً ، التي يُظهر الوصف كمالها ، فيكون ثمرها كاملا أيضاً .

والآن يجدر بنا أنْ نعود الى قول الإمام الحسن عليه السلام وهو تفسير لدلالة الآية الكريمة ، من خلال تشبيه أهل البيت عليهم السلام بالشجرة الزيتونة ، إذ يقول ((النبي أصلها وعلي فرعها ، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة)) ، إنّ هذا التأويل الذي يبسطه الإمام عليه السلام ، آتٍ من علمٍ راسخ عُرف به أئمة أهل البيت عليهم السلام ، لأنّهم هُمُ الراسخون في العلم الذين ردّ الله تعالى إليهم علم تأويل متشابه القرآن في قوله تعالى ((... وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم ...))(٦١) ، إنّ هذه المرجعية التأويلية التي ذكرها الإمام عليه السلام هي التي تُيّسر على المسلمين فهم المعنى القرآني ، وإلّا فإنّ ظاهر المعنى لا يُفضي حقا الى ما يحقّق الاطمئنان التام لدلالة الآية الكريمة ـ كما أشرنا قبل قليل ـ ولا يمكن الاكتفاء به ، ولكنّ توجيه الإمام عليه السلام ، يَسّر علينا تسلم المعنى التأويلي الذي يتسق مع السياق الذي وردت فيه ، وهذا التوجيه تمسك به جمع من المفسرين(٦٢) ، لأنّه صادر من الإمام الحسن عليه السلام وبمسمعٍ من أمير المؤمنين عليه السلام ، إذْ شهد بهذا الذي نقوله سيد البيان نفسه ، فحينما انتهى الإمام الحسن عليه السلام من خطبته هذه قام من أقصى الناس يسحب رداءه من خلفه ((حتى علا المنبر مع الحسن عليه السلام فيقبّل بين عينيه ، ثم قال : يا ابن رسول الله ، الله أَثبتَ على القوم حُجتَكَ وأوجبت عليهم طاعتك فويل لمن خالفك))(٦٣) .

الخاتمة

لقد تبيّن من الصفحات التي مرّت من هذا البحث سموّ المكانة الكبيرة والمنزلة السامية التي أرادها الله تعالى لأهلِ البيتِ عليهم السلام وقد فتح المنهجُ التأويلي الذي تبنيناه في قراءة أحاديث الإمام الحسن عليه السلام وخطبه، أمامنا سُبُلا جديدة للوصول الى المعاني الخفية، المضمرة في كلامه عليه السلام، وهذا الخفاء الذي استرشدنا الى بيانه بالتأويل، لم يكن في زمان الإمام عليه السلام على هذا النحو، بل ربما كان واضحا مع غموض شفيف يزيده اشراقا بعد اكتشافه، ويتيح للمتلقي فرصة الاستجابة لمراد الإمام عليه السلام، والتمتع بهذه الاستجابة، بعد ان أمتعه الاطار الفني الذي اتخذ من نهج بلاغة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سبيلاً له.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

الهوامش

١- نهج البلاغة ٢/ ٦٢٢ .
٢- الإرشاد ٢/ ٨ ، وينظر : كشف الغمّة ٢/ ٦٥١ .
٣- لسان العرب (فرض) .
٤- لسان العرب (ودد) .
٥- الشعراء ١٠٩.
٦- يُنظر : ينظر تفسير القمي ٣٢٩ ، مجمع البيان ٥٦٠ ، تفسير القرطبي ١٦ / ٢١ ، تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٠ .
٧- يُنظر : تفسير القرطبي ٢٥/ ٣٠ ، أحكام القرآن ٣/ ٥١ ، الدر المنثور ٦/ ٦ .
٨- يُنظر : لسان العرب (فرض).
٩- يُنظر : الدر المنثور ٧/ ٣٤٨ .
١٠- لسان العرب (قرب) .
١١-الدر المنثور ٥/ ٩٦ .
١٢- بصائر الدرجات ٥٤١ ، الكافي ١/ ٣٩١ .
١٣- الشورى٢٣ .
١٤- الميزان ١٨/ ٤٨ .
١٥- أمالي الطوسي ٦٥٥ . وينظر أيضاً : ينابيع المودّة ٢/ ٣٦٥ .
١٦- يُنظر : التبيان ٩/ ٣١١ .
١٧-الكافي ٤/ ٤٤ .
١٨- إبراهيم٣٧ .
١٩- من لا يحضره الفقيه ٤/ ٤٥ .
٢٠-محمد٣٨ .
٢١- فصلت٤٠ .
٢٢- الميزان ١٧/ ٣٩٧ .
٢٣- يُنظر : الميزان ٩/ ٢٧٨ .
٢٤- يُنظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠١ .
٢٥- يُنظر : التبيان ٥/ ٢٩٥ ، مجمع البيان ٥/ ١١٩ ، التفسير الأصفى ١/ ٤٨٩ ، نور الثقلين ٢/ ٢٦٣ .
٢٦- يُنظر : نور الثقلين ٢/ ٦٢, ٢ .
٢٧- تاج العروس (بخل).
٢٨- بحار الأنوار ٤٣ / ٣٥٨ .
٢٩- يُنظر : لسان العرب (عقل) .
٣٠- يُنظر : م . ن (ربب) .
٣١- يُنظر : تكوين العقل العربي ٧٥ .

٣٢- يُنظر : همع الهوامع ٢/ ٤٢٠ ، وينظر الميزان ٣/ ١٦٤ عن الاصطفاء في الآية .
٣٣- بحار الأنوار ٤٣/ ٣٥٩ .
٣٤- آل عمران ٣٤ .
٣٥- الخصال ٦٤ ، أمالي الطوسي ٣١٣ .
٣٦- يُنظر : لسان العرب (أسر) .
٣٧- كمال الدين ٢٧٥ .
٣٨- يُنظر : لسان العرب (صفا) .
٣٩- الشعراء ٨٤ .
٤٠- يُنظر : التبيان ٨/ ٣٤ ، مجمع البيان ٧/ ٣٣٧ ، الميزان ٦/ ٣٦٩ .
٤١- يُنظر : تفسير القمي ٢/ ١٢٣ .
٤٢- روضة الواعظين ١٨٥ .
٤٣- يُنظر : أمالي الطوسي ٣٠٥ .
٤٤- ومثل هذا ما ورد في الحديث المشهور ((حسين مني وانا من حسين)) ، فالنبي - صلى الله عليه وآله - يكون من الحسين على وفق هذه الدلالة المعرفية . ينظر عن الحديث : الإرشاد ١٢٧ .
٤٥- بحار الأنوار ٤٣/ ٣٣٨ .
٤٦- يُنظر : لسان العرب (سما) .
٤٧- يُنظر : لسان العرب (رفع) .
٤٨- الغيبة ١٣٩ ، وينظر مناقب آل أبي طالب ١/ ٢٥٠ .
٤٩- بحار الأنوار ٢/ ١٨٣ .
٥٠- يُنظر : البقرة ١٦٤ ، الأنعام ٩٩ ، يونس ٧٤ ، الرعد ١٧ .
٥١- البقرة ٢٢ .
٥٢- أمالي الطوسي ٢/ ٥٦ .
٥٣- يُنظر : لسان العرب (دحا) .
٥٤-أمالي الصدوق ٢٥٢ .
٥٥- الكافي ١/ ٢١٣ .
٥٦- يُنظر : لسان العرب (ضحا) .
٥٧- مجمع البيان ٨/ ٢٧٢ ، نور الثقلين ٤/ ٣٨٦ ، الميزان ١٧/ ٨٩ .
٥٨- النور ٣٥ .
٥٩- يُنظر : تفسير الطبري ١٩/ ١٨١ ، تفسير البغوي ٦/ ٤٦ ، تفسير الزمخشري ٣/ ٢٤١ .
٦٠- الميزان ١٥/ ١٢٤ .
٦١- آل عمران ٧ .
٦٢- يُنظر : تفسير فرات الكوفي ٢٨١ ، مجمع البيان ٧/ ٢٥٣ ، جوامع الجامع ٢/ ٦٢٢ .
٦٣- بحار الأنوار ٤٣/ ٣٥٨ .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم .
*أحكام القرآن ، الجصّاص (أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصّاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) تحقيق : عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
*الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث ، دار المفيد .قم، إيران.
*الأصفى في تفسير القرآن ، المولى الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ) ، مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي .
*أمالي الصدوق ، الشيخ الصدوق ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، قم ، إيران .
*أمالي الطوسي ، الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق بهزاد الجعفري وعلي أكبر غفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٨١هـ .
*بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م .
*بصائر الدرجات الكبرى ، محمد بن الحسن الصفار ، تحقيق ميرزا محسن كوجة باغي ، مؤسسة الأعلمي ، طهران ، مطبعة الأحمدي .
*تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د.ط ، د. ت .
*التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ االطوسي (ت ٤٦٠هـ) ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الأعلام الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .
*تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.
*تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦ هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
*تفسير الطبري، الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
*تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ) ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش ، دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م .
*تفسير القمي ، القمي (علي بن إبراهيم ت ٣٢٩هـ) ، تصحيح السيد طيب الجزائري ، مؤسسة دار الكتاب ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ ، قم ، ايران .

*تفسير جوامع الجامع ، الطبرسي (الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن ت٥٤٨هـ) ، تحقيق : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، إيران .
*تفسير فرات الكُوفي ، فرات الكوفي (أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات (ت ٣٥٢هـ) ، تحقيق : محمد الكاظم ، طهرا، ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .
*تفسير نور الثقلين ، الشيخ عبد علي الحويزي ت ١١١٢هـ ، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة اسماعيليان ، ط٤، ١٤١٢هـ ـ
*تكوين العقل العربي ، الدكتور محمد عابد الجابري ، نقد العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان .
*الخصال ، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣هـ .
*الدر المنثور في التفسير بالمأثور (السيوطي ت ٩١١هـ) ، دار المعرفة ، مطبعة الفتح ، جدة ، ١٣٦٥هـ .
*روضة الواعظين ،الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ) ، تقديم : محمد مهدى السيد حسن الخرسان ، منشورات الرضي ،قم – إيران .
*الغيبة ، النعماني (الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب ت٣٦٦هـ) ،تحقيق فارس حسون كريم ، منشورات أنوار الهدى ، ط١ ١٤٢٢هـ .
*الكافي ، الكليني (أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت٣٢٩هـ) ، منشورات الفجر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .
*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .
*كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبو الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ) ، دار الأضواء ، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
*كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامية ، جماعة المدرسين، قم ، ١٤٠٥هـ .
*لسان العرب ، ابن منظور (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
*مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي (الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت ٥٦٠هـ) ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١ ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٥هـ .
*من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ت ٣٨١هـ) ، تحقيق علي أكبر غفاري ، جماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٤هـ.
*مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب (مشير الدين محمد بن علي بن شهر آشوب ت ٥٨٨هـ) ، تحقيق لجنة من اساتذة النجف الأشرف ، نشره محمد كاظم الكتبي ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٣٧٦هـ .

١٩٥٦م .
*الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) ، مؤسسة النشر الاسلامي ، جماعة المدرسين، قم ، ايران .
*همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ) ،المحقق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية - مصر .
*ينابيع المودة لذوي القربى ، الشيخ سليمان القندوزي الحنفي ، تحقيق سيد جمال أشرف الحسيني ، مطبعة الأسوة ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ثنائية الصلح والإصلاح قراءة في الظروف والمبررات والنتائج

الباحث حيدر فرج الساعدي
بكالوريوس كلية الاداب / قسم اللغة العربية / ميسان

ملخص البحث

تنطلق الفكرة الأساسية للبحث مِنْ المشروع الإصلاحي الذي قام به الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾، وخطورة الموقف في الحفاظ على كيان الإسلام المحمدي الأصيل. بما يمليه عليه مقامه الإلهي، ومسؤولياته الدينية، بعد أن تقمَّص الخلافة من ليس لها أهل.

ورُبَّما ظنَّ البعض أن قضية (الصلح) نوع من التنازل لمعاوية، والتخلي عن المسؤوليات والأدوار الدينية، وترك الجماعة الصالح تحت جور وظلم بني أمية. لكن الواقع أن الحكمة من (الصلح) هو (الإصلاح)، وأن المرحلة كانت تتطلب القيام بهكذا دور حكيم، وبخطوات مدروسة لمواجهة طغيان بني أمية وتمردهم على أحكام الإسلام وتشريعاته.

وقد تجلى مشروع الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ الإصلاحي بعدة أمور، منها:

أولاً: إعطاء المفهوم الواعي للبيعة، وذلك بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﴿صلى الله عليه وآله﴾. بعيداً عن مقولة (العمل بسيرة الشيخين) ونحو ذلك.

ثانياً: إن المشروع الإصلاحي في دين النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ غير مقتصر على المواجهة بالسيف أو القتال، بل هناك أساليب إصلاحية أخرى قام بها الأئمة ﴿عليهم السلام﴾، ومنهم أبي محمد الحسن المجتبى ﴿عليه السلام﴾. وعقد وثيقة الصلح واحدة من أساليبهم.

ثالثاً: لم يقتصر دور الإمام ومسؤولياته عى الجانب المعلن والمعروف لدى الناس، بل هناك حكم ومصالح كبرى من وراء تحركات الإمام ﴿عليه السلام﴾ وهي فضح بني أمية وعلى رأسهم معاوية، وتبديد الهالة القدسية التي وضعها معاوية لنفسه من كونه خليفة لرسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

رابعاً: إن الغرض من وضع روايات تقول باعتراض الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ على وثيقة الصلح مع معاوية، إنما هو تبرير مشروعية خلافة يزيد، والنيل من شخصية الإمام (الحسين السلام)، من كون شخصية الحسين ﴿عليه السلام﴾ قائمة على الإعتراض وعدم القبول بأي شخص، فإذا اعترض الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ على معاهدة الصلح التي قان بها أخيه، فمن المؤكد اعتراضه على خلافة يزيد، وبذلك يبررون لمشروعية سلطة يزيد (عليه اللعنة).

Abstract

The basic idea is to trace the reformist approach of Imam Hassan (peace be upon him) and his role in preserving the original Mohammadi entity of Islam. Some may think that the issue of the "reconciliation" issue is a kind of concession to Muawiyah, or abandonment of responsibilities and roles, and the installation of righteousness under injustice the oppression and injustice of the sons of Umayyads , yet it is of the reality that the wisdom of "peace" is wisdom in the revolution to confront the tyranny of the Umayyads and their rebellion against the principles and legislation of Islam.

The project of Imam Hassan (peace be upon him) revolution was manifested in several points : working in line with the Book of Allah and the traditions , may Allah bless him and his family, reforming the project in the religion of the Prophet , the role and responsibilities of the imam were not limited to the issues declared and known to all , but there is a ruling and great target to uncover and expose the Umayyads and discussing the reconciliation document of Imam Al-Hassan .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. وبعد؛ تُعد شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من شخصيات أهل البيت الكبيرة، لما لها من المزايا العظيمة، والمناقب الجليلة، والمواقف الحكيمة التي انعكست على روح الإسلام وواقع المسلمين، وما كان يمثله عليه السلام من انعكاسٍ للخلق النبوي العظيم.

لقد ورث الإمام المجتبى عليه السلام عن أبيه المصاعب والمتاعب، وعاش الغصص والآلام التي كان يعيشها علي بن أبي طالب عليه السلام، ليس من بني أمية وأعوانهم فحسب، بل من المنافقين والخوارج وأصحاب الأهواء والميول الدنيوية الرخيصة، إذ عاش عليه السلام أصعب أيام عمره مع أناسٍ لا يعرفون للإمامة قدراً، ولا للإمام منزلة وفضلاً.

إن نظرة إجمالية للظروف والأحداث الجسام التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام ودوره التاريخي في الدفاع عن العقيدة الحقة المتمثلة بخط أهل البيت عليهم السلام، ومنهجه الأصيل في الحفاظ على مبادئ الإسلام السامية، وترسيخ القيم السماوية، والتصدي للشبهات والشكوك المفتعلة، والانحرافات الخطيرة التي عصفت بالمجتمع المسلم بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكد حجم المعاناة التي كان يواجهها، والمسؤولية الكبيرة التي حملها عليه السلام تجاه الخطر المحدق بالإسلام وأهله.

ولمعرفة الحقيقة وفهم مجريات الأمور والوقوف عند ملابساتها وحيثياتها لابدَّ من دراسة سيرة الإمام المجتبى عليه السلام بتمعن وملاحقة الأحداث والوقائع بدراية مع الوقوف عند طبيعة المجتمع وما يعانيه من أمراض وانحرافات، وطبيعة المواقف التي قام بها عليه السلام لتحقيق مصالح الإسلام الكبرى وأهدافه العظمى.

من هنا كان من المناسب التعرض لبعض المحطات المهمة من تأريخ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لبيان حقيقة مشروعه الإصلاحي في أمة جده صلى الله عليه وآله، وما قام به من أدوار ومواقف مصيرية انعكست ايجاباً لصالح الإسلام والمسلمين.

المحطة الأولى: حقيقة بيعة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

ذكر المؤرخون أنه بعد شهادة الإمام علي عليه السلام، اجتمع المسلمون في مسجد الكوفة في صبيحة إحدى وعشرين من شهر رمضان المبارك، فأقبل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وحوله جمع من المخلصين من المهاجرين والأنصار، فاختير خليفة للمسلمين، فاعتلى عليه السلام المنبر، فابتدأ - بعد حمد الله تعالى والثناء عليه - بتأبين فقيد العدالة والإنسانية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتعداد فضائله ومناقبه، فكان مما قال عليه السلام: (لقد قُبض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته، فيكنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه...

ثم قال: (أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه فقال عز وجل: (قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا (فالحسنة مودتنا أهل البيت)[١].

ثم جلس عليه السلام، فقام عبد الله بن عباس (رحمة الله عليه) ما بين يديه فقال: معاشر الناس، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه.

فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبه إلينا! وأوجب حقه علينا!

وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة[٢].

وكان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصاري، قائلاً له: (ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلّين[٣]. فقال له الإمام عليه السلام: (على كتاب الله وسنة نبيه، فإنهما يأتيان على كل شرط)[٤].

وهنا بالتحديد تبدأ أولى خطوات مشروع الإمام عليه السلام الإصلاحي، وما كان يسعى إليه، فقد اشترط على كل من يبايعه من المسلمين العمل بكتاب الله وسنة نبيه من دون قيد أو شرط، ولم يقبل من أحدٍ أن يشترط عليه أي شيء فيما يتعلق بمصالح الإسلام الكبرى، وخصوصاً الأمور التي تخص السلم أو الحرب. فإن القيام بأي أمر كان، واتخاذ المواقف

المصيرية التي تخص الإسلام والمسلمين، إنما يكون بالعمل على ضوء كتاب الله تعالى وسنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، والإمام المجتبى عليه السلام هو الإمام الحق العارف بمضامين القرآن الكريم ومقاصده، وسنة جده المصطفى صلى الله عليه وآله، فليس لأحد أن يُملي عليه شرطاً أو قيد، وتُعد هذه الخطوة خروجاً على الطريقة التي اعتاد المسلمون في المبايعة للخليفة، فقد كانت بيعتهم قائمة على العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين، وهذا الأمر لم يلتفت إليه جملة من الذين عاصروه عليه السلام.

وفي هذا المجال يذكر ابن قتيبة نصاً يبين هذا المعنى من أن الإمام المجتبى عليه السلام كلما قصدته مجموعة من الناس لمبايعته، يبادرهم قائلاً: (تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت)[٥]. فهو (سلام الله عليه) إمام المسلمين إن قام بالسيف أو قعد للصلح.

ولما سمع بعضهم شرط الإمام الحسن عليه السلام أحجموا عن البيعة وأمسكوا أيديهم عنها، وقبض الحسن يده، فانثالوا نحو الحسين عليه السلام يطلبون مبايعته على حرب المحلين الضالين أهل الشام.

فردعهم الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً. ولما رفض الحسين عليه السلام طلبهم أقبلوا نحو الحسن عليه السلام فبايعوه وهم مكرهون[٦].

لم يكشف لنا نص ابن قتيبة من هم الذين اشترطوا على الإمام عليه السلام قتال معاوية، ومن هم الذين ذهبوا لأبي عبد الله الحسين عليه السلام لمبايعته، وبعد ذلك بايعوا الإمام المجتبى عليه السلام كرهاً، يكفي أن نعلم أن هذه الخطوة تُنبئ عن خلل في عقيدتهم وإيمانهم تجاه الإمام الحق، المنصوص عليه من قبل السماء، المعصوم عن الخطأ والسهو والنسيان، فالإمام عليه السلام هو الأعرف بالوضع القائم آنذاك، وبما يجري في المجتمع المسلم من وقائع وأحداث، ومتى يجب عليه اتخاذ قرار الحرب أو القتال، ومتى تؤول الأمور إلى السلم والصلح.

من المحتمل جداً أن خطوة اشتراط قتال معاوية على الإمام الحسن عليه السلام كانت لبقايا الخوارج في الكوفة أو بعض مرتزقة الشام، الذين من شأنهم إثارة الفتن والاضطرابات وبث الشكوك والشبهات بين أفراد المجتمع الكوفي. وربما صدرت هذه الخطوة عن بعض ممن لا يملك يقيناً تاماً ومعرفة راسخة بالإمام عليه السلام.

يذكر الثقة الصدوق خبراً في علل الشرائع يبين لنا هذا المعنى، وهو ما رواه عن أبي سعيد عقيصا، قال: (قلت للحسن بن علي بن أبي طالب: يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته، فقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال عليه السلام: (يا أبا سعيد، ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي؟

قلت: بلى.

قال: ألستُ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟

قلت: بلى.

قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذا قعدت.

يا أبا سعيد، علَّة مصالحتي لمعاوية علَّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أُولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل.

يا أبا سعيد، إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفَّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسا، ألا ترى الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي. هكذا أنا، سخطتم عليَّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا أحد على وجه الأرض إلاّ قتل)(٧).

من خلال هذا الخبر ندرك أن جملة ممن عاصر الإمام الحسن عليه السلام لم تتبلور لديهم حقيقة الإمامة ولم يعرفوا منزلة الإمام ومسؤولياته، وكيف يتعامل مع مجريات الأمور ومستحدثاتها، لذا نرى الإمام عليه السلام يوضح لأبي سعيد أنه إمام حق يؤدي دوره ومسؤولياته إن قام وإن قعد. وأن للظروف الزمانية والمكانية مدخلية في تحديد المواقف وما يجب على الإمام القيام به. فالأئمة المعصومون عليهم السلام هم نور واحد، وسيرتهم واحدة، ومواقفهم واحدة. مع مراعاة الظروف المكانية والزمانية.

وعلى الرغم من التآمر على إقصاء أئمة أهل البيت عليهم السلام عن مجال الحكم، إلا أنهم كانوا يتحملون باستمرار مسؤوليتهم في الحفاظ على الرسالة وعلى التجربة الإسلامية، وتحصينها ضد التردي إلى هاوية الانحراف والانسلاخ عن مبادئها وقيمها انسلاخاً تاماً(٨).

وهذا هو المفهوم الواعي الذي أراد الإمام المجتبى عليه السلام ترسيخه في وجدان الأمة من أن الإمام الحق هو القائم بأمر الله تعالى، وأن البيعة الحقة هي التي تنطلق من هدي القران الكريم وسنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وكل ما يصدر عن الإمام لا يخرج عن دائرة (الكتاب والسنة)، وليس لأحد أن يُملي على الإمام أيَّ شرط أو قيد. وقد يذكرنا موقف الإمام المجتبى عليه السلام في مسألة البيعة بموقف أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام في قضية الشورى، بعد أن اشترطوا على الإمام عليه السلام أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين، فرفض عليه السلام العمل بسيرة الشيخين، واعتزل الحكم لسنين، وما موقف الإمام الحسين عليه السلام ببعيد عن ذلك.

إذن مشروع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كان مشروعاً إصلاحياً بامتياز بحسب الأدوات والأساليب المتاحة، فقد تصدى عليه السلام طالباً للإصلاح في أمة جده وتقويمها كما قام أبيه أمير المؤمنين عليه السلام حيث كانت كل أدوار حياته طلباً للإصلاح والخير والرشاد، وكخروج الإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة طالباً للإصلاح، وجميع أئمة أهل البيت عليهم السلام بمختلف أدوارهم الإصلاحية ومسؤولياتهم الدينية. غاية ما في الأمر هناك اختلاف في الأدوات الإصلاحية من إمام لآخر، وربما تعدد الأساليب وتباينها راجع إلى الظروف الزمانية والمكانية. والشواهد على ذلك كثيرة، منها ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أنه قال للإمام الحسين عليه السلام: ألا تصالح كما صالح الحسن عليه السلام؟ فقال عليه السلام: إن أخي فعل بأمرٍ من الله ورسوله، وأنا أفعل بأمرٍ من الله ورسوله)(٩).

المحطة الثانية: ظروف الصلح وملابساته

من الأمور التي لا تقبل الشك، أن معاوية لم يكن على دين الإسلام، وإن ادعى ذلك ظاهراً، وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكن يرضى ببقائه على الشام، وكان يقول: (والله لا استعمل معاوية يومين أبدا)[10]. لعلمه بأفعاله ومكره، وبُعده عن الإسلام وتشريعاته، وعن الأعراف العربية الأصيلة. واستشهد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو يستحث الأمة ويستنهضها لقتاله، وقد سار الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) على خطى المنهج العلوي في التعامل مع معاوية، فقد اتَّخذ خيار المواجهة وباشر بدوره الإصلاحي وتقويم أمة جده، ومحاولة العودة بها الى مسارها الصحيح الذي أراده الله عزَّ وجل، وأراده رسولُه (صلى الله عليه وآله) لها، فكان أوَّل قرارٍ اتَّخذه بعد بيعته هو تعبئة جيشٍ قوامه مائة ألف مقاتل، فقام بكلِّ حزمٍ وقوَّةٍ، وبكلِّ رباطة جأش وعزم على قتال معاوية، ثم أمرهم بالمسير الى النُخيلة، وهي الجبهة التي يُراد لها أنْ تكون في مواجهة جيش الشام الذي يقودُه معاوية، فكان قراره الأول، قرار حرب ومواجهة، لكنه جوبه بتحديات صعبة، ومنعطفات خطيرة - من خذلان القوم وشدة طمعهم بالدنيا - ألجأته إلى تغيير مسار الحرب والقتال، إلى السلم بعقد وثيقة الصلح.

من تلك الظروف هو ما ذكره الشيخ المفيد (رحمه الله) من أن معاوية دس رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني قين إلى البصرة، ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن (عليه السلام) الأمور. فعرف ذلك الحسن (عليه السلام) فأمر باستخراج الحميري بالكوفة وأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة فاستخرج القيني من بني سليم وضربت عنقه أيضاً.

وكتب الإمام الحسن (عليه السلام) إلى معاوية:

(أما بعد: فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء، وما أوشك ذلك! فتوقعه إن شاء الله. وبلغني أنك شمّت بما لا يشمت به ذوو الحجى)[11]. كما كتب ابن عباس مذكرة إلى معاوية يستنكر فيها بعثه العيون والجواسيس إلى البصرة[12].

وكان بين الإمام الحسن (عليه السلام) وبين معاوية بعد ذلك مكاتبات ومراسلات

واحتجاجات للحسن عليه السلام في استحقاقه الأمر، وتوثب من تقدم على أبيه عليهما السلام وابتزازه سلطان ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وتحققهم به دونه(١٣).

كما كان من أساليب معاوية أن عَمِد الى مراسلة الزعماء والوجوه والشخصيات البارزة، وإرشائهم بالأموال الطائلة والوظائف المهمة في مناصب الدولة إن اتبعوه وانقادوا له، وخذلوا الإمام الحسن عليه السلام(١٤). وجعل أولئك المنافقون يبعثون بكتبهم إلى معاوية سراً يبدون له موافقتهم على ما عرضه عليهم١٥. وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة سراً واستحثوه على سرعة المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به(١٦).

ومن ثمَّ لم نجد في الأصحاب المجتمعين حول الإمام عليه السلام من الخلَّص إلا القليل، أما الغالبية العظمى فقد كانت قلوبهم دغلة غير صافية، وقد مال أكثرهم إلى دنيا معاوية ودراهمه أكثر من ميلهم لإمام زمانهم. وبذلك ضمن معاوية الشخصيات الكبيرة وضمهم جبهته، وقد كتب إليهم مذكرة يحثهم على الخروج إلى حرب الإمام عليه السلام ويأمرهم بالالتحاق به، وهذا نصها:

(أمّا بعد، فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوّكم وقتلة خليفتكم، إنّ الله بلطفه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان)(١٧).

وفي هذه المذكرة نجد أن معاوية عوَّل على تفرق أصحاب الإمام المجتبى عليه السلام وتشتت كلمتهم، تكاسلهم وخيانتهم، وعصيان أوامر إمامهم، فضلاً عن أن شخصية الإمام الحسن عليه السلام ليست كشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وما كان له من ثقل عند المجتمع الكوفي. فالإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يملك رصيداً تاريخياً مؤثراً في نفوس الناس وهذا ما لا يملك مثله الإمام الحسن عليه السلام(١٨).

وعلى الرغم من خذلان الناصر، وكثرة المتآمر تعامل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع الأحداث والمواقف بحكمة ودراية، لما يعرفه عليه السلام من طبيعة المجتمع الكوفي آنذاك، من

كثرت الاضطرابات والفتن، وتحكَّم المصالح والأهواء في القرارات المصيرية، ولستُ أجانب الصواب أن قلت إنّ الإمام عليه السلام منذ بداية تصديه الفعلي بعد شهادة أبيه عليه السلام، كان عارفاً بما ستؤول إليه الأمور[19]، من الاضطرار إلى عقد وثيقة صلح مع معاوية، وكشاهد على هذا المعنى جوابه لقيس بن سعد الأنصاري من قيام البيعة على كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله. وقوله للذين أرادوا الحرب والقتال وموقفه منهم خير دليل.

إذن مبررات عقد وثيقة الصلح وأسبابه، وترك المنازلة والقتال مع الشاميين كانت حاضرة لدى الإمام المجتبى عليه السلام، ومعلومة لديه، ومدروسة دراسة واعية، فكان الخيار الأنسب للإمام عليه السلام هو مصلحة الإسلام العليا وضرورة الحفاظ على الأرواح، وإن شكك فيه المشككون، واعترض عليه المعترضون، فالإمام عليه السلام إنما قبل بمعاهدة الصلح من أجل حفظ نفوس الشيعة والمسلمين[20].

ومن شواهد ذلك قوله عليه السلام: (إنما هادنت حقناً للدماء وصيانتها وإشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي)[21]. ومثل ذلك قوله عليه السلام لحجر بن عدي الكندي[22].

كما أن من أسباب عدم الإقدام على الحرب والقتال هو الخليط غير المتجانس بالنسبة لجيشه وتفلله. فالجيش وإن كان ذا عدة وعدد، إلا أنه مختلف الأهواء والنزعات، فبعضهم من شيعته وشيعة أبيه عليه السلام وبعضهم مُحكِّمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب طمع في الغنائم، وبعضهم شكَّاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين[23]. ومنها الخيانات التي حصلت في جيشه من قبل أصحابه وكبار قادته، ومنها تخاذل أصحاب الإمام وأهل الكوفة كان عاملاً مؤثراً في قبول الإمام للصلح[24].

ومن مشاهد الخذلان ما ذكره الإمام المجتبى عليه السلام لعدي بن حاتم الطائي إذ قال: (يا عدي، إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح وكره الحرب فلم أُحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحرب إلي يوم ما فإن الله ّكل يوم هو في شأن)[25].

ومن الأخبار في هذا المجال ما روي عن سالم بن أبي الجُعد عن رجل من قومه دخل على الحسن بن علي عليه السلام وقد دسّ إليه الطاغية سمّا وقع على كبده، فهو يخرج قطعا مع ما يخرج من جوفه من الدم في طست بين يديه، دخل عليه قبيل ذلك وهو لا يعلم بحاله فقال له: (يابن

رسول اللهّ أذللت رقابنا وجعلتنا معشر الشيعة عبيدا ما بقي معك رجل. فقال الإمام: ممّ ذلك؟ قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية. فقال عليه السلام: واللهّ ما سلّمت الأمر إليه إلاّ أني لم أجد أنصارا، ولو وجدت أنصارا لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم اللهّ بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم ما كان فاسدا، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون، إنهم ليقولون لنا: إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا)[٢٦].

إذن ليس بالضرورة أن يكون سلوك طريق الصلح والمهادنة أمراً سلبياً، كما ليس بالضرورة أنَّ يكون اتخاذ طريق الحرب والمواجهة أمراً إيجابياً. فالصلحُ له ثمرات وله فوائد إذا ما كان هو المناسب لمقتضيات الظروف.

من هنا يتبين أن خيار الصلح كان الأنسب من غيره لمصلحة الإسلام، لأن خيار المواجهة المسلحة لا يتوقف على مجرد تهيئة جيش عسكري كبير ضد معاوية فحسب، بل يتطلب الأمر إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام إيماناً مطلقاً وما يتوافر فيه من خصائص ومميزات، ذلك الجيش الذي يعي أهداف الإسلام الكبرى ومنطلقاته السامية، وما يجب على الإمام القيام به من المسؤوليات.

المحطة الثالثة: الحكمة من عقد وثيقة الصلح على رغم عدم الإيفاء بها

ذكر المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان ختم ورقة بيضاء بختمه الرسمي وأشهد جماعة على ذلك، ثم أرسلها بيد عبد الله بن عامر مع جماعة من أشراف قريش إلى الإمام الحسن عليه السلام وقد شهد المرافقون جميعهم بأن معاوية موافق على الشروط كافة التي يضعها الإمام الحسن عليه السلام[٢٧].

أما البنود التي أملاها الإمام المجتبى عليه السلام واشترطها على معاوية في معاهدة الصلح فهي مبعثرة في كتب التاريخ، فلم تتفق المصادر التاريخية على رقم معين، أو عدد معين. الأمر الذي يثير في النفس الشكوك بكون بعضها لم يسلم من العبث الأموي، كما سيتبين لاحقاً.

من النصوص التاريخية التي ذكرت بنود المعاهدة هو ما ذكره البلاذري إذ قال: (إن الإمام الحسن عليه السلام بعد ذكر اسم الله، اشترط عدة أمور على معاوية حتى توكل إليه ولاية أمور المسلمين:

البند الأول: أن يسير معاوية على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين.

البند الثاني: أن لا يُعين أحداً من بعده للخلافة ويترك اختيار الخليفة إلى الشورى.

البند الثالث: أن يأمن الناس على أرواحهم وعوائلهم ومواهم أينما كانوا.

البند الرابع: أن لا يُعادي الحسن بن علي ظاهراً ولا باطناً.

البند الخامس: أن لا يُرهب أياً كان من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام.

وأشهد الإمام على هذا الكتاب كلاً من عبد الله بن عامر وعمرو بن سلمة وعبد الرحمن بن سمرة ومحمد بن الأشعث الكندي[٢٨].

وفي نص تأريخي آخر أشار الطبري إلى أنه كان من شروط الصلح أن يكون أصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم[٢٩]. وذكر ابن عبد البر أن من شروط الصلح أن تعود الخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد معاوية[٣٠]. وأشار البلاذري وابن كثير أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قد أكد على الأمور المالية والاقتصادية لأهل البيت وشيعتهم[٣١].

وانفرد القرشي في كتابه (حياة الإمام الحسن)[٣٢] ببندين وهما :

أولاً: أن لا يسميه أمير المؤمنين (نقلا عن تذكرة الخواص للجوزي) .

ثانياً: ألا يقيم عنده الشهادة (نقلا عن أعيان الشيعة).

وقد احتوت وثيقة الصلح على أمور بالغة الأهمية، فقد ألغمت نصر معاوية ببارود، وعادت عليه بالخزي، وأخرجته من حكام العدل إلى حكام الجور والظالمين.

وبعد انعقاد المعاهدة رجع الإمام الحسن عليه السلام إلى دار الإمارة، فارتقى المنبر، فخطب في الناس مذكراً بنسبه ومنزلته، وأشار إلى دواع الصلح، وقال أن العامل الأساسي لهذا الصلح هو صلاح الأمة وحقن الدماء(٣٣).

بعد ذلك نُودي في الناس إلى المسجد وخطب معاوية في الجموع وكان مما قال في خطبته: (ألا أن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به)(٣٤).

وقد ذكر المؤرخون أن جملة من أعدائه وبعض أصحابه قد نددوا بالصلح، واعترضوا عليه، وجابهوا الإمام عليه السلام بالكلام القاسي، منهم حجر بن عدي، وعدي بن حاتم وغيرهم(٣٥). وقد ملئت تلك الاعتراضات قلب الإمام حزناً وألماً. لكنه عليه السلام واجهها بإرادة صلبة ونفس صامدة، وصار الإمام عليه السلام يبين للأمة، والمعترضين خاصة طرفاً من الأسباب التي دعته إلى الصلح. منها أنه عليه السلام أراد بذلك حقن دمه ودماء أهل بيته(٣٦) والحفاظ على شيعته المخلصين(٣٧).

إن الانطباع الذي تفرزه الرؤية الموضوعية لبنود المعاهدة هو أن جهة معاوية ابن أبي سفيان هي جهة متحلّلة من لا تلتزم بضوابط دينية ولا بقيود شرعية أو أخلاقية، وبذلك ندرك وجهاً من الحكمة، وهو أن تلك الشروط كان الهدف منها في تعرية الزعامة المنحرفة المتمثلة بمعاوية بعد أن أصبحت تشكل خطراً ماحقاً على الإسلام، فالإمام المجتبى عليه السلام كان يعرف معاوية حقَّ المعرفة بالطرق العادية لا بالطرق الغيبية بأنه لم يفي بالشروط، بل كان يتوقع منه أسوء وأبشع من ذلك وهو الغدر والاغتيال، وذلك بتصريحه في كتاب كتبه لمعاوية، ذكر فيه: (أنا أصالحك على شروط أعرف أنك لن تفي بها)(٣٨)، وإنما أراد عليه السلام عن طريق وضع تلك البنود فضح رأس بني أمية (معاوية)، وهدم أسس سلطته القائمة على قيم الجاهلية، وبيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام(٣٩)، بعد أن تعذر عليه خيار الاصطدام المسلح.

يكفي في ذلك اشتراط الإمام الحسن عليه السلام أن لا يُقيم الشهادة عند معاوية، ولا يخفى ما لهذا الشرط من إبطال أمر معاوية من أساسه وتوهينه، لأن معنى هذا الشرط أن معاوية إما غير قادر على معرفة أحكام الله، ولو في مثل هذه المور الجزئية والبسيطة، فكيف يتصدى

إذن لموقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يعني لزوم أداء مهماته في تعليم الدين، وبيان شرائعه وأحكامه، وفي التصدي للشبهات وحلِّ المعضلات؟

وإما أن معاوية كان يعرف كيف يقضي بين الناس لكنه لم يكن مأموناً على القضاء بالحق.

فمن لا يؤمن على القضاء في فرسٍ أو دارٍ أو لطمة أو نحو ذلك، فهل يؤمن على دماء الأمة وأعراضها وأموالها، وعلى دينها ومستقبلها؟

وإذا كان معاوية لا يستطيع أولا يؤتمن على القضاء بهذا المستوى فكيف يفي بتعهداته بالعمل بالكتاب والسنة(٤٠).

فإذا هذا البند يعطينا ذلك كله، فما بالك بالشرط الآخر الذي لم يلتفت إليه معاوية وهو: (أن لا يسميه الإمام الحسن عليه السلام بأمير المؤمنين)، فإذا كان الإمام الحسن عليه السلام لا يرضى معاوية أميراً للمؤمنين، فكيف يرضاه أن يكون أميراً له؟!

ثم أن الإمام عليه السلام ألزم معاوية (بإرجاع الأمر لأهله) أي إلى الإمام الحسن (سلام الله عليه) وهو اعتراف ضمني بأنّ الإمام (الحسن) هو الخليفة الشرعي. وأن معاوية ليس إلا مغتصب للخلافة. وولايته حالةٌ مؤقتة وشاذة لابدَّ من التعامل معها بحيطة وحذر، لكي لا تتحول الخلافة إلى مَلكية أموية قيصرية. وبهذا الشرط يكون باب المواجهة مفتوحاً أمامه وأمام أخيه الإمام الحسين عليه السلام عند وجود الأنصار والأعوان، فله حقُّ المخالفة على معاوية لعدم وفائه بشيء من الشروط(٤١).

وما معنى اشتراط الإمام عليه السلام على معاوية أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء إلا ليضعه في خانة ضيقة، وأن لا يسوس البلاد والعباد على وفق أهوائهِ ومشتهياته الجاهلية. من كون سيرته في الناس بعيدة كل البعد عن الشريعة وعن جادة الكتاب والسنة.

والواقع يحكي أن معاوية نقض كل بنود المعاهدة، وهذا ليس بغريب عن شخص تمرَّدَ على أحكام الإسلام وتشريعاته، وقد صرح بذلك وحبر المعاهدة لم يجف بعد، قائلاً: (كل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين)(٤٢) فلقد انتهك معاوية بنود الصلح بنداً بنداً ولم يَفِ بواحد منها.

فبالنسبة لعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله فالمؤشرات تشير إلى مخالفته لكتاب الله وسنة رسوله لا تحصى، وقد صنفت مؤلفات لعرض هذه المخالفات(٤٣).

٥٢٥

أما اشتراط الإمام عليه السلام بترك سب أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه يكشف عن انحطاط المستوى الأخلاقي لمعاوية، واستهتاره بالأخلاق والتعاليم الإسلامية. وأنه لم يف بعهده (فقد دأب على لعن علي عليه السلام ويقنت في صلاته وجعلها سنة في خطب الجمعة والأعياد وبدل سنة محمد صلى الله عليه وآله في خطبة العيدين المتأخرة عن صلاتهما وقدمها عليه لإسماع الناس لعن الإمام الطاهر)[٤٤].

ولم يزل معاوية وعماله دائبين على ذلك حتى تمرن عليه الصغير وهرم الشيخ فكانت العادة مستمرة منذ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولاية عمر بن عبد العزيز طيلة أربعين سنة على صهوات المنابر وفي الحواضر الإسلامية كلها من الشام إلى الري إلى الكوفة إلى البصرة إلى عاصمة الإسلام المدينة المشرفة إلى حرم الله مكة المعظمة إلى شرق العالم الإسلامي وغربه. و قد صارت سنة جارية و دعمت في أيام الأمويين سبعون ألف منبر يلعن فيها أمير المؤمنين[٤٥].

أما ما يخص الأمن العام للشيعة وأنصار الإمام المجتبى عليه السلام، فالتاريخ يعج بالقصص والأحداث التي تحكي ما فعله معاوية بشيعة علي عليه السلام من تجويع وتعذيب وقتل وسجن وتشريد. ومن الأسماء البارزة التي نالت شرف الشهادة فداء لعلي عليه السلام وارتقت إلى سماء الشهادة تحت بطش معاوية وأعوانه: حجر بن عدي الكندي وأصحابه رشيد الهجري وعمرو بن الحمق الخزاعي وجويرية بن مسهر العبدي وأوفى بن حصن. وأما الذين رُوِّعوا وَعُذِّبوا فلا مجال لإحصائهم. وباختصار لقد انتهك معاوية هذا البند ليحقق بجدارة أفاعيل منكرة وبوائق فريدة في حقِّ شيعة أهل البيت عليهم السلام.

من هنا يكتسب صلح الإمام الحسن عليه السلام في مثل تلك الظروف التي عاشها غرضين مهمّين، كان قد قصدهما أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام، أحدهما (قريب) والآخر (بعيد):

أما الغرض (القريب): والذي صرح به عليه السلام في مناسبات عديدة وهو القيام بمسئوليته إتجاه الجماعة الصالحة التي يتولّى قيادتها من الناحيتين الدينية والدنيوية. وقد سعى الامام الحسن عليه السلام بعد انعدام الفرصة الكافية للمواجهة العسكرية، أن يحرز سلامة أهل بيته واصحابه المخلصين وحفظ كرامتهم وحقن دمائهم وتحسين مستوى معيشتهم، بقدر المستطاع وما تمليه عليه ظروفه.

وفيما يخص الغرض (البعيد): فإن الامام الحسن عليه السلام حين يرى أن الحقَّ متمثل فيه وفي جماعته الصالحة، وانه هو الإمام الحق بعد أبيه، ومسؤوليته الإصلاح والتقويم في أمة جده، فقد عمل على القضاء على بني أمية، وفضحهم وبيان حقيقتهم أمام المجتمع. ليس بالقيام بالسيف والمبارزة، بل عن طريق كسر قدسية بيعة الناس لهم لمخالفتهم الشروط والعهود، وتعديهم الحدود الإلهية، وأن للمجتمع حق الوقوف ضدهم متى ما قام أهل البيت عليهم السلام بذلك.

المحطة الرابعة: ما وراء وضع الروايات الناطقة بعدم قبول الإمام الحسين عليه السلام بالصلح

من جملة الاعتقادات التي يعتقد بها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو أن الإمام اللاحق لا ينطق بوجود الإمام الفعلي في الأمة، فلو اجتمع إمامان في زمان واحد، وجب أن يكون أحدهما صامت والآخر ناطق، فمن الممكن أن يوجد في زمان واحد إمامان، كما هو الحال في سائر حياة الأئمّة عليهم السلام؛ إذ كانوا موجودين بوجود آبائهم الأئمّة عليهم السلام، كما في زمن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وهكذا سائر الأئمّة عليهم السلام. لكن يبقى أحدهما الناطق والآخر صامت.

وقد جاء هذا المعنى في الروايات الشريفة من أنّ الولاية الفعلية لا تكون في كلّ زمان إلاّ لإمام واحد ولا تكون لإمامين؛ ففي صحيحة الحسين بن أبي العلا: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال: لا. قلت: يكون إمامان؟ قال: لا، إلاّ وأحدهما صامت)[٤٦].

وجاء بسند موثّق عن الصدوق في (إكمال الدين): (عن هشام بن سالم، قال: قلت للصادق عليه السلام... فهل يكون إمامان في وقت؟

قال: لا، إلاّ أن يكون أحدهما صامتاً مأموماً لصاحبه، والآخر ناطقاً إماماً لصاحبه، فأمّا أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا)[٤٧].

هذه الروايات وغيرها كافية للدلالة على أنه لو اجتمع إمامان في زمان واحد لكان أحدهما ناطق، والآخر تابع صامت، وما نُسب لأبي عبد الله الحسين عليه السلام واعتراضه على الصلح الذي قام به أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام إنما هو محض افتراء، الغرض منه إعطاء المشروعية ليزيد (عليه اللعنة) والنيل من مقام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فلو رجعنا قليلاً إلى بنود وثيقة الصلح والشروط التي وضعها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لوجدنا أنه لا يحق لمعاوية أن يعهد لأحدٍ من بعده، وأن الحق لا بدَّ أن يعود للإمام الحسن عليه السلام ثم من بعده للإمام الحسين عليه السلام. وبهذه الشروط يكون يزيد بن معاوية هو الباغي على أبي عبد الله الحسين عليه السلام. وأن المعادلة تكون كالتالي بعد شهادة الإمام المجتبى عليه السلام وهلاك معاوية (عليه اللعنة) يكون الخليفة والإمام الفعلي باتفاق المسلمين وبحسب البنود الموضوعة في معاهدة الصلح هو أبو عبد الله الحسين عليه السلام ولا يوجد مكان لشخص اسمه يزيد في هذه المعادلة، وبذلك تكون سلطة يزيد وخلافته غير مشروعة، وأن صاحب الحق هو الإمام الحسين عليه السلام.

من هنا يأتي دور التلاعب في هذه الحقيقة المصيرية التي تزحزح مشروعية يزيدهم، فعمد وعاظ السلاطين ومرتزقتهم لوضع بعض الأخبار والروايات المكذوبة لتبرير مشروعية يزيد، والنيل من مقام الإمام الحسين عليه السلام، فهم لن يستطيعوا التنكر لقضية الصلح أو انكارها كونها تصب في مصلحتهم، لكنهم وضعوا أخباراً وروايات تشير إلى أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن راضياً عن أخيه في قضية الصلح. فقد ذكر بعض مؤرخي العامة أن الإمام الحسين عليه السلام اعترض على موقف أخيه في توقيع وثيقة الصلح، وعند مطالعة المصادر التاريخية الأولى التي تحدثت عن هذا الموضوع يتبين لنا ضعفها ودلائل وضعها، كون الكلام فيها متزلزلاً وفاقداً لمضمونه. فقد ذكر البلاذري في كتابه (أنساب الأشراف) اعتراض الإمام الحسين عليه السلام بقوله: (أنشدك الله أن تكون أول من عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره، فقال: إني لا أرى ما تقول، والله لئن لم تتابعني لأسندتك في الحديد فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري)[٤٨].

وقريباً منه ما ذكره ابن عساكر في تاريخه[٤٩]. وكذلك الطبري[٥٠]. وزاد ابن كثير في الخبر قولاً للإمام الحسن عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام: (والله لقد هممت أن أسجنك في بيتنا أو أطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم)[٥١].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن هذه الصورة من النقاش الذي صورته الأخبار لا يتناسب صدوره عن فردين عاديين، فكيف إذا كان بين إمامين تربيا في بيت النبوة وتغذيا من ثدي الرسالة، وهما ولدي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهما من الصفات الإنسانية والكمالات الربانية ما لا يصل إليهما أحد، فضلاً عن القول بعصمتهما بحسب المعتقدات الإمامية، فكل ذلك لا ينسجم مع الرؤية الكلامية والأسس الأخلاقية.

لكن يزول العجب، وتتلاشى الحيرة إذا علمنا أن يدَ الوضع واضحة للنيل من مقام الإمامين عليهما السلام ولا سيما من شخصية أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والهدف من وضع هكذا أحاديث ومنقولات هو لكي يُعرِّفوا الإمام الحسين عليه السلام للناس بوصفه شخصية غير انسجاميه، ومزاجية، وبهذه الطريقة يبررون لسلطة يزيد اللا مشروعة وأفعاله المشينة، وليظهروا أن معارضة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد وعدم بيعته له لم تكن لدوافع دينية ومعرفة

بالحال السياسية والاجتماعية، بل إنها نابعة من طباع الإمام الحسين عليه السلام الفردية وأخلاقه الشخصية إلى درجة أنه لم يكن مستعداً بالقبول برأي أخيه(٥٢).

نعم؛ لا نختلف أن الإمام الحسين عليه السلام إنما قبل بمعاهدة الصلح مع معاوية مضطراً لما رآه من الظروف التي رآها أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام، فكليهما الرأي نفسه ولا يوجد اختلاف بينهما أبداً، بل لم يصدر عن الإمام الحسين عليه السلام أي اعتراض على قضية الصلح، بعد أن أمضاه أخيه الحسن عليه السلام. وهو ما أثبتته المصادر الشيعية إذ لم تنقل لنا الأخبار حديثاً عن مشاورة الإمام الحسين مع أخيه الحسين عليهما السلام، فضلاً عن الاعتراض، وهو أمر طبيعي ناتج عن الاعتقاد الذي يرى الطاعة المطلقة من قبل الإمام اللاحق للإمام السابق، فالإمام الحسين عليه السلام كان على علم ودراية بالأوضاع التي كانت تحيط بأخيه الحسن عليه السلام، فكان رأيه كرأي أخيه. والتزامه بوثيقة الصلح كالتزام أخيه الحسن عليه السلام. وقد بقي الإمام الحسين عليه السلام ملتزماً بوثيقة الصلح حتى بعد شهادة أخيه الحسن عليه السلام، وعندما تحرك شيعة العراق وكتبوا إليه بخلع معاوية ومبايعته، امتنع عليه السلام عن إجابتهم وذكرهم بأن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يصح أن ينقضه أو يخلفه حتى ينتهي أجله، وأنه سينظر في كلامهم إذا مات معاوية٥٣.

إذن الروايات التي تحدثت عن معارضة الإمام الحسين عليه السلام لصلح الإمام الحسن (سلام الله عليه) كان الغاية منها هو النيل من مقام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وإعطاء المشروعية لخلافة يزيد بن معاوية، لكن الصلح الحسني غَيَّر المعادلة لصالح جبهة الحق، ومَهَّدَ للنهضة الحسينية بعد أن اشترط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية أن لا يعهد لأحد من بعده، وأن الحقَّ يعود لأهله للإمام الحسن عليه السلام فإن مات فمن بعده الإمام الحسين عليه السلام.

وبذلك يتضح على وفق المنطق الشرعي والعقلي والعقلائي والإنساني أن يزيد بن معاوية هو الباغي على الحسين عليه السلام(٥٤).

والحمد لله رب العالمين

الهوامش

١-المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري. الإرشاد. ص١٧٩منشورات: مؤسسة التاريخ العربي. بيروت لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م. الطبرسي: أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي. إعلام الورى. ص٢١٦. منشورات الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

٢-المفيد: الارشاد: مصدر سابق. ص١٧٩.

٣-أي الخارجين من الميثاق والبيعة، يعنى البغاة ومخالفي الامام الحق، ويقال: لكل من خرج من إسلام أو حارب في الحرم أو في الأشهر الحرم. يُنظر: المعتزلي: شرح نهج البلاغة. ج١٦ ص١٥٢.

٤-ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ج٣ ص٤٠٢. دار صادر. بيروت - لبنان ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م.

٥-ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ص ١٣٣. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م.

٦-يُنظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة. مصدر سابق. ص١٣٣.

٧-الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. علل الشرائع. ج١ ص٢٧٣ ح٢. منشورات: المكتبة الحيدرية. الطبعة الثانية ١٤٢٧ هـ.

٨-يُنظر: الصدر: محمد باقر. أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية: ضمن مجموعة موسوعة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره). ج٢٠ ص١١٠.

٩-المقرم: عبد الرزاق. الإمام المجتبى الحسن بن علي عليه السلام. ج٢ ص ٨٨٣. منشورات مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة. الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧م.

١٠-الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الطبري. ج٤ ص٢٩٩. منشورات: دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى.

١١-المفيد: الارشاد: مصدر سابق. ص١٧٩.

١٢-الاصفهاني: أبو الفرج. مقاتل الطالبيين. ص٣٨. منشورات دار المرتضى. بيروت لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

١٣-يُنظر: المفيد: الارشاد: مصدر سابق. ص١٨٠.

١٤-القرشي: باقر شريف. موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام. ج١١ ص٤٦. مؤسسة الإمام الحسن لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام. الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

١٥-القمي: عباس. منتهى الآمال. ج١ ص٣١٧. مطبوعات دار الأندلس، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

١٦-الإربلي: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح. كشف الغمة: ج١ ص٥٠٧. انتشارات مكتبة الحيدرية. الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ١٣٨٥م.

١٧-الاصفهاني: أبو الفرج. مقاتل الطالبيين. مصدر سابق. ص٤٢.

١٨-يُنظر: الصدر: محمد باقر. أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، موسوعة الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره). ج٢٠ ص ٣٥٣. منشورات دار العارف للمطبوعات، بيروت

- لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
١٩-يذكر ابن قتيبة أن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: (أن أبي كان يحدثني أن معاوية سيلي الأمر). الإمامة والسياسة: ص١٣٤.
٢٠-المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين. تنزيه الأنبياء والأئمة. ص٢٦٢. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
٢١-المرتضى: تنزيه الأنبياء: مصدر سابق. ص١٧. ونقله: ابن شهر آشوب: ابي جعفر محمد بن علي. المناقب: ج٤ ص ٣٩. منشورات الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٢٢-يُنظر: ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب. مصدر سابق. ج ٤ ص ٤١.
٢٣-يُنظر: الإربلي: كشف الغمة. مصدر سابق. ج١ ص٥٠٦. وانظر: ابن شهر آشوب. مناقب آل أبي طالب: مصدر سابق. ج٤ ص٣٩٤. المفيد: الارشاد: مصدر سابق. ص١٨٠.
٢٤-الواسعي: علي رضا. الإمام الحسين وصلح الإمام الحسن (عليهما السلام). ص٥٨. ضمن كتاب: دراسات تاريخية في فاجعة الطف. منشورات: دار المعارف الحكمية. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤م.
٢٥-الدينوري: الأخبار الطوال. ص٢٢٠. منشورات دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٦٠م.
٢٦-الطبرسي: الاحتجاج. مصدر سابق. ج٢ ص ١١.
٢٧-ابن أعثم: الفتوح. مصدر سابق. ج٤ ص١٥٩.
٢٨-البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر. أنساب الأشراف. ج٣ ص٤١. منشورات: دار التعارف للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.
٢٩-الطبري: تاريخ الطبري. مصدر سابق. ج٤ ص١٢٢.
٣٠-ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. الاستيعاب. ج١ ص٣٥٥. منشورات: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٣١-ابن كثير: البداية والنهاية. ج٨ ص٤٦. دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٣٢-القرشي: موسوعة سيرة أهل البيت (عليهم السلام). مصدر سابق. ج١١ ص ٢٣٣.
٣٣-البلاذري: أنساب الأشراف. مصدر سابق. ج٢ ص٣٨٧ - ٣٨٨.
٣٤-المعتزلي: ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. ج١٦ ص٤٦. منشورات: دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. ١٩٦٢م.
٣٥-القرشي: موسوعة سيرة أهل البيت (عليهم السلام). مصدر سابق. ج١١ ص٢٦٩.
٣٦-الطبرسي: الاحتجاج: مصدر سابق. ج٢ ، ص٣٣٢.
٣٧-الصدوق: علل الشرائع: مصدر سابق. ج١ ص٢٧٣.
٣٨-القمي: عباس: منتهى الآمال. مصدر سابق. ج١ ص٣٢١.
٣٩-المقرم: عبد الرزاق. الإمام المجتبى الحسن بن علي (عليه السلام). مصدر سابق. ج٢ ص ٨٨٤.

٤٠-العاملي، جعفر: تأثير الصلح الحسني في الجهاد الحسيني. ص١٣ - ١٤. العتبة الحسينية المقدسة. منشورات: مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية. الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م.
٤١-المصلي: عبد العزيز الحاج سعيد. تمهيد الحسن وقيام الحسين عليهما السلام. ج١ ص٥٣. مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية. الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ.
٤٢-الاصفهاني: ابو الفرج. مقاتل الطالبيين. مصدر سابق. ص٤٩.
٤٣-الأميني: عبد الحسين احمد. الغدير. الجزء العاشر والحادي عشر. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
٤٤-الأميني: الغدير. مصدر سابق. ج ١٠ ص٣١١.
٤٥-الأميني: الغدير. مصدر سابق. ج ١٠ ص٣١٧.
٤٦-الكليني: ابو جعفر محمد بن يعقوب. الكافي. مصدر سابق. ج١ص ١٧٨ كتاب الحجّة، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، الحديث (١).
٤٧-الصدوق: إكمال الدين وإتمام النعمة: ٤١٧ الباب (٤٠) الحديث (٩). منشورات مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم. ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ش.
٤٨-البلاذري: أنساب الأشراف. مصدر سابق. ج٢ ص٣٩٣ - ٣٩٤.
٤٩-ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسن. مصدر سابق. ص١٧٧ - ١٧٨.
٥٠-الطبري: تاريخ الطبري. مصدر سابق. ج٤ ص١٢١.
٥١-ابن كثير: البداية والنهاية. مصدر سابق. ج٨ ص١٦١.
٥٢-يُنظر: الواسعي: علي رضا. الإمام الحسين وصلح الإمام الحسن عليهما السلام. مصدر سابق. ص٥٢.
٥٣-المفيد: الإرشاد. مصدر سابق. ص١٩١.
٥٤-العاملي: مرتضى، تأثير الصلح الحسني في الجهاد الحسيني. مصدر سابق. ص١٧.

المصادر والمراجع

*ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**. دار صادر. بيروت - لبنان ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م.
*ابن شهر آشوب: ابي جعفر محمد بن علي. **مناقب آل أبي طالب**. منشورات الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
*ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. **الاستيعاب**. منشورات: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
*ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م.
*ابن كثير: **البداية والنهاية**. دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
*الإربلي: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح. **كشف الغمة في معرفة الأئمة**. انتشارات مكتبة الحيدرية. الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ١٣٨٥م.
*الاصفهاني: أبو الفرج. **مقاتل الطالبيين**. منشورات دار المرتضى. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
*الأميني: عبد الحسين احمد. **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
*البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر. **أنساب الأشراف**. منشورات: دار التعارف للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.
*الدينوري: **الأخبار الطوال**. منشورات دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٦٠م.
*الصدر: محمد باقر. **أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية**، موسوعة الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره). منشورات دار العارف للمطبوعات، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
*الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. **علل الشرائع**. منشورات: المكتبة الحيدرية. الطبعة الثانية ١٤٢٧ هـ.
*الصدوق: **إكمال الدين وإتمام النعمة**. منشورات مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم. ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ش.
*الطبرسي: أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي. **إعلام الورى بأعلام الهدى**. منشورات الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.
*الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الطبري**. منشورات: دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى.
*العاملي: جعفر مرتضى. **تأثير الصلح الحسني في الجهاد الحسيني**. العتبة الحسينية المقدسة. منشورات: مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية. الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م.
*القرشي: باقر شريف. **موسوعة سيرة أهل البيت** عليهم السلام. مؤسسة الإمام الحسن لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام. الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
*القمي: عباس. **منتهى الآمال**. مطبوعات دار الأندلس، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
*الكليني: الشيخ أبي يعقوب. **أصول الكافي**. تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، دار الكتب الإسلامية، طهران.
*المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين. **تنزيه الأنبياء والأئمة**. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
*المصلي: عبد العزيز الحاج سعيد. **تمهيد الحسن**

وقيام **الحسين** عليهما السلام. مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية. الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ.

*المعتزلي: ابن أبي الحديد. **شرح نهج البلاغة**. منشورات: دار إحياء التراث العربي. بيروت – لبنان. ١٩٦٢م.

*المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري. **الإرشاد**. منشورات: مؤسسة التاريخ العربي. بيروت لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

*المقرم: عبد الرزاق. **الإمام المجتبى الحسن بن علي** عليه السلام. منشورات مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة. الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٧م.

*الواسعي: علي رضا. **الإمام الحسين وصلح الإمام الحسن** عليهما السلام. ضمن كتاب: دراسات تاريخية في فاجعة الطف. منشورات: دار المعارف الحكمية. بيروت – لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٤م.

الإمامُ المجتبى عليه السلام

مَواقفُ تَخفقُ بروحِ الحقّ

د. ريما حسين أمهز
كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
الجامعة اللّبنانيّة / لبنان

ملخص البحث

إنّ محاولات إطفاء نور الإمام المجتبى عليه السلام، وتغييب دوره اللّامع بسناه المشرق على الإنسانيّة لهي محاولات بائسة خاسرة، وهي أحقر ممّا يتصوّره الطّغاة المتجبّرون، وأصحاب المطامع الدّنيويّة الّذين كانوا يلهثون وراء المال والسّلطة ، والّذين كادوا ويكيدون للإنسانيّة قبل أن يكيدوا للحقّ وأصحابه، وقبل أن يكيدوا للإسلام أو غيره من شرائع التّوحيد الحقّ.

فحياة الإمام الحسن عليه السلام، تشكّل بما تزخر به من دروس وتجارب في الفضيلة والشّرف والصّلاح برنامجًا رساليًّا متكاملًا لمن أراد السّموّ والرّفعة والتّسابق إلى مستويات عالية في الكمال المعنويّ والرّوحيّ. ولقد ترك الإمام عليه السلام آثارًا خالدة تشعّ بالنّور في مختلف جوانب حياته، والّتي كان فيها الإمام عليه السلام المثال الصّادق، والأنموذج الأمثل للقائد القدوة، كما أنّ له من المواقف ومن المواهب ومن عمق الأهداف، ما يضعه بالمكان الأسنى من صفوة العظماء الخالدين.

من هنا جاء هذا البحث ليطلّ إطلالة مضيئة على بعض أهداف ومواقف الإمام الحسن الّتي ما زالت ترفل بظلالها لزرع بذور الحقّ في الإنسان، ورفعه إلى مدار الكون، والسّير به إلى سناء يجعله إنسانًا سويًّا.

Abstract

The attempts to extinguish the light of Imam Al-Mujtaba, peace be upon him, and to conceal his shining role are miserable and too fragile to stymie him . It is more despicable that the arrogant tyrants, and those with worldly ambitions chasing after money and power, plotted against humanity and against the truth and its companions and already had plotted against Islam or other laws of true monotheism: truly they are to fail.

The life of Imam al-Hassan is a life full of rich lessons and experiences in virtue, honour and piety . I it is a model program for those who desire heights, honour, and race to high levels of moral and spiritual perfection. He is the true example of a leader. Moreover, he also has attitudes, talents, and depth of goals that set him in the best place among the elite of the immortal figures and paragons.

This research came to provide a luminous view on some of the goals and positions of Imam Hassan to plant the seeds of truth in man, raise him to the orbit of the universe, and take him to sublimity , which offers him a straight person.

المقدمة

إنّ الكلام في الّذين: «خلقهم اللهّ من نور جلاله وعظمته،[1]»، أمر صعب لمن لم يشرب من ثدي الوحي، ولم يكن له نصيب من علم الكتاب؛ لأنّهم أجلّ قدرًا، وأعظم شأنًا، وأعلا مكانًا، وأمنع جانبًا، وأبعد غورًا من أن يبلغهم النّاس بعقولهم، أو ينالوهم بآرائهم... فهم «كالشّمس الطّالعة المجلّلة بنورها للعالم، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار[2]».

ونحن، وإن تكلّمنا فيهم، فكلامنا على قدر ما عندنا من العلم والمعرفة، لا على قدر ما أعطاهم اللهّ عزّ وجلّ ممّا لا يخطر على قلب أحد من الخلق، فهم أعظم ممّا نقول فيهم، وأجلّ ممّا نتفوّه به من خصالهم وفضائلهم؛ وقد ورد فيهم: «ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأرباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وخصِرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلّت الشّعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنهم، أو فضيلة من فضائلهم[3]».

فما عسانا نقول في كريم أهل البيت، وسليل الهدى، ورضيع التّقى، وحلف أهل التّقوى، السّبط الأكبر، والنّور الأزهر، محيي الفرائض والسّنن، قالع الصّنم والوثن، الصّابر في الشّدائد والمحن، معدن السّخاء وشجرة الصّفاء، وثمرة الوفاء، ابن خير الرّجال وخير النّساء، قبلة العارفين، وعلم المهتدين، وثاني الخمسة الميامين، الّذي افتخر بهم الرّوح الأمين، وباهل بهم االله المباهلين، كلمة التّقوى والعروة الوثقى، الإمام المؤتمن، المنبثق من مهجة الرّسالة، والوارث العظيم الّذي أغدق على الأجيال بنهج ممزوج من بلاغة أبيه في الإدراك، وعجينة أمّه في تحمّل القذى، ومرامي جدّه إلى عجن الإنسان وخلقه من جديد في عمليّة التّسليم والتّوحيد، أحد الثقلين الذين من تمسّك بهما نجا ومن تخلّف عنهما ضلّ وغوى، شرف آل أبي طالب، الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

كلامنا فيه إنّما هو جهد بسيط على طريق المفاداة الحقّة لتقيّ زكيّ تفيض به الملامح إلى حدود الرّسالة الّتي لا يرتعش بها إلّا ابن نبيّ، جهد لا يرقى إلى جهود العلماء الكبار، وأدباء الحقّ الّذين أسهموا إسهامات جلّى في بناء صرح الكلمة الصّادقة المعبّرة، العصيّة على

الاضطهاد والتّنكيل، المنافحة عن الحقيقة المظلومة، الذّابّة دون الخير والصّلاح والحرّيّة.

ومنهجنا في هذا المقال أن لا نتوسّع في ما زخرت به كتب السّير من سيرة الإمام الحسن، واكتفينا بالحديث عنه فكرًا إنسانيًّا، وأنموذجًا رساليًّا، وأهداف ومواقف جعلته في المكان الأسنى من صفوة العظماء الخالدين.

أوّلًا: الإمام الحسن عليه السلام في سطور

قد تكون المرحلة الأولى من حياة الإمام الحسن عليه السلام من أغنى المراحل وأعمقها ترسيخًا في ذاته. كيف لا؟ وقد عُجن من خميرة التّكوين النّفسي الرّوحي الأنيقة، فتدفّقت ذاته من ذات فاطمة الّتي لم تكن أمّا لفرد، بل كانت أمًّا لسلالات يسمو بها الحقّ، ومن ذات عليّ الّذي لم يكن أبًا لفرد، بل كان أبًا لذرّيّة تأخذ على عاتقها أعباء قيادة أمّة مجموعة من فيض حقّ غرقت فيه الرّسالة، ومن ذات جدّه الحريصة على استمرار مجهود تشبّث بحقيقة رزم الإنسان حتّى ينتصر الإنسان، فجعل من طفولته النّديّة تجسيما لأحلامه البكر في تبصّره بأمور الصّيرورة .

اشتمّ من جدّه رائحة الوحي، وشرب من رحيقه المختوم، وتغذّى من معين رسالته وأخلاقه ويسره وسماحته، رافق خطواته في البيت، وعلى الدّرب المؤدي إلى المسجد لوعظ النّاس، والصّلاة فيهم صلاة التّبرّك بالحقّ، والتّمرّس بالإيمان الّذي يحرّر من البغض والحقد والجبن عن السّير في تنقية النّفس من أدرانها الوبيئة، فرُفد بشممه وكبريائه، وضارعه في أخلاقه، وحاكاه في سموّ نفسه، واستوحى منه الحكمة والعقيدة والعلم والدّراية، والفضل والكفاية، والقوّة والإرادة والثّبات، وأبصر تعاليمم الرّسالة، وشقّ الطّريق في وعي قيم السّماء وتجسيدها لتكون ثقافة الأمّة في الحياة، فكان مثالاً كريمًا للخُلق الإسلاميّ النّبويّ الرّفيع في تحمّل الأذى والمكروه في ذات الله، والتّحلّي بالصّبر الجميل والحلم الكبير، حتّى اعترف له ألدّ أعدائه مروان بن الحكم بأنّ حلمه يوازي الجبال.

رأى النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الحسن سلام الله عليه صورة مصغّرة عنه، وأنّه قبس من سناه يرشد النّاس بعده إلى طريق الحقّ، واستشفّ من وراء الغيب أنّ كلّ ما يصبو إليه في هذه الحياة من المثل العليا سيحقّقه على مسرح الحياة، فأفرغ عليه أشعّة من روحه العظيمة، ورفع له من أخلاقه علمًا وأدبًا، وكتب على صفحات قلبه آيات العطف والحنان والكبرياء،

فتعمّقت في قلب الإمام عليه السلام قيم العطف والحنان، وكان آية من آيات الله في الإنسانيّة الفضلى، وفي الشّفقة والعطف والسّماحة والكرم والجود والسّخاء بنحو تميّز عن سائر الكرماء والأسخياء.

وبتخطيط إلهيّ أهّله جدّه للإمامة الّتي كانت تنتظره بعد أبيه، وقد صرّح صلى الله عليه وآله بها في أكثر من مناسبة حينما قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، اللّهمّ إنّي أُحبّهما فأحبّ من يحبّهما».

وقد تجلّى هذا التخطيط الربّانيّ في ما نصّ عليه الرّسول صلى الله عليه وآله بقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

ظلّ في رعاية جدّه حتى اختار الله لنبّيه دار خلده، بعد أن ورّثه ما استقرّ في نفسه من القوى الرّوحيّة والثّروة الإصلاحيّة الهائلة، والذّكاء وسموّ الإدراك، ورّثه هديه وأدبه وهيبته وسؤدده، وكانت هذه الهيبة والسّؤدد صفات خلقها الله تعالى في شخصيّة النّبيّ صلى الله عليه وآله روحًا ونفسًا، ثمّ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله، نقلها الله تعالى وراثة تكوينيّة اصطفائيّة من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام الحسن عليه السلام. واللافت النّظر أنّ هذه الهيبة الموروثة قد شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء، فعبدالله بن الزّبير مع شدّة انحرافه عن أهل البيت، وتحامله عليهم يقول: «والله ما قامت النّساء عن مثل الإمام الحسن بن علي في هيبته، وسموّ منزلته[٤]».

راح يفتّش عن جدّه الّذي غاب، ليجده متفجّرًا في عين أمّه الزهراء سيّدة نساء العالمين وحيًا في صدر أبيه سيّد الوصيّين، وإمام الغرّ المحجّلين، المزروع في حقيقته الغائصة بروح الرّسالة. تقلّب في أحضانهما، فامتلأ وجدانه بأنوار الزّهراء القدسيّة الّتي أزهرت على محيّاه الشّريف، وبنسمات الحنان وخفقات الحبّ، وهمس الحياة، وبالإيمان العميق، والمعرفة الواسعة، والأخلاق العالية، والروحانية الصّافية، والإرادة الصّلبة، والشّجاعة الجريئة، واختزنت روحه روحها المنفتحة على النّاس في كلّ همومهم، وفي كلّ آلامهم وأحلامهم وقضاياهم، قبل الانفتاح على النّفس، كيف لا؟ وقد رآها الحسن عليه السلام وهي تقوم اللّيل حتّى تتورّم قدماها، وتدعو للمؤمنين والمؤمنات، فيناجيها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك؟ فتقول يا بُنيّ الجار ثم الدّار. وملأ جعبته من ينابيع عليّ فكرًا عميقًا أنتج للنّاس مذهبًا في الحكمة وصلابة العقيدة، وصدق العزيمة، والبراءة الصّافية الطّاهرة، ليتقدّم بها إلى

السّاحة الّتي تطلبه إلى إثبات وجوده كوريث أنيق ومسؤول لرجلين ملتحمين في عمليّة خلق الجذور من جديد، وتركيز الرّسالة مادّة فاعلة في رفع سويّة الأمّة وتوسيع الميادين لها بحقيقة التّقرير. وبذلك سمت طفولته، وكانت مثالًا للتّكامل الإنسانيّ، وعنوانًا للسّموّ والتّهذيب، ورمزًا للذّكاء والعبقريّة.

وما لبث أن طويت هذه الصّفحة الثّانية من حياته بوفاة أُمّه الزّهراء عليها السلام، وقد حفّت بأبيه علي بن أبي طالب عليه السلام النّكبات، ومازال يشاهد كلّ هذه المحن ويتجرّع مرارتها وهو في سنّ الطّفولة، وهذا الشّعور الضمنيّ المعبّر عنه بالصّمت والحزن والهدوء، هو من البدايات الّتي راحت تسير به إلى كلّ جلوة يستنير بها في طريقه الآتي. كان يقوم بأكثر ممّا ينتظر من مثله، من حيث وعيه وإحساسه بالأوضاع العامّة وتطوّراتها، ومن هنا كان يتمتّع بتقدير المسلمين واحترامهم له بعد ما شاهدوا مدى اهتمام نبيّهم صلى الله عليه وآله به. فقد كان الإمام الحسن عليه السلام ،ولعقد من الزّمن، يعيش بين أظهر المسلمين، يمثّل الكهف الحصين، ومعدن الأمن، وملجأ الهاربين والمحتاجين، ومصدر غوث اللاّجئين قبالة البطش الأمويّ.

يقول صاحب كتاب «مناقب ابن شهر آشوب»، عن محمّد بن إسحاق: «ما بلغ أحد من الشّرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الإمام الحسن عليه السلام، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطّريق، فما مرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته، فمرّ النّاس، ولقد رأيته في طريق مكّة ماشيًا، فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى، حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي(٥)».

وهكذا جمع الحسن عليه السلام سيماء النّبوّة مع كمالات الإمامة، فكان الجوهر الّذي استمرّت به أنوار البهاء، وانحدرت عنه عيون الصّفاء، والتقت معه رسالات السّماء.

ثانيًا: صفحات مشرّفة في مواقف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

إنّ محاولات إطفاء نور الإمام المجتبى عليه السلام، وتغييب دوره اللّامع بسناه المشرق على الإنسانيّة لهي محاولات بائسة خاسرة، وهي أحقر ممّا يتصوّره الطّغاة المتجبّرون، وأصحاب المطامع الدّنيويّة الّذين كانوا يلهثون وراء المال والسّلطة، والّذين كادوا ويكيدون للإنسانيّة قبل أن يكيدوا للحقّ وأصحابه، وقبل أن يكيدوا للإسلام أو غيره من شرائع التّوحيد الحقّ.

فحياة الإمام الحسن عليه السلام، تشكّل بما تزخر به من دروس وتجارب في الفضيلة والشّرف والصّلاح برنامجًا رساليًّا متكاملًا لمن أراد السّموّ والرّفعة والتّسابق إلى مستويات عالية في الكمال المعنويّ والرّوحيّ. فقد وقف الحسن عليه السلام وجهًا لوجه أمام أحداث جسام كشفت أمامه بالتّدريج واقع البيئة الّتي عاش فيها جدّه العظيم، وأبوه الّذي عانى وطأة الجهاد، فكان عملاقًا في مواجهة الأحداث، وكان الرّجل «الحديديّ الّذي لا تزيده النّكبات المحيطة به إلاّ لمعانًا في الإخلاص، واتّقادًا في الرّأي، واستبسالًا في تلبية الواجب، وتفانيًا للمبدأ، ولم يكن لتساوره الحيرة على كثرة ما كان في موقفه من البواعث عليها، ولا وجد في صدره حرجًا ولا تلوّمًا ولا ندمًا، ولكنّه وقف ليختار الرّأي وليرسم الخطّة وليتّخذ التّدابير[٦]». فسطّر مواقف حاسمة ومشرّفة في تاريخ الإسلام جعلته في المكان الأسنى من صفوة العلماء الخالدين، ومن هذه المواقف:

١-بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله، شهد الإمام الحسن عليه السلام ما جرى من اغتصاب الإمامة من أبيه، ونقمة أعدائه عليه كثرة فضائله، وشدّته في إحقاق الحقّ، وسيفه الّذي خلق منهم أعداء موتورين منذ كان يصنع الإسلام هذا السّيف في سوح الجهاد المقدّس، وسنّه التي اختارها اللهّ لسكّان جنانه يوم القيامة، فكرهوا اجتماع النّبوة والخلافة في بيت واحد، لأنّه خفي عليهم أنّ الامامة في الإسلام دين كالنّبوة نفسها، ويجوز فيها ما يجوز في النّبوة، ولا يجوز عليها ما لا يجوز على النّبوة في عظمتها. فآزر أباه في مواقفه الصّلبة إزاء استلاب الخلافة، وكان يتحدّى السّلطة بفكر عملاق، ورؤية صائبة، وجرأة هاشميّة، وكان أوّل موقف له، وهو آنئذ في حدود التّاسعة من العمر، أن جاء المسجد، ولمّا رأى أبا بكر عليه، قال له: اِنزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فالإمام عليه السلام لطالما سمع على المنبر لسانًا

صادقًا، وحكمًا متعالية، ونورًا يشعّ إلى السّماء، وقد انتقشت هذه الصّورة في قلبه ومخيّلته، لذلك أصبح غريبًا عليه منظر هذا الرّجل المنافق الغادر.

٢- على الرّغم من وعيه لكيفيّة صرف الخلافة عن أبيه، إلّا أنّه لمّا كان هدفه الإسلام، لم يُعدُّ الخلافة إلّا مركزًا مشقوقًا من صلب الرّسالة، وأنّه تمثيل للنّبيّ العظيم الّذي استوحى الرّسالة ليعيش بها وفيها من أجل الأمّة، وبهذا الإقناع والإدراك اشترك في الفتوحات الإسلاميّة، فراح ينخرط بجيش التّحرير تعزيزًا للأمّة، وربط طاقاتها بجميع مصالحها، وهكذا تمّ تحرير إفريقيا، وكان مع ابن العبّاس وابن جعفر، وأخيه الحسين عليه السلام، واشترك بتحرير طبرستان في الجبهة الشّرقيّة بقيادة سعيد بن العاص كما نقل.

٣- أراد أمير المؤمنين أن يعود بالإسلام إلى جوهره الحقيقي نافضًا صدأ السّنين عن ردائه، وكاشفًا عن وجهه النّاصع، وكان الإمام الحسن عليه السلام ساعده الأيمن في هذه العودة الميمونة، وما إن تسلّم عليّ عليه السلام قيادة الأمّة حتّى نجم قرن النّاكثين متّجهين إلى البصرة لقتال الإمام، فأوفد ولده الحسن عليه السلام إلى الكوفة لاستنهاض أهلها لنصرته في حربه، وكان على الكوفة أبو موسى الأشعريّ الّذي كان يخذل النّاس عن أمير المؤمنين عليه السلام، فأقبل الحسن عليه السلام على أبي موسى بكلّ ما يحمله من خلق وأدب قائلا: «يا أبا موسى لمَ تثبّط النّاس عنّا، فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء»(٧). فلمّا لم ينفع معه الكلام تدخّل الصّحابي عمّار بن ياسر محاججًا فما نفع معه الحجاج، وبقي مصرًّا على لجاجه وسوء طويّته، فثار بوجهه الإمام الحسن عليه السلام، وعزله قائلًا له: «اِعتزل عملنا لا أمّ لك وتنحّ عن منبرنا». ونجح بمهمّته نجاحا باهرًا يعضده فيها عمار بن ياسر، وكانت معركة الجمل، فضنّ به أبوه عن القتل، وانتهت المعركة بالنّصر المؤزّر لأمير المؤمنين، وكان دور الإمام الحسن عليه السلام دورًا قياديًّا بارزًا، فهو أحد أركان حرب الإمام، وعاد برفقة أبيه إلى الكوفة يستدرج واقعها الاجتماعي، ويستقرئ مناخها السّياسي.، وكان من كبار مستشاري أبيه، وفي طليعة منفّذي أوامره، وعندما نهض الإمام علي عليه السلام بالكوفيّين لقتال القاسطين في صفّين، كان موقع الإمام الحسن عليه السلام متميّزًا، وانتهت المعركة بغدر الحكمين الضّالين، فاحتجّ الحسن عليه السلام بالمنطق السّياسي تارة، وبالمنطق الدّينيّ تارة أخرى على تصرّفهما المخزي، وخطب بالكوفيّين

وبصّرهم حقيقة الحال. وانفجرت فتنة المارقين، فكان الحسن عليه السلام من الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر، وسار إلى معركة النّهروان بقيادة أبيه جنبًا إلى جنب، وانتهت المعركة بالنّصر الحاسم لأمير المؤمنين عليه السلام ضمن إخباره الغيبيّ، فلم يفلت من الخوارج عشرة، ولم يقتل من أصحابه عشرة.

واضطلع الإمام بمسؤوليّة قياديّة زمن أبيه، فقد أمره بأن يصلّي الجمعة بأهل الكوفة، فصلّى وخطب ووجّه وبيّن وعلّم، وأجال فكره بعواقب الأمور، وهدر لسانه بتوحيد كلمة المسلمين، وأشار بالحقّ إلى أهله، وشجب الباطل في مكمنه.

٤- ساند الإمام الحسن عليه السلام أبا ذرّ الغفاري في ثورته الفكريّة على عثمان بن عفان، وعندما أخرج عثمان أبا ذرّ من المدينة ونفاه مرغما إلى الرّبذة، ولم يستجب إلى طلبه في نفيه إلى مكّة او البصرة أو الكوفة، أمر عثمان فنودي في النّاس ألّا يكلّم أحد أبا ذرّ ولا يشيّعه، فتحاماه النّاس، إلّا أنّ الحسن سلام الله عليه، خرق قرار الخليفة، وقام بتوديعه مع أخيه الحسين عليه السلام، وأبيه علي عليه السلام، ومجموعة من الصّحابة، مواسيًا له بالعبارات الآتية: «يا عمّاه لولا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت، وللمشيّع أن ينصرف، لقصر الكلام، وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدّنيا بتذكّر فراغها، وشدّة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها، واصبر حتّى تلقَ نبيّك وهو عنك راض»[٨].

٥- في خلافة عثمان بن عفان، شارك الحسن عليه السلام مشاركة فاعلة في قطع دابر الفتنة الكبرى شاهرًا سيفه، مرابطًا بباب عثمان، ليدفع غضب الجماهير الثّائرة من احتراق الدّار وقتل عثمان.

فالإمام عليه السلام، لم تخف عليه فصول الرّواية ولا حتّى مشاهدها، وراح مع أبيه عليه السلام ينبّهان عثمان إلى وجوب تلافي الأخطاء والتّخفيف من غلوائها. فليست الخلافة مركزًا يستهان به في خدمة المسلمين وجمعهم إلى حقّ هو للكلّ على السّواء، وليس الاستئثار بمغانم الحكم هو في خدمة الرّسالة، وليس الحكم أبدًا لجني مغنم دون توزيعه على المجتمع بقسط وعدالة، ولا بؤرة يربو فيها الحقد وتتغذّى منها الضّغينة، ولا مركزًا حصينًا تتجمّع فيه القبائل لتنطلق إلى عمليّات سلب وغزو وإغارة على مراعي الغير.

صحيح أنّه لم ينجح في تغيير مجرى الأحداث، ولم يصلح من نيّة عثمان، ولم يثبط من

عزيمة معاوية، إلّا أنّ مبادرته تلك ثبّتته رجلا مجلّيًا بحقيقة الإمامة.

٦- بعد الفاجعة الكبرى في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وقف الحسن عليه السلام على منبر أبيه ، ليؤبّنه فقال: « لقد قبض في هذه اللّيلة رجل لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول اللّه فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتّى يفتح اللهّ عليه. ولقد تُوفّي في اللّيلة الّتي قبض فيها موسى بن عمران، ورفع بها عيسى بن مريم ، وانزل القرآن، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا لأهله...»(٩).

الملاحظ في هذا الأسلوب الخطابيّ الفريد أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يؤبّن أباه بالطّريقة المألوفة الّتي يمكن أن يؤبَّن على غرارها غيره من العظماء، بل نظر إليه من زاويته الرّبّانيّة، وأبّنه بما لا يسع أحدًا في التّاريخ أن يؤبّن به غيره، فلم يذكر المزايا المعروفة في الرّاحل العظيم الّتي يمكن أن يشاركه فيها أحد من العظماء أو الأولياء، بل ذكر من أوصافه الخصائص العلويّة الّتي لا تصحّ لغير عليّ في التّاريخ.

وهذا الأسلوب الخاصّ، كان أبلغ تأبين في ظرفه، وأليقه بهذا الفقيد، وهذه إحدى مواقفه الخطابيّة الّتي دلت بموهبتها الممتازة على نسبها القريب من جدّه ومن أبيه صلى الله عليه وآله.

٧- بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، أفاقت الأمّة على خسارتها الّتي لا تعوّض، ووجدت نفسها تحتضن بحبات قلوبها عترة نبيّها ص الحسن والحسين عليهما السلام، فبادرت إلى بيعة الإمام الحسن عليه السلام كبير السّبطين، الإمام بنصّ جدّه وأبيه «: « يا بنيّ أمرني رسول اللّه أن أوصي إليك، وأن أدفع اليك كتبي وسلاحي ، كما أوصى إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك، إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين(١٠)». فنهض الحسن عليه السلام، وشمّر ساعديه لقيادة الأمّة، وتسلّم مقاليد الحركة النّبويّة العظيمة والهداية الرّبّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه.

جاء إلى الحكم من دون مقوّمات، والأمّة تعيش انهيارًا شاملًا، ، فلم يكن يمتلك قوّة عسكريّة تحفظ كيان الأمّة من هجمات التّمرّد وغارات الغدوّ، ولم يكن يمتلك شعبًا متماسكًا يسند الدّولة في الظّروف الصّعبة، بل كان المسلمون موزّعي الهوى والهويّة. والإمام عليه السلام وإن كان في مستهلّ الرّجولة والنضّج، إلّا أنّه أدرك أنّه أمام أمّة انسلخت من قيمها، وغلبت

عليها شهوة المال وحبّ الرّاحة، فكان لا بدّ أن يبدأ عملًا تغييريًّا في جذور الأمّة ليعيدها إلى فطرتها الصّافية، ويذكّرها بمفاهيم الرّسالة الّتي بشّر بها الرّسول صلى الله عليه وآله، ويعيد إحياءها، فرتّب الحكومة في نفس اليوم: رتّب العمّال، وأمّر الأمراء، ونظر في الأمور، وجنّد الجنود وفرّق العطيّات، وخصّ الجنود بعطيّة خاصّة، وكان أوّل من سنّ ذلك وتبعه من بعده. كما كشف عن جاسوسين أرسلهما معاوية إلى البصرة والكوفة وقتلهما، ثم أرسل مذكّرة إلى معاوية أعلمه فيه بالجاسوسين، وهدّده وتوعّده بإعلان الحرب إن أصرّ على البغي والتّمرّد والتّمادي في الإثم، كما عبّر فيها عن استيائه واستنكاره لما أظهر من السّرور والغبطة بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت ضربة غير محتملة لمعاوية؛ فلم يتحمّل ذلك، وطلب تجهيز الجيوش لقتال الإمام الحسن عليه السلام.

٨- خطب لدى تولّيه الخلافة خطبة غرّاء كشف بها عن قوّة شكيمته، وملامح شخصيّته، وأبان خصائصه النّسبيّة والدّينيّة والنّضاليّة، فاجتمع أهل الحلّ والعقد عليه باعتبار بيعته بيعة شرعيّة لا إكراه فيها، وباعتبار إمامته نصّيّة لا اجتهاد معها، وهو الإمام الوحيد بعد أبيه الّذي حصل على البيعة والنّصّ في استقبال الإمامة.

قال عليه السلام: «نحن حزب الله الغالبون، وعشيرة رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطّيّبون الطّاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمّته، والثّاني كتاب الله، فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوّل علينا في تفسيره، لا نظنّ تأويله، بل نتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله عزّ وجلّ ورسوله مقرونة.

وأحذّركم الإصغاء لهتاف الشيطان، فإنّه لكم عدوّ مبين، وتكونوا كأوليائه الّذين قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ[١١]﴾. فتلقون إلى الرّماح وزراً، وإلى السّيوف جزرًا، وللعمد حطمًا، وللسّهام غرضًا، ثمّ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا[١٢]﴾.

٩- عندما بايعت الحواضر الإسلاميّة سبط النّبيّ صلى الله عليه وآله الإمام الحسن عليه السلام، ووصلت أنباء البيعة إلى معاوية، طار هلعًا ورعبًا، وتفرّقت نفسه شعاعًا، وأخذ يدبّر نفس الخطّة

الّتي دبّرها مع أبيه من قبل، فكاتب الإمام عليه السلام يمنّيه الأماني أوّلًا، وراسله على الصّلح ثانيًا، واستوى على شراء ذمم زعماء القبائل ثالثًا، وائتمر على اغتيال الإمام عليه السلام رابعًا، وكان لا بدّ لقرن الشّيطان أن ينجم، ولكنّ الإمام الحسن عليه السلام صليب العود ودقيق الرّأي، فنهض بواجبه القياديّ بادئ ذي بدء، وبذل جهدًا مضاعفًا بإيديولوجية جديدة لقيادة عسكريّة بقيادة ابن عمّه عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب، فخانته قيادة ابن عمّه وأفسد عليه معاوية جيشه وخواصّه بالمال تارة، وبالإرهاب أخرى، فرأى الإمام عليه السلام أنّ الأفق ملبّد بسحب التّضليل والانتهازيّة، وأنّ المناخ السّياسي لا يسمح له بأدنى تفاؤل بالنّصر، وقدّر واقع الجيش الكوفيّ الّذي هو عماد المعركة وعمودها وإذا به: القادة يرشون، والأركان ينسحبون، والنّاس تتفرّق، والإشاعة والأباطيل تنتشر، والدّعاية للقتال في إخفاق يصل درجة الصّفر، والخور والهلع والخوف يمتلك كلّ النّفوس الضّعفية، فإن قاوم معاوية قاومه بيد جذاء، ولو ضحّى بنفسه لذهبت تضحيته سدى، وعادت بالضّرر الجسيم على الإسلام والمسلمين، فوقف عليه السلام مع عدوّه موقف الحازم اليقظ، والبصير المحنّك، وفدى نفسه والمسلمين بعرشه، وضحّى بإمكانياته الدّنيوية كلّها، وخرج عن سلطان ملكه في سبيل مبدئه، فإذا به ذلك المصلح الأكبر، الّذي بشّر به جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث: «إن ابني هذا سيّد وسيصلح اللّه به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

صالح معاوية ضمن شروط، وحفظ دمه ودم أهل بيته والبقيّة الصّالحة من المؤمنين، وقد تكون التّضحية بالعرش من صاحب الحقّ به، أشدّ دلالة على إنكار الذّات من التّضحية بالنّفس، وإنكار الذّات في سبيل المبدأ، أوضح صفات الحسن بن عليّ عليه السلام، وأروع أدواته في جهاده الموصول الحلقات.

وقد حيكت حول قضية الحسن الأقاويل الكثر، والنّقدات النّكر، وتساءل الكثير عن السّر الّذي تجافى به الإمام عليه السلام عن الشّهادة قتلًا، والسّبب الجوهري فيما صار إليه الإمام من اختيار الصّلح، و«فاتهم أن ينظروا إلى دوافع هذا الاخفاق المزعوم الّذي كان في حقيقته انعكاسًا للحال القائمة في الجيل الّذي قُدّر للحسن أن يتزعّمه في خلافته، وفاتهم أن ينظروا إليه كألمع سياسي يدرس نفسيّات خصومه ونوازع مجتمعه وعوامل زمنه، فيضع الخطط

ويقرّر النّتائج ويحفظ بخططه مستقبل أمّة بكاملها، ويحفر بنتائجه قبور خصومه قبرًا قبرًا، ثمّ يموت ولا يرضى أن يهرق في أمره محجمة دم[١٣]».

وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى مصلحة الإسلام العليا في صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان بقوله: « والله للّذي صنعه الإمام الحسن بن علي عليه السلام خير لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشّمس[١٤]».

وَعَدَّ الشّيخ آل ياسين وثيقة الصّلح الّذي أبرمه الإمام الحسن عليه السلام هي خير ما تتوصّل إليه اللّباقة الدّبلوماسيّة لمثل ظروفه وزمانه وأهل زمانه الّتي تميّزت بالقابليّات السّياسيّة الرّائعة الّتي لو قدّر لها أن تلي الحكم في ظرف غير هذا الظّرف، وفي شعب أو بلاد رتيبة بحوافزها ودوافعها لجاءت بصاحبها على رأس القائمين السّياسيّين المحنّكين وحكّام الإسلام اللّامعين[١٥]».

فالإمام عليه السلام لم يكن مثارًا لشبهة، أو مجالًا لنقد، أو هدفًا لاتّهام، وكيف يكون ذلك؟ وهو الرّبّاني المعترف به، والمطهّر بنصّ الكتاب عن كلّ ما يوجب شبهة أو خطأ أو اتّهامًا.

لم تكن الدّنيا يومًا من حساب الحسن حتّى يطمع بالحياة فيها، ويؤثرها على ما ادّخره الله له من الكرامة والملك العظيم في الجنان الّتي هو سيّد شبابها الكريم، ولم تكن الجبانة يومًا من سماته حتّى يخاف القتل، وهو الذي «إذا سار سار الموت حيث يسير» على حدّ تعبير عدوّه فيه. ولكنّه رضي لنفسه أن تحيا حياة أصعب من الموت، صيانة لأهدافه من أن تموت، وأن تكون أداة الخير للغير دون أي استئثار، فكان أمثولة الامام الصّاعد في مثاليّته، والمصلح العظيم الّذي اختطّ للمصلحين ألم التّضحيات للنّفس في سبيل الابقاء على المبدأ. فكانت تضحيته تلك هي آية عظمته في التّاريخ وسلطانه الرّوحي، وآية مقامه المكين من قلوب المسلمين.

١٠- بعد توقيع الإمام الحسن عليه السلام اتّفاقيّة الهدنة مع معاوية، شكا أفراد من كبار شيعته عزوفه عن معركة السّلاح، وظهرت بعض ردود الفعل المتذمّرة، وراح بعضهم يعنّف القول للإمام عليه السلام، دونما وعي بالظّروف القائمة والموضوعيّة، فوقف موقفه المشرّف الّذي دلّ بذاته، وبما حفظ الإسلام من الانهيار، وليس بالغريب أن يتصدّى الإمام عليه السلام ،لإزالة الغموض

واللّبس الّذي لفّ مسألة الهدنة، وأن يجيب عن الأسئلة الّتي كانت تدور في أذهان اللّوامين، ولكنّ المميّز في موقفه أنّه سلام الله عليه اعتمد لمواجهة ردود الفعل تلك كلّ بحسب موقعه ، بحسب قربه أو بعده من القيادة، وقدرته على استيعاب الجواب وفهم أبعاده.

قال وهو يجيب أحد اصحابه العاتبين عليه بالصّلح : « واللّه لو وجدت أنصارًا لقاتلت معاوية ليلي ونهاري»(١٦) .

وعندما جاءه حجر رافضاً الصّلح - كما يروى - خاطبه قائلًا: «يا حجر ليس كلّ النّاس يحبّ ما تحبّ ولا رأيه كرأيك»(١٧).

فالحرب بناء على هذا الاحتمال كانت غير محبّبة لدى عموم المجتمع المسلم، لأنّ الأمر ليس أمر إسلام وحسب، وليس مجرّد رغبة في القضاء على معاوية، بل هو يشكّل لحظة حاسمة، هي الحرب الّتي تحتاج إلى إرادة داخليّة صلبة.

وقال عليه السلام للشّيعة الّذين طلبوا منه أن يأذن لهم بقتال معاوية بعد الهدنة: «أنتم شيعتنا وأهل مودّتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدّنيا أعمل ولسلطانها أركض وأنصب، ما كان معاوية بأبأس منّي بأسًا ،ولا أشدّ شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكنّي أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلّا حقن الدّماء، فارضوا بقضاء الله، وسلّموا بأمره، والزموا بيوتكم وامسكوا»(١٨).

أراد الإمام عليه السلام من خلال هذا الكلام أن يبيّن لهؤلاء الشّيعة الّذين كانوا يحملون بعدًا واحدًا في صراعهم، وهو البعد السّياسي للسّيطرة على السّلطة وإسقاط معاويّة، أنّ الصّراع ليس صراعًا سياسيًّا ، بل هو صراع القيم والمبادئ الرّساليّة مع الثّقافة الجاهليّة، لذلك فهو يتطلّب إمكانيّات وطاقات مناسبة لتغيير الواقع الفاسد في الأمّة على مختلف الأصعدة، كما أنّ الصّراع ليس عمليّة انتحاريّة أو مجازفة هدفها القيام بعمليّات ثوريّة دونما اكتراث إلى الأهداف الحقيقيّة من الصّراع ، بل هي عمليّة طويلة المدى، تتطلّب وسائل وإمكانات هائلة وكفاءات وتضحيات متواصلة في سبيل إدارة الصّراع بصورة جيّدة وتغيير الواقع الفاسد في الأمّة.

أمّا القوم الّذين لاموا الإمام لتسليمه زمام السّلطة إلى معاوية وعنّفوا القول له، فقال لهم: « ويحكم ما تدرون ما عملت؟ والله الّذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه

الشّمس أو غربت، ألا تعلمون أنّي إمامكم ومفترض الطّاعة عليكم، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة، بنصّ من رسول الله ﷺ عليّ؟ قالوا: بلى. قال: أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السّفينة، وأقام الجدار، وقتل الغلام، كان ذلك سخطًا لموسى بن عمران، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمةً وصوابًا؟

أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الّذي يصلّي خلفه روح الله عيسى بن مريم؟ فإنّ الله عزّ وجلّ يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة، إذا خرج ذاك التّاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة النّساء يطيل الله عمره في غيبته، ثمّ يظهره بقدرته في صورة شابّ دون الأربعين سنة ذلك ليعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير»[١٩].

وفي جواب الإمام عليه السلام إشارة إلى قضيّة مركزيّة وحسّاسة وهي موقع القيادة في المجتمع، وأسلوب تعامل الجماهير مع قرارات هذه القيادة، وأنّ المطلوب من أبناء هذه الأمّة إسناد ودعم قيادتها الشّرعيّة ما دامت تعمل على تطبيق الإسلام في واقع المجتمع، وعدم التّشكيك بقراراتها، وإضعاف موقعها، ومن ثمَّ تفتيت الوحدة الاجتماعيّة المنبعثة من قوّة مركز القيادة في الأمّة. فالأمّة الّتي تثق بقيادتها، ولا تبحث في تفصيلات كلّ قرار يصدره القائد وتتردّد في اتّباعه هي الّتي تصل إلى أهدافها بسرعة ونجاح.

وقد جاء إلى الإمام بعض من الشّيعة فابتدروا بالقول: « يا مذلّ المؤمنين، ويا مسوّد الوجوه»، فما كان جوابه إليهم إلّا أن قال: لا تعزلوني فإنّ فيها مصلحة، ولقد رأى النّبيّ ﷺ في منامه أنّه يخطب بنو أميّة واحد بعد واحد فحزن، فأتاه جبرائيل فقال له: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ[٢٠]﴾ و﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ[٢١]﴾.

على الرغم من قبح كلام هؤلاء الشّيعة، ومع أنّ الإمام عليه السلام يعرف أنّ هؤلاء الشّيعة لا يدركون موقعه ومكانته في الأمة، إلّا أنّه عليه السلام يجيبهم بحسب مستوى إدراكهم، أنّ الرّسول ﷺ قد أخبره عن تسلّط بني أميّة على هذه الأمّة.

١١- ظنّ البعض أنّ الحسن عليه السلام رضي معاوية لرياسة الإسلام، فسالمه وسلم له، وليس مثل الحسن الّذي يرضى بمثل معاوية، وقد أنزل الله فيه وفي أسلافه: «﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ[٢٢]﴾. وكانت كلماته الّتي أثرت عنه في شأن معاوية،

صريحة في نسبة البغي إليه، وفي ذكر مثالبه وموبقاته ووجوب قتاله. فالإمام عليه السلام لم يترك بعد الصّلح جهاده المقدّس، بل انبرى يعمل في تحطيم عروش الدّولة الأمويّة، ويبيّن أخطارها على العقيدة الإسلاميّة، وقد نجحت خطّته حين غدر معاوية وفجر، وكشف عن واقعه المنحرف، وذلك حين دخل الكوفة وخطب فيها خطبته الغادرة وأعلن إعلانه الصّريح بأنّه يضع جميع ما أعطاه للإمام الحسن عليه السلام من شروط تحت قدميه[٢٣]، وأنّه لم يقاتل من أجل الإسلام، وإنّما قاتل من أجل الملك والسّيطرة على رقاب المسلمين. ولا شك أنّ هذا المنطق الغادر لمعاوية كان أوّل نصر حاسم سجّله التّاريخ العربي للإمام الحسن عليه السلام، فقد أدرك المسلمون بعامّة وأهل العراق بخاصّة أنّ معاوية طالب ملك لا صاحب دين، ورائد تحكّم لا رجل مبدأ. وبهذا الإعلان الصّريح، أدان الإمام الحسن عليه السلام معاوية، وكشف عن غدره ونفاقه ضمن رسالة بعث بها إليه، وفضح فيها سيرته وسيرة أبيه، وافترائه على الإسلام، فقال: « فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدّين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن من حزّب الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتابه، والله حسبك فستردّ وتعلم لمن عقبى الدّار، وبالله لتلقينّ عن قليل ربك، ثم ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلام للعبيد[٢٤]».

أراد الحسن عليه السلام من خلال هذا الأسلوب توعية النّاس وإيقافهم على واقع النّظام الأمويّ الحاقد وهو يبتعد عن الإسلام، ويجانب الحق، ويجنح إلى الباطل. وقد فضح بذلك سياسة معاوية بنقض العهد وحنث اليمين، وهو أوّل مكسب يحقّقه حزب الإمام في اختراق الحواجز المعتّمة الّتي غطّى بها النّظام سلوكه، وأسدل بإيرادها على جوهره. ومن هنا صحّ ما يقال من أنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام كان تمهيدًا واقعيًّا لثورة أخيه أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فهيّأت قيادة الإمام، الرّاي العام عن كثب لاكتشاف حقيقة الحكم على طبيعته دون تزيّد، فأنكرت على النّظام سوء التّدبير، والخروج عن الدّين، والاستئثار بفيء المسلمين. فقد جبه الإمام الحسن عليه السلام معاوية في المدينة المنوّرة بما أوضح به انتزاءه على الأمّة، واغتصابه الخلافة، وهو يخالف الكتاب، ويعطّل السّنّة مشبّهًا ذلك بالملك الّذي تنقطع لذّاته وتبقى تبعاته.

قال الإمام عليه السلام: «أمّا الخلافة فلمن عمل بكتاب اللهّ وسنّة نبيّه، وليست الخلافة لمن خالف كتاب اللهّ وعطّل السّنّة، إنّما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكًا فتمتّع به، وكأنّه انقطع عنه وبقيت تبعاته»(٢٥).

وتوّج الإمام المجتبى عليه السلام جهاده العظيم هذا، والّذي فاق الجهاد بالسّيف في تلك الظّروف العصيبة، باستشهاده مسمومًا على يد ألدّ أعدائه، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيًّا.

الخاتمة

وقف الإمام الحسن عليه السلام وجهًا لوجه أمام مسؤوليّات جسام ألقاها عليه جدّه ووالده لفهم الرّسالة فهمًا أصيلًا، وقيام على تعهّدها لتستمرّ صاعدة نحو مؤدّاها ومرماها، فأفلح في إخصاب الأرض الجدبة بمعالم الإسلام، وسقيها باستمرار، بعدما حاول معاوية قلع جذور الأخلاق منها، وتحمّل في سبيل أداء المهامّ الرّساليّة كلّ صعب، وقدّم في سبيل تحقيق أهدافها كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجع لحظة، ولم يتلكّأ طرفة عين. وقد لمس هذا البحث بركة الإمام في أوّل شبابه في الفتوحات الإسلاميّة ولا سيّما فتح إفريقيا وخراسان، وأظهر أهدافه ومواقفه الرّياديّة الّتي أمسك بها زمام المبادرة سفيرًا لأبيه، وممثّلًا له، وناطقًا باسمه، وداعية لقيادته، وخطيبًا استقطب أهل الكوفة للالتحاق بأمير المؤمنين في حرب الجمل، ومحاججًا فذًّا استطاع لجم الخصم بدلائله الصّادقة. فأدّى الرّسالة بأمانة وإخلاص، وأحسن السّفارة وافدًا، وحرّك الأمّة داعيًا، فاستجابت له الضّمائر، ورأت فيه الرّائد الّذي لا يكذب أهله.

وقد لقي الإمام الحسن عليه السلام محنًا يضيق بها الوسع، ولا قوّة لأحد عليها إلّا بالله عز وجلّ، لكنّه رضخ لها صابرًا محتسبًا، وخرج منها ظافرًا بما يبتغيه من النّصح للّه تعالى، ولكتابه عزّ وجلّ، ولرسوله صلى الله عليه وآله، ولخاصّة المسلمين وعامّتهم، وهذا الّذي يبتغيه ويحرص عليه في كلّ ما يأخذ أو يدع من قول أو فعل.

كما كشف البحث أنّ الإمام عليه السلام كان مثلًا رائعًا في الاستخلاف، ومحنّكًا سياسيًّا في الكسب الرّسالي، فنزاعه مع معاوية لم يكن في حقيقته نزاعًا بين شخصين يتسابقان إلى عرش، وإنّما كان صراعًا بين مبدأين يتنازعان البقاء والخلود، وكان معنى الانتصار في هذا النّزاع خلود المبدأ الّذي ينتصر له أحد الخصمين المتنازعين. وكذلك هي حرب المبادئ الّتي لا تسجّل انتصاراتها من طريق السّلاح، ولكن من طريق الظّفر بثبات العقيدة وخلود المبدأ، وربّما ظفر المبدأ بالخلود، ولكن تحت ظلّ اللّواء المغلوب ظاهرًا. فقد حارب الإمام الحسن عليه السلام معاوية في سلمه، وحقّق في صلحه مع معاوية ما لا يحقّقه الفاتحون في القتال، وكانت الحقيقة وضّاءة

كاشفة، وكانت النّتائج باهرة. وتوّج الإمام عليه السلام جهاده العظيم هذا، والّذي فاق الجهاد بالسّيف في تلك الظّروف العصيبة، باستشهاده مسمومًا على يد ألدّ أعدائه.

أغمض الإمام عينيه، إلّا أنّه لم يمت، فالكلمة الّتي يبست على شفتيه بقيت تنطق بروح الحقّ كأنّها لسان من نار ونور، وهذا طبيعيّ فالقيّم على هذا المجهود هو الّذي لا يعرّضه الموت للغياب أكثر ممّا يبقيه في ساحة الصّراع عن طريق توارث الصّفات، من سلف إلى خلف، وهذه هي الصّفات الموفورة تحفظ المجهود في خطّه الممدود.

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيًّا.

الهوامش

١-فرات بن ابراهيم الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ص ٣٧٢.
٢-محمّد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٠٠.
٣- م. ن. ص ٢٠١.
٤- ابن كثير، عماد الدّين، اسماعيل بن عمر القرشي، البداية والنّهاية، ص ٣٣٧.
٥- ابن شهر آشوب، أبو جعفر، محمد بن علي السّروي، المناقب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٧.
٦- راضي آل ياسين، صلح الحسن، ص ٢٨٨.
٧- الطبري، أبو جعفر، محمّد بن جرير، تأريخ الأمم والملوك، ص ٤٨٢.
٨- ابن أبي الحديد، عزّ الدّين،عبد الحميد بن هبة اللّه المدائنيّ، شرح نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، ص ١٨٥.
٩- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ، ص ١٩٠.
١٠- محمّد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ١٥١.
١١- الأنفال، ٤٨.
١٢- الأنعام، ١٥٨.
١٣- راضي آل ياسين، صلح الحسن، ص ١٩.
١٤- محمّد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ٨، ص ٣٣٠.
١٥- راضي آل ياسين، م. س، ص ٢٥٧.
١٦- الطّبرسي، أبي منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطّبرسي، الاحتجاج، ط١، ص١٥١.
١٧- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦ ،ص ١٥.
١٨- حسن شيرازي، كلمة الإمام الحسن عليه السلام، تحقيق الشيخ غلا مرضا مولانا البروجردي، ص١٠٠-١٠١.
١٩- حسن شيرازي، كلمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ١٠١-١٠٢.
٢٠- الكوثر، ١
٢١- القدر، ١.
٢٢- التّوبة، ١٠
٢٣- الشّيخ المفيد، الإرشاد، ص ١٧٣.
٢٤- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص ٢.
٢٥- الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١ ص ١٣٠.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.
*ابن أبي الحديد، عزّ الدّين، شرح نهج البلاغة للإمام علي (ع)، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.
*ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي، المناقب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩١.
*ابن كثير، عماد الدّين، البداية والنّهاية، بيروت، دار المعارف، ١٩٦٦.
*آل ياسين، راضي، صلح الحسن، بيروت، منشورات الشّريف الرّضي، ١٩٧٩.
*الأمين الحسيني العاملي، محسن، أعيان الشّيعة، بيروت، مطبعة الإنصاف، ١٩٤٨.
*البيهقي، ابراهيم بن محمّد، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمّد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعارف، د. ت.
*الحائري، حسن الشّمري، قبس من نور الإمام الحسن المجتبى (ع)، كربلاء، العتبة الحسينيّة المقدّسة، ٢٠١٣.
*الحائري، محمد مهدي، معالي السّبطين في أحوال الحسن والحسين ص، قم، مطبعة أمير، ١٣٦٧.
*الخفاجي، عامر عمران، الإمام الحسن المجتبى (ع) بين الواقع السّياسي والبناء العقائدي، كربلاء، العتبة الحسينيّة المقدّسة، ٢٠١٨.
* الخوارزمي، مقتل الحسين، النّجف الأشرف، مطبعة الزّهراء، ١٩٤٨.
*الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد، النّجف، المطبعة الحيدريّة، ١٩٦٢.
*شيرازي، حسن، كلمة الإمام الحسن (ع)، تحقيق الشيخ غلا مرضا مولانا البروجردي، بيروت، مؤسّسة المجتبى للتّحقيق والنّشر، ٢٠٠٥
*الصّغير، محمّد حسين علي، الإمام الحسن رائد التّخطيط الرّسالي، النّجف الاشرف، مؤسّسة البلاغ، ٢٠١٢.
*الطّبرسي، الاحتجاج، ط١، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.
*الطّبري، محمّد بن جرير، تأريخ الأمم والملوك، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ط٤، ١٩٨٣.
*القرشي، باقر شريف، الإمام الحسن بن علي (ع)، تحقيق مهدي باقر القرشي، ج ٢، بيروت، دار جواد الأئمّة، ط١، ٢٠١١.
*القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي (ع)، ج ٢، بيروت، دار البلاغة، ط١، ١٩٩٣.
*كتاني، سليمان، الإمام الحسن الكوثر المهدور، قم،إيران، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٩.
*الكليني، محمّد بن يعقوب، أصول الكافي، جزء ١، بيروت، منشورات الفجر، ٢٠٠٧.
*الكوراني، علي، جواهر التّاريخ، ج٣، ١٤٢٦ هـ.
*اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ط١، ١٩٩٣.